جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

الســور القرآنية ذوات الحــروف المقطّعــــة
في ضــوء نظــرية "نحــو النــص"

إعداد الطالب

أحمــد قاســم عقلــة الحجــايــا

إشراف

الأستاذ الدكتور عبد الفتاح الحموز

رســالــة مقدمــة إلــى عمــادة الدراسات العليــــا

استكمالاً لمتطلبات الحصــول على درجــة الدكتوراه

في اللغــة والنحــو قسـم اللغة العربية وآدابهــا

جامعة مؤتة، 2008 م

الشكر والتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير لأستاذي الدكتور عبد الفتاح الحموز، لما أولاه لي من اهتمام ومتابعة في حلّه وترحاله، منذ أن آثرني بهذه الدراسة؛ عنواناً وموضوعاً ومنهجاً، إلى أن صارت ماثلة بين يديه، فكان نعم الأستاذ الجواد المعلّم المربي، وسأبقى مديناً له ما حييت، فجزاه الله عنّي خير الجزاء، كما أتقدم بالشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة الكرام، الذين تَكبدوا وتحملوا العناء والعبء، لقراءة هذه الدراسة وتقويمها، وهم: الأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي الخليل، والأستاذ الدكتور محمود حسني المغالسة، والدكتور ماهر المبيضين، وأتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساهم في انجاز هذا العمل, أخوة وزملاء وأصدقاء، وكلّ من أفادني بمعلومة أو نصحني بنصيحة، فجزى الله عني الجميع خير الجزاء .

أحمد قاسم الحجايا

فهرس المحتويات

الملخص

السور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة

في ضوء نظرية نحو النص

أحمد قاسـم الحـجـايا

جامعة مؤتـة/2008 م

تتناول هذه الدراسة بالدرس والتحليل، السور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة في ضوء نظرية (نحو النص)، وقد جاءت الدراسة في خمسة فصول، تناول الفصل الأول موقف القدماء والمحدثين وأقوالهم في تأويل الحروف المقطّعة، ثم تم تعريف النص، وعناصر التماسك النصي فيه، وجاء الفصل الثاني في قسمين: الأول قُـصِر على تحليل سورة البقرة وحدها، من حيث دلالات الحروف المقطّعـة فـي هـذه السورة وبيان عناصر التماسك النصي فيها، وخصص القسم الثاني للحـديث عـن السور التي بدأت بـ (الم)، بالإضافة إلى سورة الأعراف (المص)، وبحث الفـصل الثالث في السور التي بدأت بـ بالحروف (الر،المر، كهيعص، طه،يس)، وتنـاول الفصل الرابع السور التي سميت بـ (الطواسين) أي التي استهلت بالحروف (طـسم وطس)، وكذلك السور التي سميت بـ (الحواميم) أي التي بدأت بـ (حم)، وتنـاول أيضاً السور التي استهلت بحرف واحد (ص،ق،ن)، وجاء الفصل الخامس بعنـوان المنهج الإحصائي وأثره في دلالة النص، وخرجت الدراسة بنتائج منها:

1- أكّدت الدراسة أن النص القرآني نص مفتوح ومستمر ومتواصل مع متلقيه، في كلّ زمان وفي كل مكان .
2- أظهرت الدراسة أن للعرب القدماء جهوداً متقدمة وإسهامات كبيرة في دراسـة النصوص، وعلى تماس مع الدراسات الحديثة لها.
3- خرجت الدراسة بدلالات جديدة لبعض الحروف المقطّعة، نحو: دلالـة حـرف الألف على أفعال الأمر نحو: اعبد، استقم، اصبر ، وحرف (اللا)، على الملك، ودلالته على النفي الذي وقع في صدر الآية شهادة التوحيد (لا إله إلا هو)، كما عدت الحروف المقطّعة واقعة بموقع المقسم به، بمعنى أنّها ليست حروف قسم .

Abstract

The 'Quranic surats'with 'separat letters '
in the theory of Text syntaxt .

Ahmad Q. AL-Hajaya
Muʾtah University, 2008

This Study thoroughly analyzes, the Quran verses 'Quran sūrats' start with sperate letters in the syntax, this study contains five Chapters in which.

The first Chapter focused on the views and attitudes of the ancients and modern scholars, explaining the sperate letters, text definition, and the elements of textual coherence.

Chapter two studies sūrat 'AL-Baqarah' only in terms of the significant indications in this sūrat.

Chapter three was specified to talk about the sūrats that begin with 'ALEF,LAM,MIM' and sūrat 'AL-a'araf' 'ALif,lam,sad'.

Chapter four discussed the sūrats start with 'ALEF,LAM,RAA' and sūrat 'AL-ra'ed', and 'Taa,seen,mim' and 'Taa,sin' and sūrat Maryam. Also studied all sūrats start with 'Haa,mim' or so called 'AL-Hawamim sūrats' and other sūrats start with one letter.

Chapter five was under the title;' the statical Approach and it's effect in text Indication', and the study came out with the following resvlts;-

1.the Study emphasized that the Quranic text isopen and continuous with the recipients in all times and places.

2 the Study shows that ancients arabs have great participations and eff0rts in texts study and cope with modern studies.

3. the Study came out with new indication to some seperat letter; e.g Alef lettertive verbs, ALLam letter indicates, and it,s negative meaning in the onlyness verse (No God but He "Allah"), and they are not vow letters.

المقدمة

الحمد وحده الذي أنعم علينا بالإسلام ديناً قيماً، وبالقرآن الكريم نصاً عليـا، هادياً للتي هي أقوم صراطاً سوياً، وبمحمد صلى ا عليه وسلم نبياً أميـاً، مبعوثـاً رحمة للعالمين نجيا، هادياً ومبشراً ونذيراً، فصلى ا عليه وسـلم تـسليماً كثيـراً مباركاً، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ومن سار على طريقهم السوي إلـى يـوم الدين.

تبحث هذه الدراسة في واحد من أهم الموضوعات التي تناولهـا الدارسـون للنص القرآني الكريم، ألا وهو (السور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة)، فقد لقيت هذه الحروف اهتماماً وعناية من المفسرين واللغويين القدماء، ولا تزال تلقى اهتماماً من قبل المفسرين واللغويين المحدثين، لكن أهميتها اقتصرت علـى تأويـل هـذه الحروف دون ربط الدلالات التي تحصلت لهم بمدلولاتها من نصوص السور، بقطع النظر عن بعض الآيات التي استدلّ بها قليل من المحدثين، على معنىً واحـد مـن المعاني التي تأولوها للحروف المقطعة، ويبدو أن عدم ربط هذه الحروف بما قبلهـا أو بما يليها من آيات، أو ربطها بعنوان السورة نفسها، مرده هـو بعـدها حروفـاً وليست جملة نواة، ومن هنا جاء سبب اختيار هذا الموضوع، وهـو التعامـل مـع الحروف المقطّعة التي استهلت بها السور ذوات الحروف المقطّعة، بوصـف هـذه الحروف جملة نواة، ترتبط بما قبلها وبما يليها من آيات، وترتبط دلاليـاً بمـدلول وأكثر من نص السورة، كما ترتبط بعنوان السورة ذاتها.

بلغت السور القرآنية التي استهلت بالحروف المقطّعة تسعاً وعشرين سـورة، منها ست وعشرون سورة مكية وثلاث سور مدنية، وقد اتبعت الدراسة في تحليـل هذه السور المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الإحصائي، واستثمرت معطيات المنهج التفسيري، فأفادت منه في تحليل نصوصها، وعرضت لدلالات الحروف المقطّعـة عند المفسرين واللغويين على اختلاف مذاهبهم، كما استفادت الدراسة مـن سـائر العلوم ومعطياتها- إلى جانب علم اللغة والنحو-فاغترفت من علم الـنفس، وعلـم الاجتماع، وعلم التفسير، وعلم الفقه، وعلم الأصول، وعلم المنطق، وعلم الفلـسفة، وعلم الكلام، وعلم الحساب، وعلم الجمال، وفي هذا السياق المعرفي الشمولي، أقـر

سعيد بحيري بسعة هذا العلم قائلاً:"وقد اتسع علم لغة النص في الأساس بضمه تلك القواعد والنماذج والاستراتيجيات المتاحة وتجاوزها إلى إمكانات أخرى، توافرت له من خلال الامتداد المعرفي واتساع الأفق والتداخل الصوري، ومكّنته نظرته الشمولية من تخطي الامتداد الأفقي إلى أبعاد دلالية وإشارية وإحالية وإيحائية، تستعصي على النظر المحدود، بل استعانت بما يدور فيما وراء اللغة في التحليل والتفسير، حين وضع في الاعتبار مستويات القراء وأحوالهم النفسية والاجتماعية، وتعدد القراءة، وأشكال التواصل، ودرجات الفهم والاستيعاب، وطرق التذكر والاستعادة، وإمكانات التأليف، وكيفيات الترابط الذهني..."([1]) .

جاءت الدراسة في خمسة فصول وخاتمة وثبت لمصادرها ومراجعها، وتقَدت موضوعات الفصل الأول، مقدمةٌ للدراسة أشارت إلى أهمية موضوع الدراسة عند القدماء والمحدثين، من حيث سبب اختيار موضوعها، والمنهج التحليلي الذي اتبعته، ثم عرضت لما اطّلعت عليه من دراسات قديمة وحديثة، قد تكلّم أصحابها عن الحروف المقطّعة، كما وقفت على ما يتصل بنظرية نحو النص، فأشارت في وقفة سريعة إلى جهود العرب القدماء، من مفسرين ودارسين لعلوم القرآن الكريم.

ثم تناولت الدراسة في فصلها الأول أيضاً، فعرضت لنحو النص من حيث: تعريف النص وذكر عناصر التماسك فيه وتوضيحها، وتحدثت الدراسة عن القرآن الكريم بوصفه نصاً، فوقفت معرفة ببنيته المنطوقة والمكتوبة، ثم وقفت وقفة عجلى، على حال العرب قبل الإسلام، ومن ثم تحدثت عن سمات السور ذوات الحروف المقطّعة، وعرضت الدراسة لمواقف المفسرين واللغويين والنحاة من الحروف المقطّعة، وختمت بموقف الدراسة من الحروف المقطّعة.

وخصت الدراسة في القسم الأول من الفصل الثاني سورة البقرة بالدراسة والتحليل بشكل مستقل، بوصف هذه السورة الشاملة لكلّ القرآن، فوقفت على نصها محللاً له تحليلاً نحوياً نصياً، من عنوانه إلى حروفه الثلاثة المقطّعة، التي استهل

[1] - بحيري: سعيد، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات: 9، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان، الطبعة الاولى, 1997م.

بها، إلى شواهد من مكوناته؛ حروفاً وكلمات وجمل وفقرات، جاءت فـي مواضـع متعددة من بنية النص، وذاكراً خلال تحليله، عناصر التماسك النصي في الـسورة النص، ثم وقفت على الموضوع المحوري الذي دار حوله نصها، بالإضـافة إلـى الموضوعات الرئيسة فيه، وفي نهاية الفصل وقفت على عنصر التناص في سـورة البقرة، من خلال شواهد من آياتها، تناصت السورةُ بها مع سائر الـسور القرآنيـة ذوات الحروف المقطّعة، بحسب ترتيب النزول، وتناصت هذه السور مـع سـورة البقرة بحسب ترتيب التلاوة أو المصحف.

أما القسم الثاني من الفصل الثاني فتحدث عن السور القرآنية ذوات الحـروف (الم والمص)، فوقفت الدراسة محللّة لنصوص تلك السور بالطريقة نفـسها، التـي حللّنا بها نص سور البقرة، وجعلت الفصل الثالث في ثلاثـة أقـسام للـسور ذوات الحروف (الر والمر، كهيعص، طه، يس)، القسم الأول للسور ذوات الحروف (الر والمر)، والقسم الثاني تناول سورة مريم، والقسم الثالث لسورتي طه ويس، وجـاء الفصل الرابع في ثلاثة أقسام، تحدث القسم الأول عن الـسور التـي سـميت بـ ـ (الطواسين) أي التي بدأت بـالحروف (طسم وطس) والقسم الثاني عن السور التي سميت بـ (الحواميم)، أي التي بدأت بـ (حم)، والقسم الثالث عـن الـسور ذوات الحرف الواحد (ص، ق، ن/القلم)، أما الفـصل الخـامس فتحـدث عـن المـنهج الإحصائي وأثره في دلالة النص، ثم عرضت الدراسة بخاتمة مجملة عن الحروف المقطّعة بشكل خاص، ومن ثم سجلّت أهم ما خرجت به من نتائج .

وفي ضوء شمولية نحو النص ونظرته للنص المدروس، اقتضى منهج الدراسة تفعيل ثلاثة مستويات متداخلة فيما بينها دون انفصال وهـي: المـستوى النحـوي، والمستوى الدلالي، والمستوى التداولي، ليكون كلّ مستوى منها إطاراً رحباً مستقلاً، ينداح في إطاره ما يتصل ويتعلق ويختص به مستوى منها بعينـه، مـن معـارف ومعطيات وأدوات تلك المناهج وهذه العلوم، واقتضى منهج الدراسة أن أقسم السور في كل فصل إلى ثلاثة أقسام، ضم كل قسم مجموعة الـسور التـي تماثلـت فـي الحروف المقطّعة نوعـاً وعدداً، وخصت الدراسة سورة البقرة بقسم اسـتقلّ بهـا؛ لأنها السورة التي تمثّل الكتاب (كلّه) بدليل الآية:" فأتوا بسورة من مثلـه"، وقولـه

تعالى:" ذلك الكتاب"، إذ لم ترد الإشارة إلى لفظة الكتاب باسم الإشارة المفرد المذكر (ذلك)، الذي يحيل إليه إحالتين قبلية وبعدية متطابقة، إلا في هذه السورة في قول ا تعالى:" ذلك الكتاب"، وقد نُعتت بفسطاط القرآن كذلك([1])، كما أن عنـوان الـسورة نفسه، والاستهلال بالحروف الثلاثة (الم)، يمثلان كـلّ الـدلالات اللفظيـة وغيـر اللفظية، التي تتصل بسائر السور بعدها؛ مطابقة وتضمناً والتزاماً، وإحاطـة بلفـظ جميع الأصوات ما بين الهمزة واللام، أو ما بين اللام والميم، أو قلْ ما بين الهمـزة والميم، وكان أهم سبب في دراستها مستقلة، هو اهتمام الدراسة بأول آية منها التـي شكلّتها (الم)، إذْ تعاملت الدراسة معها بصفتها الممثل الكلّي للحروف المقطّعة، التي استهلت بها سائر السور بعدها في ترتيب التلاوة، وبقطع النظر عن عـدم تماثـل حروف استهلالية معها، فكانت سبباً رئيساً في زيادة عدد صفحات الفـصل الـذي درست فيه سورة البقرة، وباعتبار سورة البقرة أول سورة مدنية، فهي الرابط بـين السور المكية قبلها والمدنية بعدها، لذلك كلّه كان أمر دراستها بفصل مستقل معياراً في منهج الدراسة .

أما الدرسات السابقة للحروف المقطعة عند القدماء، فجـاءت خـلال تفاسـير المفسرين لكتاب ا العزيز بشكل عام، وغالباً ما يتم الحديث عنها جميعا فـي أول حديثهم أو تفسيرهم أو إعرابهم للحروف المقطعة التي في أوائل سـورة البقـرة، إذ نجدهم يحيلون إليها عند حديثهم عن باقي الحروف التي تعترضهم في أوائـل بقيـة السور ذوات الحروف المقطّعة بجملة: "والقول فيها ما قيل في الحـروف المقطعـة التي في أوائل سورة البقرة، أو كما قال الطبري عن الحروف الخمسة التي استهلت بها سورة مريم:"... والقول في ذلك عندنا نظير القول في(الم) وسائر فواتح سـور القرآن التي افتتحت أوائلها بحروف المعجم، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع"([2])، ومنهم من وضع لها باباً خاصـاً فـي كتابـه، أو

[1] - انظر: الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد ا ، البرهان في علـوم القـرآن: 269/1 . ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم .

[2] - الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب، ، جامع البيان في تأويـل القـرآن، 142/18، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعـة الأولـى1420 – 2000م،

تحدث عنها مع سائر فواتح السور في باب خصه لها، كما فعل الزركشي والسيوطي وغيرهما في البرهان والاتقان، إلا أن دراسة قديمة قد خصها صاحبها بفواتح سور القرآن الكريم كلّها، وهي دراسة ابن أبي الإصبع المصري(*)، في كتابه (الخواطر السوانح في أسرار الفواتح)، فقد تحدث فيه عن كلّ فواتح السور القرآنيـة، ومنهـا حديثه عن الحروف المقطّعة، ولعل أهم ما جاء عند ابن أبي الإصبع حديثـه عـن دلالات الحروف المتماثلة في أوائل السور، إذ أعطى دلالة شاملة لكـل مجموعـة تماثلت، فأعطى الحروف (الم) التي استهلت بها ست سور دلالة واحـدة و(الـر) دلالة واحدة، ومجموعة (طسم وطس) دلالة واحدة، كما أعطى الحروف المتماثلة - وإن لم ترد مع بعضها بعضها في أوائل السور - دلالة واحدة نحو: العين الكـاف في طه أعطاها دلالة العين من (كهيعص)، والصاد في سورة (ص) أعطاها دلالـة الصاد في (كهيعص)، ويمكن أن نضيف أمراً هاماً جاء به ابن الإصبع، وهو إعطاء (الألف) من (الم) البقرة دلالات سيمائية، إشارية وإيحائية ورياضية، نحو إشـارته إلى مسألة الأصل والفرع من خلال تأويله لهذه الحروف، وكذلك إشارته إلى بساطة الألف واستغنائها عن غيرها من الحروف، بل هي المكونة لها فـي فـي الأعـم، كتركيب الأعداد من العدد (1)، وإشارته إلى أن الألف والعدد (1) إلى أنهما أول كلّ شيء، وربط بين الفاتحة والبقرة عن طريق (الألف) فهي أول لفظة (الحمد)، وهـي أول البقرة وأول الحروف المقطعة، كلّ هذه الإشارات تؤول في دلالتها إلـى أن ا سبحانه وتعالى هو" الأول"([1]) .

وانظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، 135/6، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ، 1999، السمين الحلبي: شهاب الدين ابـي العبـاس بـن يوسف بن محمد إبراهيم، الدر المصون، 3/2 ، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان،ط/1، 1414هـ، 1994م.

[1] - انظر: ابن أبي الأصبع: المصري، الخواطر السوانح في أسرار الفواتح،87،94، ت. حفني شرف، مطبعة الرسالة،1960م .

أما الدراسات الحديثة للحروف المقطعة فهي على النحو الآتي:

1- دراسة عنتر الرويني الموسومة بـ (مـن إشـراقات الحـروف المقّطعـة)، والإشراقات التي في دراسة الباحث، أشرقت بها أكثر كتب المفسرين من قبـل، ولا سيما كتب تفاسير الصوفية وبعض مَنْ فسر بالعقل من السنة والمعتزلة، لكن الباحث لم يشر من قريب أو بعيد إلى كتاب من كتب المفسرين، على الرغم من تطابق الإشراقات التي في دراسته مع المعاني التي وردت في كتـب التفـسير القديمة،

2-دراسة سعد عبد العال، الموسومة بـ (الهيروغليفية تفسر القرآن الكـريم؛ بمـا يسمى الحروف المقطّعة)، إذ أعطى قسماً من هذه الحروف دلالة واحدة مـرةً، عندما تطابقت الفواتح شكلاً ولفظاً، نحو: الم، الر، مستعيناً بدلالة الحرف مـن خلال الصورة المرسومة له بخطوط الهيروغليفية (المـصرية القديمـة)، فـدلّ بدلالة الصورة على دلالة الحرف، وعبر عن هذه الدلالة بجملة، شغل بها موقع الحرف، واستدلّ على دلالة الحروف بآية أو أكثر، لكنّـه كـان انتقائيـاً فـي الاستدلال على معنى الحرف أو الحروف، فلأجل الاستدلال على دلالة بعـض الحروف المقطعة نحو حرف (ن)، جاء تأويله مخالفاً لظاهر الآية التي شـكلّت مع (ن) الآية الأولى من سورة القلم، إذ أحال ضمير الرفع (الواو) مـن الفعـل المضارع (يسطرون)، إلى اسم نقيض للمسند إليه من جملة يسطرون، المفهـوم من دلالة المعطوف المقدم على الفعل، (وما يسطرون)، إذا ما تأولنّا أن (ن) هو حرف مقتطع من اسم من أسماء ا الحسنى، و(والقلم) معطوف عليه، والمفعول به (ما) المقدّم الذي مثّل البؤرة الرئيسية معطوف على (القلم)، عندما وقعت في موقع المسند والمسند إليه أو الحامل والمحمول (يسطرون)، فدلالة القسم- كمـا هو معلوم- تكون لعظيم، فلا توافق بـين الفاعـل (الـواو) والمفعـول (مـا) المسطور) من جهة والاسم الذي أحال إليه الباحث ضمير الرفع (الـواو) مـن يسطرون، إذ أحاله إلى المشركين (المدهنـون) كما ذكر، ودلالة العظـيم قـد أشار إليها حرف (ن) بوقوعه موقع المقسم به، فلم يظهر حرف القسم، وكـأن الحرف (ن) قد عمل عمل حرف القسم المحذوف، ودلّ على اسم من أسماء ا

تعالى في آن واحد معاً، فالنظام والتركيب قضيا بعدم ذكر حرفين متتاليين؛ الأول حرف قسم والثاني الاسم المقسم به، أما الواو من (وما)، فلعلها ليست حرف قسم كما ذهب إلى ذلك كثير من المفسرين، فقد تكون حرف عطف مشعراً بالقسم، من خلال نظام الجملة وتركيبها والسياق اللغوي، إذ هو أول لفظ نطق به وكُتِب بعد نطق حرف (ن) وكتابته أيضاً، وكأن عنصر المجاورة بين الحرفين (ن، و) قد ساهم في تأويل حرف الواو، على أنه حرف قسم عند بعض المتأولين، كما أن المعنى لا يستقيم مع ذكر حرف القسم.

3- دراسة الباحث عطية زاهدة الموسومة بـ (هكذا حدثني القرآن/فواتح السور والحروف السبعة)، إذ تحدث الباحث عن فواتح جميع السور متأولاً هذه الحروف بأنها مقتطعة من كلمات، ففي فاتحة سورة البقرة (الم)، تأول ثلاث كلمات للحروف الثلاثة، وخص هذه (الم) بإشارتها إلى الكتاب، قال:" الكتاب هو (الم)...وأن (الم) هي نفس (ذلك الكتاب)، وربط بين الآية الثانية والأولى من خلال تقدير أحد الضميرين الغائبين المذكر أو المؤنث بصيغة المفرد لهما، فقال:" ومن خلال اعتبارنا أن هناك مجالاً لتقدير ضمير المفرد الغائب، سواء المذكر أم المؤنث، بين الآيتين الأولى والثانية، أي على هذا النحو: "الم - هي أو هو - ذلك لكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"، وهكذا فإنّه يبدو جلياً أن الآية الثانية هي شرح وتوضيح بل وتعريف بالأولى، ووجود اسم الإشارة "ذلك" يظهر أيضاً الارتباط، ويبين أن هناك مسألة تعريف، فاسم الإشارة يرد في الاستعمال اللغوي من أجل التعريف، إن "الم" هي تعريف بالكتاب، إنها تصفه وتحدده"([1])، لقد اتضح من كلام الباحث أن (الم) مقصورة على الكتاب؛ أي على القرآن الكريم، بمعنى أن كل حرف لم يشر إلا إلى ما يخص القرآن الكريم لغته؛ لأنّها هدى وبشرى، ليستدل من خلال ما سبق، ومن خلال قول ا تعالى من آيتين من سورتي العنكبوت والنحل وهما قوله تعالى: بَلْ هُوَ آيَاتٌ

[1]- عطية: زاهده: هكذا حدثني القرآن،27، 28.

بينَاتٌ ، وقوله تعالى: وهذَا لِسان عربي مبِين ([1])، ثم يتأول جملة يقترب بهـا من تقدير (الم) بقوله:"(إنه آيات بلسان مبين)، إلى هنا يمكن أن نكون قد اقتربنا من تقدير (الم)، فالألف من آيات، واللام من لسان، والميم من مبين، ويمكن أن نجمع هذه الكلمات بواحد من الأشكال التالية: 1- (آيات بلسان مبـين).....2- (آيات لسان مبين)..... 3- (آيات ولسان مبين)"، ثم استشهد على البيان والهدى والبشرى في الكتاب([2])، كما كثُرت الثنائيات المختصرة لحرفـي (حـم) فـي مجموعة سور الحواميم عند الباحث، وعد الواو بعدهما حرف قسم([3]).

إن أهم ما يمكن ملاحظته في تأويل هذه الكلمات الثلاث ـ كمـا يبـدو ـ أن الباحث رآه تأويلاً جديداً، أليست هذه الكلمات هي الكتاب (القرآن) نفـسه، بجملـة بعض المفسرين (إن هذا الكتاب هو من جنس الحروف التي يؤلفون منها كلامهم)، واستشهد الباحث على تأويله تلك الكلمات الثلاثة، بآيات من خارج سـورة البقـرة، عند صرف النظر عن الآيات التي استشهد بها لتأويله (الم)، علـى بيـان وهـدى وبشرى من سورة البقرة، كما اكتفى بهذه الكلمات الثلاثة فقط، وهو يذهب ـ كمـا يقول ـ إلى الأخذ بالرأي العام الذي يعدها اختصاراً لكلمات، وجاء تأويله لـ (الم) شارحاً لها بالآية الثانية ـ وبين الآيتين أحد الضميرين الغائبين المفردين مـذكراً أو مؤنثاً ـ بالكتاب، سيكون هو مدخل للقول بأن القرآن هو (الـم) ، إذ أخـذ بعـض المفسرين على من تأول هذا التأويل من قبل، وفي ضـوء تأويلـه، فـإن (الـم/آل عمران، الروم، العنكبوت، لقمان، السجدة) تختلف عن (الم/ البقرة)، فالألف أشارت إلى الكتاب في البقرة، لكنّها لم تشر إليه في آل عمران، وقد ورد في الآية الثالثـة الواردة بعد أسماء ا الحسنى في الآية الثانية قبلها. ويمكن تسجيل ملاحظة أخرى، هي الجزم بدلالة الحرف المقطع، كما ظهر في تأويله لـ(الم/ آل عمران)، بأن كل حرف منها دال على اسم من أسماء ا الحسنى، واستدل على هـذا التأويـل بآيـة الكرسي في سورة البقرة، مما جعل تأويله محل نظر وإن كان مقبـولاً وواردأ لـ ـ

---

[1] - سورة العنكبوت: الآية/49، سورة النحل: الآية/103.

[2] - انظر: عطية، هكذا حدثني القرآن (27-30).

[3] - انظر: المرجع نفسه (71-78).

(الم/ آل عمران)، فبماذا اختلفت- في ضوء الاستشهاد بآية الكرسي- (الم/ البقـرة عن الم/ آل عمران)؟، إذ إمكانية التأويل لهذه الحروف ـ في ضوء ما تحمله مـن معانٍ وطاقات تعبيرية هائلة- واردة لأي كلمة يعد أحد هذه الحروف اختصاراً لها، إذا ما انسجمت دلالتها أو نسبة منها، لتتعالق مع دلالة أخرى أو أكثر مـن دلالات النص، بقطع النظر عن موقع الكلمة المتأولة أو الدلالة التي تنسجم معها مـن بنيـة النص. فتأويل (الم/ البقرة) بالتأويل نفسه لـ (الم/ آل عمران) وارد كـذلك، وآيـة الكرسي وغيرها من الآيات من سورة البقرة تعضده، وتشكيل (الم) الآية الأولى في هاتين السورتين وفي غيرهما من مجموعة (الم) تعضد ذلك أيـضاً، ولـم يـستدل الباحث على دلالة (الم/ الروم) التي تأولها بجملة(إذا لقيتم مكة) بآية أو بكلمة مـن السورة نفسها، بل استدل لها بآيتين من سورة الأنفال وبآية من سـورة محمـد([1])، فالسورتان لم تستهلا بحروف مقطعة، كما عمد الباحث إلى الاستدلال بأرقام تاريخية في تأويل الفعل (غُلِبتْ)، وهو أمر لم يثبت على الوجه الدقيق.

4- دراسة عبد الجبار حمد شرارة التي وسمها بـ (الحروف المقطّعة في القـرآن الكريم)، خلت هذه الدراسة من رأي الباحث فيما يخص الحروف المقطعة، إنّما امتازت بجمع الآراء التي قيلت فيها من جهة، ومناقشتها وتحليلها من جهة ثانية، لكن يؤخذ على صاحبها أنّه يقدم أحياناً تأويلات المفسرين الشيعة على غيرهم، ويدلل على صحة ما ذهبوا إليه من تفاسير أهل السنة وتفاسـير غيـرهم، مـن خلال أسلوب انتقائي يخدم الرأي الذي لا يقبله أو الرأي الـذي يقبلـه هـو أو يرجحه، ومن الأمثلة على نهجه هذا، ما ذكره استدلالاً على عدم تسليمه بـرأي الرازي وغيره الذي يوجب الوقف على لفظ الجلالة (ا) في قوله تعالى:" ومـا يعلم تأويله إلا ا والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلٌ من عند ربنـا "، إذ استدل برأي الشريف المرتضى، الذي عد لفظة (الراسخون) معطوفة على لفظ الجلالة، أي: ... وما يعلم إلا ا وإلا الراسخون في العلم، وأنهم مـع علمهـم يقولون آمنّا به، وكذلك استدلاله بكلام الـشريف المرتـضى، علـى أن جملـة

---

[1] - انظر: سورة الأنفال: الآيتان: 15، 45، وسورة محمد: الآية:4.

(يقولون آمنا به)، في موقع الحال والمعنى أنهم يعلمونه قائلين: آمنّا به كل مـن عند ربنا، واستدلاله أيضاً وابن تيمية على أن الذم في اتباع المتشابه، إنّما هـو خاص بمن اتبعه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فأما مَنْ تدبر المحكم والمتشابه كما أمره ا تعالى وطلب فهمه ومعرفة معناه، فلم يذمه ا بل أمر بـذلك ومـدح عليه، كما ذكر أقوالاً متعددة نعتها بالأدلة القوية؛ ليصفح عن الأخذ برأي مـن قال أنها من المتشابه، فيذهب مع الرأي الذي يرى أصحابه أن لها معنى محدداً ومغزى مقصوداً "([1]).

كما رد الباحث رأي من قال: إن هذه الحروف إنما هي رموز، كـلّ حـرف يرمز إلى معنى، لكنّه رد بما ارتضاه بعض المفسرين ووجد له وجهـاً واسـتعمالاً ونظيراً لما هو معروف عند العرب في شعرهم ونثرهم، ويظهر أن الواو هنا هـي للاستئناف كما يبدو، فلم يأخذ الباحث ما اقتبسه من كلام الطبري على ظاهره، بـل جعله بطريقة انتقائية، دليلاً يرد به على من قال بذلك الرأي، لكن كلام الطبـري ـ الذي اجتزأ منه الباحث ـ لم يناقض رأي من قال بذاك الـرأي"([2])، وفـي نهايـة الدراسة ذكر الباحث موقفه منها، فأخذ برأي من عدها أسماءً للسور، واستدل بمـا قاله الذّاهبون إليه من المفسرين واللغويين، وهو بهذا الرأي قد جـزم بقسرية هـذا الرأي المتأول لهذه الحروف، وهو اعتقاد لا يقر به البحث العلمي، دع عنك عـدم وجود نص يحكم بقسرية ذلك ، ودع عنك أيضاً تعدد القراءات لهذه الحروف قديماً وحديثاً، قد تتقدم قراءة أو أكثر على قراءة أسماء السور، التي أقرها عبـد الجبـار شراره حكماً .

5- دراسة سليمان عودة أبو صعيليك بعنوان (الحروف المقطّعة في القرآن الكريم؛ تفسيراً، لغة، إعراباً، ومذهباً)، وهي رسالة ماجستير أشرف عليها (محي الدين رمضان)، برز فيها الجهد الجمعي، فجاءت مقصورة على جمع قسم غير قليل، لآراء مَنْ تكلّم فيها مفسرين ولغويين ونحاة وأصحاب مذاهب، فحـشد آراءهـم

---

[1]- شرارة: عبد الجبار حمد، الحروف المقطّعة في القرآن الكريم، 15-21، مكتـب الإعـلام الإسلامي، ط2، 1414هـ .

[2]- المرجع نفسه، 22.

حشداً دون ترجيح لرأي على آخر أو مناقشة له، وإنّما اكتفى باختيار أكثر مـن رأي كلّما عرض له عند أهل التفسير أو اللغة أو أصحاب المذاهب، ولعل أهـم ما يسجل على صاحبها، ما أورده تحت عنوان: أول منْ فسر الحروف المقطعة، وهو قوله:" الرسول صلى الله عليه وسلّم أول من فسر الحروف المقطعـة "([1])، إذ لم يذكر لنا ذلك التفسير أو يحيله إحالةً؛ خارجية أو داخلية قبلية أو بعدية متناً أو هامشاً، ولم أجد في حدود العلم والاطلاع منْ أشار إلـى مـا ذكـره أبـو صعيليك، إلا حديثاً صحيحاً ظاهره - كما يبدو - يبين تفضل الله على قـارئ القرآن، ومقدار أجره له على كل حرف يقرؤه من حروفه، أما مـا يمكـن أنْ نتأولّه - دلالة سيميائية - من حديثه عليه الصلاة والسلام، هو أن كلّ حـرف من حروف (الم) مقتطع من كلّمة، وقرينة هذا التأويل هي أن من أساليب العرب في كلامهم من يدل على الكلمة لفظاً ومعنىً، بالحرف أو بالحرفين نحو: فقالـت لها قف فقالت: قاف.

6- دراسة محمد بدري عبد الجليل الموسومة بـ (براعة الاستهلال فـي فـواتح القصائد والسور)، وجاءت في القسم الثاني من كتابه، إذ ذكر الباحث قسماً كثيراً من الأقوال والآراء التي قال بها المفسرون حول الحروف المقطّعة، فوقف عند بعض هذه الآراء دون أنْ يأخذ برأي منها أو يرجح رأياً على آخر، بل مال إلى نقد كثير منها، أما رأيه فيها فوقع في الجزء الأخير من كتابه، نوجز له بقولنـا: إن الباحث لم يتجاوز بعض الدلالات المعجمية الواردة في معاجم اللغة، أو التي تأول لها كلمة اقتطع منها الحرف الذي استهلت به السورة، وهو تأويل يجـزم بدلالة معجمية واحدة للحرف، فقد تأتي كلمة أخرى أو أكثر لم يتأولها الباحـث تنسجم ودلالة الحرف إذ اشتملت بنية الكلمة على الحرف المتقطع بقطع النظـر عن موقعه في بنية الكلمة، ويلاحظ أن الباحث اعتمد الدلالة المعجمية لـبعض الحروف، فاعتمد على ذكر (كلمة) تضمنت بنيتها الحرف الـذي اسـتهلت بـه

---

[1]- أبو صعيليك: سليمان: الحروف المقطّعة في القرآن الكريم؛ تفسيراً، لغة، إعراباً، ومذهباً : 17.

السورة، نحو: الراء، الرؤية، البشارة، و (ن/النونة) تعني: الصواب من القول، فاكتفى الباحث بهذه المعاني الواحدة تقريباً، فالباحث لم يدلل على جميع ما ذهب إليه، ولم يقدّم لنا جملة يحسن السكوت عليها لأي استهلال منها، لا سيما وهـو يتأولّ معاني يكاد يجزم بها لهذه الحروف، بل اكتفى بذكر بعض الشواهد علـى ما تأوله، وقد أخذ صاحب الدراسة على بعض المفسرين تأويلاتهم للحـروف المقطّعة، وهو يستعرض آراءهم ويناقشها، فقد أخذ على ابن أبي الإصبع مآخذ كثيرة في تأويله لهذه الحروف، ولم يذكر ما جاء به الرجل من دلالات سيمائية ومعانٍ للحروف المتماثلة بشكل عام، إذ تنبه للجانب النقدي لا الموضوعي وهو يناقش ما جاء به ابن أبي الإصبع من تأويل لهذه الحروف، ولا أدلّ على اتجاهه النقدي إلا قوله بحقّه:" وتلفع برداء الصمت إذ لم يبين لنا كيفية هذه الدلالة ([1])".

7ـ دراسة (محمد عبد الجليل) الموسومة بـ (فواتح حـروف الفـواتح). اقتـصر الباحث في كتابه هذا على دراسة الحروف المقطّعة فقط، كما اقتصر على منهج حسابي مخصوص أيضاً، هادفاً إلى كشف دلالتها؛ إما مجتمعة كلّها تحت دلالـة واحدة، بعد أن أعمل فيها معطيات هذا المنهج الذي يفضي إلى نتيجة واحدة كما فعل، إذ فعل أداة المنهج الحسابي الهندسي، التي أظهرت موقع الحرف في نظام (أبجد هـوز) بطريقة هندسية على شكل جدول؛ ليصل إلى دلالة واحدة لهـذه الحروف جامعة، وهي أنها تُشكّل اسم ا الأعظم (ا) .

8- دراسة محمد أحمد عبد الوهاب المليجي الموسومة بـ (الظواهر الإعجازية في فواتح السور القرآنية عند المفسرين والنحاة)، 1421هـ/2000م .

من خلال قراءة هذه الدراسة فإنني لم أجد شيئاً جديداً أضافه الباحث، بل اكتفى بنقل آراء المفسرين القدماء والمحدثين حولها، فجهده في هذه الدراسة انحصر فـي جمع ما قيل عن هذه الحروف عند المفسرين واللغويين القدماء والمحدثين .

---

[1] - يقصد دلالة حرف (ن) على ملك الموت والملكين، والكتاب والحساب والميزان والـصراط والحوض، والجنة والنار.

ومن الدراسات الحديثة دراستان للباحث: محمد عادل القلقيلي، يمكن عـدهما من أهم الدراسات السابقة التي عثرت عليها أخيراً، إذ لم أكن على علم بهمـا مـن قبل، وهما:

9ـ السور القرآنية ذوات الحروف (ن، ص، ق، يس): تنـاول الباحـث الجانـب الموضوعي في كل سورة منها، وربط موضوع السورة بالحروف المقطّعة التي استهلت بها كلّ سورة من هذه السور، فموضـوع الـصراط المـستقيم عـده موضوعاً رئيساً لسورة (ص) مثلاً، وأدخل فيه كلمات من السورة ذاتها، قد جاء الحرف التي استهلت به كلّ سورة، صوتاً رئيساً في بنية بعض الكلمـات، ولا سيما التي اقتطع منها الحرف، أو الكلمات التي جاء فيها تأويل عند المفـسرين نحو كلمة: الخصام، على أنّها دلالة من دلالات حرف (الصاد)، وكذلك تأويـل حرف النون على أنّه فعل فيه معنى النعمة، أو النور.

10ـ دراسة للباحث: القلقيلي، الموسومة بـ (نظرات جديدة في القرآن المعجـز)، اعتمد الباحث طريقة التقليب للحروف المقطّعة (الم) فقط، وهي الحروف التـي جاءت في ست سور، على أنها أسماء نحو: (الأمل، الألم،...) وعلى أن بعضها أفعال نحو: مال، لام...)، وهي الطريقة التي سلكتها هذه الدرسة، بالإضافة إلى أنّها أفعال جاءت في صيغتي الماضي والأمر، سواء أكان للحرف الواحد مـن الحروف الثلاث أم عد الحروف الثلاثة فعلاً واحداً على (أفعل: ألم، وفعل: لـم، وفعل: ألم) .

يتضح لنا أن الدلالة أو الدلالات التي تحصلت لكثير من المتأولين للحـروف المقطعة، لم ترتبط مع دلالة لفظية أو غير لفظية، قد تضمنتها كلمـة أو آيـة مـن السورة، كما أن الدلالة أو الدلالات التي تحصلت تأويلاً لمتأول ما، لم تؤيد بآيـة أو أكثر، سواء أكانت من خلال السورة النص أم من خلال السور النص ـ إذ لم أجـد إشارة لذلك فيما سبق ـ وإنْ وجد فهو مقصود لذات الحرف الذي شكّل الآية بنفسه أو مع غيره، أو لذات الحروف التي شكلت الآية الأولى، لا إلى الفقـرة أو البنيـة الصغرى في النص، ولا إلى النص ببنيته الكبرى، وهذا يتناقض مع نظـرة نحـو النص إلى النص، ولعل المعاني التي قيلت كلّها كان سببها تعدد القراءات وتنوعهـا

أفقية أو رأسية من ناحية، وانديياح هذه المعاني وتمددها في بنيتي الـنص الأفقيـة والعمودية من ناحية أخرى، فقد يستطيع القارئ أنْ يستدل على أي معنى من تلـك المعاني من النص نفسه، ولم يفت المفسرين القول بأن القرآن كلّه كالكلمة الواحـدة، وأن كلماته آخذ بعضها بأعناق بعض، كما أكّدوا على أولوية وأهمية وفاعلية تفسير القرآن بالقرآن، فمثل هذا النهج جاء عند البقاعي في نظم الدرر، والـسيوطي فـي تناسق السور وعند غيرهما من القدماء، ممن له إسهامات متقدمة قد وقفنـا عليهـا سابقاً، فيما يتصل بنظرية نحو النص...ألخ .

أما ما يمكن أنْ يعد من الدراسات السابقة عند القدماء، مساهمتهم المبكرة فـي الاتّجاة الجديد في دراسة النصوص، وهذا الاتجاه هو نحو الـنص؛ فمـن خـلال الاطّلاع على بعض مؤلفات القدماء فقد بدا أن جذوراً لهذه النظرية قد بـذِرت فـي بعض مؤلفات المفسرين والدارسين للقرآن الكريم وعلومه، على الرغم من أن هـذه الجهود المتقدمة، لم تتبلور بشكليها النظـري المجرد والعملي التطبيقي، لكنّها تعـد جهوداً متقدمة في نظرتهم للنص المدروس، إذ شكلّت جذوراً راسـخة منـذ القـدم، اتصلت بها جهود المحدثين بوعي منهم أو دون وعي، أو عن قصد أو دون قـصد، وهذه الجهود المتقدمة تمثلت في بعض المصطلحات لفظاً أو معنى، التي جاءت بها نظرية نحو النص نحو: جملة (آخذ أعناقها بأعناق بعض) وكأنهم يقصدون مصطلح (السبك)، وجملة (ووجه الارتباط) وكأنهم يقـصدون (التعـالق)، وجملـة (ووجـه المناسبة) وكأنهم يقصدون (الحبك)، أو من خلال دراستهم للعناصر الشكلية والدلالية التي يندرج بعضها تحت المستوى التركيبي، وبعضها تحت المستوى الدلالي، نحو: الحذف، التكرار، الضمائر...وبعضها تحت المستوى التداولي نحو: سياق الحـال، فعد كلّ جزء يمثّل مستوى من هذه المستويات منهجاً مستقلاً خاصاً بدارس أو مفسر من الدارسين والمفسرين للقرآن الكريم، وبمعنى آخر أن هذه الجـذور لـم تتبلـور لتشكل نظرية متكاملة كما هي الحال التي وصلت إليه في العصر الحـديث، لكـن السبق حاصل في بعض ما ينضوي تحتها عند القدماء، وذلك مـن خـلال بعـض العبارات التي تمثّل جوهر هذه النظرية وهو نظرتها للنص المدروس من حيث إنـه ذو بنية كلية كبرى، متعالقة ومتعانقة كلماته وبناه الصغرى والكبرى، تحقيقاً لبنيتـه

الكلية الكبرى التي ننشدها علماء النص المحدثون، وهذا الجوهر الذي نص عليه القدماء، تمثّلة أيما تمثيل عبارتهم المشهورة بشأن النص القرآني الذي تمثّله سوره المائة والأربع عشرة، وهي: (والقرآن الكريم كلّه كالكلمة الواحدة)، فما كان لهذه العبارة أن ينص عليها وتوثّق حتى وصلتنا، إلا بعد أن ثبت وتقرر- إما استقراءً أو ملاحظة- لدى قائليها أن مقاصد بنى النص القرآني بآياته وسوره، تؤول إلى قصدية واحدة، ولتحقيق هذه القصدية ترابطت وتعالقت بني النص أفقياً وعمودياً من خلال مجموعة من عناصر التماسك، التي كفلت لكلمات النص القرآني أنْ تأخذ أعناقها بأعناق بعض، فوقف كثير من القدماء المفسرين واللغويين، على عناصر التماسك النصي أو على قسم منها في ثنايا مؤلفاتهم، فتحدثوا عن الفصل والوصل، والإجمال والتفصيل، والمتشابه اللفظي والمتشابه المعنوي، كما اتصل بعبارتهم المشهورة السابقة، أحد الموضوعات التي تنتمي لإحدى الأسس والقواعد، التي اعتمدها نحو النص في ترابط النص وتماسكه على المستوى الأفقي والرأسي، ألا وهي المناسبة بين الآيات والسور القرآنية، مما يؤكد أنهم أدركوا أهمية عدم اجتزاء الجمل أو عزلها عند التحليل، بقصد الربط بينها خلال جميع مستويات التحليل، فكم طالعتنا آية وآيات فسرها المفسرون متقدمة أو متأخرة بحسب موضعها من السور، فعندما تكررت لفظاً أو معنىً، في آيات من سور لاحقة لمتقدمة أو متقدمة للاحقة، نجد المفسرين يذكرونها معاً أو يشيرون إليها؛ إدراكاً منهم بأهمية تعالق بنى النص على مستوى الدلالات، وهو التعالق الذي جعله علماء النص من أهم عناصر التماسك النصي، وهذا الربط متحقق عند القدماء كذلك من خلال دراستهم لأسباب النزول وللمناسبة بين الآيات والسور، ودراستهم لعلاقة السبب والمسبب والنتيجة وغيرها من علاقات التلازم الذهني، وهذا بين عند البقاعي والرازي والألوسي وابن عاشور وغيرهم، وقد ذكر الزركشي ذلك قائلاً:"...واعلم أن المناسبة علم شريف، تحزر به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول، والمناسبة في اللغة: المقاربة، وفلان يناسب فلاناً، أي يقرب منه ويشاكله، ومنه النسيب الذى هو القريب المتصل، كالأخوين وابن العم ونحوه، وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس: الوصفُ المقارب للحكم؛ لأنّه إذا حصلت

مقاربتُه له، ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم؛ ولهذا قيـل المناسـبة أمـر معقول؛ إذا عرض على العقول تلقته بالقبول، وكذلك المناسـبة فـي فـواتح الآى وخواتمها، ومرجعها- والله أعلم- إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسى أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه، أو التلازم الخارجي، كالمرتب علـى ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر"([1]). وبين كذلك فائدة هذا العلم بقوله:"وفائدتـه جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء...وفوائده غزيرة، قال القاضي أبو بكر بن العربي في سراج المريدين: "ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمـة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني، علم عظيم لم يتعرض له إلا عـالم واحـد، عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله عز وجل لنا فيه، فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة، ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه"([2]). وقال الـشيخ عز الدين بن عبد السلام:" المناسبة علم حسن، ولكن يشترط فـي حـسن ارتبـاط الكلام، أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفـة لـم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر"([3]) .

إن هذه النظرة الشمولية في دراسة النص القرآني، قد وجدت لها جذوراً حيـة راسخة، رغم تقدم العهد الذي قيلت فيه، فهذا الرازي في مفاتيح الغيب ينص علـى ذلك وهو يفسِر سورة البقرة، فقال:" ومن تأمل في لطائف نظم هذه الـسورة وفـي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيـه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ولعلّ الذين قالوا: إنّـه معجـز بحـسب

[1] - الزركشي: البرهان:1/ 35.

[2] - المرجع نفسه:1/ 36، السيوطي: الاتقان: 322/3 وما بعدها، ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث العربي .

[3] - المرجع نفسه:1/ 37.

أسلوبه أرادوا ذلك، إلا أنّي رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور"([1]).

ومن إسهامات العرب القدماء الهامة في هـذا الـسياق الـشمولي المتماسـك، مساهمة عبد القاهر الجرجاني من خلال كتابه (دلائل الإعجاز)، تلك المساهمة التي ارتقت عند المحدثين مرتقى عظيماً، فسمى كثر منهم هذا المرتقى الفذّ، الذي أودعه الجرجاني في كتابه، بـ (نظرية النظم)، ونصوا على هذا الاسـم فـي مؤلفـاتهم، وجوهر هذه النظرية التي اهتمت بنظم الكلام، هو تحقيق النظم للكـلام، فاشـترط صاحبها لتحقيقه شرطاً واحداً عماده المبنى والمعنى دون تفضيل لأي منهما علـى الآخر، فوضع الكلام منظوماً تبعاً لمعاني النحو، كان شرطاً فيها قـد نـص عليـه صاحب النظرية نفسه، فلعل هذه النظرية بحديثها عن نظم الكلام وشروط وضـعه حيث تقتضي معاني النحو، تقابل نظرية (نحو النص)، إذا ما تأولنا مصطلح (النظم) بمصطلح النص، ومعاني النحو بالنحو، فبدلاً من القول بـ (نحو النظم) قالوا بـ ـ (نحو النص) ولو بنسبة منه كما يبدو، ويبدو أن ترابط النص وتماسكه وتعالقه، قـد تم تأطيره بنظرية النظم عند الجرجاني، وإن لم يصرح بمصطلح نظريـة، وإنمـا وجبت بأن جعل النظم؛ تركيباً ومعنىً، هو مناط الإعجاز للنص القرآنـي، فجعـل الألفاظ تراكيب منظومة لمعاني مستحضرة مقصودة، فوضع عنواناً لم يفاضل فيـه بين المبنى والمعنى كما هو بين في كتابه، وإنما انضما معاً ليكونا (المبنى والمعنى) دلائل الإعجاز لا أحدهما دليل الإعجاز أو دلائل الإعجاز([2]).

ومن إسهامات العرب القدماء في هذه النظرية النصية الشمولية، ولا سيما في الجانب الدلالي السيميائي منها، الذي جادت به نظرية السيميائيات أو العلامات، تلك المساهمة التي جاء بها (ابن البنّاء المراكشي) في كتابه (عنوان الدليل من مرسـوم

---

[1] - الرازي: أبو عبدا محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين المتوفي 660 هـ، مفاتيح الغيب: 139/7. ، الطبعة الثانية ، دار الفكر.

[2] - انظر: الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت:471هـ)، دلائل الإعجاز:43-65، 259 وما بعدها، تحقيق: محمود محمـد شـاكر، مكتبـة الخـانجي-القـاهرة، ط5، 1424هـ-2004م.

خط التنزيل)، إذ جاء بدلالات غير ملفوظة من خلال كتابة الحروف الثلاثة (الألف والواو والياء)، أو حذفها في الكتاب العزيز، أو منة خلال دلالة الفـصل والوصـل لبعض الحروف، وسنشير إلى قسم منها في ثنايا هذه الدراسة، لكن لا بد من الإشارة إلى بعض ما جاء عند ابن البناء المراكشي؛ ليتبين القارئ حقيقة مدى مساهمته في هذه النظرية، من خلال الدلالات السيميائية التي قرأها من من رسم الحروف أو من حذفها، فمن ذلك دلالة الرسم للحرف المذكور ودلالة الحذف له أيضاً، قال:" وكذلك حذفت الألف من (بِسمِ اللَّهِ) تنبيها على علوه في أول رتبة الأسماء وانفـراده، وأن عنه انفصلت الأسماء" فهو كليها" يدلك عليه إضافته إلى اسم ا الذي هـو جـامع الأسماء كلها وأولها. ولذلك لم يتسم بهذا الاسم غير ا . قال ا تعالى: (هل تَعلَم لَه سمِيا) وسائر أسماء ا ظهرت التسمية بها في المخلوقات، فأظهر ألف الاسم معهـا تنبيها على ظهور التسمية في الوجود.

وحذف الألف الذي قبل الهاء من اسم (اللّه) وأظهر التي مع اللام مـن أولـه دلالة على أنه الظاهر من جهة التعريف والبيان والباطن من جهة الإدراك والعيان. وكذلك: يا عبادي الذين أَسرفوا ، ثبت الضمير وحرف النداء فـي الخـط، فإنـه دعاهم من مقام إسلامهم وحضرة أعمالهم إلى مقام إحسانهم وحضرة آمالهم، ويدلك عليه قوله تعالى عن المؤمن: لا جرم أَنّما تدعونَنَي إِليهِ لَيس لَه دعووةٌ في الـدنيا ولا في الآخِرة ، فوصل أنما في النفي وفصل في الإثبات لانفـصاله عـن دعـوة الحق.

وكذلك حذف اللام من بعض الأسماء نحو الياء من (الليل)، قال:" وكـذلك لام التعريف المدغمة في اللفظ في مثلها أو في غيرها لما أتت للتعريف وشأن المعرف أن يكون أبين وأظهر لا أخفى وأستر أظهرت في الخط ووصلت بالكلمـة؛ لأنهـا صارت جزءا منها من حيث هي معرفة بها هذا هو الأصل، وقد حذفت حيث يخفى معنى الكلمة مثل " اليل " فإنه معنى ظلام لا يوضح الأشياء بـل يـسترها ويخفيهـا وكونه واحدا إما " لجزئي وإما للجنس " فأخفى حرف تعريفه مثلـه، فـإن تعـين الجزئي بالتأنيث رجع إلى الأصل.

وكذلك مساهمة (السكاكي) في كتابه مفتاح العلوم، مـن الأهميـة بمكـان، إذْ أوشك على تكوين وحدة لسانية واحدة، وأوجز سعد مـصلوح مـساهمة الـسكاكي بقوله:" ويكاد كتاب "مفتاح العلوم" للإمام السكاكي يكون نسيج وحده في الجمع بـين مستويات البحث اللساني جمعاً على وجه التدرج واللزوم، بادئاً بالصوتيات ومثنيـاً ببناء الكلمة، فالنحو المقامي، مقرراً تضافر هـذه المـستويات فـي تـشكيل علـم الأدب"([1]) .

وكذلك مساهمة ابن عاشور من خلال كتابه (التحرير والتنـوير)، ومـساهمة البقاعي في كتابه (نظم الدرر في تناسق الآيات والسور)، فالبقاعي اعتمـد الـربط الدلالي في تماسك النص وهو الربط الذي عول عليه علماء الـنص المحـدثون ولا سيما (فندايك)، في تحقيق تماسك النص، وتظهر عناصر الربط والتماسك الـدلالي عند البقاعي، من خلال كلامه عن وجه الارتباط بين الـسورة والـسورة، وآخـر السورة بأول السورة التالية لها، ومن خلال حديثه عن المناسبة بين الآيات ووجـه الارتباط فيما بينها، ومن الأمثلة التي تؤكد مساهمة البقاعي في هذه النظرية، أنّه لم يكتفِ بالربط اللفظي لسورة يونس بالسور التي قبلها، بل ربط الآيـة الثانيـة مـن السورة بسورتي براءة والأنفال ربطاً موضوعياً - وهو ينقل كلامـاً للإمـام أبـي جعفر بن الزبير - من خلال المضامين التي اشتملت عليهما سورتا براءة والأنفال في آيات كثيرة منهما، فقال:"...وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير:لما تضمنت سـورة براءة قوله تعالى: إلا تنصروه فقد نصره ا ، وقوله: عفا ا عنك لما أذنـت لهم ، وقوله: ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول ا لهم عذاب ألـيم ، وقوله تعالى: لقد جاءكم رسول من أنفسكم ([2])، إلى آخر السورة، إلى مـا تخلـل أثناء آي هذه السورة الكريمة، مما شهد لرسول ا صلى ا عليه وسلم، بتخصيصه بمزايا السبق والقرب والاختصاص والملاطفة فـي الخطـاب، ووصـفه بالرأفـة والرحمة، هذا ما انطوت هي والأنفال عليه، من قهره أعداءه وتأييده ونصره عليهم

---

[1]- مصلوح: سعد، من نحو الجملة إلى نحو النص، الكتاب التذكاري بقسم اللغة العربية، إعداد، وديعة طه نجم، وعبده بدوي، 428. .

[2]- سورة التوبة: الآيات على الترتيب: 40، 43، 61 .

وظهور دينه وعلو دعوته وإعلاء كلمته، إلى غير هذا من نعم الله سبحانه عليه، وكان ذلك كله مظنة لتعجب المرتاب وتوقف الشاك، ومثيراً لتحرك ساكن الحسد من العدو العظيم ما منحه عليه السلام، قال تعالى: "أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس" إلى قوله: "لساحر مبين"([1]) .

وسنشير خلال فصول الدراسة وما يندرج تحتها من عنوانات رئيسة أو فرعية، إلى مدى إسهام القدماء في هذا العلم، فما ذكرت في هذا التمهيد حول إسهامهم في هذا العلم، ما هو إلا إشارة اقتضت منّا الوقوف عندها، ونحن نتكلم عن عناصر التماسك النصي، التي عول عليها علماء النص في ترابط النص وتماسكه .

ولم تقف الإسهامات العربية عند المفسرين ودارسي علوم القرآن فحسب، بل كان للنحاة العرب إسهامات جادة تتصل بهذه النظرية اتصالاً وثيقاً، إذ وقف الباحث (فيصل إبراهيم صفا)، على قسم من العبارات والإشارات التي تتصل بـ (نحو النص)، وذلك من خلال بحثه الذي وسمه بـ (نحو النص في النحو العربي/ دراسة في مجموعة من العبارات النحوية الشارحة)، لكن الباحث كان محترزاً من اعتبار هذه العبارات الشارحة تمثل التفاتاً من النحو العربي إلى نحو النص، وإنّما يؤسس عليه له، قال:" وليس من هدف هذه الدراسة - كما قد يظَن - التوصل إلى أن النحو العربي التفت إلى (نحو النص)، وإنّما يهدف إلى إثبات الحاجة إلى استخلاص ما تضمنه هذا النحو من إشارات تسلك قواعد وأحكاماً يمكن أن يؤسس عليها بناء (نحو نص العربية)([2]).

ومن الإشارات والعبارات التي جاء بها الباحث ليؤكد على إسهامات النحاة العرب في نحو النص، الإشارات التي تحيل إلى السياق المقالي، وإلى المقامي وإلى النفسي وإلى الاجتماعي وإلى الديني، ومنها الإحالة على سياق المقام العقلي، وعلى

---

[1] -سورة يونس: الآية: 2، وانظر البقاعي: نظم الدرر: 345/5. دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه، عبد الرزاق غالب المهدي .

[2] - صفا: فيصل إبراهيم: نحو النص في النحو العربي: دراسة في مجموعة من العبارات النحوية الشارحة، 79، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع: 92: ص:23، 2005م.

سياق مقام الغرض، وعلى سياق مقام القص أو السرد، كما تحـدث عـن إحـالات الضمائر الخارجية التي تحيل إلى شخوص خارج النص .

الفصل الأول

السور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة ونحو النص

من النظريات التي مثّلت اتّجاهاً معاصراً وجديداً في دراسة وتحليل النصوص، نظرية نحـو النص، إذ لقيت قبولاً من دارسي العربية في الغرب والشرق، فطفقت هذه النظرية تخصف نصوص اللغة العربية شعرها ونثرها دراسة وتطبيقا، فطُبقت مناهجها وقواعدها وشروطها على أركان الأدب وديوان العرب، إذ نجد عدداً مـن العرب المحدثين قد اعتمدها في تحليل النصوص، فراحوا يفتشون عـن قواعـدها ومعاييرها في النص العربي وشروطها، حتى وصل الأمر إلى إطلاق الحكم علـى أي نص موضع التحليل بأن ذلك النص (نص أو لا نص)، اسـتناداً مـن صـاحب الحكم في حكمه، على قواعد ومعايير وشروط متعددة ومتنوعة، سنتحدث عنها فـي موضعها من الدراسة، وقد وصِفَت تلك القواعد بالاختيارية لاستخراجها من الـنص نفسه، وصفة الاختيارية تلك تأتت لها من المستوى الدلالي الرحب، الذي تتفيأ فـي ظلاله دلالة اللفظ تمدداً وتبدلاً؛ معجماً أم تركيباً وعلامة، سواء أكان اللفـظ الـدال حرفاً من حروف المباني أم المعاني، أم كلمة أم جملة أم أكبر منها، ويفسح أيـضاً المستوى التداولي للّفظ اللغوي أن يمارس حرية أكثر رحابة في عوالمه الأخـرى، وهذه الحرية لا تسمح للّفظ بأن يتمرد خارج عوالمه الأخرى، إذ إن حريته محكومة منضبطة عرفاً واستعمالاً، وهو يقيم للمتلقي دوراً لا يقل عن دور المبدع نفسه، فعد المتلقي (المرسل إليه) ركناً ثالثاً من أركان العملية التواصلية، مع الركنين الآخرين المرسِل والرسالة، فيأتي اللفظ بنية وتركيباً ودلالة في هذا المستوى - بصفته حدثاً كلامياً مباشراً أو غير مباشر، سياقاً داخلياً أو خارجياً - ليبرز العـوالم المعروفـة المشتركة بين المتكلم والمتلقي، على اختلاف نوع الرسالة كماً وكيفاً، لذلك كلّه كان نحو النص بنظرته للنص هو النحو القادر على وصف وتحليل هذه الوحدة الكبرى، لا الأنحاء الأخرى: نحو الجملة، النحو التحويلي والتوليدي، إذ عدت كلّهـا أنحـاء جملة، وبوصف القرآن الكريم نصاً ذا بنية كلية كبرى، وسنتناول هذا الفصل ضمن ثلاثة عناوين: الأول تعريف بنحو النص الذي يعد أحد فروع علم لغة النص، ونذكر

فيه تعريف النص ومفهوم التماسك النصي وعناصره، والثاني نتحـدث فيـه عـن القرآن الكريم بوصفه نصاً فنعرفه ونعرف ببنيته المكتوبة والشفوية، ونتحدث فيـه عن حال العرب قبل الإسلام من خلال جانبين مهمين هما: الجانب الديني والجانـب الثقافي، كما نتحدث فيه عن سمات السور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة، والثالث نتحدث فيه عن مواقف المفسرين واللغويين والنحاة من الحروف المقطّعة.

1.1 نحو النّـص.

أ ـ تعريف النص:

لم يجمع علماء النص على تعريف يعْـرفُ به النص على وجه الدقة، فكـان الاختلاف أو عدم الاتفاق على تعريف مجمع عليه للنص قاسماً مشتركاً بينه وبـين تعريف الجملة، إذْ لقي تعريف الأخير اختلافاً بين اللغويين من قبل، لذلك يقرر سعيد بحيري نافياً "وجود تعريف معترف به من قبل عدد مقبول من الباحثين من اتجاهات علم لغة النص بشكل مطلق"([1])، ويخلص إلى " أن مسألة وجود تعريف جامع مانع للنص، مسألة غير منطقية من جهة التصور اللغوي، ويؤكد ذلك الاخـتلاف بـين علماء اللغة الذين ينتمون إلى مدارس لُغوية مختلفة حول حدود المصطلحات التـي ترتكز عليها بحوثهم... ويحاول الوصول إلى تعريف يضم أكبر عدد من الملامـح الفارقة للنص، لكنّه لم يبرح حتى يعاود القول بتشعب تعريفات النص، فيقـر بعـدم وجود تعريف دقيق له، عازياً هذا التشعب إلى تعدد الأشكال النصية بجانبيها الكمي والكيفي، وزاد عليها جوانب أخرى وصفها باللامنظورة"([2]).

فمن تعريفات النص التي ذكرها (بحيـري) تعريـف (هارتمـان)، إذ حـده بأنه:"علامة لغوية أصيلة تبرز الجانب الاتصالي والسيميائي"([3])، وحده (فـاينريش) بأنه:" تكوين حتمي يحدد بعضه بعضاً، إذ تستلزم عناصره بعضها بعضا لفهم الكلّ"، ويوضح (فاينريش) كيفية ترابط جمل النص داخل بنيته:" وحـده كليـة مترابطـة

---

[1]- بحيري: علم لغة النص :101.

[2]- انظر: المرجع نفسه: ص3، وص100 وما بعدها .

[3]- المرجع نفسه،107.

الأجزاء، فالجمل يتبع بعضها بعضاً وفقاً لنظام سديد، بحيث تسهم كلّ جملة في فهم الجملة التي تليها فهماً معقولاً، كما تسهم الجملة التالية من ناحية أخرى في فهم الجمل السابقة عليها فهماً أفضل"([1])، ومنهم منْ ميزه ـ بعده نصاً ـ إذا توافرت له عدة شروط ومعايير له، كما فعل (دي بوجراند)، فحده بأنه " حدث تواصلي يلزم لكونه نصاً أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير: (السبك، الحبك، القصد، القبول، الإعلام، المقامية، التناص)، وعد هذا التعريف من التعريفات الجامعة، فارتّضاه الفقي لمراعاته: المرسل والمستقبل والسياق والنواحي الشكلية والدلالية "([2]). أما (برينكر) و(إيزنبرج) و(شتاينتز) فحدوه بأنّه:" تتابع مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءاً صغيراً ترمز إلى النص، ويمكن تحديد هذا الجزء بوضع نقطة أو علامة استفهام، أو علامة تعجب، ثم يمكن بعد ذلك وصفها على أنّها وحدة مستقلة"([3]).

وعبر (كالماير) عن رؤية (هاينة وفيهفيجر) في تكوين النص استناداً إلى مصطلح (النظائر) ـ باعتباره سلاسل تسهم في تناسق النص وتعالقه وفهمه، مثل سلسلة النظائر من الأسماء والضمائر وأسماء الإشارة، التي تحيل إلى الأسماء نفسها، أو تشكل سلسلة من المصاحبات المعجمية:" بسبب هذا الدور الهام للنظائر في تكوين النص وفي فهمه، وضع هذا المفهوم في كثير من الدراسات أساساً لتعريفات النص ذات الصبغة الدلالية ... يمكن تعريف النص دلالياً أنّه: التركيب المكون من واحد إلى (س) من مستويات النظائر، حيث يتوقف عددها على عدد السمات المهيمنة في النص"([4]).

---

[1] - بحيري: علم لغة النص،107، وعفيفي، أحمد عفيفي، نحو النص/ اتجاه جديد في الدرس النحوي،24.

[2] - دي بوجراند: روبرت دي، النص والخطاب والإجراء، وانظر: الفقي، صبحي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،34/1،33.

[3] - شبلنر: برند، علم اللغة والدراسات الأدبية، 188.

[4] - هاينة وفيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي،14، ترجمة/فالح بن شبيب العجمي.

أما سعد مصلوح فقد اعتمد تعريفاً من شأنه عد النص، ليس سوى مجموعة من الجمل بقوله:" أما النص فليس إلا سلسلة من الجمل، كلّ منها يفيـد الـسامع فائـدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل، أو لنماذج من الجمل الداخلة في تشكيله"([1])، وعلّق أحمد عفيفي على هذا التعريف بقوله:" فقد فقـدت الجمـل ـ داخل هذا التعريف ـ خاصية الاتصال، أو خاصية ارتباطها بسياق خطابي"([2])، أما محمد حماسه فوضع شروطاً لحصول النص بقوله:" لا يصبح الـنص نَـصاً إلا إذا كان رسالة لغوية تشغل حيزاً معيناً، فيها جدلية محكمة مـضفورة مـن المفـردات والبنية النحوية، وهذه الجدلية المضفورة تؤلف سياقاً خاصاً بالنص نفسه، ينبثّ فـي المرسلة اللغوية كلّها"([3]).

وفي ضوء ما تقدم من تعريفات للنص فإن عفيفي يخلص إلى أن تعـدد هـذه التعريفات للنص تقربه من ملامحه فقال:" بعض تعريفات تعتمـد علـى مكوناتـه الجملية وتتابعها، وبعضها يضيف إلى تلك الجمل الترابط، وبعض ثالث يعتمد على التواصل النصي والسياق، وبعض رابع يعتمد على الإنتاجية الأدبية أو فعل الكتابة، وبعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصاً، فيكون لدينا حصيلة كبرى من التعريفات التي تقربنا من ملامحه"([4]).

ب ـ التماسك النّصي:

يمثّل هذا المصطلح الهدف المنشود، الذي نشده وينشده علماء نحو النص للحكم على نص ما بالنصية، فمن علماء النص المحدثين الذين درسوا النص واهتموا بـه ترابطاً وانسجاماً (هاليدي ورقية حـسن)، مـن خـلال كتابهمـا " المعنـون بـ ـ (Cohesionin English/ الاتساق في اللغة الإنجليزية)... خصص المدخل لتحديد بعض المفاهيم مثل: النص، والنصية، والاتساق الخ، وخصصت ستة فصول لبحث مظاهر

---

[1]- مصلوح: من نحو الجملة إلى نحو النص، 407.

[2]- عفيفي، نحو النص/ اتجاه جديد في الدرس النحوي، 24.

[3]- حماسة، محمد عبد اللطيف، منهج في التحليل النصي للقصيدة، مجلة فـصول، مـج/ 15، 1996، 108.

[4]- عفيفي، نحو النص/ اتجاه جديد في الدرس النحوي: 21.

الاتساق التالية: الإحالة، الاستبدال، الحذف، الوصل، الاتساق المعجمي ومعنى الاتساق... تشكّل كل متتالية من الجمل ـ كما ذهب إلى ذلك هاليداي ورقية حسن ـ نصاً، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وبين متتالية برمتها سابقة أو لاحقة، يسمي الباحثان تعلق عنصر بما سبقه علاقة قَبْلية، وتعلقه بما يلحقه علاقة بعْدية... وإذا كان النص يتكون من جمل، فإنه " يختلف عنها نوعياً "، إن النص وحدة دلالية، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص، أضف إلى هذا أن كل نص يتوفر على خاصية كونه نصاً يمكن أن يطلق عليها "النصية"، وهذا ما يميزه عما ليس نصاً، فلكي تكون لأي نص نصية ينبغي أن يعتمد على مجموعة من الوسائل اللغوية التي تخلق النصية، بحيث تساهم هذه الوسائل في وحدته الشاملة... إن الاتساق مفهوم دلالي، إنّه يحيل إلى العلاقات المعنوية القائمة داخل النص، والتي تحدده كنص"([1]).

ويجمل أبو خرمة وجهة نظر الباحِثَين في تشكل النص وتماسكه بقوله:" تقوم وجهة نظر أ.ي هاليداي ورقية حسن، في كيفية تشكل النص، على إيمانهما العميق بأن نحو النص، ما هو سوى دراسة الاعتبارات اللغوية الخمسة الرابطة بين جمل لغوية في متتالية خطية، وهذه الاعتبارات هي: الإحالة، الاستبدال، الحذف، الوصل، الاتساق المعجمي التكراري والاتساق المعجمي التضامي"([2]).

ومن هؤلاء أيضاً (فندايك)، فقد ذهب إلى البحث عن كلّ ما يجعل النص كلاً موحداً ذا بنية كلية كبرى بتماسكه وترابطه، من خلال بحثه عن قيود لم تتصف بالمعيارية، فعمد إلى " استخراج قوانين اختيارية من النص نفسه، فعثر على تلك الحرية في قوانين الدلالة التي تتصف بالديناميكية والتغير، وأدخل عملية التواصل

---

[1] - انظر: هاليداي و حسن، رقية، الاتساق في اللغة الإنجليزية، 4،2، نقلاً عن: خطابي، محمد خطابي، لسانيات النص / مدخل إلى انسجام الخطاب، 15،13،11، المركز الثقافي العربي ـ الدار البيضاء ط/1، 1991م .

[2] - أبو خرمة: عمر، نحو النص/ نقد النظرية وبناء أخرى، سورة البقرة نموذجاً،81،82، 83، عالم الكتب الحديث، اربد ـ الأردن، 2004م.

والسياق وعناصر تداولية أخرى كثيرة لفهم الـنص وتفـسيره"([1])، وقـد توالـت الدراسات النصية تزيد قواعد تسهم في فهم النص وتماسكه، فتآزرت مع المقـولات والقواعد اللغوية القديمة، إذ أشار بعض القدماء؛ مفسرين ولغـويين إلـى بعـضها ضمنياً كما أسلفنا.

ومن هؤلاء أيضاً (دي بوجراند) إذ اقترح سبعة معايير أساساً لهـذا الحكـم وهي بنصه: " وأنا اقترح المعايير التالية لجعل النصية أساسـاً مـشروعاً لإيجـاد النصوص واستعمالها: السبك، الالتحام، القصد، القبول، رعاية الموقف، التنـاص، الإعلامية"([2])، ولم تكن تلك المعايير هي الحد النهائي أو نهاية الغاية لهذا الحكم عند علماء آخرين، بل إن منهم من ترك الباب مفتوحاً لطرح معـايير أخـرى، وهـذه المرونة جلبها النص الذي سمح لقارئه أو محلله، أن يستنبط منـه قواعـد يمكـن وضعها إلى جانب ما وضِع من قواعد ومعايير للحكم على نص ما بالنـصية، مـا دامت هذه القواعد اختيارية، بل وأورد صلاح فضل قولاً لـ (فندايك)، يصور مدى المرونة التي منحها نحو النص للمتلقي، في تحديد البنية الكبـرى المتعلقـة أصـلاً بالتماسك الكلي للنص، وذلك بفعل ولوج التماسك في دائرة فهم المتلقي فقـال:" وإذا كانت البنية الكبرى للنص ذات طبيعة دلالية، وكانت متعلقـة ومـشروطة بمـدى التماسك الكلي للنص، فإن الذي يحدد إطارها نتيجة لذلك هو المتلقـي؛ لأن مفهـوم التماسك ينتمي إلى مجال الفهم والتفسير الذي يضفيه القـارئ علـى الـنص "([3]). ويظهر أن ما وراء هذه المرونة في اختيار القواعد وتطبيقها، هو محاولة من علماء النص ما وسعتهم المحاولة في الكشف عن قواعد أكثر تسهم في تماسك النص، وهذه المرونة تجعلنا نتساءل عن وجود قواعد كلية محددة تـضبط الـنص فـتحكم لـه بالنصية، دون اعتبار أن لكلّ نص قواعد خاصة، إذ قد يشترك نص ما مع غيره من النصوص بقواعد معروفة، وقد لا تتحقق بعضها في نص ما، وفي ضوء إمكانيـة زيادة قواعد عند كل قراءة لنص ما استناداً إلى حرية قواعد نحو النص، فهل مـن

[1]- بحيري: علم لغة النص: 219، 220.

[2]- دي بوجراند : النص والخطاب والإجراء ، ترجمة: تمام حسان :103-107 .

[3]- فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص: 336،337 .

معايير وقواعد يمكن اعتبارها للتفاضل بين النصوص؟ وفي هذا الـسياق الخـاص بتماسك النص، :" يرى الباحثون أن المشكلة الأساسية التي تقوم عند مواجهة مفهوم تماسك النص تنبثق من طبيعة الـنص ذاتـه، إذ تنـصب عليـه بحـوث متعـددة الاختصاصات والتوجهات مما يجعل تحديد مفهوم عام للتماسك أمراً عسيراً "([1]).

ويبدو أن بعض المصطلحات مثل: البراجماتية، وعبـر لغـوي، والقـصدية، والإعلامية، والإحالة ، والتناص، وغيرها، قد عدت من ضمن القواعد والمعـايير، التي استخرجوها من بنية النص التركيبية والدلالية، لتسهم مع عناصـر التماسـك ووسائل الربط التي اعتبرت في أنحاء الجملة مثل: الحذف، وأدوات الربط، والفصل والوصل، والتقديم والتأخير، لتتآزر في تحقيق بنية النص الكلّية الكبرى، ولترأب أي صدع قد يطرأ على بنيته تركيباً أو معنى، وتُمكّن المتلقي من أن يظفـر بـالمعنى الدلالي أيضاً، وهي عناصر تحدث عنها القدماء، ولم يمنع الاتجاه الحديث من زيادة غيرها في تحليل النصوص وشرحها؛ إذ إن نحو النص لا يلجأ إلى قواعـد سـابقة يفرضها على النص، (فهاليداي ورقية حسن وفندايك ودي بوجراند) وكـلّ علمـاء النص، قد أقروا بحرية القواعد النصية، ولا سيما الدلالية منها، وزادوا من خـلال وظيفة اللغة الاجتماعية مستوى آخر، يضاف إلى مستويات اللغة المعروفة تـصنيفاً وتحليلاً؛ النحوي والصوتي والصرفي والدلالي، مستوى ما كان معتبراً اعتبار أحـد منها، ألا وهو المستوى التداولي فكان له مساهمة فعلية في تحقيق تماسـك الـنص خلال تشكّل أبنيته، من خلال اهتمامه بالجو العام الذي يحـيط بـالمتكلّم والمتلقـي وظروف كل منهما ومكانه وزمانه ومعارفه وأعرافه، فليس ما اعتبره هذا المستوى مساً منه في طبيعة النص الدلالية، التي تنحاز إلى تماسك النص أكثر من غيرهـا، وفي هذا السياق يشير صلاح فضل، موضحاً طبيعة هذا الانحياز عند علماء النص:" إن التماسك اللازم للنص ذو طبيعة دلالية، مهما تدخلت فيه العمليات التداولية، وهذا التماسك ـ بالإضافة إلى ذلك ـ يتميز بخاصية " خطية "، أي أنه يتصل بالعلاقات بين الوحدات التعبيرية المتجاورة داخل المتتالية النصية، فالتماسـك يتحـدد علـى

---

[1]- فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص: 340.

مستوى الدلالات عندما تكون العلاقات قائمة بين المفاهيم والـذوات، والمـشابهات والمفارقات في المجال التصوري، كما يتحدد أيضاً على مستوى المدلولات أو مـا تشير إليه النصوص من وقائع وحالات... ويؤكد في موضع آخر على نسخ التماسك ضمن المجال التصوري... أما علماء النص فإنهم...يولون التماسك عناية قصوى، ويتجاوزون في شرحهم له تلك المرحلة الحدسية، فيذكرون: أنّـه خاصـية دلاليـة للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم مـن الجمـل الأخرى"([1])، ويلاحظ أن جملة (أو ما تشير إليه النصوص مـن وقـائع وحـالات) المنقولة عنه، التي عطفها على جملة (مستوى المدلولات)، تنبـئ عـن مـساهمة تداولية، ويظهر مما ذكره من عناصر التماسك النـصي، نحـو: الإحالـة الذاتيـة المتطابقة، من خلال ذكره للفظتي: المفاهيم والذوات، وعنصر التكرار لفظاً ومعنى وهو يذكر: المشابهات، وعنصر التضاد وهو يذكر: المفارقات، فهي كلّهـا داخلـة ضمن الإطار العام لمستويات التحليل، الذي يشمل العلاقـات الدلاليـة والنحويـة والتداولية، ويضيف صلاح فضل محدداً شرط التماسك للمتتالية النـصية، ومحـدداً أيضاً خصائص النص بفكرة النسبية تفسيراً:" وتصبح المتتالية النـصية متماسـكة دلالياً عندما تقبل كلّ جملة فيها التفسير والتأويل في خط داخلـي، يعتبـر امتـداداً بالنسبة لتفسير غيرها من العبارات الماثلة في المتتالية، أو مـن الجمـل المحـددة المتضمنة فيها، ومن هنا فإن مفهوم النص تتحدد خصائصه بفكرة " التفسير النسبي "؛ أي تفسير بعض أجزائه بالنسبة إلى مجموعها المنتظم كلياً "([2])، ونلاحظ أنّـه لا يزال يسرد عناصر التماسك النصي وهو يتحدث عن تماسـك المتتاليـة النـصية ومفهوم النص نفسه، إذ يركز على الترابط بين المتتاليات، المتحققـة مـن خـلال العلاقات الدلالية والنحوية، ومسألة "التفكير النسبي"، باعتباره رابطاً دلاليـاً، وهـو مصطلح "التضمن أو التضمين "، وقد سبق الآمدي المحدثين إلى هذه الفكرة، وهـو يقسم مدلولات اللفظ إلى لفظية وغير لفظية بقوله:" اللفظية: إما أن تعتبر بالنسبة إلى

---

[1] - فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص: 328،329، 340،341 .

[2] - المرجع نفسه: 329 .

كمال المعنى الموضوع له اللفظ، أو إلى بعضه: فالأول: دلالة المطابقة، كدلالة لفظ الإنسان على معناه، والثاني: دلالة التضمن، كدلالة لفظ الإنسان على ما في معناه من الحيوان، أو الناطق، والمطابقة أعم من التضمن، لجواز أن يكون المدلول بسيطاً لا جزء له"([1])، ويظهر أنّها الفكرة التي قصدها المفسرون واعتمدوا عليها من خلال كلامهم عن "تفسير القرآن بالقرآن" وحديثهم عن مصطلحي" الإجمال والتفصيل "، ولا أدلّ على فكرة هذه النسبية تصريحاً وتطبيقاً - بالإضافة إلى ذلك - ما ذكره المفسرون من تفسير الرسول صلى ا عليه وسلم الظلم بالشرك، في قوله تعالى: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم ([2])، قال بعض أصحابه: أينا يا رسول ا لم يظلم نفسه، فسره بقوله تعالى: إن الشرك لظلم عظيم ([3]).

ج - عناصر التماسك النصي

تمثل عناصر التماسك النصي مجموعة الأدوات والروابط والعلاقات النحوية الشكلية، والروابط والعلاقات الدلالية والروابط والعلاقات التداولية، ونعرف بهذه المعايير أو العناصر التي تؤدي إلى التماسك النصي أولاً، ونرجئ التعريف بمعياري السبك والحبك أو الالتحام، إلى نهاية هذه المعايير؛ لأهميتهما أكثر من غيرهما في تماسك النص، وللحديث عن العناصر التي تنتمي إليهما بالتفصيل كذلك، وهذ المعايير هي على النحو التالي:

القصد: يتعلق قبول النص في موقف المتلقي منه، ومدى قبوله منه في الأساس، راجع إلى الدور الذي يبذله المبدع في النص بحيث يكون مقبولاً لدى المتلقي، بل ويتفاعل معه ويحكم عليه، وفي هذا السياق يقول (دي بوجراند):" وهو يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والالتحام، وإن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة

---

[1] - الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام ،15/1، ت/ عبد الرزاق عفيفي .

[2] - سورة الأنعام: الآية/82.

[3] - سورة لقمان: الآية/13، وانظر: الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، 495/11، والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 30/7.

للوصول إلى غاية بعينها"([1]). كما أكّد (فانديك) دور نحو النص فـي قبـول تلـك المعاني، بقوله:" وإحدى الوظائف المهمة للنحو، إنه قادر على تحديد أي العبـارات يكون مقبولاً أو غير مقبول"([2]).

القبول: "وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صـور اللغـة ينبغي لها أن تكون مقبولة، من حيث هي نص ذو سبك والتحام، وللقبول أيضا مدى من التغاضي في حالات تؤدي فيها المواقف إلى ارتباك، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج"([3]) .

رعاية الموقف (المقامية): وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه ويأتي النص في صورة عمل يمكن له أن يراقب الموقف وأن يغيره، وقد لا يوجد إلا القليل من الوساطة في عناصر الموقف، كمـا فـي حالـة الاتصال بالمواجهة في شأن أمور تخضع للإدراك المباشر، وربما توجـد وسـاطة جوهرية كما في قراءة نص قديم ذي طبيعة أدبية يدور حول أمور تنتمي إلى عـالم آخر، إن مدى رعاية الموقف يشير دائماً إلى دور طرفي الاتصال على الأقل، ولكن قد لا يدخل هذان الطرفان إلى بؤرة الانتباه بوصفهما شخصين"([4])، ونرجئ الحديث عنه إلى المستوى التداولي.

التناص: عد علماء النص عنصر التناص أحد المعايير النصية السبعة التـي تحكـم للنص بالنصية، ولتحقق هذا المعيار في النص القرآني الكريم، من خـلال علاقتـه بنصوص الكتب السابقة عليه نحو: التوراة والإنجيل من جهة، وعلاقـة نـصوص السور ذوات الحروف المقطّعة فيما بينها من جهة أخرى، فقد ارتأيـت أن أتحـدث عنه بشكل خاص في نهاية الدراسة، أي بعد الانتهاء من تحليل جميع السور، وذلك باعتبار السور جميعها نصاً، لذا سأقف معرفاً عند مفهومه فقط هنا وسأترك تفصيل الحديث عنه إلى موضعه من الدراسة .

---

[1] - بوجراند: النص والخطاب والاجراء/103.

[2] - فندايك: النص والسياق: 2 وما بعدها، وانظر: عفيفي: نحو النص، 88.

[3] - بوجراند: النص والخطاب والاجراء،104.

[4] - المرجع نفسه، 105.

تعددت تعريفات (التناص) لدى كثير من اللغويين والأدباء ، فعرفه (دي بوجراند) بأنه: " يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة، سواء بوساطة أم بغير وساطة "([1]). وجعل صلاح فضل مفهومه :" أن يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى"([2]) .

الإعلامية: وهي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية، أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل الممكنة، فالإعلامية تكون عالية الدرجة عند كثرة البدائل، وعند الاختيار الفعلي لبديل من خارج الاحتمال، ومع ذلك نجد لكل نص إعلامية صغرى على الأقل تقوم وقائعها في مقابل عدم الوقائع"([3]).

السادس والسابع: السبك والحبك.

من أهم المعايير التي ألح عليها علماء النص لتحقيق التماسك النصي، من بين المعايير السبعة التي ذكرها (دي بوجرا ند)، معياران أساسيان يشكلان ثنائية ذات اتصال وثيق بالنص، وهما معيارا (السبك والحبك)، وقد خص (دي بوجراند) هذين المعيارين بهذه الصلة الوثيقة من بين باقي المعايير السبعة، التي اقترحها لنصية النص بقوله:"ومن هذه المعايير السبعة، معياران تبدو لهما صلة وثيقة بالنص:(السبك والالتحام)"([4])، وهما بذلك يكونان "خاصية مفهومية في حقل علم لغة النص وتحليل الخطاب، يربط السبك بين عناصر سطح النص، ويكمن الحبك بين عالمه النصي؛ أي أنهما يشيران إلى كيفية تكيف العناصر التي تكون النص بعضها مع بعض وصنع المعنى"([5])، وقد استعمل بعض علماء النص مصطلح الترابط أو الربط النحوي بدلاً من السبك، ومصطلح الحبك بدلاً من التماسك الدلالي، وبقطع النظر عن التبادل بين المسميات لكل معيار من المعيارين، فإنهما أي عنصري

---

[1] - دي بوجراند: النص والخطاب والاجراء: 104.

[2] - فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص/ 229 .

[3] - دي بوجراند: النص والخطاب والاجراء: 105.

[4] - المرجع نفسه: 106.

[5] - العبد: محمد، حبك النص "منظورات من التراث العربي: مجلة الدراسات اللغوية مج 3 ، ع2، 2001م / ص: 128 .

(السبك والحبك)" يتصلان بالتماسك النصي داخل النص، ويرتبطان بالروابط الشكلية والدلالية، ولهما أدوات وأنواع وطبيعة وأهداف "([1]).

وفي سياق هذا الترابط والانسجام يبين (رولان بارت) بطريقة علائقية كيفية الترابط بين الكلمات بقوله:" إن تناسق اللغة الكلاسيكية (نثراً وشعراً) هو علائقي؛ أي أن الكلمات تتضاءل إلى أقصى مدى لتبرز الروابط اللغوية، وليس فيها كلمة كثيفة بذاتها، فالكلمة لا تكاد تكون علامةً على شيء، إنّها التكأةُ لعلاقةٍ، ولا تغوص على عمق الحقيقة الداخلية المتصلة بغايتها اتصالاً جوهرياً، فما أن تلفظ كلمة حتى تتطلع نحو كلمات أخرى، بحيث تشكل سلسلة سطحية المقاصد...ويعلق المترجم - في الحاشية - على ما ذكره (بارت) بقوله:" يعبر عن هذه الحالة النقد القديم " بالكلمات الآخذ بعضها برقاب بعض "([2])،ويرى سعد مصلوح أن مصطلح السبك مختص:" بالوسائل التي تحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص (text surface)، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطّها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق، وهذه الأحداث أو المكونات، ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية، ولكنّها لا تشكل نصاً إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك، ما يجعل النص محتفظاً بكينونته واستمراريته، ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو الاعتماد النحوي (grammatical dependency)([3])، ويفهم مما سبق أن عناصر التماسك النصي، متحققة من خلال هذين المعيارين المتصلين بالنص اتصالاً مباشراً، ومتحققين في بنيته الأفقية والرأسية، لذا سنشرع في دراستها وتحليلها، وربط كل عنصر منها بالمستوى اللغوي وغير اللغوي الذي ينتمي إليه كل عنصر، إذ إن منها ما يعد عنصرا نحوياً أو دلالياً أو تداولياً.

---

[1]- الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق 42/1 .

[2]- بارت: رولان، الكتابة في درجة الصفر، 59، ترجمة: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري، ط2002/1 .

[3]- مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، وانظر : دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء: 301 ، 302. 340،352 .

ويقصد بالسبك الروابط الشكلية التي تؤدي إلى ترابط النص على مستواه الأفقي، وهي روابط تنتمي إلى المستوى النحوي، ويتصل به المعاني النحوية الوظيفية التي تؤديها المفردات بحسب الموقع الذي تشغله في التركيب، ويمكن وضع هذه الروابط الشكلية تحت عنوان العناصر والعلاقات النحوية التالية:

الصفة: ورغم كونها فضلة، إلا أن ذكرها للموصوف في بعض التراكيب يعد ركناً أساسياً لها، ويبدو هذا في جملة: "عجلاً جسداً له خوار "، ولم يقل: عجلاً له خوار فقط، تأكيداً على أن لا روح فيه .

البدل: يمثّل البدل رابطاً دلالياً من حيث كون البدل هو عين المبدل منه، وفي العلاقة بين البدل والمبدل منه، يقول الفقي:" فمن المعروف أن البدل هو المبدل منه في المعنى غالباً، ولشدة هذا التماسك بينهما دلالة، استغنى عن الأداة اللفظية الرابطة، فالرابط بين البدل والمبدل منه دلالي، والبدل يحقق التماسك على مستوى الآية الواحدة ...وكذا يحققه على مستوى أكثر من آية "([1]).

ويعد الحبك أو (الالتحام) من أهم الروابط والعلاقات التي تؤدي إلى تماسك النص ويشتمل على العناصر الآتية:

أولاً- عنصر الإحالة أو المرجعية:

تقسم الإحالة عند علماء النص إلى قسمن: إحالة داخلية وإحالة خارجية وهما على النحو التالي:

1- **الإحالة الداخلية**: وهي روابط بين الألفاظ في الجمل، أو بين الجمل فيما بينها، وتقسم إلى قسمين :

أ ـ قبلية: وهي ما تحيل إليه الضمائر أو أسماء الإشارة أو غيرها إلى أسماء متقدمة عليها، أي أن الاسم المحال إليه قد ورد ذكره في النص قبل المحيل له.

ب ـ بعدية: وهي ما تحيل إليه الضمائر أو أسماء الإشارة إلى مذكور بعدها في النص، بمعنى أن الاسم المحال عليه قد وقع بعد الضمير أو اسم الإشارة، ومن

[1]- الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 274/1.

خلال ما ذكرناه من أمثلة على هذا النوع من الإحالة أثناء تحليل السور القرآنية، بدا وكأن هذا النوع أقل من الإحالة القبلية .

2ـ **الإحالة الخارجية:** وتسمى أيضاً بالإحالة المقامية، وتتحقـق إذا أحـال أحـد الضمائر أو أحد أسماء الإشارة إحالة إلى خارج النص، وتساهم الإحالة المقامية في خلق النص لكونها تربط اللغة بسياق المقام إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر"([1]) .

ثانياً: الاتساق المعجمي.

ويشمل التكرار اللفظي والتكرار المعنوي: ونقصد بالأول تكرار اللفظ نفـسه سواء أكان لكلمة بعينها أو لجملة بعيها، أما التكرار المعنوي فنقـصد بـه المعنـى الواحد، فقد ترد كلمة أو جملة تحمل دلالة معينة أو أكثر، لكنّها لم تكرر بلفظها كرة أخرى، بل يكرر معناها في كلمة أخرى أو في أكثر من كلمة أيضاً، أو يكرر معناها في جملة أخرى أو أكثر .

ثالثاً: التضام:

يعد التضام من عناصر التماسك النصي الخاص في المستوى المعجمي، وهو يعني " توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك"، وتتنوع العلاقات الحاكمة لعنصر التضام وتشمل:

أ- التضاد:" كلّما كان التضاد حاداً (غير متدرج) كان أكثـر قـدرة علـى الـربط النصي، ومن الأمثة: الميت والحي، الذكروالأنثى، ومنـه التـضاد العكـسي، كالتضاد بين الفعلين: باع واشترى، والفعلين: ربـح وخـسر، ومنـه التـضاد الاتجاهي نحو: أعلى /أسفل، فوق، يأتي/يذهب ([2]).

ب- التنافر:"وهو مرتبط بفكرة النفي مثل التضاد، نحو: خروف/فرس، قط/كلـب، ومرتبط بالرتبة نحو: مـلازم/ رائـد، مقـدم... وبـالألوان نحـو: أحمـر/ أخضر،أصفر، وبالزمن: فصل/شهر/عام([3]).

[1]- خطابي: لسانيات النص: 17.

[2]- عفيفي: نحو النص/ 112،113.

[3]- المرجع نفسه: 112،113.

ج- علاقة الجزء بالكل: وذلك نحو علاقة الآية بالسورة وعلاقة السورة بالقرآن .

ويلاحظ أن العلاقات التي تحكم عنصر التماسك (التضام) إنما هي ألفـاظ تتـصل ببعضها ضمن نظرية الحقول الدلالية([1]) .

رابعاً: التخصيص.

يفيد التخصيص التوضيح والتبيين، ويؤدي هذا العنصر الدلالي مواقع بعـض الكلمات من الجملة، فيتقدم لفظ على لفظ أو يتأخر لأداء معنى التخصيص، ويتـأخر لفظ ومكانه التقديم لإفادة هذا المعنى، كما تأتي ألفاظ تفيد من حيث نوعها أو صنفها من الجمل لإفادة هذا العنصر الدلالي نحو:(عنده) من الآيـة:" إن ا عنـده علـم الساعة".

إن لفظة (الحمد) معرفة ومقدمة على لفظ الجلالة ( )، التي استهلت بها سورة الفاتحة بعد البسملة، قد أفادت ـ كما يبدو ـ معنى التخصيص أو الاختصاص، أي أن المختص بالحمد هو ا سبحانه وتعالى، فأدت (أل) التعريف أولاً هـذا المعنـى وعضده التقديم للفظة (الحمد) .

خامساً:السببية (التعليل).

وهذا العنصر الدلالي عرف بعلاقة الملابسة أوالسبب والنتيجة، وهي علاقة تؤدي إلى ترابط النص في مستواه الأفقي والعمودي.

سادساً: المناسبة.

اهتم القدماء والمحدثون بالمناسبة كأحد العناصر الدلالية التي تؤدي دوراً فـي تماسك النص وترابطه، فدرسوا المناسبة بين عنوان النص ومـضمونه والمناسـبة بين الجمل، واهتم المفسرون بدراسة المناسبة بين الآيات، والمناسبة بين أول السورة وخاتمتها، وخاتمة السورة التي قبلها وأول السورة التالية لها.

سابعاً: الفصل والوصل .

الفصل والوصل من الموضوعات التي اهتم بهما المفسرون واللغويون القدماء والمحدثون على حد سواء، فقد ذكر بعض القدماء أن البلاغة هي معرفـة الفـصل

---

[1]- انظر:عمر: أحمد مختار، علم الدلالة: 102 وما بعدها .

والوصل، وعدهما كثير من الدارسين للنصوص الشعرية أو النثرية مـن عناصـر التماسك النصي، ولهما حضورهما أيضاً في نحو النص، فاقتـضى الحـديث عـن دورهما في النظم، وذلك بما يسهما به في تماسك النص، فهما حدث لساني متأصل في ذهن ابن اللغة، من هنا تبدو أهمية الفصل والوصل في " أن عدم مراعاة الفصل والوصل يؤثر في النظم"([1])، ويتصل بهذا الموضوع علامات مكتوبة بـين آيـات الكتاب العزيز، تمنع الفصل وتشترط الوصل، أو تمنع الوصل وتشترط الفصل، أو تجوز الفصل والوصل نحو: (صلى) لإيثار الوصل، و(ج) لجواز الفصل أوالوصل، (قف) لاشتراط الوقف، ويتصل بموضوع الفصل والوصل الفاصلة القرآنية، فهـي علامة من علامات النظم قد يقف عندها القارئ أو لا يقف، شأنها شـأن العلامـات التي تفصل - شكلاً - بين الجمل، كعلامات الترقيم، أو قرينـة كقـرائن الـسجع والقوافي في الشعر.

ثامناً: الجمل المفسرة.

الجمل المفسرة هي أحد العناصر التي تؤدي إلى تماسك الـنص وترابطـه، سواء أكان هذا الدور على مستوى الجملة أم على مستوى الـنص، وتتعـدد أدوات الجمل التفسيرية، فمنها ما يبدأ بالأداة (أن)، أو بالتمييز أو بـالعطف أو بالبـدل أو بالتوكيد . تاسعاً:التعريف والتنكير.

اعتبر التعريف والتنكير من عناصر الربط في التركيب وفي الدلالة، توضيحاً وتبييناً أو تخصيصاً أو إبلاغاً أو تعميماً، وبين (بوجراند) دور التعريف في التماسك النصي بقوله:" بأنه وضع للعناصر الداخلة في عالم النص إذ تكون وظيفة كلٌ منها لا تحتمل الجدل في سياق الموقف، ومعنى أن تحدد الوضع باسـم علـم مـثلاً، أو بصفة هي معرفة أنك تقول للسامع أو للقارئ: إن المحتوى المفهـومي المـضبوط ينبغي أن يكون سهل الاستحضار على أساس المساحات المعلومية المنشطة بالفعل، أما عناصر النكرات فتتطلب من ناحية ثانية تنشيطا لمساحات معلومية أخرى"([2]).

---

[1]- خطابي: لسانيات النص، 99، وانظر ما قبل هذه الصفحة وما بعدها .

[2]- دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء/ 310.

العناصر والعلاقات المشتركة بين المستويين النحوي والدلالي.

العطف: تعددت أدوات الربط التي تتصل بمصطلح العطف، لكن الجامع لها هو الترابط بين الألفاظ والجمل والفقرات، فمنها ما يدلّ على الاشتراك في الفعل أو الصفات أو في الحكم، وفي هذا السياق يقول بوجراند:" ويمن للرابطة وهي تشمل مطلق الجمع وأداة التخيير وأداة الاستدراك وأداة التبعية، أن تقع بين المكونات من أحجام مختلفة، وينبغي للأداة التي تقدر للتعويض أن تكون لمطلق الجمع؛ لأن العلاقة بين العناصر في النص علاقة تجمعية في العادة" ([1]).

الحذف:

قد يحذف أحد عناصر التركيب سواء أكان ركناً أساسياً أم غير أساسي، وغالباً ما يكون الحذف بدليل أو بوجود قرينة، وفي هذا السياق يذكر محمد حماسة:" ... وذلك لا يتم إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنياً في الدلالة كافياً في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر؛ لأن هناك قرائن معنوية أو مقالية تومئ إليه وتدل عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره"([2]).

ولم يكن الحذف للمبنى وارداً عند المتكلم أو الكاتب، إلا وتقديره وإدراكه متحصل عند المتلقي، لكن حذفه أولى من ذكره، وعندما يكون الذكر أولى من الحذف خوفاً من اللبس، فإن المتكلم أو الكاتب سيلجأ إليه لا مناص، ولعل قول الشاعر يبين قيمة المنطوق والمحذوف:

إذا نطقت جاءت بكل مليح وإذا صمتت جاءت بكل مليح

فإذا كان اللفظ ينطق به حيناً ولا ينطق به حيناً آخر، فإن المعنى لا ينطق به النص إلا من خلال بنيته، سواء أكان ظاهراً أم متأولاً، بل يفهمه المتلقي المتفاعل مع النص من خلال البنية التي تكتنزه؛ تركيباً؛ لفظاً أو خطأ تركيباً ودلالة وتداولاً، فالمليح الأول يخص اللفظ والمعنى بينما المليح الثاني خاص بالمعنى، وكأن الصمت علامة بل أبلغ علامة في موقف ما... فالحذف حقق أيضاً شرطاً هاماً من شروط

---

[1] - بوجراند: النص والخطاب والإجراء ، 157.

[2] - حماسة: محمد حماسة عبد اللطيف، بناء الجملة العربية،208. وانظر عفيفي/ نحو النص/125.

النص وهو الاقتصاد، فجاء للاختصار بدلالة الكلام قبله أو بعده عليه، ويقول طاهر حمودة:"...فكان الحذف ناتجاً عن أن المعنى المفهوم في كلّ موضع زائد على عناصر اللفظ المذكورة"([1])، ويشير (دي بوجراند) إلى حذف العناصر من البنية السطحية بقوله:" والحذف هو استبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمتحواها المفهومي أن يقوم في الذهن، أو أن يوسع أو أن يعدل بواسطة العبارات الناقصة"([2]).

التكرار: يعد هذا العنصر محوراً رئيساً لاشتراكه مع الروابط الشكلية والدلالية والتداولية جميعها، فالتكرار باللفظ أو بالمعنى يحقق تعالقاً بين لفظين أو جملتين أو فقرتين أو قصتين، وذلك من خلال المعنى النحوي الوظيفي الذي تؤديه الألفاظ والتراكيب، وهو داخل في الحقل الاستعمالي العرفي عند العرب كذلك، مما يعني أن ما وراء هذا الأسلوب التداولي دلالات غير لفظية مقصودة لذاتها، ولعل ما ذكرته من اشتراكه في كافة مستويات التحليل النصي، وما يسهم به من ترابط في النص، وما يقدمه من دلالات علامتية، قد تضمنه كلام الزركشي عنه بقوله:"...هو محاسن أساليب الفصاحة لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض، وذلك أن عادة العرب في خطاباتها إذ أبهمت بشئ إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه كررته توكيدا وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد في الدعاء عليه، حيث تقصِد الدعاء وإنما نزل القرآن بلسانهم وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم في عجزهم عن المعارضة، وعلى ذلك يحتمل ما ورد من تكرار المواعظ والوعد والوعيد؛ لأن الإنسان مجبول من الطبائع المختلفة، وكلها داعيةٌ الى الشهوات، ولا يقمع ذلك الا تَكرار المواعظ والقوارع "([3]).

---

[1] - سليمان: طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، 23، الدار الجامعية للطباعة والنشر – الاسكندرية:1983م .

[2] - بوجراند: النص والخطاب والإجراء، 301.

[3] - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 9/3.

وأشكال التكرار وصوره متعددة، فالحرف الذي تستهل به السورة، يتكرر أكثر من غيره من الحروف، ويظهر كثرته تلك كثرة الكلمات التي ترد في نص السورة، أكثر من غيرها، وقد تنبه القدماء إلى تكرار الحروف المقطّعة التي استهلت بها السور ذوات الحروف المقطّعة، وقالوا بأن السورة كلّها قد بنيت على الحرف الذي استهلت به السورة، فمن ذلك قول الزركشي :" وتأمل السورة التى اجتمعت على الحروف المفردة كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف فمن ذلك ق والقرآن المجيد فإن السورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن ومن ذكر الخلق وتكرار القول ومراجعته مرارا والقرب من ابن آدم وتلقى الملكين وقول العتيد وذكر الرقيب وذكر السابق والقرين والإلقاء في جهنم والتقدم بالوعد وذكر المتقين وذكر القلب والقرن والتنقيب في البلاد وذكر القتل مرتين وتشقق الأرض وإلقاء الرواسى فيها وبسوق النخل والرزق وذكر القوم وخوف الوعيد وغير ذلك وسر آخر وهو أن كل معاني السورة مناسب لما في حرف القاف من الشدة والجهر والقلقلة والانفتاح"([1])، وأوضح السيوطي هدف تكرار بعض الكلمات والآي في النص القرآني بقوله:"... وذلك للتذكر والموعظة أو التعظيم لشأن المكرر"([2]).

أما علماء النص المحدثون فرأوا أنه:" شكل من أشكال التماسك المعجمي التي تطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف له أو شبه مرادف، ويطلق البعض على هذه الوسيلة "الإحالة التكرارية" وتتمثل في تكرار عدد من الألفاظ في بداية كلّ جملة من جمل النص قصد التأكيد، وهذا التكرار في ظاهر النص يصنع ترابطاً بين أجزاء النص بشكل واضح، ويوضح (دي بوجراند) وظيفة التكرار في النص وأهميته بأنّه:" يهدف إلى تدعيم التماسك النصي... وتحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص "([3]).

[1] - الزركشي: البرهان في علوم القرآن،196/1.

[2] - السيوطي: الاتقان في علوم القرآن،35/1.

[3] - بوجراند: النص والخطاب والإجراء:45،59.

الاستبدال. هو صورة من صور التماسك النصي التي تتم في المـستوى النحـوي المعجمي بين كلمات وعبارات، على أن معظم حالات الاستبدال النصي قبليـة؛ أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم"([1]) .

العلاقات والعناصر التداولية:

ويقصد بهذه العلاقات والعناصر التي ضمن المستوى التداولي للغة، العلاقـات التي من خلالها نحدد معاني الكلمات ضمن مقام إخباري أو اتصالي معين، يفهم من خلاله المتلقي قصد المبدع، وهذا يعني:"أن التداولية تدرس اللغة باعتبارهـا نظـام اتصال، أي أنها تدرس اللغة دراسة وظيفية، فتجمع إلى جانب النحو، وهـو الـذي يمثل الدراسة الشكلية للغة، التداولية، وهي التي تمثل الجانب الوظيفي للغة"([2]).

أولاً: السياق: المقام والمقال.

يؤدي السياق دوراً فعالاً في تأويل الخطاب، ويبرز دوره الكبير في حـصر مجال التأويلات الممكنة ويدعم التأويل المقـصود"([3])، ويـشمل الـسياق الأركـان والعناصر التالية: المتكلم والمستمع والقارىء، والزمان والمكان). فالسياق الذي قيل فيه النص يسهم في دلالات يدركها المتلقي، بحسب سياق الحال أو مناسبة الكـلام، فيشمل: ظروف المتلقي، ثقافته، زمانه مكانه، وسائل إقناعه حتّى بتحديه، فالـسياق إذن دور مهم في تحديد معنى دون معنى آخر، إذا مـا تعـددت دلالات اللفظـة الواحـدة، ويذكر الجنابي فائدة السياق من خلال تعدد دلالات اللفظ الواحد قال:" إذا تعدد معنى الكلمة، تعددت بالتالي احتمالات القصد منها. وتعدد احتمـالات القـصد يقود إلى تعدد المعنى. ويقوم السياق بوضع الكلمة في موقعها داخل التركيب اللغوي بتحديد دلالة الكلمة تحديدا دقيقا مهما تعددت معانيها ويصرف ما يدعى من التبـاس أو إبـهام أو غموض في الدلالة بسبب هذه الظواهر([4])، وحول تحديد السياق لدلالة

---

[1] - عفيفي: نحو النص:/122.

[2] - حسنين: صلاح الدين صالح، الدلالة والنحو، 187، ط1، مكتبة الآداب.

[3] - خطابي: لسانيات النص:52.

[4] - الجنابي: أحمد نصيف، ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة 361، 398. مجلة المجمع العلمي العراقي مج 35، ج 4، محرم 1405 هـ تشرين الأول سنة 1984م .

هذه الظواهر، يقول (فندريس): " الذي يعين قيمة الكلمة في كـل الحـالات التـي ناقشناها إنما هو السياق، إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحـدد معناها تحديداً مؤقتا. والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن تدلّ عليها"([1]).

ثانياً: الزمان والمكان.

الزمان الذي حدثت به القصص التي أوردها النص القرآني، وكذلك الأمـاكن الشاهدة على وقوع الحدث، فالأحداث التي أخبر النص القرآني بوقوعها في الـزمن المستقبل (الآتي)، تدل على تعالي النص القرآني على حدود الزمان وحدود المكان، ويتصل بهذا الزمن النحوي دلالة الزمن وقيمته، في الأفعـال التـي ذكـرت فـي القصص القرآني وما دار فيه من أحداث في الزمن الماضي، ويتصل بـه أيـضاً، الأفعال التي تتحدث عن الوقائع والأحداث في الزمن المـستقبل المتعلقـة بـالأمور والموضوعات الغيبية مثل البعث واليوم الآخـر والثواب والعقاب، التي تحدث عنها النص القرآني.

وفي سياق هذا التعالي يقول عبد المطلب زيد:" يمثـل التّمـاس الزمنـي أول ضرب من ضروب التّماس في القصص القرآني، وهو ضرب ينعم بحركة وحركية أكثر من غيره، إذ يتجاوز حدود اللحظة الحاضرة إلى استدعاء أزمنة غيبية ماضية كانت أو مستقبلية، فقد اخترق القرآن الكريم حاجز الزمن للإخبـار عـن بعـض الأحداث المستقبلية سواء ما يرتبط منها بالمستقبل القريب .. أو ما يرتبط من تلـك الأحداث والأنباء الغيبية بالمستقبل البعيد"([2]).

ثالثاً: معرفة العوالم الممكنة.

يوضح لنا (فانديك) مفهوم (العالم الممكن) بقوله:" هو على وجه أكثر تخصيصاً "أمر من الأمور" ممكن أن تحصل فيه مجموعة من القضايا مستوفاة علـى التمـام، وبالعكس فإن قضية ما يمكن، حسب ذلك، أن تتحدد في غالب الأحوال علـى أنهـا

---

[1] - فندريس: اللغة، 231، ترجمة الدواخلي والقصاص، مكتبة الأنجلو المصرية -1950م.

[2] - زيد: عبد المطلب، صيغ التماس في القص القرآني،337، عالم الفكر:، 35، ع،4، 2007م،

حاصلة في مجموعة من العوالم الممكنة أعني مجموعة العوالم الممكنة التي تكـون فيها تلك القضية مستوفاة على التمام، ولنلاحظ أن مصطلح العالم الممكن لا ينبغـي أن نماثله مع أفكارنا البديهية عن عالمنا (نحن)، وواقعنا بل ينبغي أن نعتبره بنـاء مجرداً للنظرية السيمناطيقية (أي نموذج عقلي نظري)، وذلك أن عالمنا الواقعي هو بالضبط عنصر واحد من مجموعة العوالم الممكنة"([1])، ويتضمن هذا العنـصر مـا يعرف بالمعارف المشتركة بين المبدع والمتلقي، أو الرصيد الثقـافي والاجتمـاعي والعرفي المشترك بينهما، ويمكن أن يعد أسباب النزول أو مناسبته، من ضمن هـذه الأبواب المعرفية، ومن الآيات التي تتصل بما يمكن عده من باب معرفة العوالم، ما ذكره القرطبي في تفسيره لقوله تعالى:" الذي خلقكم)، قال القرطبي في قوله تعالى: (الذي خلقكم) خص تعالى خلقه لهم من بين سائر صفاته إذ كانت العرب مقرة بـأن ا خلقها، فذكر ذلك حجة عليهم وتقريعا لهم"([2])، ويتصل بمعرفة العـوالم أيـضاً، ذكر القصص، ومخاطبة العقل لدى المتلقين المنكرين, وذكـر المخلوقـات الماثلـة أمامهم، وتذكيرهم بثبات نظام الكون، ومخاطبتهم بشتى وسائل الإقناع التي تحملهـم على الإيمان، كالمعجزات وتقديم الأدلة الدامغة وإقامة الحجج والبراهين والتحـدي على ما أنكروه، ومعاقبتهم بسبب كفرهم بالعذاب العاجل، ويتصل بالمستوى التداولي أيضاً ضرب الأمثال، لما لها أهمية عند العرب في تداولها بينهم كإحـدى قنـوات الاتصال اللغوي الاجتماعي، قال محمد المكي الناصري:" وقد كانـت الأمثـال ولا تزال في جميع اللغات وعند جميع الأمم لها من التأثير في الإقناع ما جعل استعمالها شائعاً ذائعاً، ولا سيما عند العرب، فنزل القرآن بلسان عربي مبين، وجـرى علـى مألوف استعمالهم في ضرب الأمثال، غير أن الأمثال القرآنية تختلف عن الأمثـال الأخرى التي عرفها العرب والعجم، بروْعتها وإعجازها، وكونها على غيـر نمـط سابق، ومن هنا وقعها مختلف باختلاف من يسمعها، فالمؤمن الذي خالطت بـشاشة

---

[1] - فان دايك: تيون فانديك، النص والسياق/ استقصاء البحث الدلالي والتداولي، 52، ترجمة/ عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق- المغرب - الدار البيضاء،2000.

[2] - القرطبي: أبو عبد ا محمد بن أحمد الأنصاري،(600 - 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، 226/1، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان 1405 هـ – 1985م .

الإيمان يدرك مغزاها، ويزداد بوساطتها بصيرة ونوراً، والكافر الذي أطبقت عليـه ظلمة الكفر يقبلها بالتجاهل والتساؤل، الذي لا يقصد من ورائه الرغبة في المعرفة، وإنّما تساؤل المنكر الممعن في الإنكار والاستهزاء: ﴿إن الله لا يسْتَحْيِي أَنْ يضْرِب مثَلا ما بعوضةً فَما فَوْقَه افَأما الذِين آَمنُوا فَيعْلَمون أَنه الْحق مِنْ ربهِمْ وَأَمـا الـذِين كفَروا فَيقُولُون ماذَا أَراد الله بِهذَا مثَلا يضِل بِهِ كَثِيرًا ويهْدِي بِهِ كَثِيرًا وما يضِل بِهِ إِلا الْفَاسِقِين﴾ ([1])، ورغماً عن أن "البعوضة" في الظاهر عند الناس تعتبـر كائنـاً حقيراً تافهاً قد يستغرب ضرب المثل بمثله، فإن الآية أشارت إلى أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً به، ما دام الغرض من ضرب الأمثال هو مزيد الكشف والإيضاح للسامعين، ولذلك ضرب الله المثل بالنمل والعنكبوت في آيات أخرى"([2]).

ويضيف:"على أن العصور التالية منذ نزول القرآن حتى الآن، قد أثبتـت مـا لهذا الكائن الحقير لصغير (البعوضة) من خورة وقوة وتأثير في الفتك والتخريـب والتدمير، فقد أثبتت الدراسات الطبية أن فعل هذا الكـائن بالإنـسان، يفـوق فعـل الطاعون والطوفان، ولذلك جنّدت الدول لحربه ومقاومته كل مـا فـي الإمكـان، واتّضح الان لذوي الفكر المستنير حكمة ذكره في القرآن"([3]) .

ومما جاء ضمن المعارف العامة عنوان أول سورة من السور ذوات الحروف المقطّعة (البقرة)، والبقرة من المعارف المعلومة لليهود، فجاءت التـسمية تـذكيراً وتعريضاً باليهود الذي يسكنون المدينة، إذا ما علمنا أن سورة البقرة هي أول سورة مدنية بحسب ترتيب النزول، وقصة البقرة معروفة لديهم، وكـذلك عنـوان سـورة (القلم) واستهلالها بحرف (ن) الدال بصورته ـ كأيقونة ـ على دواة الحبر، فقد قال كثير من المفسرين بهذه الدلالة السيمائية الأيقونية، فالعنـاوين والـشعارات ولغـة الصورة وإشارات المرور وغيرها من وسائل الاتصال اللغوية الدلالية والإبلاغيـة والإخبارية، يمكن عدها نصوصاً كاملة، وهي من أقصر النصوص وأسرعها فـي

---

[1]- سورة البقرة: الاية/26.

[2]- الناصري: محمد المكي: التيسير في أحاديث التفسير: 30/1،31 . الطبعة الأولى/ دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان.

[3]- المرجع نفسه/ 31/1.

تواصل الأفراد والجماعات، وفي سياق التواصل الإخبـاري بكلمـة أو بجملـة أو بجملتين باعتبارها شواهد لنصوص كاملة لا جملة أو جملتين، أكـده عبـد الفتـاح الحموز بما جاء في دراسته من شواهد فصيحة تعد تُكأة للانزياح فقال:" ويمكـن أنْ يعد ما في هذا البحث من شواهد فصيحة نصوصاً كاملة، لا جملة أو جملتين إذا ما توهمنا ما بين المتكلم والمتلقي من تواصل إخباري، أو ما بين المؤلف والناقد؛ لأن المتكلّم يجب أن يحيل المتلقي، أو السامع إلى شيء يتبينُه، ويتعرفُه فضلاً عما يمكن أن يكون للظروف الخارجية الاجتماعية، وغيره، وعما يمكن أن يكون له وشيج من العلوم الأخرى من أثرٍ، وهي مسألة تَتَبدى بوضوحٍ وجلاءٍ تامين في الآيات القرآنية والشواهد الفصيحة نثرها وشعرها؛ لأنها منتزعة من سور قرآنية كاملـة، أو مـن قصائد شعرية أو خطب أو رسائل كاملة وغيرها... والقول نفسه في الأمثال العربية والتوقعات والإنذارات والشعارات والعناوين وغيرها من حيث دراستها على أنّهـا نصوص كاملة"([1])، بحسب ما اكتسبوه في عالمهم من معارف وعلوم، فكل جماعـة بما عرفت واكتسبت في عالمها من وسائل اتصال رهينة، وقد تكتسب وتتعلم الأفراد والجماعات ما يهمهم في عالم غير عالمهم، ما عند أفراد وجماعة ومجتمعات العالم الآخر، إذا ما كانوا بحاجة إلى تلك المعارف والعلوم لأجل التواصل مـع غيـرهم، ولعل ما يتصل بالتداولية في الجانب اللغوي الاستعمالي للغة، ما جـاء عنـد بنـت الشاطىء عائشة عبد الرحمن في كتابها، (الإعجاز البياني للقـرآن الكـريم)، فـي الفصل الذي خصته لمسائل ابن الأزرق وابن عباس، فكل الألفاظ التي كـان ابـن الأزرق، يتساءل عنها، قد استدل ابن عباس بأنها معروفة عند العرب، من خـلال الأبيات الشعرية التي استشهد بها وأوردتها بنت الشاطىء في كتابها([2]).

[1]- الحموز: عبد الفتاح، انزياح اللسان العربي الفصيح والمعنى، 8،9، دار عمـار- عمـان، ط/1، 1428هـ - 2008م .

[2]-انظر: بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن/ الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق/ القسم الثاني/309 وما بعدها، دار المعارف، ط/3.

ثالثاً: نظرية الأفعال الكلامية.

أسس لهذه النظرية وطورها عالمان لا صلة لهما من حيث تخصصهما باللغـة وأفعالها، فقد أسس لها (أوستن J.L-Austin)، وطورها نضجاً وضبطاً تلميذه (سيرل J.R-Searle) وهما من فلاسفة أكسفورد ([1])، وقد انتهى تقسيم الأفعال عند (سـيرل) إلى أربعة أقسام، بدلاً من ثلاثة عند (أوستن)، وهي: الفعل اللفظي ويـشتمل علـى قسمين؛ الأول: الفعل النطقي والثاني: الفعل القـضوي، والقـسم الثالـث: الفعـل الإنجازي، والقسم الرابع: الفعل التأثيري ولم يهتم به؛ لأنه ليس شرطاً لغيره. لـذا وقع الاهتمام بالفعل الإنجازي بصفته المتمم للفعل القضوي الذي يمثـل (القـضية: المحتوى المشترك)، فهذا المحتوى يتضمن قصداً، لا يتحقق إلا في إطـار كلامـي مركب أساسه الفعل الإنجازي، لذلك تنوعت أصنافه فضبطت بأسس منهجية أهمها: الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، شرط الإخلاص، وبناءً على هذه الأسـس تـم التمييز بين صنفين من الأفعال فقط هما: الأفعال الإنجازيـة المباشـرة، والأفعـال الإنجازية غير المباشرة، ولعل معيار القوة الإنجازية المتحققة للفعل لفظـاً ومقامـاً وإدراكاً بين المتكلم والسامع، هو ما يميز صنفاً من صنف .

وقد سبق الغزالي هذين الفيلسوفين - في الفصل الثالث من كتابه (المستصفى) - إلى وضع بذور لنظرية الأفعال الكلامية، قال:"من السوابق في أحكـام المعـاني المؤلفة قد نظرنا في مجرد اللفظ ثم في مجرد المعنى ، فننظـر الآن فـي تـأليف المعنى على وجه يتطرق إليه التصديق والتكذيب، كقولنا مثلا: العالم حادث والباري تعالى قديم، فإن هذا يرجع إلى تأليف القوة المفكرة بين معرفتين لـذاتين مفـردتين بنسبة إحداهما إلى الأخرى، إما بالإثبات كقولك العالم حادث أو بالسلب كقولك العالم ليس بقديم؛ وقد التأم هذا من جزأين يسمي النحويون أحدهما مبتدأ والآخـر خبـراً، ويسمي المتكلمون أحدهما وصفاً والآخر موصوفاً، ويـسمي المنطقيـون أحـدهما موضوعاً والآخر محمولاً، ويسمي الفقهاء أحدهما حكما والآخر محكومـا عليـه،

---

[1] - انظر: نحلة، محمود: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، 159.

ويسمى المجموع قضية([1])، ويقصد بالفعل الإنجازي: الفعل الذي يعبر عن قصد المتكلّم بالعبارة كأن يخْبِر أو يسألَ أو يعِد أو ينذر أو يوعد، ويواكبه فعل التأثير الكلامي؛ أي الأثر الذي يخَلفَه التلفظ بالعبارة لدى المخاطَب، كأن يستبشر أو يرعب أو ينفعل أو يطرب أو يغضب...ويضيف: الأفعال الإنجازية: وهي أفعال يتحقق محتواها القضوي إذا توافرت شروط إنجازها حين التلفظ بها "([2]).

ويقصد بالفعل القضوي: التركيب الذي يمثّل القضية التي نتحدث عنها، وهذا التركيب ـ كما يبدو ـ يشمل المسند والمسند إليه أو الحامل والمحمول أو الموضوع والمحمول، وهذا يعني أن المحتوى القضوي الذي يمثّل القضية، يتألف من ركنين أساسين يسند أحدهما إلى الآخر، وفي هذا السياق يقول صلاح الدين حسنين:"الفعل القضوي: ينقسم إلى فعلين فرعيين اثنيين: الفعل الإحالي والفعل الحملي، ويتم إنجاز الفعل القضوي بشقيه حين يسِند إلى ذات ما خاصية ما، كما في: شوقي شاعر"([3]) .

لقد تبين لنا مما سبق أن التماسك النصي ممثلاً بعنصريه (السبك والحبك) هو أهم ما يحقق نصية النص ـ كما يذكر الفقي ـ فهو:" أهم عناصر الموضوع، بمعنى أن التحليل النصي يعتمد أساساً على التماسك في تحقيق النصية من عدمه، فالتماسك يهتم بالعلاقات بين أجزاء الجملة، وأيضاً بالعلاقات بين جمل النص، وبين فقراته، بل بين النصوص المكونة للكتاب، مثل السور المكونة للقرآن الكريم، ويهتم أيضاً بالعلاقات بين النص وما يحيط به، ومن ثم يحيط التماسك بالنص كاملاً، داخلياً وخارجياً، بمعنى آخر نجد أن السياق والمتلقي والتواصل...وغيرهم، يمثلون العوامل المساعدة في تحقيق التماسك وفك شفرة النص"([4]).

---

[1]- الغزالي: المستصفى: 1/ 65،66، تصوير دار صادر - بيروت .

[2]- حسنين: الدلالة والنحو، 212،213 .

[3]- المرجع نفسه، 212 .

[4]- الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 97/1 .

2.1 القرآن الكريم بوصفه نصاً.

أ ـ بنية النص القرآني:

إن القرآن الكريم بوصفه نصاً مكتوباً وصلنا محفوظاً من ا سبحانه وتعـالى هو: كلام ا سبحانه وتعالى المنزل على نبيه محمد بن عبد ا صـلى ا عليـه وسلّم، بواسطة الوحي جبريل عليه السلام المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحـة، المختوم بسورة النّاس الموجود بين دفتي المصحف .

ويصف عبد ا دراز بنيته بقوله:" يقع القرآن الكريم الذي بين أيدينا اليوم في مجلّد واحد، ويتكون في طبعته العادية من حوالي خمسمائة صفحة (بكل منها 15 سطراً) وينقسم إلى (114) سورة مختلفة الأطوال، فبعد الفاتحة المكونة من خمسة سـطور تتدرج السور في ترتيبها بوجه عام حسب طولها، فالسور الطويلة في البدايـة ثـم المتوسطة ثم القصيرة (وبعضها لا يتعدى السطر الواحد)، وتكثر علامات التـشكيل والعلامات الصوتية والإملائية وعلامات الوقف؛ لترشد القارئ في نطقه ووقفاتـه، ولم يكن القرآن على هذه الهيئة في حياة الرسول، فإن النص مطابقـاً لمـا أمـلاه الرسول لكتبة الوحي، فإن الشكل الخارجي قد طرأ عليه تغيير كبير، إذ لـم يكـن هناك ما تطلق عليه كتاباً أو مجلداً ... غير أن النص القرآني لم يقتصر على كونه "قرآناً" أو مجموعة من الآيات التي تتلى أو تقرأ، وتحفظ في الصدور، وإنّما كـان أيضاً " كتاباً " مدوناً بالمداد، فهاتان الصورتان تتضافران وتـصحح كـلّ منهمـا الأخرى، ولهذا كان الرسول كلّما جاءه الوحي وتلاه على الحاضرين أملاه من فوره على كتبة الوحي ليدونوه على أي شيء كان في متناول أيـديهم، مثـل الـورق أو الخشب أو قطع الجلد أو صفائح الحجارة وكسر الأكتاف...الخ "([1]) .

ويؤكد الكاتب الفرنسي (موريس بوكاي) حقيقة الـنص القرآنـي وحـضوره بقوله:" وثمة فرق أساسي بين المسيحية والإسلام فيما يتعلق بالكتب المقدسة، ذلـك هو غياب النص الموحى به ـ والمحدد في الوقت نفسه ـ عند المـسيحية، بينمـا

---

[1]- دراز: محمد عبد ا ، مدخل إلى القرآن الكريم/ عرض تاريخي وتحليل مقـارن، 33،34، ترجمة: محمد عبد العظيم علي، مراجعة: السيد محمد بدوي. دار القلم ـ الكويـت، 1404 هـ، 1984م .

يملك الإسلام القرآن الذي يحقق هذا التعريف...ويضيف: إن القرآن هو نص الوحي المنزل على محمد صلى ا عليه وسلم من سيد الملائكة جبريل، لأنه قد كتب في الحال، ثم حفظه المؤمنون عن ظهر قلب، وكانوا يرددونه أثناء صلواتهم، وبخاصة طيلة شهر رمضان، وقد رتب محمد صلى ا عليه وسلم آياته في سور، جمعت مباشرة عقب وفاته، وألفت في عهد الخليفة عثمان (23-35هـ) الكتاب الذي هو بين أيدينا. وخلافاً لما جرى في الإسلام، فإن الوحي المسيحي انبنى على شهادات إنسانية متعددة وغير مباشرة، لأننا لا نملك أية شهادة من شاهد عاين حياة المسيح، خلافاً لما يتصوره كثير من المسيحيين ... وهكذا نجدها مطروحة مسألة أصالة نصوص الوحي المسيحي والإسلامي ... وقد لوحظ مع تطور المعرفة، وجود اختلافات بين نص التوراة والعلم، فتقرر عدم المقابلة بينهما، ويجب الاعتراف أنّه بهذه الطريقة برز في أيامنا وضع خطير، هو تصادم العلماء وشراح التوراة، لأنه لا يمكن القبول في الواقع، بأن يكون الوحي الإلهي متكلماً عن شيء غير صحيح "([1]).

وفي سياق بنية النص القرآني المكتوبة والشفوية، لم يفرق (حسين نصر) بين النص الذي يصل للمتلقي مدوناً، وبين النص الذي يصل مشافهة، فعد حفظ النصوص مشافهة منعشة للذاكرة الأدبية، مما يجعله يؤثر الرواية الشفهية على المدونة، في تحديد مكانة الشيوخ المدرسين، كما عدها معياراً في تمييز تلميذ على تلميذ آخر، فقال:" نزل القرآن الكريم على النبي صلى ا عليه وسلّم في صورة شفهية قبل أن يتحول إلى نص مكتوب، وكانت أول كلمة من التنزيل هي "اقرأ"، وقد ردد النبي صلى ا عليه وسلّم الآيات الأولى من القرآن الكريم كما سمعها، ومنذ نزوله على النبي صلى ا عليه وسلّم ظل القرآن الكريم يحفظ في الصدور ولم يقرأ من صحف مكتوبة إلا في فترة متأخرة، وحتّى يومنا هذا يسمع القرآن مشافهة ويتلى من الذاكرة إلى جانب كتابته في المصاحف. والقرآن الكريم هو " سيد الكتب " وأول

---

[1] - بوكاي: موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم،18،19،157، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط/3، 1411هـ/1990م .

نص مكتوب في تاريخ الإسلام، وقد كان لحفظه في الصدور، ولاعتماد العرب على الذاكرة في نقل المعرفة أثر كبير في الحياة العقلية الإسلامية وفـي نظـام التعلـيم الإسلامي، ولا شك أن الاهتمام بحفظ القرآن قد أنعش الذاكرة الـشعرية والنثريـة للشعوب الإسلامية، وضاعف من أهمية الرواية الشفهية وكان له أثر فـي تحديـد مكانة الكتاب في الثقافة الإسلامية، وبسبب نزول القرآن، ولأسباب أخرى متـصلة بالنظام التعليمي الإسلامي، كانت الرواية الشفهية التي تعتمد على الذاكرة وعاء لنقل المعرفة يقف جنبا إلى جنب مع النصوص المدونة في الكتب، والتي تمثل مختلـف المذاهب الفكرية، وكانت حلقة الوصل بين الأستاذ وطلابه، ولم تكن تلـك الكتـب مجرد نصوص مكتوبة ولا مجرد حبر على ورق، وإنما كانـت تـصاحبها دروس شفهية يلقيها الأستاذ على طلابه فتستوعبها ذاكرتهم، وقد لعبت الروايـة الـشفهية دورا مهما في تحديد الكتب التي تلقى على الطلاب في حلقات الدرس وفي تحديـد مكانة الشيوخ الجديرين بالتدريس، وكانت في الوقت نفسه معياراً يساعد في تمييـز تلميذ على آخر على أساس قربه من الشيخ وفهمه لما يقول"([1]).

أما ما يتصل بلغة القرآن الكريم، فقد نصت آيات كثيرة من كتاب ا العزيـز على نزول القرآن الكريم باللغة العربية، وجلّها من السور القرآنية ذوات الحـروف المقطّعة، قال ا عز وجل: ﴿إنا أنزلْنَاه قُرْآناً عربياً لعلكُمْ تَعْقِلُون﴾ ([2])، إن التصريح بلغة القرآن العربية هي حجة داحضة على من جعل (الصرْفةَ٭) سبباً في عدم القدرة على الإتيان بسورة من مثله، فليس هذا التحدي ملاذاً يتوارى وراءه، منْ قالوا عـن وقوع هذا التحدي، فهي حجة واهية، ما دامت مادته اللغويـة التـي تألفـت منهـا

---

[1] - نصر: سيد حسين: الرواية الشفهية والكتاب في التعليم الإسلامي،49،50، ضمن مجموعـة أبحاث (الكتاب في العالم الإسلامي/ لـ (جورج عطية)، ترجمة: عبد الـستار الحلـوجي، عالم المعرفة، ع/297، اكتوبر/ سنة 2003م .

[2] - سورة يوسف، الآية: 2، وانظر السور:الرعد/37، النحـل/103، طـه/113، الـشعراء/ 195، الزمر/28، فصلت/3، 44، الشورى/7، الزخرف/3، الأحقاف/12.

(٭) الصرْفة: أي إن ا صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم، وكان مقدوراً لهم، لكـن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات .

نصوص القرآن الكريم، هي المادة نفسها التي نظَم وينْظِم بها المتحدون كلامهم من شعر ونثر، ويتواصلون بها مع غيرهم من أبناء بيئتهم في أحاديثهم اليومية، ومع مَنْ تعلّمها أيضاً من أبناء اللغات الأخرى، أو يرومها في أيّ زمن وفي أي مكان، وكفانا الباقلاني قولاً ببطلانها بقوله: "ومما يبطل القول بالصرْفَة، أنّه لو كانت المعارضة ممكنة ـ وإنما منع منها الصرفة ـ لم يكن الكلام معجزاً، وإنما يكون المنع معجزاً، فلا يتضمن الكلام فضلا على غيره في نفسه، وليس هذا بأعجب مما ذهب إليه فريق منهم: أن الكل قادرون على الإتيان بمثله، وإنّما يتأخرون عنه؛ لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا إليه به، ولا بأعجب من قول فريق منهم: إنّه لا فرق بين كلام البشر وكلام ا تعالى في هذا الباب، وإنّه يصح من كل واحد منهما الإعجاز على حد واحد."([1]).

إن اللغة العربية التي شرفت بأن شكلّت نصه، لا حجة عليها ممن اتهمها بالقصور، عن الوفاء بمتطلباتها في ضوء هذه الثورة المعلوماتية التي نشهدها في عصر الحداثة وما بعدها، إلى أن يرث ا الأرض ومن عليها، فهي لغة القرآن الكريم، التي شُرفت فنزلت به على سبعة أحرف عرفها اللسان العربي، فدون ما دون بحروفها من تراث، وما زالت هي نفسها أداة التواصل بين ناطقيها من جهة، ومع غيرهم ممن تعلمها من ناطقي اللغات الأخرى أو يروم تعلمها أيضاً. جاء في كتاب الإحكام:" واللغة العربية لغة الكتاب والسنة أسلوباً ومنهجاً، ومقصداً ومغزىً، فهي الطريق إلى فهمهما والعمدة في إدراك أسرارهما وعليها يتوقف معرفة كثير من وجوه إعجاز القران، فلذا عني العلماء بحفظها في جوانبها المختلفة بشتى الوسائل وتوسعوا في تدوين قواعدها، وبدأوا يضعون قواعد أصول الفقه"([2]) .

فاللغة العربية هي لغة التواصل والتفاهم والخطاب بين العرب، قبل نزول القرآن وأثناء نزوله وبعد نزوله وما زالت حاضرة وافية بمتطلباتها إلى يومنا هذا،

1- الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب، إعجاز القرآن،31،30، ت. السيد أحمد صقر، وانظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 95/2،93،94 .

[2]- الآمدي: علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، مقدمة المحقق: عبد الرزاق عفيفي،4/1.

فهي إذن الحاكم النزيه الناطق بالقول الفصل في دلالة الحرف والكلمة، وفي تفسير آي الذكر الحكيم، فليس أقدر على ذاك ولا أوفى له، من لغة سواها بمبناها ومعناها، في تفسير آياته ولا سيما الحروف المقطّعة التي استهلت بها تسع وعشرون سـورة من سوره عربية المبنى والمعنى، ولا خطوط الهيروغليفية (المصرية القديمة) التي ادعى سعد عبد المطلب العال من قدرتها وحدها - ربما تقديساً لهـا كمـا يـوحي عنوان كتابه - على تفسير الحروف المقطّعة، إذ عنونه بـ (الهيروغليفيـة تفـسر القرآن الكريم/ بما سمي بالحروف المقطّعة)، وقول (بودرع) يكفينا رداً عليه فقال: "وإن اللغة التي ينبغي أن تعد مرجعاً في تفسير القرآن الكريم واستنباط الأحكام منه، هي اللغة التي كانت متداولة في عصر التنزيل، دون الالتفات إلى اللغة الحادثة، وما طرأ عليها في العصور التالية، من تطّور في دلالات الألفاظ، مما لا ينبغي تحكيمه في فهم القرآن الكريم، وبعيد عن الرواسب الفكرية التي يحملها المفـسر فيـسقطها على القرآن، بما يخرج النّص عن بلاغته وأصالته "([1])، وهي بسبيل خلود القـرآن وإعجازه، لا خوف عليها من الانزواء في الاستعمال، إذا ما ترفّع أحـدهم بتـرك التواصل بها، أو بتواصله بغيرها من اللغات مع غيـره، مفتخـراً بقدرتـه علـى التواصل بلغة عصرية وحداثية، تَفْضلُ اللغة العربية على حسب رأيه، أو اسـتجابة للحداثة الفكرية لا الفنية، وإما رغبة في التمدن والتقليد والمحاكاة، فهي العربية التي وسعت كتاب ا لفظاً وغاية ولم تضق بهما ألبتة، لكن إثبات نصية النص القرآنـي تحليلاً وتماسكاً، تتطلب من الدارس المحلّل لنصوصه في ضـوء نظريـة (نحـو النص)، إثبات هذه النصية من خلال استخدام وتطبيق وتحليـل وتحديـد عناصـر التماسك النصي؛ نحواً ودلالة وتداولاً، من خلال هذه النظرية الشمولية، التي جـاد ببعض قواعدها، فكر الدارسين من مفسرين ولغويين وقراء لنصوص القرآن الكريم وعلومه، ومن خلال ما جادت به المعرفة الإنسانية في هذا العصر عند علماء النص من غربيين وشرقيين .

1- بودرع: محمد، منهج السياق في فهم النص: مجلة الأمة : ع 111 ،ص36.

ومما يتصل بالنص القرآني من حيث عالميته وعلميته، فيمكن القول أن أمـر التدبر لآيات القرآن الكريم قد نص عليه القرآن، من غير قيد لهذا التدبر بأن يكـون على وفق منهجية بعينها، أو من قارئ أو مستمع مخصوصين، ثقافياً أو اجتماعياً أو دينياً، وغير محصورين بأي قيد زماني أو مكاني كذلك، فهو نص عالمي شـمولي مقدس، غير مكلّف بتدبره من يؤمن به فقط، بل أشرك سبحانه وتعالى البشر جميعاً في هذه العملية التواصلية يتفاعلون معها ليتأثروا بها، لما فيه خيـرهم فـي الـدنيا والآخرة، ومن غير المعقول والمقبول أن يشرك الله تعالى المبـلغين به على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام بهذه الرسالة التواصلية، حتى ثبت لديهم إمكانية هـذا التواصل، فالنص القرآني في ضوء إحكامه وتفصيله وتحديه، وفي ضـوء سـائر العلوم التي أشارت إليها آيات الكتاب العزيز، استئناساً بما جاء من مفردات تنـدرج تحت مادة (علم)، كالإخبار بما جاء من العلم لأنبيائه، أو بما خـص بـه سـبحانه وتعالى بعض خلقه، أو بما أنعم منه به على سائر خلقه، أو بتفضيله ذوي العلم على غيرهم، أو بما تكّشف من علوم ومعارف إنسانية ألمح إليها، إنّما يدلّ على تنوع هذه العلوم في النص القرآني، وإمكانية الاستفادة منها والإفادة بها أيضاً، فـلا تتحـصل واحدة من ذانيك أو كليهما لأحد، دون تدبر آيات الكتاب العزيز، ولا يعنـي أمـر تحصيل واحدة منهما أو كليهما، إنّما هو مرهون بمستوى ثقافي لدى من رام تـدبر آياته، فالكون وما فيه من آيات، كافية لأمي تَفَكّر فيها، فعلم علم اليقين أن خالقها هو الله وحده العليم الحكيم فآمن به وحده، وفي المقابل لم تكن آية من آيات الكون حاملة ذا علم، على أنْ يكون مثل ذاك الأمي، فجهل مع علمه وإيمانه بأن خالقه هو نفـسه وخالق الأمي وخالق السماوات والأرض، إنّما هو الله وحده فكفر، فعلـوم الكتـاب العزيز ليست حكراً على عالم أو متعلّم دون أمـي لا يقـرأ ولا يكتـب، وليـست مقصورة في علم دون علم من شتى أنواع العلوم والمعارف، فعلوم الكتاب يستطيع أن يغترف منها كلّ حسب ميوله ونزوعه المعرفي، فمهما أوتي الإنسان من علم من سائر أصناف العلم والمعرفة، يظلّ علماً قليلاً كافياً أنعم الله به عليه، وفي سياق هذه النعمة العلمية التي أنعم الله بها على خلقه، وفي سياق الآيات التالية التـي تتحـدث عنها أيضاً، ندرك ذاك العلم القليل الذي أوتي إلينا من ظاهر الآية الخامسة والثمانين

من سورة الإسراء من بين هذه الآيات، قال ا تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ ([1]) .

وفي سياق هذه الشمولية المعرفية والعلمية لكتاب ا العزيز يتساءل السامرائي متعجباً:"... أهو كتاب لغة أم كتاب أدب أم كتاب تشريع أم كتاب اقتصاد أم كتاب تربية أم كتاب تاريخ أم كتاب اجتماع أم كتاب سياسة أم كتاب عقائد أم هو كل ذلك وفوق ذلك؟! عجيب أمر هذا الكتاب! يراه الأديب معجزاً ويراه اللغوي معجزاً، ويراه أرباب القانون والتشريع معجزاً، ويراه علماء الاقتصاد معجزاً ويراه المربون معجزاً، ويراه علماء النفس والمعنيون بالدراسات النفسية معجزاً، ويراه علماء الاجتماع، ويراه المصلحون معجزاً، ويراه كل راسخ في علمه معجزاً"([2])، هذا اللفظ (العلم) الذي ورد في النص القرآني ثمانية وعشرون مرة، يوحي بدلالة التزام تنسجم وتتعالق مع مسألتين راسختين، تمثلان دلالتين من دلالات الحروف المقطّعة، قال ا تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ([3])، وقول ا تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ([4]) .

وفي هذا السياق يؤكد الكاتب الفرنسي (موريس بوكاي) تفوق وتفرد النص القرآني على سواه من النصوص الدينية، من خلال الجملة التي صدرها عن تدوين القرآن بقوله:"إن لأصالة نص القرآن مكانة منفردة بين كتب الوحي، لا ينازعه فيها العهد القديم ولا الجديد، فقد سبق وراجعنا ... التعديلات التي طرأت على العهد القديم والأناجيل، قبل أن تصلنا على ما هي عليه الآن، أما القرآن فليس الأمر بالنسبة إليه كذلك؛ لأنّه دون في عهد الرسول بالذات"([5]) .

1- سورة الإسراء: الآية/ 82 وانظر: الآيات (83- 89) .

[1]- السامرائي: فاضل صالح، التعبير القرآني/ دراسات بيانية في الأسلوب القرآني/20، دار عمار، ط/4، 1427هـ - 2006م .

[3]- سورة الإسراء: الآية/85.

3- سورة الإسراء : الآية/105.

[4]- بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، 157.

فنحن نتعامل مع نص منفتح ومستمر ومتواصل وخالد، إذ إن إمكانية التأويل لبنيته وبناه؛ حروفه وألفاظه وتراكيبه، لا تزال واردة بحكم سلطته، رغم طول العهد بيننا وبين زمن نزوله، فكم قيل في تأويل كثير من مكونات بنيته، ولا أدلّ على كثرة التأويل تلك، من حيث عدم البت والقطع بتأويل متفق أو متواضع عليه، فكلّ ما في النص له علاقه تتجاذب وتتعالق فتتماسك؛ لأجل قصدية النص الكبرى، فالدلالات المتعددة في النص، ما هي إلا دلالات مقصودة لدلالة كبرى مقصودة تجمع دلالات النص المنداحة في فضائه الواسع، تلك الدلالات التي أو المعاني التي كانت تدور في ذهن المبدع، فانطلق بها أولاً بأن اختار عنواناً ينسجم مع دلالة النص وهو في بنيته الكلية الكبرى، ولعل المقولة الشائعة (الكتاب يقرأ من عنوانه) خير قرينة - إن لم ترتق إلى مستوى الدليل - على الانسجام التام بين عنوان النص ومضمونه .

ب - النص القرآني وحال العرب قبل الإسلام.

انصب الاهتمام على جانبين رئيسين في حياة العرب قبل الإسلام، وهما الجانب الديني المتناقض مع الدين الذي ارتضاه القرآن، المتمثل في عبادة الأصنام التي رأوا في إشراكها مع عبادة ا أنها تقربهم من ا زلفى، وهو جانب قد رسخ في عقولهم وعقيدتهم، حتى وصل الأمر إلى أن يقسم بها، وهي لا تضر ولا تنفع، لكنه ألف أباه عليها ولو كان أبوه لا يعقل، تلك هي الثقافة التي ربي عليها: التسليم لنص عرفي جاهلي قسري، قصده التبعية المطلقة، فلن يشرك التابع المتبوع له في التواصل معه، بل هو جزء من النص ذاته يسكنه ويحركه ويستبدله متى شاء، فهو الآمر الناهي الملقى عليه مسؤولية القبيلة، وحامل لوائها ومفتخر لها حتى لو أقدم أحد أفرادها على ارتكاب فعل جرمي يحقق ذاك الغرض، وهو نص متوارث ومقدس مع سكونه، العبث به مرفوض ولو لتعديله ليتحرك، تلك الثقافة والعقلية، التي قُتِلَ وأداً - في ضوئها المظلم الضال عدد من بنات القبيلة في التراب .

وفي السياق العقلي المركوز في طباع العرب قبل الإسلام، وما جاء في طباع غيرهم من الأمم التي جانبت الصواب، يفهم من كلام شتراوس التالي، أن شعوب العالم ذوي جينات واحدة، ولا عبرة لمن له امتيازات اجتماعية مثل تعدد الزوجات

عند الزعماء والشيوخ كما يرى، أو ما وقع من جنايات وآثام كوأد الأطفال فاستثار احتجاجه، فإنّها خالية من أي معنى ومفتقدة لأي مغزى، فهي سخيفة آثمـة، فكـان لزاماً لذلك بلورة علم مبكراً كشف دوافعها، فقال:"... وكان من الـلازم أنْ يتبلـور علم جديد، في حوالي عام 1950م، تحت اسم وراثيات الأقوام، حتى تعود كلّ هـذه العادات التي طُرحت جانباً، بوصفها سخيفة أو آثمة، فتتّخذ بالنسبة لنا معنى يكشف عن مبرراتها ومسوغاتها"([1]).

كما دعا في موضع آخر البشر - إلى جانب محاربة العنـصرية المفترضـة لديهم علماً - إلى نشر المعرفة وتنمية التواصل التي من شأنهما العودة بهـم إلـى عالمهم الواحد، الذي جمعهم قبل آلاف السينين، قال:"هناك سبب أخير يدعو النياس إلى التردد لا في مكافحة الأحكام العنصرية، بالطبع - إذ إن علمه قد ساهم ما فيـه الكفاية بهذه المكافحة - بل في اعتقاد ما يطلب منه غالباً اعتقـاده، مـن أن نـشر المعرفة وتنمية التواصل بين البشر، من شأنهما أن يفلحا يوماً من الأيام في جعـل هؤلاء البشر يعيشون حياة ملؤها التفاهم والوئام، وفـي ظـلّ التقبـل والاحتـرام لتنوعهم"([2]) .

والجانب الآخر الجانب الثقافي المتماثل مع ما جاء به القـرآن لغـة؛ لفظـاً ودلالة، والمتمثل في التنافس فيما بينهم في التصرف في فنون القول؛ شعراً ونثـراً، حتى أخذ هذا الجانب قسماً لا يقلّ عن القسم الذي أخذه الجانـب الـديني، فعقـدت الأسواق لإلقاء الشعر وإبراز المواهب، وعلّقت الأشعار على الكعبة، بله العـادات الاجتماعية المتمثلة في العصبية القبلية والغزوات ووأد البنات دون ذنب، والتفـاؤل والتشاؤم برؤية طائر أو ظاهرة طبيعية لا تقدم ولا تؤخر، ولا تضر ولا تنفع .

فإذا كان الحال كما ذكرنا - بعضه - هكذا قبل مجيء الوحي، أليس غريباً أو عجيباً أن تأتي السور ذوات الحروف المقطّعة بشكل خاص، والسور المكية بـشكل

---

[1] - شتراوس: كلود ليفي، مقالات في الأناسة/235، اختارها ونقلها إلى العربية، حسن قبيـسي، بإشراف فؤاد زكريا، سلسلة الفكر المعاصر، دار التنوير للطباعـة والنـشر والتوزيـع- بيروت، ط/2، 2005 م .

[2] - المرجع نفسه، 253،254.

عام، متحدثة ومهتمة ومركزة على الجانب العقائدي، وافرة غنية بالدلائل والمعجزات، ومتحدية ومحاججة للمشركين، ليس لأجل التحدي أو هادفة إليه، بقدر إقامة الحجة وطلب الدليل والبرهان على دعواهم، مقابل البراهين والأدلة والحجج التي جاء بها النص القرآني، فكلّ ما جاء من آيات، وما جاءت بعدها من آيات في القرآن الكريم، بحروف وكلمات ودلالات ليست غريبة عنهم، بل إن الأهم من ذلك كلّه هو هذا النبي عليه السلام، المبعوث منهم وفيهم؛ لئلا يكون لهم حجة في الإنكار، بل هو حجة عليهم. ولعل أبرز ما يمكن تسجيله في هذا السياق، هو الأثر النفسي الذي أحدثه القرآن الكريم بدعوته إلى رب واحد وهذا ما لم يرقْ؛ لهم إذ ما زالوا عاكفين على دين آبائهم وأجدادهم، وكذلك الأثر النفسي الذي تركه في نفوسهم الخاص بالجانب الثقافي الذي يفخرون به، إذ أثّر النص القرآن من خلال تعاليه على أدبهم؛ فصاحةً و نظماً، باختيار ألفاظه وتنويعه لها، وطريقة نظمه وتحديه لهم بها أيضاً، فأين قيمة ما قالوا وعلّقوا ؟ وما موقفهم من أنفسهم ومن بعضهم بعضاً، وهم مدركون في أنفسهم وفيما بينهم، بأن نظم القرآن: ألفاظه و أسلوبه وفصاحته وتركيبه، في مخاطبتهم هي حجة عليهم، ليشهدوا بوحدانية منزله وصدق المنَزل عليه المبلغ له، في الجانب اللغوي لا من الجانب الديني؟ بمعنى أن يكون إقرارهم للغة القرآن؛ لفظاً ونظماً ودلالةً وتداولاً حجة لأن يقروا بأنّه من لدن إله واحد عليم خبير، فمنطق الأشياء يقر بأنه إذا ما أراد شخص ما أن يحرك ويفُعل ويؤثر في شخص ما، أو أن يحدث أمراً هاما عند شخص، فإن عليه التوجه إلى الجانب أو الموضوع الذي يعطيه جلّ اهتمامه ومحط فخره واعتزازه، فكان الجانب الديني واللغوي أعظم تأثيراً في حياة العرب قبل الإسلام من أي جانب آخر، فأراد ا تعالى الخير والفلاح لهذه الأمة، وإخراجها من التيه الداخلة به، ليثني - بكتابه العزيز وبرسوله المنزل عليه هذا الكتاب، متلقين وأجيالاً منهم عكفوا على نص مظلم ورثوه من أسلافهم، إلى عدل ونور ورحمة، بنص إلهي بديلاً عن ذاك النص، وبلسان نبي عرفوه بالصادق الأمين محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وقبل أنْ أترك الحديث عن الحال التي كان العرب عليها في جاهليتهم، أذكر بأن هذا الحال قد أبان عنها النص القرآني بكلّ وضوح، وأختم هذا الحديث عن هذا

الحال، بما أورده عبد ا دراز عنها، في جانبيه الخلقي والاجتماعي، أما العقائدي؛ فبان لنا من خلال اتّخاذهم أصناماً يعبدونها من دون ا تقربهم زلفـى إليـه كمـا يعتقدون، :" وأما الجانب الخلقي والاجتماعي فلم يكن أسعد من ذلـك حـالاً، فـوأد الأطفال والبغاء وزنا المحارم، وابتزاز المهور وإرث نساء الأقارب كرهـاً وظلـم اليتامى، والجشع وإهمال الفقراء وازدراء الضعفاء، كان هو الطابع الغالب، بـل إن المروءة العربية المشهورة كان القرآن يعتبرها عاطفة في غير موضعها، ملطخـة بالرذيلة والفساد، إن لم تكن الفساد بعينه؛ فلم يكن منها سوى الإسراف والمباهـاة، وباختصار كانت حياتهم حياة (الـضلال المبـين)، وزمـانهم زمـن " الجاهليـة الأولى"([1]).

ج ـ سمات السور ذوات الحروف المقطّعة:

إن النص القرآني الممثل بالسور القرآنية التي ا ستهلت بـالحروف المقطّعـة بشكل خاص، هو ضمن النص الكامل للقرآن الكريم، فقد شكلّت هذه الـسور قـسماً كبيراً من بنية النص القرآني المكتوبة؛ إذ شكلّت سورتا البقرة وآل عمران كلاهما، أربعة أجزاء إلا أربعة وعشرين آية من سورة النساء انضمت مع الجـزء الرابـع، وكذلك كثرة من ألّف في علوم القرآن، فوضع لحروف وألفـاظ وتراكيـب بعينهـا مؤلفات خاصة، حملت عنوانات للمتشابه والمشكل والغريب، نحو: مشكل إعـراب القرآن، ومتشابه القرآن، وغريب القرآن وغيرها من الكتب، وجمْع هذه السور فـي هذه المجموعات، إنما هو لجمع الموضوعات الرئيـسية التـي تعـد أبنيـة كبـرى وصغرى، وتشكّل وحدات موضوعية محورية واحدة بين تلك السور، وللوقوف على المحور الرئيس العام لهذه السور، الذي يمكن أنْ نعده الموضوع المحوري المركزي الذي تقصده تلك البنى الصغرى والكبرى للنص، فتجتمـع ضـمن إطـاره العـام، وباعتباره المحور الذي يمثل الوحدة الموضوعية الكبرى، التي يمكـن عـدها مـن جانب آخر، جوهر بنية النص الكلّية الكبرى.

[1] - دراز: مدخل إلى القرآن الكريم، 130،131.

عند النظر في أغلب السور المستهلة بالحروف المقطّعة، فإن ثمة تركيباً سطحياً ملحوظاً يستوقفنا عند الآية التالية لها، وهو التنويه بالقرآن الكريم، سواء أكان هذا التنويه يشكل الآية الثانية أو الثالثة، أم شكّل مع الحروف المقطّعة قبله آية، وصفاً له، أو لكيفية نزوله أو وحيه، أو تنزيهاً له أو قسماً به أو إنذارا أو تبليغاً له من متلقيه الأول ومن متلقيه الثاني، فمن السور ذوات الحروف المقطعة التي تحقق فيها هذا التركيب: البقرة، آل عمران، الأعراف يونس، هود، ص، ق، يوسف، طه، يس، الحواميم، الطواسين، إبراهيم، الحجر، كما نجد في بعض السور ذوات الحروف المقطّعة، وفي غيرها من سور القرآن الكريم، مواضع تنّوه بالقرآن الكريم، وذلك من التحدي بسورة من مثله، أو بعشر سور مثله، كما نجد أن هذه التنويهات بشكل عام قد جاءت في أول السور أو في وسطها أو في آخرها، كما نجد تطابقاً في المعنى المستشف من ذكر القرآن أو أحد أسمائه؛ الكتاب أو الفرقان، أو مسمى آية أو سورة من سوره كما في (أم الكتاب)، بله التطابق اللفظي الكلي أو الجزئي في آيات كثيرة في جميع سور القرآن، وهذا يدلنا على مدى التماسك والانسجام والترابط، لفظاً ومعنى وسياقاً في هذه السور بشكل خاص وفي النص القرآني بشكل عام، وللوقوف على التراكيب التي تلت الحروف المقطّعة والتي تتضمن تنويهاً بالقرآن الكريم، نذكر هذه التراكيب؛ لرصد العلاقة بين هذه الحروف والقرآن الكريم من جهة، وعلاقة القرآن بمنَزله والمنزل عليه، فسأذكر هذه الآيات على النحو التالي:

قال ا تعالى: الر تِلْكَ آياتُ الْكِتَابِ الْحكِيمِ ([1])،

قال ا تعالى: الر تِلْكَ آياتُ الْكِتَابِ الْمبِين ([2]).

قال ا تعالى: المر تِلْكَ آياتُ الْكِتَابِ والذِي أُنْزِلَ إِلَيْك مِنْ ربك الْحق ولَكِن أَكْثَر الناسِ لا يؤْمِنُون ([3]).

---

[1] - سورة يونس: الآية/1.

[2] - سورة يوسف: الآية/1.

[3] - سورة الرعد: الآية/1.

الر تِلْكَ آَياتُ الْكِتَابِ وقُرْآَنٍ مبِينٍ (1).

طسم (1) تِلْكَ آَياتُ الْكِتَابِ الْمبِين (2) .

طس تِلْكَ آَياتُ الْقُرْآَن وكِتَابٍ مبِينٍ (3).

طسم (1) تِلْكَ آَياتُ الْكِتَابِ الْمبِين (4) .

الم (1) تِلْكَ آَياتُ الْكِتَابِ الْحكِيمِ (5) .

بلغ عدد السور التي ورد فيها اسم الإشارة تسع سور مع سورة البقرة، ويلاحظ أن اسم الإشارة الوارد فيها هو (تلك)، والمشار إليه واحد هو (آيات) وقد وقع بعد اسم الإشارة، والمضاف إليه هو لفظة (الكتاب) ما خلا المضاف إليه في سورة النمل، إذ استبدلت لفظة الكتاب بلفظة (القرآن)، وجاءت لفظة (الحكيم) صفة للفظة الكتاب في سورتي يونس ولقمان، وجاءت لفظة (المبين) صفة للكتاب في ثلاث سور هي (يوسف، الشعراء، القصص)، وثبت الوصف (مبين) مع تبادل الموصوفين، وهما لفظتا (قرآن و كتاب)، إذ عطفت لفظة (قرآن مبين) على لفظة الكتاب في قوله تعالى:" تلك آيات الكتاب وقرآن مبين " في سورة الحجر، وعطفت لفظة (كتاب مبين) على لفظة القرآن في قوله تعالى:" تلك آيات القرآن وكتاب مبين " في سورة النمل .

أما السور التي خلت من اسم الإشارة بعد ذكر الحروف المقطعة، فقد جاء في موقع اسم الإشارة الاسمان الظاهران وهما (الكتاب أو القرآن) أو جملة (تنزيل الكتاب)، أما السورة التي استهلت بالحروف المقطعة الثلاثة (الـم)، وجاء التنويه فيها بالقرآن الكريم في الآية الثالثة، فهي سورة آل عمران، قال ا تعالى: الم* الله لا إِلَه إِلا هو الْحي الْقَيوم* نَزلَ علَيْك الْكِتَاب بِالْحق مصدقًا لِما بيْن يديْهِ وأَنْزلَ

---

1 - سورة الحجر: الآية/1.

2 - سورة الشعراء: الآيتان/1،2.

3 - سورة النمل: الآية/1.

4 - سورة القصص: الآيتان/1،2..

5 - سورة لقمان: الآيتان/1،2.

التوْراةَ والإنْجِيلَ (1)، ولقد ذكرنا بعض دلالات الحروف المقطّعة (الم) في سـورة البقرة، ويبدو أن بعض المعاني التي تم تأويلها لبعض هذه الحروف، قد أبانت عنها الآية الثانية من هذه السورة، وكذلك تطابق ألفاظ من هذه الآية مع تفسير ابن عباس بشكل خاص وبعض تأويلات المفسرين بشكل عام، ويبدو أيضاً أن هذه التـأويلات التي تربط الآية الثانية بالأولى، والثالثة بالثانية، والثالثة بالأولى، تتماشى من حيـث كون الآية الثانية هي تفسير للآية الأولى، استناداً إلى تفسير القرآن بالقرآن، فكمـا الألف دالّة في شكلها الأيقوني وهو السطر القائم المعتدل، فنفي الريب نفي لدلالة أي لفظ يدخل ضمن الحقل الدلالي للفظة (الريب)، فأي ريب يعنـي عـدم الوضـوح، والواضح البين علامة من علامات أي شيء يتصف بالاستقامة، وهذا يرتبط ارتباطاً من خلال المعنى المتأول للألف ونفي الريب، مع ظاهر اللفظ وعمقه لصفة المستقيم الموصوف بها الصراط، الذي دعا المتلقي ربه الهداية إليه، وهو غير الـصراطين اللذين دخلهما الريب (الشك ومنه الوهم، الظن) .

أما السور التي لم يرد فيها بعد الحروف المقطّعة ما يشير أو ينـوه بـالقرآن الكريم مع الحروف المقطعة في الآية الأولى، أو بعدها في موضع قريب منها فـي الآية الثانية أو الثالثة، فبلغت ثلاث سور هي: مريم ، العنكبوت ، الـروم، وجـاء التنويه بالقرآن الكريم في متن هذه السور، قال تعالى: فَإنما يسرْنَاه بِلِسانِك لِتُبـشر بِهِ الْمتقِين وتُنْذِر بِهِ قَوْمًا لُدا (2)، فالضمير في (يسرناه) و (به) من الآية، يحيلان إحالة ذاتية متطابقة إلى القرآن الكريم، وقال تعالى: ولَقَدْ ضربْنَا لِلناسِ فِـي هـذَا الْقُرْآن مِنْ كُل مثَلٍ ولَئِنْ جِئْتَهمْ بِآيةٍ لَيقُولَن الذِين كفَروا إِنْ أَنْتُمْ إِلا مبْطِلُـون (3)، وقال تعالى: اتْلُ ما أُوحِي إِلَيْك مِن الْكِتَابِ وأَقِمِ الصلاةَ إِن الـصلاةَ تَنْهـى عـن الْفَحْشَاءِ والْمنْكَر ولَذِكْر اللهِ أَكْبر والله يعْلَم ما تَصْنَعون (4) .

1- سورة آل عمران: الآيات،1-3 .

2- سورة مريم: الاية/ 97 .

3- سورة الروم، الاية/ 85.

4- سورة العنكبوت، الاية/ 45 .

فمن خلال الوقوف على سمات السور ذوات الحروف المقطّعة، يبدو أن كـلّ سورة تكاد تختص بميزة لها عن السورة الأخرى، فسورة البقرة تفردت بأن الآيـة الثانية منها، استهلت باسم إشارة لم يرد في أي سورة أخرى من بين تلك السور، فلم يأتِ اسم الإشارة (ذلك) إلا في سورة البقرة وذكر مرة واحدة .

3.1 مواقف المفسرين واللغويين والنحاة من الحروف المقطّعة.

أ ـ مواقف المفسرين من الحروف المقطّعة.

انقسمت تفاسير أهل السنة للقرآن الكريم على قسمين: قسم عـرف بالتفـسير بالمأثور، وقسم عرف بالتفسير بالرأي، وليس من هدف الدراسة التفصيل في هذين القسمين إيجاباً وسلباً، بقدر ما تهدف إلى الوقوف على معرفة بعـض أصـحابهما ومواقفهما من الحروف المقطّعة، من حيث وجوب التكلّم عنها أو عدمـه، ففريـق ذهب إلى وجوب الكلام عنها، وفريق آخر ذهب إلى عدم جواز ذلك، لذا لجأ كـلّ فريق إلى الاستشهاد بالآيات والأحاديث والمعقولات لتعزيز مواقفهم، قال الرازي:" للناس في قوله تعالى: "الم" وما يجري مجراه من الفواتح قولان: أحدهما: أن هـذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله تبارك وتعالى به، وقال أبـو بكـر الـصديق رضي الله عنه: في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور، وقـال علـي رضي الله عنه: إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي...وسـئل الشعبي عن هذه الحروف فقال: سر الله فلا تطلبوه، وروى أبو ظبيـان عـن ابـن عباس قال: عجزت العلماء عن إدراكها، وقال الحسين بن الفضل: هو من المتشابه، واعلم أن المتكلمين أنكروا هذا القول، وقالوا لا يجوز أن يرد في كتاب الله تعالى ما لا يكون مفهوماً للخلق، واحتجوا عليه بالآيات والأخبار والمعقول"([1]).

أما موقف الفريق الأول الذي رأى ضرورة التفكير فيها والوقوف على معانيها، فيمثّله الجمهور من العلماء:" بل يجب أن يتكلم فيها وتلتمس الفوائـد التـي تحتهـا

---

[1] - الرازي: مفاتيح الغيب : 3/1، 4. دار الفكر:1410هـ، 1990م.

والمعاني التي تتخرج عليها"([1])، وقد تعددت آراؤهم فيها، وكـان مـرجعهم حـول الكلام فيها الاستدلال بعددٍ من الآيات والأحاديث والمعقول وما جـاء علـى لـسان العرب من نثر أو شعر([2])، أما موقف الفريق الذي لم يتكلّم فيها فذكره الرازي مـن خلال ما جاء عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم من أقوال كالتي ذكرها الرازي آنفاً، دع عنك تحرج بعض الصحابة عن القول بمعنى كلمة من كلمات القرآن عـن طريق التأويل عن الأخبار التي نقلتها إلينا بعض كتب القدماء .

وكما كان الخلاف قائماً في الكلام عنها، كان التباين قائماً بين منْ تكلّـم فـي دلالتها من الفريق الأول؛ إذْ تعددت تأويلاتهم التي وصلت إلى أكثر مـن عـشرين قولاً فيها، فقد أورد أغلب المفسرين كلّ ما قيل في معناها الفوقي والتحتـي، فمـن المفسرين القدماء الذين أوردوا ذلك ونصوا على أسماء منْ تكّلم بها أيضاً، الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن، ومن المفسرين المحدثين الذين أوردوا ذلك أيضاً ابن عاشور في التحرير والتنوير([3])، فقد أورد الطبري أكثر من رواية في معانيهـا نسبها لابن عباس في هذا النوع أيضاً، فقال: هو قَسم أقسم الله به، وهو من أسـماء الله " عن أبي الضحى، عن ابن عباس:"ألم" قال: أنا الله أعلم...قال: حدثنا شعبة، قال: سألت السدي عن"حم" و"طسم" و"ألم"، فقـال: قـال ابـن عبـاس: هـو اسْـم الله الأعظم...وعن أبي صالح، عن ابن عباس وعن مرة الهمداني، عن ابـن مـسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم: " الم " قال : أمـا "الـم" فهـو حرف اشتُق من حروف هجاء أسماء الله جل ثناؤه، كما ذكر الطبـري أكثـر مـن رواية لمنْ تحدث عنها تحت هذا النوع، فمنها قـول سـعيد بـن جبيـر، قـال: قوله:"الـم"، قال: أنا الله أعلم، وقول الشعبي قال: فواتح الـسور مـن أسـماء الله ،

1- ابن عطية، المحرر الوجيز: 95/1، ت. المجلس العلمي بفاس، وانظر: أبو حيان: محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي (654-754هـ)، البحر المحـيط، 60/1، ومـا بعـدها، دار الفكر/1426-2005م.

2- انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، 4،3/1، ط 2.

3- انظر: الطبري: جامع البيان: 205/1-224، ابن عاشور: التحرير والتنوير: 207/1 ومـا بعدها، الدار التونسية للنشر/1984.

وأقوال أخرى منها: أنها رموز لأسماء الله تعالى وأسماء الرسول صلى الله عليه وسلم والملائكة"([1])، وذكر ابن عاشور قول علي رضي الله عنه تحت هذا النوع بقوله:"علم استأثر الله تعالى به ونسب هذا إلى الخلفاء الأربعة في روايات ضعيفة، ولعلهم يثبتون إطلاع الله على المقصود منها رسوله صلى الله عليه وسلم وقاله الشعبي وسفيان"([2])، وقال بعضهم:هي حروف مقطعةٌ من أسماء وأفعالٍ، كل حرف من ذلك لمعنى غير معنى الحرف الآخر، أي أن كل حرف يرمز إلى كلمة فنحو: (الم) أنا الله أعلم، و" المر" أنا الله أرى، و"المص" أنا الله أفصل، وقال أبو حيان:" وقيل: حروف تدل على ثناء أثنى الله به على نفسه، وقال ابن عباس: "الم" أنا الله أعلم، والر أنا الله أرى، و"المص" أنا الله أفصل. وروي عن سعيد بن جبير مثل ذلك. وروي عن ابن عباس أن: الألف: من الله، واللام: من جبريل، والميم: من محمد صلى الله عليه وسلم ويشار إلى أن هذه الدراسة ستهتم ببعض تفاسير أهل السنة المدونة التي عدت تفاسيرهم تفاسير محمودة، كما عد بعض أصحابها رؤوساً في التفسير، بحسب قول السيوطي في طبقاته بحق الطبري:" رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم ([3])".

وذكر السيوطي أربع طبقات للمفسرين، جاعلاً القسمين الأولين منهما مناط التسمية، الأول: المفسرون من السلف والصحابة والتابعين وأتباع التابعين.
الثاني: المفسرون من المحدثين، وهم الذين صنفوا التفاسير مسْنَدَةً مورداً فيها أقوال الصحابة والتابعين بالإسناد، وترجم لأصحاب القسمين الأولين في طبقات الفقهاء .

---

[1]- انظر : الطبري: جامع البيان: 205/1-208.

[2]- ابن عاشور: التحرير والتنوير: 206/1،207،

[3]- السيوطي: طبقات المفسرين: 82 . دار الكتب العلمية . بيروت- لبنان. ط1403/1 هـ، 1983م. مراجعة وضبط/ لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

الثالث: بقية المفسرين من علماء أهل السنة، الذين ضموا إلى التفسير التأويل والكلام على معاني القرآن، وأحكامه، وإعرابه وغير ذلك، وهو الذي الاعتناء به في هـذا الزمان أكثر .

الرابع: من صنّف تفسيراً من المبتدعة، كالمعتزلة والشيعة وأضرابهم .

وخص السيوطي أصحاب القسمين الأولين تسميتهم بالمفسرين فقـال:"والـذي يستحق أن يسمى من هؤلاء، القسم الأول، ثم الثاني، على أن الأكثر في هذا القـسم نَقَلَة، وأما الثالث فمؤَولَة؛ ولهذا يسمون كتبهم غالباً بالتأويل . ولم أستوفِ أهل القسم الرابع، وإنمـا ذكـرت مـنهم المـشاهير كالزمخـشري، والرمـاني، والجبـائي وأشباههم"([1]).

وقد أخذ الطبري بالرأي الجامع لكل الأقوال، مستثنياً رأي مَنْ تأول من أهـل العربية أن هذه الحروف ذلك الكتاب، قال:" والصواب في تأويل ذلك عندي: أن كلّ حرف منه يحوي ما قاله الربيع، وما قاله سائر المفسرين غيره فيه - سـوى مـا ذكرتُ من القول عمن ذكرت عنه من أهل العربية: أنه كان يوجه تأويلَ ذلك إلى أنّه حروف هجاء، استُغني بذكر ما ذُكر منه في مفاتيح السور، عن ذكر تتمة الثمانيـة والعشرين حرفًا من حروف المعجم، بتأويل: أن هـذه الحـروف ذلـك الكتـاب، مجموعة، لا ريب فيه - فإنّه قول خطأ فاسد، لخروجه عن أقوال جميع الـصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين مَنْ أهل التفسير والتأويل"([2]).

وتعرضت كتب الصوفية للحروف المقطّعة أثناء تفسير أصحابها لـبعض آي القرآن الكريم، إذ إن التفسير الصوفي جاء مقتضباً، وجاء بعضه منثوراً ومبعثراً في مراجع أهل الصوفية الكبرى، وقد خصت به آيات منتقاة، كما أن التفسير الـصوفي حافل بالباطن والنزعات التي يبرأ منها دين ا وكتابه العزيز، كما جاء في تفـسير

---

[1]- ومنها أيضاً: معالم التنزيل للبغوي، والمحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي، المنثـور فـي التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي، واشهر كتب التفسير بالرأي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي وغرائـب القـرآن ورغائـب الفرقان للنيسابوري، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود.

[2]- الطبري: جامع البيان : 217/1 .

المنار، وهو يتحدث عن تفسير ابن عربي، ولا أريد أنْ أمضي حاشداً لما قيل في جنْب بعض تفاسير أهل التصوف ولم أكنْ هادفاً إليه أيضاً، وإنما اقتضت طريقتهم في التفسير ذلك، قال السيوطي:" وأما الذين أخطأوا في الدليل لا في المدلول، كمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء، يفسرون القرآن بمعان صحيحة في نفسها، لكن القرآن لا يدل عليها، مثل كثير مما ذكره السلمي في الحقائق..."([1])، ولعل الذي دفع منْ طعن في التفسير الصوفي، هو بسبب دعوى الوجود في كل ما ينتهي إليه تفسيرهم الباطن لآي القرآن الكريم، ولا أدلّ على ذلك من كثرة تأويلات (ابن عربي/ت: 638) ـ الذي يعد شيخ الصوفية ـ للحروف المقطعة واستطراده في شرحها وتفسيرها، ففي كلّ شرح وتفسير يخرج من تأويل إلى تأويل، إلى أن ينتهي بالقارئ في سلسلة من التأويلات، كما أن ما سمي بالشطحات الصوفية بارزة في كلام ابن عربي، سواء أكان مصطلحاً ظاهراً نحو: الحضور، أهل الكشف، طريق الأسرار، طريق الأذن، الوجود، الذات الحضرة الإلهية، أم ما يجد له من تفسير لها فيقف عنده، وللتمثيل لا للحصر نورد بعض بعض كلام ابن عربي الذي يؤكد على تلقيه فيضاً من الوجدانيات من سحائب الغيب الإلهي، قال:" فلنتكلم على (الم) البقرة التي هي أول سورة مبهمة في القرآن، كلاماً مختصراً من طريق الأسرار، وربما الحق بذلك الآيات التي تليها، وإن كان ذلك ليس من الباب، ولكن فعلته عن أمر ربي الذي عهدته، فلا أتكلم إلا على طريق الإذن، كما أني سأقف عندما يحد لي، فإن تأليفنا هذا وغيره لا يجري مجرى التواليف، ولا نجري نحن فيه مجرى المؤلفين، فإن كل مؤلف إنما هو تحت اختياره، وإن كان مجبوراً في اختياره، أو تحت العلم الذي يبثه خاصة، فيلقى ما يشاء ويمسك ما يشاء، أو يلقي ما يعطيه العلم وتحكم عليه المسألة التي هو بصددها حتى تبرز حقيقتها، ونحن في تواليفنا لسنا كذلك، إنّما هي قلوب عاكفة على باب الحضرة الإلهية، مراقبة لما ينفتح له الباب فقيرة خالية من كل علم"([2]).

---

[1] - السيوطي: الاتقان: 180/4.

[2] - ابن عربي: الفتوحات المكية: 59/1.

ويقتضي المقام هنا أنْ اقتبس كثيراً مما جاء في كتاب ابن عربي في كلامه عن فاتحة سورة البقرة (الم)؛ لنقف على مدى الغوص والتعمق في كل مـا يلمـح بـه التأويل الباطن ودعاوى وحدة الوجود، قال: "الألف من الم إشـارة إلـى التوحيـد، والميم للملك الذي لا يهلك، واللام بينهما واسطة؛ لتكون رابطة بينهما، فانظر إلـى السطر الذي يقع عليه الخط من اللام، فتجد الألف إليه ينتهي أصلها، وتجد الميم منه يبتدئ نشوها، ثم تنزل من أحسن تقويم، وهو السطر إلى أسفل سافلين منتهى تعريق الميم، قال تعالى:" لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسـفل سـافلين ([1])، ونزول الألف إلى السطر، مثل قوله: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا، وهو أول عـالم التركيب؛ لأنّه سماء آدم عليه السلام، ويليه فلك النار، فلذلك نزل إلى أول الـسطر، فإنّه نزل من مقام الأحدية إلى مقام إيجاد الخليقة، نزول تقديس وتنزيـه، لا نـزول تمثيل وتشبيه، وكانت اللام واسطة، وهي نائبة مناب المكون والكون، فهي القـدرة التي عنها وجد العالم، فأشبهت الألف في النزول إلى أول الـسطر، ولمـا كانـت ممتزجة من المكون والكون، فإنّه لا يتصف بالقدرة على نفسه، إنّما هو قادر علـى خلقه، فكان وجه القدرة مصروفاً إلى الخلق، ولهذا لا يثبت للخالق إلا بالخلق، فلابد من تعلقها بهم علواً وسفلاً، ولما كانت حقيقتها لا تتم بالوصول إلى السطر، فتكـون والألف على مرتبة واحدة، طلبت بحقيقتها النزول تحت السطر أو على السطر، كما نزل الميم، فنزلت إلى إيجاد الميم، ولم يتمكن أن تنزل على صورة الميم، فكـان لا يوجد عنها أبداً إلا الميم، فنزلت نصف دائرة حتى بلغت إلى السطر من غير الجهة التي نزلت منها، فصارت نصف فلك محسوس يطلب نصف فلك معقـول، فكـان منهما فلك دائر، فتكون العالم كله من أوله إلى آخره في ستة أيام، أجناساً مـن أول يوم الأحد إلى آخر يوم الجمعة، وبقي يوم السبت للانتقالات من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام، والاستحالات من كون إلى كون ثابت على ذلك لا يزول ولا يتغيـر، ولذلك كان الوالي على هذا اليوم البرد واليبس، وهو من الكواكب زحل، فصار (الم) وحده فلكاً محيطاً، من دار به علم الذات والصفات والأفعال والمفعولات...فـالألف

---

[1] - سورة: التين: الآية/5 .

ذات واحدة لا يصح فيها اتصال شيء من الحروف إذا وقعت أولاً في الخط، فهـي الصراط المستقيم الذي سألته النفس في قولها اهدنا الصراط المستقيم، صراط التنزيه والتوحيد، فلما أمن على دعائها ربها، الذي هو الكلمة الذي أمرت بالرجوع إليه في سورة الفجر، قبل تعالى تأمينه على دعائها، فأظهر الألف مـن (الـم) عقيـب ولا الضالين، وأخفى آمين؛ لأنّه غيب من عالم الملكوت...وتقرر أن الألـف هـي ذات الكلمة، واللام ذات عين الصفة، والميم عين الفعل، وسرهم الخفـي هـو الموجـد إياهم"([1]).

وأورد ابن عاشور رأياً جزم به ابن عربي، وهو قوله:" إن هاتـه الحـروف المقطعة في أوائل السور أسماء للملائكة، وأنها إذا تليت كانت كالنـداء لملائكتهـا، فتصغي أصحاب تلك الأسماء إلى ما يقوله التالي بعد النطق بها، فيقولون صدقت إن كان ما بعدها خبر، ويقولون هذا مؤمن حقاً نطق حقاً وأخبر بحق فيستغفرون لـه، وهذا لم يقله غيره وهو دعوى"([2]).

وكما هو ظاهر بين من كلام ابن عربي اتصاله بالذات الإلهية، فما قاله لـيس متأتياً متأولاً عن طريق العقل، بل من نظرية الوجود عنده، وقـد غلّـب صـبحي الصالح الشطحات على تفاسير الصوفية بقوله:" ويغلب علـى تفاسـير المتـصوفة الشطحات التي تبعدهم عن النسق القرآني، وتجعل كلامهم غامضاً إلا على المشتغل بالشؤون الروحية، الذي تعلم أساليب المتصوفة ومرن عليها...فالتـذوق الوجـداني القائم على ضرب من الحدس النفسي هو الذي يسود هذه الشروح، ولذلك تكثر فيـه العبارات الغامضة التي ليس وراءها طائل، والدين لا يؤخذ من ذوق المتذوقين، ولا وجد المتواجدين"([3])، ولعل هذا الحكم الذي - كما يبدو - حكم به علـى تفاسـير الصوفية، خاص في هذا الجانب الوجداني وحده، عندما يتنزل على الـصوفي مـا

---

[1]- ابن عربي : الفتوحات المكية: 1 / 61،62.

[2]- انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، 1/ 207،208، وابن عربي: الفتوحات المكيـة: 2/ 448.

[3]- الصالح: صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، 295،296، ط 2005/26، دار العلـم للملايين ، بيروت – لبنان .

يتنزل من غياهب السحب الإلهية وهو في لحظات الحضرة الإلهية، إذ وجدنا عند ـ بعض المفسرين الصوفيين ـ تفاسير تتفق مع تفاسير أهل السنّة، وكذلك الآيات التي فسروها كلّها ليست كذلك، إلا ما جاء من مصطلحات مقرونة معها تدلّ في الأخـذه عليهم والطعن بتفاسيرهم، إذ لم نجد تلك التأويلات عند القشيري فـي أول تفـسيره لآية البقرة، ولم نجده قد أطال كما أطال ابن عربي أيضا([1]) .

ومن تفاسير الصوفية للحـروف المقطّعـة، مـا جـاء فـي تفـسير سـهل التستري:ت/283هـ، لـ (الم) قال سهل: "الم ذَٰلِكَ الكتاب" الألف ا ، واللام العبد، والميم محمد صلى ا عليه وسلم، كي يتصل العبد بمولاه من مكان توحيده واقتدائه بنبيه"([2]) .

أما القشيري في تفسيره للحرف الواحد من الحروف المقطّعة أو للحروف كلّها فمتعدد، إذ يذكر مرة المعنى نفسه للحرف الذي يتكرر، ومرة أخرى يـضع لكـل حرف منها معنى آخر، كما جاء لها بمعان سيميائية؛ إشـارية ورمزيـة، فقـال:" والأِلف من بين سائر الحروف انفردت عن أشكالها بأنها لا تتصل بحرف في الخط وسائر الحروف يتصل بها إلا حروف يسيرة، فينتبه العبد عند تأمل هذه الصفة إلى احتياج الخلق بجملتهم إليه، واستغنائه عن الجميع، ويقال يتذكر العبد المخلص مِـنْ حالة الألف تَقَدس الحق سبحانه وتعالى عن التخصص بالمكان؛ فإن سائر الحروف لها محل من الحلقْ أو الشفة أو اللسان إلى غيره من المدارج غيـر الألـف فإنهـا هوائية، لا تضاف إلى محل، ويقال الإشارة منها إلى انفراد العبد سبحانه وتعالى، فيكون كالألف لا يتصل بحـرف، ولا يزول عن حالة الاستقامة والانتـصاب بـين يديه، ويقال يطالب العبد في سره، عند مخاطبته بالألف بانفراد القلب إلى ا تعالى، وعند مخاطبته باللام يلِّين جانبه في (مراعاة) حقه، وعند سماع الميم بموافقة أمـره فيما يكلفه، ويقال اختص كل حرف بصيغة مخصوصة وانفردت الألـف باسـتواء

---

[1]- انظر: القشيري : لطائف الإشارات، 54/1 ، ت: ابراهيم بسيوني.

[2]- التستري: أبو محمد سهل بن عبد ا ، تفـسير التـستري: 25/1، علـق عليـه ووضـع حواشيه/محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيـضون، دار الكتـب العلميـة، بيروت- لبنان، ط/1423،1هـ- 2002 م .

القامة، والتميز عن الاتصال بشيء من أضرابها من الحروف، فجعل لهـا صـدر الكتاب، إشارة إلى أن من تجرد عن الاتصال بالأمثال والأشغال، حظِـي بالرتبـة العليا، وفاز بالدرجة القصوى، وصلح للتخاطب بالحروف المنفردة، التي هي غيـر مركبة، على سنة الأحباب في ستر الحال، وإخفاء الأمر على الأجنبي من القـصة، قال شاعرهم:

قلت لها قفي قالت قاف لا تحسبي أنا نسِينا الإيجاف

ولم يقل وقفت ستراً على الرقيب، ولم يقل لا أقف مراعاة لقلب الحبيب، بل: قالـت قاف، ويقال تكثر العبارات للعموم والرموز والإشارات للخصوص، أسْمع موسـى كلامه في ألف موطن، وقال لنبينا محمد صلى ا عليه وسلم:أَلِـ فْ، وقـال عليـه السلام:"أوتيتُ جوامْع الكلِم فاختُصِر لي الكلام اختصارًا"([1]) .

ويبدو أن القشيري قد تعامل مع بعض الحروف المقطعة، على أنها أسـماء عز وجل، أكثر من تعامله مع أي معنى آخر لها، ويظهر هذا في تفسيره لـ (الـم) من سورة آل عمران، بقوله: " أشار بقوله ألف إلى قيامه بكفايتـك علـى عمـوم أحوالك، فأنت في أسر الغفلة لا تهتدي إلى صلاحك ورشدك، وهو مجرٍ ما يجبرك، وكافٍ بما ينصرك، فبغير سؤالك بل بغير علمك بحالك يكفيك من حيث لا تـشعر، ويعطيك من غير أن تطلب، والإشارة من اللام إلى لطفه بك في خفي السر، حتـى إنه لا يظهر عليك محل المنة فيما يثبتك فيه، والإشارة من الميم؛ لموافقـة جريـان التقدير بمتعلقات الطلْبةِ من الأولياء، فلا يتحرك في العالم شيء، ولا تظهر ذرة إلا وهو بمحل الرضا منهم...وصفى الأسرار عن المعتادات والمعهودات، يـرد هـذا الاسم وهو قوله:" ا " على قلب مقدسٍ من كل غيْرٍ، وسِر مصفى عن كل كيـف؛ فقال:" الم ا ُ لاَ إِلَه إِلا هو الحي القَيوم "، فهو الذي لا يلهو فيشتغل عنك، ولا يسهو فتبقى عنه، فهو على عموم أحوالك رقيب سِـرك؛ إنْ خلـوتَ فهـو رقيبـك، وإن توسطت الخَلْقَ فهو رقيبك، وفي الجملـة - كيفمـا دارت بـك الأحـوال - فهـو

---

[1]- القشيري : لطائف الإشارات 53/1،54.

حبيبك"([1]). ويمكن أن نسجل ملاحظة منهجية تخص العلاقة بين ما جاء من دلالات في هذه الدراسة، بفعل استفادتها من نظرية العلامات أو السيميائيات، وما جاء من أقوال للصوفية بشكل خاص، فبكثير من أقوالهم وتأويلاتهم، قد مثّل ما جاءت به نظرية العلامات أو السيميائيات من دلالات.

ويبدو أن تفاسير الصوفية ليست كلّها محل نقد ومعارضة كما يظهر لي، بل إن تفاسيرهم لبعض آيات القرآن، ولا سيما الحروف المقطّعة، قد تماثلت مع بعض تفاسير أهل السنة متقدمين ومتأخرين، وبقطع النظر عما إذا كانوا مسبوقين في تفسيرهم لها أم سابقين، ولا سيما ما جاء عند القشيري وغيره، وكذلك تماثلت تفاسير أهل السنة التي عدت تفاسيرهم من التفاسير المحمودة، فقد جاء في تفسير الرازي بعض المصطلحات خاصة بأهل التصوف مفسرين وغير مفسرين، ومن ذلك تفسيره للحروف المقطّعة الثلاثة (طسم) التي استهلت بها سورة الشعراء فقال:" الطاء إشارة إلى طرب قلوب العارفين، والسين سرور المحبين، والميم مناجاة المريدين"([2])، وليس كل ما جاء به ابن عربي من تفسير لهذه الحروف وغيرها، مخالفاً لما جاء به غيره من مفسري السنة ايضاً، ولا سيما منْ فسر منهم بالمعقول، فقد ورد في القول العشرين من تفسير الرازي لهذه الحروف، ما يماثل جزئياً لفظاً أو معنىً ما جاء عند ابن عربي، قال الفخر الرازي: " الألف إشارة إلى ما لا بد منه من الاستقامة في أول الأمر، وهو رعاية الشريعة، قال تعالى: ﴿إِن الذين قَالُواْ ربنَا الله ثُم استقاموا﴾ واللام إشارة إلى الانحناء الحاصل عند المجاهدات، وهو رعاية الطريقة، قال الله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فِينَا لَنَهْدِينهمْ سبلَنَا﴾ ([3])، والميم إشارة إلى أن يصير العبد في مقام المحبة، كالدائرة التي يكون نهايتها عين بدايتها وبدايتها عين نهايتها، وذلك إنما يكون بالفناء في الله تعالى بالكلية، وهو مقام الحقيقة"([4])، كما تشابهت بعض الدراسات الحديثة التي تحدثت عن الحروف المقطّعة، مع تفاسير

---

[1] - المرجع نفسه، 218/1.

[2] - الرازي: مفاتيح الغيب: مجلد/12، ج118/24.

3- سورة :العنكبوت : الاية 69.

[4] - الرازي: مفاتيح الغيب،9،8/1، والآية من سورة فصلت: 30 .

الصوفية، كما في دراسة الباحث (عنتر الرويني) الموسومة بـ (من إشراقات الحروف المقطّعة).

ولم تكن تفاسير الشيعة على اختلاف مذاهب المفسرين منهم أحسن حالاً من تفاسير الصوفية، ولا سيما تلك التفاسير التي ظهر فيها توظيف مذهب التشيع واضحاً فيها، إذ " نشطوا في تفسير القرآن تفسيراً مذهبياً أو سياسياً ، وقد توسعوا في ذلك، وصارت لهم تفاسير خاصة، وغالى بعضهم في هذا المجال مغالاة سيئة"([1])، فأثر التشيع قد ظهر وبان في تفاسيرهم، مع توظيفهم للحروف المقطعة، فالجملة التي ركّبوها من الحروف المقّطعة بعد حذف المكرر منها، لدليل كافٍ على هذا التوظيف وأثره في تفاسيرهم، وهذه الجملة يجمعها قولهم: "صراط على حق نمسكه "، وذكر النيسابوري في تفسيره هذا التركيب واستغربه، ووصفه بالمتكلاف أيضاً قال: "سمعت بعض الشيعة يقول:هذه الفواتح إذا حذف منها المكررات، يبقى ما يمكن أن تُركب منه (على صراط حق نمسكه)، وهذا غريب مع أنه متكاف فلهذا أوردته"([2])، وعد الألوسي هذا الجمع من طرائفهم، ورد عليه استئناساً لأهل السنة فقال: "ومن الظرائف أن بعض الشيعة استأنس بهذه الحروف لخلافة الأمير علي كرم الله تعالى وجهه، فإنّه إذا حذف منها المكرر يبقى ما يمكن أنْ يخرج من (صراط على حق نمسكه)، ولك أيها السني أنْ تستأنس بها لما أنت عليه، فإنّه بعد الحذف يبقى ما يمكن أنْ يخرج منه ما يكون خطاباً للشيعي وتذكيراً له بما ورد في حق الأصحاب رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وهو (طرق سمعك النصيحة)، وهذا مثل ما ذكروه حرفاً بحرف، وإن شئت قلت (صح طريقك مع السنة) ولعله أولى وألطف، وبالجملة عجائب هذه الفواتح لا تنفد ولا يحصرها العد"([3]).

1- العك:خالد عبد الرحمن: أصول التفسير وقواعده:249، دار النفائس: ط3، 1414هـ، 1994م.

2- النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي، ت/ 728هـ، تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان:133/1. الزركلي، الأعلام: 99/6.

3- الألوسي: روح المعاني: 104/1، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان. ودار الفكرالعربي .

ومن تأويلاتهم التي وظّفوها أيضاً ما جاء في تفسير الطبرسي، الذي أورده الذهبي في كتابه بقوله: " ولما كان الطبرسي يقول بالرجعة، فإنّا نراه عندما فسر قوله تعالى في الآية (56) من سورة البقرة: " ثُم بعثْنَاكُمْ مِنْ بعْدِ موْتِكُمْ لَعلكُمْ تَشْكُرون "، يقول ما نصه: واستدلّ قوم من أصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة، وقول من قال: إن الرجعة لا تجوز إلا في زمن النبي صلى ا عليه وسلم ليكون معجزة له ودلالة على نبوته باطل؛ لأن عندنا بل عند أكثر الأمة يجوز إظهار المعجزات على أيدي الأئمة والأولياء، والأدلة على ذلك مذكورة في كتب الأصول"([1]). كما يدين الطبرسي برجعة المهدي والقول بمبدأ التقية، وقد ظهر هذان الاعتقادان الأيدولوجيان، في تفسير الطبرسي لبعض الآيات التي وردت في بعض السور ذوات الحروف المقطعة، والقول بما قال به أصحابه، ويؤيد اعتقاده الأول تفسيره لقول ا تعالى:" الَذِين يؤْمِنُون بِالْغَيْبِ ويقِيمون الصلَاةَ ومِما رزقْنَاهمْ ينْفِقُون"([2])، فقال :"أن ابن مسعود وجماعة من الصحابة، فسروا الغيب بما غاب عن العباد علمه، ثم قال: وهذا أولى لعمومه، ويدخل فيه ما رواه أصحابنا من زمان غيبة المهدي ووقت خروجه"([3]). مستثمراً تفسير ابن مسعود وغيره من الصحابة، للغيب فجعله غيباً مطلقاً عاماً، بأن جعل غياب المهدي من جملة ما غاب عن العباد، وقد أورد الطبري في تفسيره قول ابن مسعود وهو:" عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي صلى ا عليه وسلم،"بالغيب": أما الغَيْب فما غاب عن العباد من أمر الجنة وأمر النار، وما ذكر ا تبارك وتعالى في القرآن. لم يكن تصديقهم بذلك -- يعني المؤمنين من العرب - من قِبل أصْل كتابٍ أو عِلْم كان عندهم. "([4]). ويؤيد

---

[1]- انظر: الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن بن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن:242/1، تصحيح وتحقيق وتعليق/ السيدد هاشم الرسولى المحلاتي و السيد فضل ا اليزدي الطباطبائي، دار المعرفة للطباعة والنشر. الطبعة الأولى: 1406هـ، 1986، وانظر: الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون :2/ 110،111.

[2]- سورة البقرة: الآية: 3، .

[3]- الطبرسي: مجمع البيان، 17/1، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون ، 111/2 .

[4]- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن ، 236/1 .

قوله في الثاني تفسيره لقول ا تعالى:" لا يتخِذِ الْمؤْمِنُون الْكَافِرِين أَوْلِياء مِـنْ دون الْمؤْمِنِين ومنْ يفْعلْ ذَلِك فَلَيْس مِن اللهِ فِي شَيْءٍ إِلا أَنْ تَتقُوا مِنْهمْ تُقَاةً ويحذركُم الله نَفْسه وإِلَى اللهِ الْمصِير(28)"،([1]). ففي تفسيره لبعض الآية" إِلا أَنْ تَتقُوا مِنْهمْ تُقَاةً"، نجد الطبرسي يجعل التقية جائزة ومطلقة كذلك في الدين وفي كلّ الأحوال، موافقـاً لما قاله أصحابه، فليس أمرها مقصوراً على مخافة الانسان على نفسه من غيـر أن يعتقد ذلك بقلبه، بل بلسانه حسب، فقال:" والمعنى: إلا أنْ يكـون الكفـار غـالبين والمؤمنون مغلوبين، فيخافهم المؤمن إنْ لم يظهر موافقتهم ولم يحسن العشرة معهم، فعند ذلك يجوز إظهار مودتهم بلسانه، ومداراتهم تقية منهم ودفعاً عن نفسه من غير أنْ يعتقد ذلك، وفي هذه الآية دلالة على أن التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس، وقال أصحابنا: إنها جائزة في الأحوال كلّها عند الضرورة، وربما وجبـت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح، وليس تجوز في من الأفعال في قتل المؤمن، ولا فيما يعلم أو يغلب على الظن أنّه اسفتساد في الدين"([2])، وأفـاض كثيـراً فـي تفسيره لهذا المبدأ، فمن رام الوقوف على ما قاله بشأنها، فليرجع إليه في موضـعه من تفسيره .

ومن تأويلات المفسرين الشيعة للحروف المقطّعة التي وظّفوها لمذهبهم أيضاً، ما جاء في تفسير الكازراني المسمى (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار)، فقال:"اعلم أن أصل تركيب مقطعات السور من غير ملاحظة ما تكرر منها أربع عـشرة، بعـدد المعصومين الأربعة عشر النبي وفاطمـة والأئمـة الأثنـي...وفـي تأويلـه لـ ـ (كهيعص)...وأما (كهيعص) فمعناه أنا الكافي الهادي، والـوالي العـالم الـصادق الوعد...وأضاف:" أقول تأويل هذا: ما ورد عنه عليه السلام أيضاً أنه قال: أي كاف لشيعتنا، هاد لهم ولي لهم، وعْده حق، يبلغ بهم المنزلة التي وعدهم إياها في بطـن القرآن، وما في الاحتجاج والمناقب وإكمال الدين عن سعد بن عبد ا عن الحجـة القائم عليه السلام، أنه سأل عن تأويل (كهيعص) فقال: إن هذه الحروف من أنبـاء

---

[1]- سورة آل عمران:الآية: 28 .

[2]- الطبرسي: مجمع البيان، 183/1، وانظر الذهبي: التفسير والمفسرون ، 112/2 .

الغيب أطلع ا عبده زكريا، ثم فصلها على محمد صلى ا عليه وسلم، وذلـك أن زكريا سأل ربه أن يعلمه بأسماء الخمسة، فأهبط ا عليه جبريل عليه السلام فعلّمه إياها، فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمة والحسن سرى عنه همـه وأنجلـى كربه، وإذا ذكر الحسين خنقته العبرة ووقعت عليه البهرة، فقال ذات يوم: إلهي مـا بالي إذا ذكرت الحسين تدمع عيني وتثور زفرتي ؟ فأنباه تبارك وتعالى عن قـصته فقال: كهيعص، فالكاف أسك كربلاء، والهاء هلاك العترة والياء يزيد لعنه ا ..وهو ظالم الحسين، والعين عطشه، والصاد صبره، فلما سمع بذلك زكريـا لـم يفـارق مسجده ثلاثة أيام، ومنع الناس من الدخول عليه"([1]).

إن أهم ما دارت عليه تفاسير الشيعة للحروف المقطّعة من حيث دلالتها، دون الالتفات إلى استثمارها في الجانب المذهبي، فقد توافقت مع دلالاتها عنـد بعـض المفسرين من أصحاب المذاهب الأخرى، إذ أولها بعض المفسرين من الشيعة، بأنها حروف مقتطعة من أسماء ا الحسنى، سواء أكان هذا التأويل مصرحاً به أم غيـر مصرح به، نحو: (كهيعص) فمعناه أنا الكافي الهادي، والوالي العالم الصادق الوعد، أو تأويل بعضهم لها، بأنّها من كلمات مقتطعة نحو: كربلاء، هلاك العترة، يزيـد، عطشه، صبره، ويلاحظ في التأويلين أن هذه الحروف قد وقعت فـي أول الكلمـة، بقطع النظر عن (ال التعريف) في أسماء ا الحسنى، ففي إجماع المفسرين ـ على اختلاف مذاهبهم ـ على أن هذه الحروف هي حروف مقتطعة من كلمـات، وهـو أجماع غير ظاهر ألبتة، الذي تأولناه لهم، قياساً على قراءة واحدة لهم من قـراءات بعضهم المتعددة للحروف المقطّعة، قرينة قوية لهذا التأويل، وفي هذا السياق الدلالي التأويلي، فليس هنا ما يمنع من تأويل لم يجعل حرفاً من الحروف المقطعة الحـرفَ الأول من كلمة قد تُأول تأويلاً آخر، لكنّه غير متعارض مع أي تأويل قد قبله العقل أو قد يقبل غيره، ولم أجد واحداً من المفسرين، من اشترط بأن يكون الحرف الأول من أي كلمة متأولة، واحداً من الحروف المقطّعة .

[1] - انظر: الذهبي، التفسير والمفسرون:73،72/2.

أما تفاسير المعتزلة فإن الطابع الذي يميـزها عن غيرها من التفاسـير، هـو اعتمادهم العقل مرجعاً استراتيجياً في التفسير، مقدماً علـى غيـره مـن المراجـع والوسائل، في كشف ما يحوم حوله اللفظ مفرداً أو مركباً، ولم يكن هذا السبيل مأخذاً لطعن تفاسير بعضهم، إذ عـد قسماً من تفاسيرهم من التفاسير المحمودة، واستشهد بها كثير من المفسرين الذين فسروا بالمأثور أو بالرأي، وفي مقابل هذا المدح لهـم والأخذ عنهم، فقد أُخِذَ على بعض أصحاب هذه التفاسير الدس مع حـسن العبـارة، ولجوء بعضهم إلى طريقة أهل التصوف في التفسير([1])، ويتلّخص موقفهم من تفسير القرآن، بأنهم أقاموا تفسيرهم له على أصولهم الخمسة المعروفة وهـي: التوحيـد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكر، وهذه الأصول الخمسة هي المعايير المشروطة مجتمعـة مكتملـة، حتـى يستحق منْ تجتمع لديه القول بأنّه معتزلي، قال أبو الحسن الخياط :" وليس يـستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزليتن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا كملت هذه الخصال فهو معتزلي"([2]).

أما أهم نتائج المعرفة العقلية عند المعتزلة، فيوجزها لنا (حـسن لحـساسنة) بقوله:" إن أهم ما انتهى إليه العقل الاعتزالي هو اعتمـادهم علـى حجـج العقـل وسلطانـه، وتعويلهـم علـى مبادئه وآلياته، ولذلك سمى كثير من العلماء العقـل (أم الأصول)، فاعتماد العقل أساساً للمعرفة جعل الفكر الاعتزالـي ينحـو منحـى معرفياً مغايراً لما عليه أهل السنة والجماعة، وأوصلهم هذا الاتجاه إلى نتائج منهـا: القول بأن الحسن والقبح عقليان، واعتماد العقل ميزاناً للنقد ومعيـاراً للحقيقـة ... وتفسير نصوص الوحي على أساس قانون العقل ومبادئه، ولما كان سلطان الـوحي قاهراً بسنده القطعي فإن المعتزلة لجأوا إلى تأويل النصوص حتى توافق مقتضيات العقول، ولا يمكن أن يخالف النقل ما جاء به العقل، وما أتى به الوحي إما أنْ يكون

---

[1] - السيوطي: جلال الدين بن عبد الرحمن، الاتقان في علوم القرآن: 179/180/4. ت/محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث.

[2] - الذهبي: التفسير والمفسرون: 370/1.

واجباً بالعقل أو جائزاً، فلم يرد الشرع إلا بما أوجبه العقـل ودلّ عليـه أو جـوزه ونص عليه، ولم يرد بما حظره ومنعه، أو أبطله"([1])، وللتدليل على تجلي المـذهب الاعتزالي في تفاسير المعتزلة، نذكر تفسير بعض الآيات القرآنيـة لـدى بعـض مفسريهم، الذين أظهروا التعصب لمذهبهم الاعتزالي، بما يؤكد على أصوله الخمسة السابقة، وتحويل بعض تفاسيرهم لآيات الكتاب العزيز، ضد مخالفيهم من أهل السنة والجماعة.

إن أهم تفاسير المعتزلة للقرآن، تفسير (الكشاف) للزمخشري، وهـو التفـسير الذي يعـد تفسيراً مكتملاً للقرآن، وشاملاً للفكر الاعتزالي المتصل بالقرآن الكريم، باعتباره أصل العقيدة ومعتمد ما يتشعب عنها من آراء وأفكار([2])، ورغم أنه يخالف ما عليه أهل خصومه، إلا أن تفسير الكشاف قد لقي مدحاً منهم وأخذوا عنه، كمـا مدح الجانب اللغوي والأدبي فيه علماء التاريخ وعلم الاجتمـاع، وعلـى رأسـهم صاحب المقدمة، لما فيه من كشف لبلاغة القرآن وثروته البيانية، وتأثر به بعـض المفسرين من أهل السنة([3]).

أما موقفهم من تفسير الحروف المقطّعة، فظاهر كلام الزمخشري أنّـه عـدها أسماءً للسور، وهو يجيب عن وقوعها فواتح للسور بهذا الشكل المقطّع فقال:" فـإن قلت: قد تبين أنها أسماء لحروف المعجم، وأنها من قبيـل المعربـة، وأن سـكون أعجازها عند الهجاء لأجل الوقف، فما وجه وقوعها على هـذه الـصورة فـواتح للسور؟ قلت: فيه أوجه: أحدها وعليه إطباق الأكثر: أنّها أسماء السور"([4])، وكـذلك كان موقف القاضي عبد الجبار، إذْ يذكر في مقدمة كتابه (متشابه القـرآن) موقفـه منها، فلم يجعلها من المتشابه، وأخذ برأي الحسن البصري فيها، وهي أنّها أسـماء

---

[1]- موسى: حسن لحساسنة، الحاكمية في الفكر الإسـلامي، كتـاب الأمـة: ص/131،132 ، ع/118، ط1، 1428 هـ/ 2007 م .

[2]- الذهبي: التفسير والمفسرون، 433/1 .

[3]- انظر: ابن خلدون: المقدمة،936/3، ت/ علي عبد الواحد وافي، مكتبة الأسرة، دار نهـضة -مصر، 2006م، والذهبي: التفسير والمفسرون:1/ 469،467 .

[4]- الزمخشري: الكشاف، 11/1.

للسور قال:" فأما قوله عز وجل في فواتح السور، وذلك مثل (المص) و(الم) إلى ما شاكله، فليس من المتشابه، وقد أراد عز وجل به ما إذا علمه المكلّف كان صـلاحاً له، وأحسن ما قيل فيه ما روى عن الحسن وغيره من أنّه عز وجل أراد أن يجعله اسماً للسور، وإثبات الكلمة اسماً للسورة، والقصد بها إلى ذلك ممـا يحـسن فـي الحكمة، كما يحسن من سائر من عرف شيئاً وفصل بينه وبين غيره أن يجعل لـه اسماً ليميزه به عن غيره"([1]).

وقد أشاد كثير من المفسرين واللغويين بالنتائج اللغويـة التـي توصـل إليهـا الزمخشري، من خلال دراسته للحروف الأربعة عشرة، التي استخلصت من سـائر الحروف المقطعة بعد حذف المكرر منها، مثبتاً بنـصفية وصـفة ومخـارج هـذه الحروف، معنى الإحاطة والشمول بسائر الصفات والمخارج لكل الحروف الأبجدية العربية، التي تألف منها النص القرآني وتألفت منها لغة العرب شعراً ونثـراً، وقـد ألمح الزمخشري إلى هذا المعنى وهو يبتدأ بتفسيرها فقال:"...ثم إذا استقريت الكلـم وتراكيبها، رأيت الحروف التي ألغى ا ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكثـورة بالمذكورة منها، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته. وقـد علمـت أن معظـم الشيء وجله ينزل منزلة كله، وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته ، فكأن ا عز اسمه عدد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم ، إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم "([2]).

ب ـ موقف اللغويين والنحاة من الحروف المقطّعة.

لم تجد هذه الحروف إجماعاً من اللغويين والنحاة أيضاً، فتعددت توجيهاتهم لها بناءً وإعراباً؛ مبتدأً، وخبراً، ومفعولاً به، وقَسماً، جملةً لها محل من الإعـراب ولا محل لها من الإعراب، ويبدو لي أن مرد عدم الإجماع بينهم على إعرابها وبنائهـا، متأتٍ من القاعدة التي تنص على أن الإعراب فرع المعنى، لذلك تعددت مـواقفهم منها؛ فتباينت مواقفهم في إعرابها، فوصلت إلى أكثر من خمسة أوجه ورد بعضهم

---

[1]- الهمذاني: عبد الجبار، متشابه القرآن، 16/1،17، ت/ عدنان محمد زرزور .

[2]- الزمخشري: الكشاف، 30/1 .

رأي بعض فيها، قال الطبري: "وأما أهل العربية، فإنّهم اختلفوا في معنى ذلك، فقال بعضهم: هي حروف من حروف المعجم، استُغْنِي بذكر ما ذُكر منهـا فـي أوائـل السور عن ذكر بواقيها، التي هي تتمة الثمانية والعشرين حرفًا؛ كما استغنى المخبر عمن أخبر عنه، أنّـه في حروف المعجم الثمانية والعشرين حرفًا بـذكر " أ ب ت ث"، عن ذكر بواقي حروفها التي هي تتمة الثمانية والعشرين، قال: ولـذلك رفـع (ذَلِكَ الْكِتَاب)؛ لأن معنى الكلام: الألف واللام والميم من الحروف المقطعـة، ذلـك الكتاب الذي أنزلته إليك مجموعًا لا ريب فيه... ورد الطبري هذا الرأي... بقوله: " فكفى دلالة على خطئه، شهادةُ الحجة عليه بالخطأ، مع إبطال قائل ذلك قولَه الـذي حكيناه عنه - إذ صار إلى البيان عن رفع"ذلك الكتاب" - بقوله مرة إنه مرفوع كلّ واحد منهما بصاحبه، ومرة أخرى أنه مرفوع بالراجع من ذكره في قوله: " لا ريب فيه " ومرة بقوله: "هدى للمتقين"، وذلك ترك منه لقوله: إن " الـم" رافعـةٌ " ذلـك الكتاب "، وخروج من القول الذي ادعاه في تأويل" ألم ذلك الكتـاب"، وأن تأويـل ذلك:هذه الحروف ذلك الكتاب "([1]) .

من أوائل النحاة الذين تعرضوا للحروف المقطّعة سيبويه، فتحدث عنها فـي باب خاص باسم (فواتح السور)، فذهب إلى أنها أسماء للسور([2]). وقـد أورد ابـن عاشور ما للغويين وللنحويين من رأي فيها، ومن ذلك قوله:" أن هاته الحروف أقسم الله تعالى بها كما أقسم بالقلم، تنويهاً بها لأن مسمياتها تألفت منها أسماء الله تعـالى وأصول التخاطب والعلوم قاله الأخفش...وأنّها سِيْقَت مساق التهجي مسرودة علـى نمط التعديد في التهجية، تبكيتاً للمشركين وإيقاظاً لنظرهم، في أن هذا الكتاب المتلو عليهم وقد تُحِدوا بالإتيان بسورة مثله، هو كلام مؤلف من عين حروف كلامهم كأنّه يغريهم بمحاولة المعارضة ويستأنس لأنفسهم بالشروع في ذلك بتهجـي الحـروف ومعالجة النطق تعريضاً بهم بمعاملتهم معاملة من لم يعرف تقاطيع اللغـة، فيلقنهـا كتهجي الصبيان في أول تعلمهم بالكتّاب حتى يكون عجزهم عن المعارضة بعد هذه

---

[1]- الطبري: جامع البيان:209،221/1.

[2]- سيبويه: أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب: 256/3، ت/ عبد الـسلام هـارون، مكتبة الخانجي- القاهرة ، ط/3، 1408هـ -1988م.

المحاولة عجزاً لا معذرة لهم فيه، وقد ذهب إلى هذا القول المبرد وقطرب والفراء، وقد أخذ الزمخشري بهذا القول كما أخذ به ابن عاشور فقال:" وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل"([1])، ومن النحاة من ذهب إلى أنّها حروف تنبيـه؛ لتنبيـه السامع مثل النداء، وقد ذهب إلى ذلك ثعلب والأخفش وأبو عبيدة، أن الكفار كـانوا يعرضون عن سماع القرآن فقالوا:" لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه"([2])، فـأوردت لهم هذه الحروف ليقبلوا على طلب فهم المراد منها فيقع إليهم ما يتلوها بلا قـصد، قاله قُطرب وهو قريب من قولهم بأنّها للتنبيه، وذكر أبو حيان أن قوماً قـالوا: " إن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة، نزلت ليـستغربوها فيفتحـون لهـا أسماعهم، فيستمعون القرآن بعدها فتجب عليهم الحجة "([3]).

أما من حيث موقعها من الإعراب فقد تعددت مواقفهم أيضاً، فمنهم منْ لم يجعل لها محلاً من الإعراب، استناداً إلى تفسيرها بالمتشابه، وجعلها أسماءً للسور، ومنهم منْ جعل لها محلاً من الإعراب فتعددت وجوهـه فيهـا، وقـد أورد الزمخـشري الوجهين وعلّل لكل منهما، قال:" فإن قلت: هل لهذه الفواتح محل مـن الإعـراب ؟ قلت: نعم لها محل فيمن جعلها أسماء للسور؛ لأنها عنده كسائر الأسماء الأعـلام. فإن قلت: ما محلها ؟ قلت: يحتمل الأوجه الثلاثة، إما الرفع: فعلى الابتـداء، وإمـا النصب والجر، فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة: ا وا على اللغتـين. ومن لم يجعلها أسماء للسور، لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه، كما لا محل للجمل المبتدأ وللمفردات المعددة "([4])، ومنهم من جعلها خبراً على تقدير هذه (الم)، ومفعولاً به بفعل محذوف تقديره اقرأ الم، وقد ذكر أبو حيان هذه الوجوه للمعـربين بقوله:" وقد تكلم المعربون على هذه الحروف فقالوا: لم تعرب حروف التهجي لأنها أسماء ما يلفظ، فهي كالأصوات فلا تعرب إلا إذا أخبرت عنها أو عطفتهـا فإنّـك تعربها، ويحتمل محلها الرفع على المبتدأ، أو على إضمار المبتدأ، والنصب بإضمار

---

[1]- الزمخشري: الكشاف، 28/1،29، ابن عاشور: التحرير والتنوير، 58/1 .

[2]- سورة فصلت، الآية:26 .

[3]- أبو حيان: البحر المحيط: 58/1.

[4]- الزمخشري: الكشاف 31/1 .

فعل، والجر على إضمار حرف القسم، هذا إذا جعلناها اسماً للسور، وأما إذا لم تكن اسماً للسور فلا محل لها، لأنّها إذ ذاك كحروف المعجم أوردت مفردة مـن غيـر عامل فاقتضت أن تكون مستكنة كأسماء الأعداد، أو ردتها لمجـرد العـدد بغيـر عطف، وقد تكلم النحويون على هذه الحروف على أنها أسماء السور، وتكلموا على ما يمكن إعرابه منها وما لا يمكن ، وعلى ما إذا أعرب فمنه ما يمنـع الـصرف، ومنه ما لا يمنع الصرف"([1])، وذكر السمين الحلبي الأوجه الستة في إعرابها وهـي :الرفع على الابتداء، والخبر ، والنصب على المفعولية بإضمار الفعـل، والنـصب على القسم بعد حذف فعل القسم ، والجر على حذف حرف القسم أيضاً([2]) .

وقد وقف الزمخشري على الخصائص الدقيقة لهذه الحروف الأربعة عشر بعد حذف المكرر منها فقال:" واعلم أنك إذا تأملت ما أورده ا عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء. وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء ... ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف... ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها، رأيت الحروف التي ألغى ا ذكرها من هـذه الأجنـاس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها، فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته"([3]) .

وذهب ابن فارس (329-369هـ)، إلى الأخذ بكل ما قيل فيها قال:" وأقـرب القول فِي ذَلِك وأجمعه قول بعض علمائنا: إن أولى الأمور أن تُجعل هذِهِ التأويلات كلّها تأويلاً فيقال: إن ا جلّ وعز افتتح السور بهذه الحروف إرادةً منه الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لا على معنىً واحد"([4]).

إن أهم نتيجة يمكن أنْ نسجلّها بعد أنْ عرضنا لـبعض آراء بعـض المفـسرين واللغويين والنحاة على اختلاف مذاهبهم، هي أنْ تلك الحروف المقطّعة كانت قاسماً مشتركاً في عدم الإجماع عليها، وإنْ تماثلت قراءات بعضها لدى المتلقـين قـديماً

---

[1] - أبو حيان : البحر المحيط: 60/1.

[2] - السمين الحلبي: الدر المصون : 81/1 .

[3] - الزمخشري: الكشاف: 29/1، 30. وانظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم،159/1 .

[4] - ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، الصاحبي في اللغة، 128، ت/عمر فـاروق الطباع، دار المعارف – بيروت،ط/1، 1414هـ-1993م .

وحديثاً، باستثناء مَنْ وافق منهم الآخر بنصه على ذلك، فالمتمعن للأقوال أو للمعاني التي تعددت للحروف المقطعة، في مؤلفات المفسرين واللغويين والقراء، ربما أدرك أن سبب هذا التعدد من وجهة نظر نحو النص، هو عدم تجـاوز بعـضهم البنيـة السطحية لهذه الحروف إلى بنيتها العميقة، فمنهم من اكتفى بالدلالة السطحية علـى مستوى الآية الواحدة، التي شكّلتها الحروف المقطعة، وهو بذلك عمد إلى اجتـزاء الآية وعزلها عن الآية الأخيرة من السورة السابقة عليها، ولعلّ من نحا هذا النحـو في التعامل مع هذه الحروف، لم يتجاوز أيضاً المستوى الأفقي للآية نفسها، وهـذا ينطبق على تعاملهم مع السور ذوات الحروف المقطعة جمعيها، أما مَنْ قـرأ هـذه الحروف قراءة عميقة، فقد تعامل معها دلالياً، إذ عثر مفسر أو قارئ أو لغوي على معنى أو أكثر، ربما تأوله أحدهم من خلال تعدد منهجية التحليـل وانفتـاح الـنص وإمكانية التأويل، لكن هذا التعامل - كما يبدو- هو تعامل محدود انحصر ضـمن نص واحد؛ أي في سورة واحدة، ومنحصر في معنى وحيد أيضاً، إذ لم يتجاوز ذلك المعنى تلك الرقعة، بمعنى عدم ربط دلالة حرف أو أكثر في مطلع سورة منها، مع دلالة حرف أو أكثر في سورة منها أو مع سائر تلك السور، كما أن بعض القراءات لهذه الحروف قد عزلَتْ دلالة الحرف أو الحروف عن ارتباطها بمـا بعـدها مـن مدلولات جاءت في نصوص السور نفسها .

ج - الحروف المقطّعة وهذه الدراسة .

ذكر كثير من العلماء القدماء والمحدثين، أن هذه الحروف هي حروف هجاء، وهي أربعة عشر حرفاً بعد حذف المكرر منها، فهي إذن نصف حـروف الهجـاء العربية، مستثنيين برأيهم هذا، حرفَ الألف من هـذه الحـروف، إذْ إن جـلّ آراء الدارسين المحدثين للأصوات العربية تذهب إلى اعتبار الألف حركتي فتح، مؤكدين رأيهم بنتائج علمية من خلال أجهزة صوتية وتشريحية حديثة، وهـذه الآراء سـبق إليها بطريقة صوتية تجريدية ابن جني(ت/392هـ)، فـي كتابـه سـر صـناعة الإعراب، إذ قال:"إنّك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحـرف الـذي هـي بعضه، وذلك نحو فتحة عين عمر، فإنّك إنْ اشبعتها حدثت بعـدها ألـف فقلـت:

عامر"([1])، وباعتبار حرف الألف صوتاً زائداً لعدد الحروف، ليصبح عددها تـسعة وعشرين صوتاً، ملفوظاً ومكتوباً على السطر كما تظهره الكتابة الصوتية، فإن هذه الزيادة علامة بعددها على عدد السور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة، ودالّة أيضاً على عدد الأصوات الهجائية العربية، التي تتفق بالرمز الكتـابي المرسـوم علـى السطر حرفاً لا حركة، إذ هو الذي يمثّل ويبرز الجهد المبذول لإنتاج أي حرف منها نطقاً، فكما كانت نصف الحروف الهجائية ـ من غير تكرار حرف منها ـ علامـة دالّة بظاهرها وعددها على عدد الحروف الهجائية العربية التي تكتب على السطر، وعلامة دالّة على جنس المادة اللغوية التي تشكل بنية الكلمات في النص القرآنـي، من عنوانه حتى آخر كلمة منه، فهذه المادة صوتاً منطوقاً ورمزاً مكتوبـاً وكلمـة وجملة ونصوصاً ونصاً؛ تفكيكاً وتركيباً ونظماً وأسلوباً ودلالة وتداولاً، هي المـادة اللغوية عينها، التي يتواصل بها العرب، قبل أنْ يظهر من بنية النص القرآني بارق لغوي منها، فكانت لغتهم هي لغة التنزيل، التي شُرفت بنزول النص القرآني الكريم بها، فمنْ قال إنها حروف تهجٍ، فقد أصاب ظاهر اللفظ في مستواه الأفقي، إذ إن هذا القول لا التأويل، متأتٍ من أول لفظ أوحي به إليه عليه الصلاة والسلام وأمر بتنفيذه وهو (اقرأ)، فهو لفظ من أربعة حروف هجاء هي مـن واقـع اللغـة الاسـتعمالي ورصيدها الثقافي، وحروف هذا الفعل قد جاءت مقطّعة في مستهل كثير مـن هـذه السور، المعروف والمستعمل من قبل المنزل عليه والمبعوث إلـيهم، وهـو متـأتٍ ومفهوم أيضاً من أول حرف (ن)، فهذه الأقوال والتأويلات للحروف المقطّعة، لـم تتعد ظاهر اللفظ، فهي لا تقدم معنىً في ذاتها أو بتضامها وترابطها مع غيرها مـن ألفاظ في الآية التي بعدها، أو بتضامها مع الألفاظ التي شكّلت معها آية واحدة، ولعل المعنى الإشاري الذي نتأوله منْ كونها علامة، أولى من تأويلها بأنها حروف هجاء للسبب السابق، وهذا المعنى الإشاري الذي نتأوله لا يفيد أيضاً في دلالة النص، إنما يشير بها إلى إعجاز هذا الكتاب سورة وسوراً، وارتباط الحروف المقطّعة بما قبلها

---

[1] - ابن جني، أبو الفـتح عثمان: سـر صناعة الإعـراب، ت/ حسن هنـداوي،1985.

أو ارتباطها بما بعدها، إلا بتأويلها بجملة تعد بحسب مصطلحات نحو النص جملة نواة أو مفتاحاً للنص .

أما منْ قال إنّها حروف تنبيه جيء بها للفت ذهن النبي عليه السلام إلى ما سيلقيه الوحي إليه، فهو تأويل مردود كما يبدو، فالرسول صلى ا عليه وسلّم متهيئ لتلقى الوحي، بقرينة تعدد أنواع الفواتح الأخرى غير الحروف المقطّعة، إذ لم يثبت تنبيهه بما سيلقى عليه بنص صريح إلا في آيتين كما يبدو من ظاهرهما، الأولى: في سورة المزمل قال تعالى: إنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلا ([1])، والأخرى: في سورة القيامة،قال تعالى: لا تُحركْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجلَ بِهِ*إن علَيْنَا جمْعه وقُرْآنَه* فَإِذَا قَرْأْنَاه فَاتبِعْ قُرْآنَه*ثُم إِن علَيْنَا بيانَه ([2])، فلو كان هذا التأويل ـ كما يبدو ـ قاطعاً عند منْ تأولّه، لكان الافتتاح بها في مستهل كلّ سورة وارداً، فالإشارة إلى أن هذه الحروف هي من باب التنبيه أو النداء أو حروف الخطاب مضارعة لأساليب العرب في افتتاحياتهم .

أما من قال أنّها حروف قسم: فالظاهر أنّه استدلّ عليها تأويلاً، بعده حرف الواو بعد بعض الحروف الاستهلالية حرف قسم، ويظهر أن اعتبار هذه الحروف مشعرة بالقسم ودالة على التنبيه، كان بحسب موقعها وكميتها وأنها حروف خطاب كذلك، وتأويلها على أنها أفعال أمر دال على الخطاب أيضاً.

أما من حيث موقع الحروف المقطّعة، فإن البناء الذي شُغِلَ به الموضع المتقدم، من أبنية نصوص تسع وعشرين سورة قرآنية، قد مثّله صوتٌ أو أكثر؛ لُفِظَ كل صوتٍ نطقاً ثلاثة مرات، ورمِز لكل منها، بحرف واحد كتابةً، ورسِم أيقونة، ليحقق في كافة ضروبه كلّ ما يتعلق به، فلُفِظَ وكُتِب ورسِم ليدلّ، فتحقق له كلّ ذلك بالجهد المبذول لإنتاجه وبالحيز المكاني الذي احتله، وبالشكل الكتابي الذي رسِم له، وبالفاصلة التي شكلّها هو وحده أو مع غيره من الألفاظ، وبدلالته تعالقاً وترابطاً مع ما بعده أو مع ما قبله من ألفاظ وتراكيب، في أبنية السورة الواحدة أفقياً وعمودياً،

---

[1]- سورة المزمل: الآية/ 5.

[2]- سورة: القيامة ،الآيات (16-19).

وفي أبنية نص السور كلّها، فهذا البناء (الدال) الصوتي اللفظـي الكتـابي، الـذي افتُتِحت به سور النص ففاق غيره من النصوص كماً وكيفاً، لبراعة نصية، برعـت بها تسع وعشرون سورة قرآنية، شَهدت لها بها ألفاظها وتراكيبها بنظمها وتماسكها، استهلالاً فريداً متفرداً أسلوباً؛ بحرف وحرفين وثلاثة حـروف وأربعـة حـروف وخمسة حروف، فشكّل بعضها الآيةً الأولى من السورة، وانضم بعضها مع ما بعدها من كلمات في تشكيلها، وشكّل بعضها آيتين متقدمتين من السورة أيضاً، وتضارعت الألفاظ التي تلت الحروف المقطّعة في هذه السور مع بعـضها بعـضاً، تـضارعاً متماثلاً في غالب تراكيبها نظماً ودلالة، ومختلفاً بتنوعه وتعدده، كماً وكيفاً وشـكلاً ونطقاً وكتابة وصفة ومخرجاً وقراءة، لتشكل مع خمس وثمانين سورة قرآنية النص القرآني الكامل الظاهر المعلن المنفتح المتواصل المستمر المتماسك .

وإذا ما كان للفظ اللغوي وضروب إنتاجه بأشكالها المرسومة المتنوعة، دلالاتٍ ذاتية يجود بها أي ضرب من ضروبه مع شكل منها، فإنّه هو الدافع للتفكير بدلالـة من شكله المرسوم؛ إذ اللفظ باعتباره كلمةً أو كلمات، إنما هو معقل الفكـر الـذي يحتضِن جماً غنياً من الدلالات؛ رمزاً مرسوماً أو صوتاً منطوقاً أو علامة أو تركيباً أو سياقاً، فما تعدد القراءات للحروف المقطّعة منذ نزول النص القرآني إلـى الآن، إلا دليلٌ على اكتنازها هذا الجم من الدلالات بنوعيها اللفظية وغير اللفظية، وفي هذا السياق الدلالي لهذه الحروف التي ذكرناها لقراء النص القرآني، قال لطفـي عبـد البديع:" فالكلمات " معاقل الفكر، والفكر لا يبحث عن التغيير؛ لأن للكلمة قدرة ذاتية على الدلالة؛ وعلى اللفظة والعبارة ينعقد وجود الفِكْر في العالم المحسوس، وهمـا بمثابة شِعاره وجسده؛ وقد صح وجود ما يعرف عند النفسيين بالتصور اللغوي، أو التطور اللفظي الذي يشبه أن يكون تجربة داخلية مركزية، أخص خصائصها كونها لفظية يصير بها الصوت المسوع حقيقة من حقائق اللغة." فاللفظ لا ينفـصل عـن المعنى، والدلالة لا تَنعزِل عن الدالّ؛ لأن تعقل المعاني قلما ينفَك عن تخيل الألفاظ، وكأن المفكر في المعاني يناجي نفسه بألفاظ مخيلة، ولو أراد تجريدها عنـه أشْـكِل

عليه الأمر"([1])، وفي سياق التحليل الفنمنولوجي المتعدد للفظ؛ لفظاً وموقعاً وخطّاً ورسماً، يشير لطفي عبد البديع أيضاً إلى الوجوه التي يكشفها التحليل الفنمنولوجي للدلالة والكلام بقوله:" فالتحليل الفِنِمِنولوجي للدلالة والكلام يكشف عن وجوه معقدة من العلاقات تتداخل معها أطرافُ الكلام، بحيث لا تقتصر وظائف اللغة على كونِها طاقات للعلامة اللغوية المحسوسة، وإنّما تصير قوى لوحدة كبرى تحتضِن التعبير والتمثيل والنداء جميعاً، وتضم القائل والمخاطَب"([2]).

لقد أولى علماء النص الجملة الأولى عناية واهتماماً كبيرين في التحليل، فهي مفتاح النص أو بابه، ولقد ذكر حازم القرطاجني في منهاج البلغاء ما نصه: "واعتنوا باستفتاحات الفصول واجتهدوا في أن يهيئوها بهيئات تحسن بها مواقعها في النفوس، وتوقظ نشاطها لتلقى ما يتبعها وما بها، وصدروها بالأقاويل الدالة على الهيئات، التي من شأن النفوس أن تتهيأ بها عند الانفعالات والتأثرات لأمور سارة أو فاجعة أو شاجية بحسب ما يليق من غرض الكلام من ذلك "([3])، فهل الاهتمام باستفتاح النص، نابع من أهمية الاستهلال وأثره في دلالة النص، استناداً إلى عبء المعنى التراكمي الذي تنهض به الجملة الأولى من النص ؟ فكان للفظ - نطقاً وكتابة واستهلالاً وتداولاً - دور نحوي وظيفي، أداه بموقعه وببنيته التركيبية وما تكتنزه حروفه من دلالات لفظية وغير لفظية، على الوجه الذي تقره نظرية نحو النص، أم أن الأمر مقتصر على موضع اللفظ دون المعنى النحوي الوظيفي، فيكون الدور للموقع وحده - وهو مشغول باللفظ - أهمية نظمية أسلوبية إعجازية، أم أن اللفظ؛ موضعاً ونظماً ومعنىً، متكاتف لتحقيق المعنى الذي تخال بنى النص؛ حرفاً وكلمة وجملة وفقرات، كتلك الفطرة التي فطرها الجرجاني في دلائله، فكان النظم

---

[1] - عبد البديع: لطفي، التركيب اللغوي للأدب/ بحث في فلسفة اللغة والاسْتَطيقيا: 50، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمن، 1997، مكتبة لبنان/ناشرون. وما بين علامتي التنصيص من الاقتباس نقلها عن المرجع نفسه وهو لـ(السيد علي من كتابه: شرح مطالع الأنوار/ص84 .

[2] - المرجع نفسه:50.

[3] - القرطاجني، حازم: منهاج البلغاء ص296.

عنده هو مناط الإعجاز، فتمثّل النظم وتحقق في دلائل الإعجاز، عبر موضـوعات تحدثّ عنها الجرجاني في كتابه، فمنها الوصل والفـصل، والتكـرار، والحـذف، والتقديم والتأخير، والحصر، كما تحدث عن الوظائف والعلاقات النحوية، أو التـي عرفت بمعاني النحو، من خلال علاقة الإسناد والفعل والمفعول به، كما ألمح إلـى المستوى التداولي، من خلال رده على من قالوا بـ (الصرْفة)([1]) .

وفي ضوء المستوى التداولي، فإن المتلقي الثـاني بحكـم معرفتـه للعـوالم وللمعارف اللغوية الاستعمالية والاجتماعية، التي جاء بها النص لئلا تكـون حجـة للمتلقي في عدم تواصله، فلا مندوحة للمتلقي عن التواصل، فالمعارف والخبـرات والسياق، هي عوالم يدرك المتلقي قيمتها في النص وما ترمز إليـه، وإنْ كـان لا يرتقي في إدراكها ومعرفتها إلى مستوى الإدراك والمعرفة الكلية الشاملة لها، إذ لو كان ذلك لما تعددت القراءات عند قارئ واحد أو عند قراء كُثر، تنبئ وتؤكد علـى انفتاح النص وإمكانية التأويل فيه، مما يدلّ على وجود سلطة للنص تتعـالى علـى سلطة المتلقي وإنْ ارتقت مرتقىً عالياً، ومع تعالي سلطة النص فإن النص لا يمنـع المتلقي من أنْ يتفاعل معه، بل إن التأويل الذي يمارسه المتلقي، هو منحه من النص للمتلقي تشجعه على تفاعله مع النص واستمرار العملية التواصلية، ويعـضد هـذا التفاعل والتواصل، معرفة العوالم عند باث النص المبلغ له وعنـد متلقيـه، وهـذه العوالم تمثلها التداولية التي تشكل رصيداً مشتركاً بين أطراف العمليـة الاتـصالية الثلاثة:1- الباث (جبريل عليه السلام)، 2-النص الظاهر المكتوب (القرآن الكريم)، 3- (المتلقي الأول، الرسول عليه الصلاة والسلام)، ومن ثم يتحول المتلقـي الأول إلى 1- مرْسِل، 2- الرسالة (القرآن الكريم)، 3- (المتلقي: العرب)، فأركان العملية التواصلية مكتملة في الحالتين .

لقد استمرت هذه الإستراتيجية في الاستهلال بالحروف المقطّعة، خلال الفتـرة التي قضاها عليه الصلاة والسلام والوحي يتنزل عليه فـي مكـة، وكانـت هـذه الإستراتيجية مستمرة في افتتاحية نص هذه السور وهي تتنزل تباعاً لبعضها، ولقـد

---

[1]- الجرجاني: دلائل الاعجاز/ 611وما بعدها.

غُيرت هذه الإستراتيجية في افتتاحية سور مكية أخرى لمقام ما، لكن ما يلفت الانتباه هو توالي سور عرفت باسم الحواميم وهي الأكثر إذ جاءت متوالية وقـد اسـتهلت بحرفين وقعا نفسهما (حم) في بدايتها، ثم الأقل منها وهي ما سـميت بالطواسـين، طسم، ثم قسم من السور المكية والمدنية بدأت بـ (الم)، و(الـر)، كمـا تميـزت مجموعة (الر) بأنها سمت بأسماء عدد من الرسل عليهم السلام مـا عـدا سـورة الحجر،س وقد وضحنا ذلك في موضعه من الدراسة .

وبالنظر إلى الحروف المقطعة في أوائل السور من جانب سـيميائي - ومـن غير جزم في دلالتها على الإطلاق، وفي ضـوء نظريـة نحـو الـنص وحريتـه واستفادته من سائر العلوم، وما يقدمه النص سابقاً أو لاحقاً من معنى يعضد موقفنـا من الحروف المقطعة - يظهر أن التعامل معها من حيث هي علامات، هو الأجدر أولاً في الوقوف على ما ترمز أو تشير إليه أو تلمح أو تصرح به، مـن معنـى أو معان متعددة، قد نرصدها علامة وتأويلاً من تلك المعاني التي يرتبط بنـسبة منهـا معنى أو أكثر من المعاني المتأولة؛ بنية أو تراكيباً أو سـياقاً - لفظـاً أو معنـىً، والنظريات الحديثة التي أحسنت صنعاً في اعتماد هذه العلامات خدمـة للمـستوى الدلالي، قد فتحت الباب من جديد للمتلقي، علماً بأن النص القرآني لم يكن من قبـل موصداً أما م المتلقي لئلا يتواصل معه على مرور الزمان وتغير المكـان وتعـدد المعارف وتنوعها، فهو نص مستمر متواصل مفتوح، أتاحت سلطته وسلطة متلقيـة وباثه، الحرية للمتلقي بالتأويل، لكنه لم ولن يكتفي بتأويله محالٌ مؤَولٌ له، وإنْ ظن تأويله قولاً فصلاً فيه، ولا سيما في تأويل الحروف المقطعة، إلا في حدود ما يقـع عليه من معنى لها، أي من غير المعاني الأولية أو السطحية، فهيهات أن يجـد ذاك المحـالُ ما يغبطه من لّذة النص، فتلك سلطة النص وفضاؤه الواسع علـى امتـداد مستوييه الأفقي والرأسي، قال ا تعالى:"ما نفدت كلمات ا "، وفي سياق هذه اللذة يصرح (بارت) قائلاً:إن لذّة الجملة لذّة ثقافية جداً، وإن هذه الصناعة التي ابتـدعها البلاغيون، والقواعديون، واللسانيون، والأسـاتذة، والكتـاب، والأدبـاء، إن هـذه الصناعة لتقوم على الإيماء بشكل يشبه اللعب إلى حد ما، قد نلعب بشيء استثنائي، وتكون اللسانيات قد أشارت إلى موضع المفارقة فيه جيداً: إنه مبني بتغيير، ومـع

ذلك، فإنّه متجدد إلى ما لا نهاية: إنّه شيء يشبه لعبة الشطرنج. اللهم إلا إذا كانـت الجملة جسداً بالنسبة إلى بعض المنحرفين؟ ... ومع ذلك فإن مكان اللذّة في نظرية النص ليس مؤكداً، ولكن سيأتي يوم، نشعر فيه بضرورة الإسراع بفـتح النظريـة قليلاً، وينقل الخطاب، واللهجة التي تتكرر، وتتقوى، لنعطيها هزة الـسؤال، ألا إن اللذّة هي هذا السؤال، غير أن اللذّة، لأنّها اسم بذيء وسافل (من ذا الذي يقول عـن نفسه اليوم إنه شهواني من غير ضحك؟)، ألا تستطيع أن تعيق عودة الـنص إلـى الأخلاق، وإلى الحقيقة: أعني إلى أخلاق الحقيقة، إن هذا لأمر غير مباشر، إنّـه " انزلاقي "إذا جاز القول، وإن نظرية النص، من غيره، ستعود كمـا كانـت: نظمـاً مركزياً، وفلسفة المعنى...إن لذّة النص، هي إنها القيمة المنتقلة إلـى قيمـة الـدال الفاخر"([1]) .

فهذه الحروف ذوات قيم تعبيرية هائلة، دع عنك الألفاظ المتكررة على امتـداد النص، معنىً معجمياً وتركيبياً وسياقياً، ومن غير أنْ تلحظ تعارضاً أو شططاً بـين معنى وآخر، فعندما تتكرر القصة، نجد النص يأخذنا إلى تركيب جديد في كل مرة، يتحدث عنها من خلال جوانب متعددة، مراعاة للمتلقي تنشيطاً واستدراجاً من جهة، فإذا بنا نقف على الدلالة نفسها في كل تركيب طال أم قصر مـن زاويـة أخـرى، وإيحاءً وإشارةً إلى إعجازه؛ لأن يراعى هذا الأسلوب مـن جهـة ثانيـة، أولـيس الأسلوب إذن علامة؟!، فما علاقة آيات التحدي بنوعية الاسـتهلال؟ ومـا علاقـة أصوات الهمزة واللام والميم ـ صفة ومخرجاً ـ بتلك الآيات وعلاقة سـائر هـذه الحروف كذلك، وما علاقة مسألة النصفية لهذه الحروف بعد حذف المكرر منهـا ؟ وما علاقة كل ذلك مع قوله تعالى:" ما نفدت كلمات ا "([2])، وما علاقة كلّ ذلك مع لفظة (كلّ العمومية وما المصدرية)؟، فالإحاطة والشمول التي تنبئ عنهما هذه الآية وهاتان اللفظتان، تنسجمان مع ما تضمنته هذه الحروف بقيمها التعبيرية والدلاليـة الهائلة، وما علاقة " لا ريب فيه" بالصراط المستقيم وبالألف والـلام والمـيم؟! ألا

---

[1]- بارت: رولان، لذّة النص، 90،91، 110،111، ترجمة: منـذر عياشـي، دار لوسـي ـ باريس، 1992 .

[2]- سورة لقمان: الآية/27.

يميل ويعوج الإنسان في كلامه، وما نتيجة من يميل عن الحق ونهايته، إذا ما أدرك المتكلم والمخاطب، أن السياق والمقام يقتضي أنْ يقول المتكلم الحق وهو يقـصده، فيفهمه المخاطب كما أراده المتكلم، من غير تأويل لا يقره المخاطب والمـتكلم، ولا تقره معارف وخبرات الطرفين؛ المرسِل والمتلقي، وأنْ يدرك المتكلم أيـضاً بـأن المخاطب يعرف الحق والقصد، ولا يقر غيرهما كما لا تقر العوالم الدالّة (الآيـات: الكون ونظامه)، غير ما أقره المخاطب، فلا مندوحة لطرفي عمليـة التواصـل - بفعل النص وحده؛ سلطته ولغته وسياقه وعوالمه ومبلّغه ودلائله وبراهينه وتحديـه، غير التسليم لقصديـة النص وصدقه واستقامته، فلا مجال للشك وللريب فيه، فقـد أخضع المتلقي لسلطته مبكراً، ولو أعطاه حرية التأويل في ظلها، فأكد علـى هـذه السلطة وفاعليتها الديناميكية في فضائه الواسع المنفتح، إذ نجد النص يذكر: خالـق الإنسان منذ البداية ، فمن يخلقه ومن يميته ومن يبعثه ومنْ يحاسبه، ومنْ يقدر على أنْ يحدث شيئاً مضاداً أو مغايراً غير ما هو ثابت، من شأنه التغيير فـي خلقـه أو يؤجل لحظة من حياته أو أنْ لا يبعثه ليحاسبه، ومنْ يقدر على أنْ يحدث في حياتـه ورزقه غير ما هو مكتوب ومقرر له.

الفصل الثاني

التحليل النصي لسورة البقرة والسور

ذوات الحروف المقطعة (الم، المص)

1.2 سورة البقرة

1- نص السورة ونحو النص:

تعمد هذه الدراسة إلى دراسة نص سورة البقرة دراسة مستقلة عن سائر نصوص السور ذوات الحروف المقطّعة الأخرى، بوصفها نصاً منجزاً ذا وحدة كلية كبرى، شكلتها بنيتا النص الصغرى والكبرى، متمثلتان في جمل (آيات) تعالقت مع بعضها بعض، في مستواها النص الأفقي (الخطي)، وتعالقت فيما بينها بروابط ملفوظة أو مقدرة، يكشف عنها تحليل النص، في مستوى النص العمودي أو الرأسي، ومن ثم عدت جميع هذه السور نصاً منجزاً ذا وحدة موضوعية كبرى، تعالقت هذه السور فيما بينها، بقواعد وقوانين نحوية ودلالية وتداولية قابلة للتغير الكيفي، فشكلّت بهذا التعالق والتواصل والترابط ما أطلق عليه مصطلح (الآجرومية) بحسب مصطلحات نحو النص، وهي:" الوحدة الأساسية الموسعة للوصف النحوي،، المتضمنة قواعد كلية تحكم بنية المعنى الكلّي للنص وتحدد معناه، وهي وحدة لا تستوجب تحولاً كمياً في المعايير - كما يظن ذلك لأول وهلة من لفظة موسعة - بل إلى تغير كيفي ديناميكي، وهذا التغير الكيفي الحر عند (فندايك)، المنضبط بقوانين الدلالة الدينامية، والقواعد العرفية القابلة للتغير أيضاً، قد تحقق بكلّ وضوح في تعدد القراءات للحروف المقطّعة؛ إذْ لما كان الانصراف متجهاً إلى تحديد المعنى الكلي للنص، من خلال قوانين الدلالة الدينامية، فلم تعرْ الدلالة الكلية للنص مجموع المعاني الجزئية للجمل التي تكونه، فتجاوزتها إلى النظام العام الذي يحكم حركة النص"([1])، أي أن الاهتمام انصب إلى الدلالة الكلية الكبرى؛ أي (معنى النص)، التي تضمنتها الحروف المقطّعة، لكنّها لم تظهر في الشكل الهيكلي التجريدي

---

[1]- بحيري:علم لغة النص، 218 .

للحروف، بل من خلال المقابلة بين مفهومي بنى النص الـصغرى وبنـى الـنص الكبرى، التي شكلّت ـ بقطع النظر عن كميتهما ـ البنية الكلية الكبـرى للـنص، بمعنى أدق رصد الدلالات المتعالقة في البنيتين على امتداد النص أفقياً ورأسياً.

تجمع كتب التفاسـير على أن سورة البقرة، هي أول سورة نزلت على النبـي صلى ا عليه وسلم وهو في المدينة، لذلك اكتسبت صفتها المكانية تلك من المدينة (يـثرب) فسميت سورة مدنية، كما اكتسبت السور المكية صفتها من نزولهـا فـي مكة، وهذا الرأي هو الرأي الراجح عند أغلب المفسرين، بقطع النظر عن بعـض الآيات التي نزلت بمكة ووضعت ـ توقيفاً ـ في سورة مدنيـة، أو التـي نزلـت بالمدنية ووضعت في سورة مكية، وقد أفاضت كتب التفسير وعلوم القرآن قـديمها وحديثها، بالحديث عن القرآن المكي والمدني والفصل بينهما من خلال عدة معـايير وخصائص، إذ جزم أحد مصنفيها بعدم البت في معرفة المكي من المدني([1]) .

إن ما يهمنا هو معرفة الموضوعات التي اهتمت بها الســور القرآنيـة ذوات الحروف المقطعة، وهي كلّـها مكية ما خلا ثلاث سور، هي سـورة البقـرة وآل عمران والرعد، ويهمنا كذلك معرفة ما إذا كان حدث تغير فـي أسـلوب الـنص القرآني بعد الهجرة من مكة إلى المدينة، سواء أكان تغيراً كيفياً في مضمون السور التي استهلت بحروف مقطعة، أم كان تغيراً كمياً في عدد آيات الـسورة المدنيـة، والوقوف مع هذا التغير ـ إن ثبت في ركنـيه الكمي والكيـفي أو في أحـدهما ـ على الوحدة الموضوعية للسور ذوات الحروف المقطّعة؛ لمعرفة إذا ما كان الـنص القرآني، قد أبقى على وجودها قاسماً مشتركاً بين النصين المكـي والمـدني أم لا، وذلك من خلال رصد العلاقة الموضوعية بين السور المكية والمدنية، ومن خـلال معرفة التراكيب المحورية التي تماثلت في تلك السور، والوقوف على مسألة التماثل بينها، بسبب استهلال النصين بالحروف المقطّعة، بعده قيداً لهما، وتحييـد القيـدين الزماني والمكاني، أو اعتبار قيمة للقيدين معاً أو قيداً منهما، في تماثل النـصين؛ إذ نجد من جعل الاستهلال بالحروف المقطّعة الثلاثة (الم)، التي استهلت بهـا سـورة

---

[1]- أبو زيد ، نصر حامد: مفهوم النص ؛ دراسة في علوم القرآن ،75 وما بعدها .

البقرة، سبباً لقرب زمن الهجرة من مكة إلى المدينة، كما جاء عند ابن عاشور في تفسيره (التحرير والتنوير)، وهو يتحدث عن معاني الحروف المقطّعة في القول الرابع عشر بقوله:"...ووجه تخصيص بعض تلك الحروف بالتهجي دون بعض، وتكرير بعضها لأمر لا نعلمه، ولعلّه لمراعاة فصاحة الكلام، ويؤيده أن معظم مواقع هذه الحروف في أوائل السور المكية عدا البقرة وآل عمران؛ لأنهما نزلتا بقرب عهد الهجرة من مكة وأن قصد التحدي في القرآن النازل بمكة قصد أولي، ويؤيده أيضاً الحروف التي أسماؤها مختومة بألف ممدودة مثل الياء والهاء والراء والطاء والحاء، قرئت فواتح السور مقصودة على الطريقة التي يتهجى بها للصبيان في الكتاب طلباً للخفة"([1])، والتأكيد على أن بدء النزول بالقرآن خارج مكة، هو نفسه كما كان في مكة، وذلك باعتبار أن أول سورة استهلت بحرف مقطع هي سورة القلم وهي مكية، لذا كانت موجهة من حيث استهلالها وموضوعها ومناسبتها إلى العرب، ولا سيما المشركون الذي قالوا بجنون النبي عليه السلام من جهة، فبدأت بهذا النوع من الاستهلال، تثبيتا له عليه الصلاة السلام من جهة أخرى، لكن الإشارة إلى هذا التثبيت جاءت في الآية الثالثة لا في السابقتين عليها، فاقتضى النظم إعجازاً وتواصلاً وتذكيراً ولفتاً، إلى أن يتماثل أول نص مدني موجه في بيئة جديدة، فيها يهود ومشركون مع أول نص مكي بدأ بحرف مقطع، أم أن الاعتبار كان منصباً على آخر سورة نزلت في مكة - بقطع النظر عن الاختلاف حولها - الروم أو العنكبوت فكلتاهما استهلت بحروف مقطعة وماثلتا سورة البقرة في استهلالهما، فالسور القرآنية: البقرة والروم والعنكبوت بدأت بـ (الم)، وقبل تلك السور بدأت سورة لقمان والسجدة بـ (الم) وهما سورتان مكيتان، ثم نزلت سورة آل عمران في المرتبة الثالثة من السور المدنية بعد سورة الأنفال وماثلت سورة البقرة فبدأت بـ (الم)، ثم نزلت سورة الرعد وهي السورة العاشرة في ترتيب نزول للقرآن الذي بالمدنية، وهي خاتمة السور ذوات الحروف المقطعة، وبدأت بـ (المر)، أم أن الاعتبار كان لأول ما نزل في مكة من هذه السور ذوات الحروف

---

[1]- ابن عاشور: التحرير والتنوير، 213/1 .

المقطعة وهي سورة (القلم)، ولآخر سورتين من القرآن المكي (الروم والعنكبوت) أيضاً؛ ليكون الاستهلال إشارة وإيحاءً إلى كتاب واحد متماسك مترابط متواصل في نصيه المكي والمدني، سواء أكان نزوله في مكة متقدماً أم متأخراً، أم كان نزوله في المدينة متقدماً أم متأخراً أيضاً، وسنقف على هذا التماسك والترابط والتواصل بين المكي والمدني، من خلال سورة البقرة وغيرها من السور ذوات الحروف المقطعة، ونحن نحلّلها تحليلاً نحوياً نصياً يشترط هذا التماسك ويهدف إليه .

2- المناسبة بين عنوان السورة ومضمونها:

لم تغب المناسبة عن بال العرب القدماء الذين درسوا النص القرآني، تفسيرا وعلوما ولغة وأدباً، فأدركوا أهميتها وعرفوا أثرها في النص، سواء أكان هذا التناسب بين عنوان السورة ومضمونها بشكل عام، أم بين العنوان وقصة أو أكثر في النص، وعد النصيون المحدثون المناسبة عنصراً مهماً من عناصر التماسك النصي، باعتبارها رابطاً دلالياً يحيل إلى العنوان إحالة قبلية ويحيل إليها هو إحالة بعدية، أو رابطاً بين العنوان وحدث أو أكثر، فيه معنى من المعاني التي دلّ عليه أو أشار إليه العنوان، فيحيلان (العنوان والمعنى) إلى بعضهما إحالة قبلية وبعدية .

إن أول عنصر من عناصر التماسك النصي في سورة البقرة، هو المناسبة لفظاً ومعنىً، بين اسم السورة أو عنوانها وبين إمكانية الإحالة إليه، إحالة بعدية له (لاحقة) في بنية النص وإحالة قبلية إليه، بما تضمنه النص من ألفاظ ومعان تحقق هذه الإحالات، ولقد عنونت السورة باسم (البقرة)؛ معرفاً بالألف واللام مفرداً مؤنثاً، وورد هذا الاسم أكثر من مرة في متن السورة، إلا أنه جاء في كلّ مرة تكرر فيها نكرة مفرداً مؤنثاً بلفظه، وأحيلتّ إليه ضمائر متعددة قبلية وبعدية، فقارب لفظ (بقرة) والإحالة إليه أكثر من ثلاث عشرة مرة، فورد ذكر البقرة بضروب لغوية شتّى؛ ألفاظاً مفردة ومركبة إحدى عشرة مرة، وذُكِر مرة واحدة معرفاً وبصيغة الجمع (البقر)، لكنّه تعريف يدل على مطلق الجمع والجنس، وقد جاء في الآية قبل الأخيرة من الفقرة التي شكّلها مجموع الآيات التي عرضت لقصة البقرة، وهذه

الآيات هي قوله تعالى: وإذْ قَالَ موسى لِقَوْمِهِ إن الله يأمركُمْ أَنْ تَذْبحوا بقَرةً قَالُوا أَتَتخِذُنَا هزوًا قَالَ أَعوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُون مِن الْجاهِلِين ([1]) .

واستناداً إلى الدلالة المعجمية لهذه الحروف ودلالتـي (التـضمن والالتـزام) الذهنيتين التي اتكأ عليهما النصيون في ترابط النص وتماسكه، فإن عنوان الـسورة باسم (البقرة)، الحيوان المعروف، اقتضى حضورها في النص بـصورة واضـحة معروفة معرفة، كما أنبأ عن هذا التعريف أداته التي سبقت لفظـة (بقـرة)، وقـد أوجدتها مجموعة من الآيات القاطعة بوصفها تعريفاً وتمييزاً لها عن غيرهـا مـن البقر، لتنضم مع غيرها من الآيات في بنية النص، في التأكيد علـى الموضـوعات المحورية التي تحدثت عنها سورة البقرة، إذ إن الإحياء للميت تأكيد علـى حقيقـة البعث وعلى علم ا ، ومنه كيفية البعث وكيفية الحياة وكيفية الإماتة للميت، كما أن إظهار ما كتمه قوم موسى فأخرجه سبحانه وتعالى، تأكيد على علم ا الذي لم يحط بشيء منه أحد من الخلق إلا بمشيئته سبحانه، العلم الذي أحاط بما كتمه الإنسان أو بما أسره، تحدثت به نفسه أو وسوست، فأخرجه عز وجلّ ظـاهراً سـواء أكـان المكتوم قد مضى زمنه أم ما زال، تعالياً للنص القرآني على الزمان والمكان قـال تعالى: وا مخرج ما كنتم تكتمون ([2]) .

3- التحليل النصي لعنوان السورة بعد تفكيكه:

لرصد عناصر التماسك النصي في هذه السورة، وربط العنوان بنص السورة دلالياً، فلا بد من تفكيك العنوان نفسه والوقوف معه وقفة تحليلية نصية، إذ أشـرنا فيما سبق إلى أهمية العنوان في التحليل النصي، وكذلك دور الجملة الأولـى التـي عدها كثير من علماء النص بأنّها هي مفتاحه، ولقد أشار القدماء إلى دور البـدايات الاستهلالية وأهميتها في النثر والشعر، وأطلقوا على هذه البدايات مصطلحاً عـرف بـ (براعة الاستهلال)، وقد عرف الجرجاني هذا المصلح في تعريفاته بقوله:"هـي أن يشير المصنف في ابتداء تأليفه، قبل الشروع في المسائل، بعبـارة تـدل علـى

[1]- سورة البقرة: الاية/ 67، وانظر: الآيات (68-74).

[2]- سورة البقرة : الآية/72 .

المرتب عليه إجمالاً، وهي كون ابتداء الكلام مناسباً للمقـصود، وهـي تقـع فـي ديباجات الكتب كثيراً."([1])، وذكر حازم القرطاجني في منهاج البلغـاء مـا نـصه: "واعتنوا باستفتاحات الفصول واجتهدوا في أن يهيئوها بهيئات تحسن بها مواقعها في النفوس، وتوقظ نشاطها لتلقى ما يتبعها وما بها، وصدروها بالأقاويل الدالـة علـى الهيئات، التي من شأن النفوس أن تتهيأ بها عند الانفعالات والتأثرات، لأمور سارة أو فاجعة أو شاجية، بحسب ما يليق من غرض الكلام من ذلك "([2])، ولا أريـد أن أسهب في الحديث عن أسماء السور القرآنية، من حيث القول إنها توقيفية أو توفيقية وذكر الآراء التي قيلت فيها، إذ إن هذا الموضوع ليس من غاية هذه الدراسة بالمقام الأول، لذا فإنني أذهب مع الرأي ـ وهو الراجح ـ القائل بأنها توقيفية، لكن لا بـد ـ وخضوعاً لمنهج نحو النص ـ من الوقوف على اسم السورة لمعرفـة ارتباطـه بالنص بشكل عام، ومعرفة الدلالة التي يحملها هذا العنوان سواء أكانت تلك الدلالة جزئية أم عامة، أي الوقوف على المعاني الجزئية التي يحملها العنـوان، وربطهـا بدلالة بعض الألفاظ لفظاً أو معنىً، أو بدلالة آية أو فقرة في بنيتي النص الأفقية أو العمودية، وللوصول إلى هذه الغاية، فأول إجراء لتحليل النص، هو تفكيك العنـوان إلى أصغر وحداته الفونيمية والموروفيمية، ومن ثَم إعادة بنيته التي كان عليها قبـل تفكيكه؛ وذلك بقصد رصد أي معنى أُكْتِنز في فونيماته وموروفيماتـه؛ ألفاظـه أو جمله أو فقراته أو من خلال السياق العام للنص .

شكّل عنوان السورة (البقرة) بمكوناته، الصوتية والصرفية، والفعلية المجردة، من أل التعريف وهاء التأنيث، مورفيماً يدلّ على حيوان أليف مؤنث مفرد، مكّـون من مورفيم: أل التعريف، وفونيم الباء، والقاف، والراء، وتاء التأنيث، ويتبـع كـل فونيم (حركة)، وكون مورفيم (أل) التعريف مع الفونيمات والألفونـات مجتمعـة، أربعة مقاطع صوتية عند الوقف على تاء التأنيث وهي على الشكل التالي:

أل   ب   ،   قَ   ،   رةْ

---

[1] - الجرجاني: علي بن محمد بن علي الجرجاني (740ـ 816هـ ـ) ، التعريفـات: 63، دار الريان للتراث، ت/ إبراهيم الأبياري، 1403هـ .

[2] - القرطاجني: منهاج البلغاء ص296.

ص ح ص ص ح ، ص ح ، ص ح ص

إن أهم ما نتكئ عليه من العنوان، هو الوقوف بالتحليل على البنية المكونة له؛ صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة، وهي (أل التعريف) والفعل (بقَـر) وتقلباتـه الـستة وأبنيتها الثلاثية ومزيدها بالمقام الأول، بعد أخذه من العنوان الذي فككنـاه، وربـط معاني هذا الفعل ومعاني متقلباته ومزيدها، بما في النص من معان وأحداث زمانـاً ومكاناً ومناسبة، وربط تلك المعاني مع المعنى المناسب للحروف المقطعة (ألـ ـم) التي استهلت بها سورة البقرة، وربطه مع قصة البقرة التي سميت السورة باسمها.

ـ (أل التعريف): لقد أدت (أل التعريف) وظيفة تصريفية بحتة، وهي نقل الاسم من حالة التنكير إلى التعريف، كما أدت إلى تخصيص بقرة من بين البقر الذي تـشابه على بني إسرائيل بحسب زعمهم، والهاء دلّت على المفرد منه ، وبهذا التخـصيص تعد (أل) التعريفية عنصر إحالة أفاد التعريف لا التنكير، فهو يحيل إحالـة بعديـة متطابقة، إلى البقرة التي خصصت بالوصف في الآيات التي تحدثت عنهـا، وهـي بهذه الإحالة أغنت عن اسم إشارة يحيل الإحالة نفسها التي أحالتها، إذ يمكن تـأول اسم الإشارة بجملة: هذه البقرة، أو هذه بقرة بني إسرائيل، ومن المفسرين منْ يؤَول جملة لعنوان كل سورة يذكر فيها حدثاً بارزاً، فيقولون: السورة التـي تـذكر فيهـا البقرة ...الخ، وقد أعمل ابن القيم دلالة الإشارة في (مصدقاً) من قول ا تعـالى:" وهو الحق مصدقاً "([1])، ومن قوله تعالى: " والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه "([2])، وأنبأ عن الإشارة الألف واللام فقال:"... وهو أنْ يكـون مصدقاً ههنا حالاً يعمل فيها ما دلّت عليه الإشارة المنبئة عنها الألف والـلام؛ لأن الألف واللام قد تنبئ عما تنبئ عنه أسماء الإشارة، وحكى سـيبويه: لمـن الـدار مفتوحاً بابها ، فقولك: مفتوحاً بابها حال لا يعمل فيها الاستقرار الـذي يتعلـق بـه (لمن)؛ لأن ذلك خلاف المعنى المقصود، وتصحيح المعنى، لمن هذا الدار مفتوحـاً بابها، فقد استغنى بذكر الألف اللام وعلم المخاطب أنه مـشير، وتنبـه المخاطـب

[1]- سورة البقرة: الآية 91.

[2]- سورة فاطر: الآية:31.

بالإشارة إلى النظر، وصار ذلك المعنى المنبه عليه عاملاً في الحال، وكذلك قوله:" هو الحق مصدقاً "، كأنه يقول: ذلك هو الحق مصدقاً، لأن الحق قـديم ومعـروف بالعقول والكتب المتقدمة...ومما أغنت فيه الألف واللام عن الإشارة قولهم: اليـوم قمت، والساعة جئت، والليلة فعلت، والآن قعدت، اكتفيت بالألف واللام عن أسـماء الإشارة "([1]).

فمن خلال ما سبق يتبين لنا أهمية التعريف والتنكيـر وأثرهـا فـي العمليـة التواصلية، فالتعريف يخص ما قد تم معرفته بناءً على المعلومات السابقة، كما هـو الحال في معرفة اليهود للبقرة وقصتها، فجاء عنوان السورة معرفاً (البقرة)، وهـذا التعريف إلى جانب كونه وسيلة لغوية، فهو في الوقت نفسه وسيلة تداوليـة بحكـم معرفة المخاطب به، أما التنكير لاسم السورة في متنها، فكـان مقتـضياً لـه؛ لأن التعريف بالبقرة التي أمر بذبحها، قد عرفت في الآيات التي جاءت بعد ذكر اسـم السورة وهو نكرة (بقرة)، وأدرك المحدثون من علماء النص الغربيين هذه القيمـة لوسائل التعريف والتنكير، ويجملها (هاينه) بقوله:" تحتل مشكلة توجيـه الاتـصال بواسطة الوسائل النحوية مركز الجوهر في نموذج دراسة النص لدى (فاينريش)، إذ تؤدي الأشكال المختفلة للتعريف ومورفيمات الصيغة بشكل خاص تبعـاً لفـاينريش وظيفة الإشارات إلى توجيه استقبال كليات النص لدى السامع، حيث يبلـغ المتلقـي بواسطتها بالطريقة التي يجب عليه اتّباعها في ملاحظـة روابـط معينـة داخـل النصوص، وتشير أداة التعريف حسب هذا الإسهام إلـى مـا يـسمى "المعلومـات السابقة"، بينما تعد أداة التنكير إشارة إلى "معلومات لاحقة"؛ أي الوحدات اللغويـة، التي لم يوضحها المتكلّم بعد"([2]) .

وسورة البقرة ـ كما يذكر المفسرون ـ هي خطاب لليهود، وقـصة البقـرة قديمة ومعروفة، والإشارة إليها بالعنوان اسماً معرفاً، منسجم مع سياق السورة فـي توجيه الخطاب لليهود، كما أنه منسجم مع المكان والزمان الذي نزلت فيهما السورة،

---

[1]- ابن القيم : بدائع الفوائد، ت:سيد عمران وعامر صلاح ، 339/2،340 .

[2]- هاينه وفيهفيجر: ديتر، مدخل إلى علم اللغة النصي،28،29، ترجمـة: فـالح بـن شـبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع ـ جامعة الملك سعود .

إذ إن اليهود كانوا يسكنون المدينة، وفي تذكيرهم بقصة البقرة، دعوة لاتباع محمـد عليه الصلاة والسلام وما جاء به، وهي الدعوة نفسها التي جاء بها جميع الأنبيـاء عليهم السلام من قبله، وما ذكر قصة البقرة إلا تعالي من النص القرآني على حدود الزمان والمكان، فباب التوبة واتّباع الحق الذي جاء به الأنبياء والرسل دون ريب، ما زال مفتوحاً ومستمراً إلى أنْ يشاء ا ، ويظهر أن إنباء الألف واللام عن دلالـة الإشارة، كانت في الإحالة للاسم بعدهما إحالة بعدية، وقد تمثّلت في عنوان السورة بعدهما أولاً، وفي نص السورة التي أبانت عنها الآيات التي تحدثت عن قصة البقرة ثانياً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الألف واللام أنبأت عن دلالة اسم الإشارة في العمل، إذا ما عد اسم الإشارة مبتدأً محذوفاً ويعمل الرفع في الخبر، وهو الاسم المحال إليه، فعمل عمل ما دلّت عليه الإشارة في (مصدقاً) عندما عده ابـن القـيم حالاً، فكما أنبأت الألف واللام عن الإحالة، أنبأت كذلك عن العمل الدال عليه اسـم الإشارة .

4- دلالة الفعل (بقر) وتقليباته:

جاء في كتاب الأفعال:" و(بقَر) البطن والشيء بقْراً شـقّه، والـشيء وسـعه، و(بقِر) بقَراً، حسِر بصره فلا يكاد يبصر، و(بيقر) الرجل عدا منكساً رأسه خاضعاً، وأيضاً خرج من بلد إلى بلد، وأيضا أعيا، وأيضاً أتى العراق، وأيضاً فـسد أمـره، والفرس راوح بين رجليه في القيام، وأيضاً لم يصنع في الحاجة شيئاً "([1]) .

وقال ابن منظور: "(بـقر) البقَر اسم جنس، ابن سيده: البقَـرةُ مـن الأهلـي والوحشي يكون للمذكر والمؤنث ويقع على الذكر والأُنثى...وقال الأصـمعي بقـر القوم ما حولهم أي حفروا واتخذوا الركايا، والتبقّر التوسع في العلم والمـال وكـان يقال لمحمد بن علي بن الحسين بن علي الباقر رضوان ا عليهم ؛ لأنه بقر العلـم وعرف َأصله واستنبط فرعه وتَبقر في العلم ... وبيْقَر الرجلُ هاجر من َأرض ِإلى َأرض وبيْقَر خرج إلى حيث لا يدْري وبيْقَر نزل الحضر وَأقام هناك وترك قومـه بالبادية ... وبيْقَر خرج من بلد إلى بلد، وبيْقَر ِإذا شك وبيْقَر ِإذا حرص على جمـع

[1]- ابن القطّاع : الأفعال: 85/1، 1121، 113 .

المال ومنعه وبَيْقَر إذا مات، وأَصْلُ البَيْقَرة الفساد، وبَيْقَر الرجل في ماله إذا أسـرع فيه وأفسده وروى عمرو عن أبيه البَيْقَرة كثرة المتاع والمال"([1]).

وتبدو المناسبة بين عنوان السورة ومكان نزولها وزمانه، منسجمة مع الدلالات المعجمية التي ذكرنا للفعل (بقر) وتقلباته، فذكر قصة البقرة ومناسبة ذكـر الآيـات التي تحدثت عنها، وما تضمنته من علم الله بما كتمه بنو إسرائيل فأخرجه الله عـز وجل، وما جاء في كتب التفسير من شرح وتفسير لقصة البقرة، وذكر المال الـذي كان سبباً في القتل، مرتبط نسبياً مع أحد دلالات الفعل (بيقر) وهو قولـه: وبَيْقَـر الرجل في ماله إذا أسرع فيه وأفسده، والمال الذي دفع ثمناً للبقرة، مـرتبط نـسبياً بدلالة أخرى للفعل (بيقر) وهو: وبَيْقَر إذا حرص على جمع المال، وما تخلل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من أحداث، من مكة إلى المدينـة بـارزة ومنـسجمة ومترابطة، مع ما دلّت عليه دلالة الفعل وأبنيته: فعل وفعِل وفَيْعل عند ابن منظـور وابن القطّاع وغيرهما من أصحاب المعاجم اللغوية .

وتشير لنا دلالة الفعل (برق) من تقاليب (بقر)، إلى ما تعرض له عليه الصلاة والسلام من تهديد ووعيد ، قال في اللسان:" وبرق الرجل ورعد يرعد إذا تهدد، قال ابن أحمر:

يا جل ما بعُدتْ عليك بلادُنا وطِلابُنا فابْرُقْ بأَرْضِك وارْعُدِ

وتبدو علاقة الدهشة والحيرة متعالقة مع تقليبات الفعـل (بقـر)، قـال ابـن منظور:" وبرق الرجل وأبرق تهدد وأَوْعد، وهو من ذلك كأنه أراه مخِيلةَ الأذى كما يري البرقُ مخيلةَ المطَر...وبرقَ بصره برقاً وبرق يبرق بروقـاً الأخيـرة عـن اللحياني دهِشَ فلم يبصر وقيل تحير فلم يطْرِفْ "([2]). فالحيرة والدهشة اللتـان فـي مادة هذين الفعلين (بقر، و برق)، قد انسجمتا مع حادثة الهجـرة واسـم الـسورة، فالأولى حيرة المشركين ودهشتهم عندما رأوا علي بن أبي طالب في منام النبي عليه الصلاة والسلام عندما هموا بقتله، وهم مطمئنون كلّ الاطمئنان إلى ذلك، والحيـرة

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب (بقر) .

[2]- ابن منظور: لسان العرب ، (برق) .

والدهشة تناغمتا مع قصة البقرة، فالصورة وإن لم تكن حاضـرة فـي الحـادثتين للمتلقي، فإن المقام يؤكد على الحيرة والدهشة، فهما في ذهن المتلقي وهو يقرأ قوله تعالى: وإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادارأْتُمْ فِيها والله مخْرِج ما كُنْتُمْ تَكْتُمون * فَقُلْنَا اضْـربوه بِبعْضِها كَذَلِك يحْيِي الله الْموْتَى ويرِيكُمْ آياتِهِ لَعلكُمْ تَعْقِلُون ([1])، فكان ما كان مـن بعثه وتعريف بني إسرائيل بقاتله ثم موته، ولربما ناسب وصف البقرة التي قال فيها عز وجل: " تسر الناظرين " المعنى الذي أورده ابن منظور:" وبرقَت إذا تعرضـت وتحسنت وقيل أَظْهرته على عمْد، قال رؤبة: يخْدعْن بالتّبْريق والتّأنث، وامـرأة براقة وإبْريق تفعل ذلك اللحياني امرأة إبريق إذا كانت براقة ورعدت المرأة وبرقَت أي تزينت"([2]).

أما ما جاء من معانٍ للفعل (ربق) فهي محيط ما تتحدث عنه دلالة الفعل (بقر) وتقلباته الستة، فقد جاء في لسان العرب: " الربْقُ الخَيْط الواحدة ربْقة ابـن سـيده الربْقةُ والربْقةُ الأخيرة عن اللحياني والربْقُ بالكسر كل ذلك الحبْلُ والحلْقةُ تشد بهـا الغنم الصغار لئلا تَرْضع والجمع أَرْباقٌ ورباقٌ وربقٌ ... وأَخرج ربْقةَ الإِسلام من عنقه فارق الجماعة ويروى عن حذيفة من فارق الجماعةَ قِيد شِبْر فقد خَلَـع ربقـةَ الإِسلام من عنقه، الربقة في الأَصل عروة في حبْل تُجعل في عنق البهيمة أَو يـدها تُمسكها فاستعارها للإِسلام يعني ما يشد المسلم به نفسه من عرى الإِسلام أَي حدوده وأَحكامه وأَوامره ونواهيه، قال شمر قال يحيى بن آدم أَراد بربقـة الإِسـلام عقْـد الإِسلام قال ومعنى مفارقة الجماعة تَرك السنة واتباع البِدْعة "([3]) .

ولعلّ هذا المعنى هو أقرب المعاني التي يمكن جعله حلقة الوصل بـين آخـر سورة الفاتحة وأول آيتين من سورة البقرة بشكل خاص، وسياق السورة بشكل عام، ولا سيما إذا ما وجدنا من المفسرين من فسر الصراط المستقيم بـ (دين الإسـلام)، ويؤيد هذا التعالق، استعارة هذا اللفظ وإضافته مصدراً للإسلام في الحديث النبـوي الذي أوردته كتب عدة ، فقد جاء في السنن الكبرى للنسائي ما نصه:" أخبرنا محمد

---

[1]- سورة البقرة : الآيات : 72،73،

[2]- ابن منظور : لسان العرب : (برق) .

[3]- ابن منظور : لسان العرب : (ربق) .

بن يحيى المروزي...عن أبي هريرة قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن وذكر رابعة فنسيتها فإذا فعل ذلـك خلع ربقة الإسلام من عنقه فإن تاب تاب ا عليه"([1]) .

ولعل ما يعزز الذي ذكرنا ما جاء في القرآن الكريم من آيات ـ بقطع النظر عن موقعها في هذه السورة أو غيرها من السور ذوات الحروف المقطّعة ـ في القرآن الكريم ، فقد قال عز شأنه في سورة آل عمران: شَهِد الله أَنـه لا إِلَـه إلـا هـو والْملائِكَةُ وأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَه إلا هو الْعزِيز الْحكِيم *إن الدين عِنْد اللـهِ الإِسْلام وما اخْتَلَفَ الذِين أُوتُوا الْكِتَاب إلا مِنْ بعْدِ ما جاءهم الْعِلْم بغْيًا بيْنَهمْ ومـنْ يكْفُرْ بِآَيَاتِ اللهِ فَإن الله سرِيع الْحِسابِ ([2])، وهذا يعزز من تماسك الـسور ذوات الحروف المقطّعة.

وفي ضوء ما جاء من معانٍ للفعل (قرب) ـ أحد تقلبات الفعـل بقَـر ـ فإنهـا تساعد في الربط بين معنى أو أكثر، من معاني الفعل بقر وسائر تقلباتـه لفظـاً أو معنى، فمن المعاني التي جاءت في لسان العرب:" القُرْب نقيض البعْدِ قَرب الـشيء بالضم يقْرب قُرْباً وقُرْباناً وقِرْباناً أَي دنا فهو قريب الواحد والاثنان والجميع في ذلك سواء، قوله تعالى :" ولو تَرى إِذ فَزِعوا فلا فَوْتَ وأُخِذُوا من مكانٍ قرِيبٍ "، جـاء في التفسير أُخِذُوا من تحتِ أَقدامهم ، وقوله تعالى:"وما يدْرِيك لعل الساعةَ قرِيـبٌ" ذَكر قريباً؛ لأَن تأْنيثَ الساعةِ غير حقيقي وقد يجوز أَن يذَكر؛ لأَن الساعةَ في معنى البعث، قوله تعالى: واستمع يوم ينادي المنادي من مكانٍ قرِيـبٍ ([3])، أَي ينـادي بالحشْر من مكانٍ قريب وهي الصخرة التي في بيت المقْدِس ويقال إِنها في وسـط الأَرض([4]).

---

[1] - النسائي: السنن الكبرى: 326/4،327. ت: عبد الغفار سليمان البنداري وسـيد كـسروي حسن. وانظر: البيهقي: السنن الكبرى : 157/8.

[2] - سورة آل عمران : الآيتان : 18،19.

[3] - سورة: ق ، الآية :41.

[4] - ابن منظور : لسان العرب (قرب) .

ويمكن ربط معنى الفعل المزيد من (قرب) وهو (تقرب) الـذي أورده ابـن منظور قال: " وتَقَرب إلى الله بشيءٍ أي طَلَب به القُرْبة عنـده تعـالى، والقُرْبـان جِليس الملك وخاصتُه لقُرْبه منه وهو وأحد القَرابين، تقول فلان من قُرْبان الأميـر ومن بعْدانِه، وقَرابين الملِكِ وزراؤُه وجلساؤُه وخاصتُه، وفي التنزيل العزيـز: إن الله عهد إلينا أن لا نُؤْمِن لرسولٍ حتى يأْتِينا بقُرْبانٍ تأْكُلُه النار ([1]).

ويمكن ربط معنى مصدر الفعل على وزن التفعيـل (التقريـب) الـذي أورده الجرجاني في تعريفاته كما ربطه بعنوان الـسورة ضـمنياً، وهـو يتحـدث عـن المقدمات، مع الدليل الذي ألزم ا سبحانه وتعالى به بني إسرائيل في قصة البقرة، وهذا الدليل ـ كما يبدو ـ هو الوصف المتعدد الذي قطع به قوله تعالى على لـسان بني إسرائيل، فقال تعالى: الآن جئت بالحق ، إذ ذكر الجرجـاني معنـى هـذا المصدر بقوله:" التقريب: هو سوق الدليل على وجه يستلزم المطلوب، فـإذا كـان المطلوب غير لازم، واللازم غير مطلوب، لا يتم التقريب، وسوق المقدمات علـى وجهٍ يفيد المطلوب...والقرب المصطلح، هو قرب العبد من ا تعالى بكل ما تعطيه السعادة، لا قرب الحق من العبد، فإنه من حيث دلالة قوله تعالى: وهو معكم أينما كنتم قرب عام، سواء كان العبد سعيداً أم شقياً"([2]).

ويمكن ربط (فعيل) الدال بصيغته على الثبوت مـع دلالـة الفعـل (قـرب) المعجمية، إذ إن (فعل) هو البناء الأكثر تخصيصاً لثبوت الصفة فـي الموصـوف، بقرينة ثبوت حركة عينه في الماضي والمضارع، بخلاف اطّرادها اختلافاً في عيني (فَعلَ وفَعِلَ) ماضياً ومضارعاً، بقطع النظر عن ثباتها في أفعال قليلة منهما، عـدها اللغويون خارجة عن القياس، كما تعالقت دلالة الفعل والـصفة (قريـب) الواقعـة محمولاً أو مسنداً إليه (الخبر)، في قوله تعالى:" وإِذَا سأَلَك عِبادِي عني فَإني قَرِيب

[1]- سورة آل عمران : الآية 183.

[2]- الجرجاني:التعريفات : 223.

أُجِيب دعْوةَ الداعِ إِذَا دعان فَلْيسْتَجِيبوا لِي ولْيؤْمِنُوا بِي لَعلهمْ يرْشُدون"([1])، مع دلالة الهمزة نحوياً وهي تشير إلى القريب والبعيد([2]) .

ويمكن كذلك ربط معنى الفعل (قبر) مع ما جاء في سورة البقرة مـن آيـات، تتحدث عن كيفية دفن الميت ومواراته التراب، وما فيه من إكرام لـه، قـال ابـن منظور:"(قبر) وقَبره يقْبِره ويقْبره دفنه وأَقْبره جعل له قبراً وأَقْبر إِذا أَمـر إِنـساناً بحفر قبر ... القبر مما أُكرم به المسلم، وفي الصحاح مما أُكرم بـه بنـو آدم ... وأَقْبره جعل له قبراً يوارى فيه ويدفن فيه وأَقبرته أَمرت بأَن يقْبر وأَقْبر القوم قتيلَهم أَعطاهم إِياه يقْبرونه".

ويمكن أنْ نربط ما جاء من معنى للقتل في هذا الفعل، مع الآية التي تتحـدث عن قتل اليهود والكفار لأنبياء ا عز وجل ، قال تعالى: " فلم تقتلون أنبياء ا من قبل "([3])، وقد أشار البقاعي إلى حادثة الهجرة وهو يؤكد على انفتاحية الزمن للفعل المضارع بالاستمرار، قال في نظم الدرر:"قال أبو حيان وغيره في قوله تعالى في سورة الحج "إن الذين كفروا ويصدون"([4])، المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معـين من حال أو استقبال، فيدل إذ ذاك على الاستمرار، وهذا مما لا محيد عنه، وإلا لـم يشملْ هذا في هذه السورة المدنية من تخلق به قبل الهجرة وقوله تعالى: فلم تقتلون أنبياء ا من قبل ، قاطع في ذلك"([5]) .

ويمكن ربط معنى الفعل (رقب) ومعاني مزيده، بما جاء من معانٍ متأولة مـن الحروف الثلاثة التي استهلت بها سورة البقرة، وهي متأولة بأنها إشارة إلى أسـماء

---

[1] - سورة البقرة : الآية/186.

[2] - انظر: ابن هشام، الإمام جمال الدين عبد ا بن يوسف بن أحمد ابـن هـشام الأنـصاري، ت/761هـ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،35/1وما بعـدها، تقـديم: حـسن حمـد، إشراف: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلميـة، بيـروت – لبنـان، ط/1، 1418هـ - 1998م.

[3] - سورة البقرة : الآية 91.

[4] - سورة الحج: الآية 25.

[5] - البقاعي: نظم الدرر:10/1 .

ا الحسنى، كما يمكن ربط ما جاء له من معانٍ في معاجم اللغة بالأحـداث التـي وقعت قبل الهجرة من مكة إلى المدينة، وكيفية حفـظ ا سـبحانه وتعـالى لنبيـه ولصاحبه، قال ابن منظور:"(رقب) في أَسماءِ اللّه تعالى الرقِيب وهو الحافظُ الذي لا يغيب عنه شيء فَعِيلٌ بمعنى فاعل وفي الحديث ارْقُبوا محمداً في أَهـل بيتـه؛ أَي احفَظُوه فيهم، وفي الحديث ما مِن نَبي إِلا أُعْطِي سبعةَ نُجبـاء رقَبـاء أَي حفَظَـة يكونون معه والرقيب الحفِيظُ ورقَبه يرْقُبه رِقْبةً ورِقْباناً بالكسر فيهما ورُقُوباً وترقبه وارْتَقَبه انْتَظَره ورصده والترقب الانتظار وكذلك الارْتِقاب وقولـه تعـالى: ولـم تَرْقُبْ قَوْلي ، معناه لم تَنتَظِرْ قولي والترقب تَنَظر وتَوقع شيءٍ ...ورقَب الـشيء يرْقُبه وراقَبه مراقَبةً ورِقاباً حرسه حكاه ابن الأعرابي ... وراقب اللّه تعـالى فـي أَمرِهِ أَي خافَه (1) .

أما البقرة فَعرفتْ لقوم موسى عليه السلام في أول آية بعد الآية التي اشـتملت على الأمر بذبح (بقرة)، إذ لم يكن قيداً ذبـح بقرة موصوفة معروفة لمعرفة قاتـل القتيل أول الأمر، فجاء الأمر لهم بذبح بقرة أي بقرة، فالغايـة والهـدف والنتيجـة متأتية حاصلة من أي بقرة، ليثبت لهم أنّه يعلم الغيب والشهادة، وقدرته على بعـث الميت وإماتته، وصدق رسوله ورسالته ودعوته إلى إله واحـد، ولـم يـرد ا أنْ يضيق عليهم بالبحث عنها وتأمين ثمنها فأمرهم بذبح أي بقرة، ولعـل فـي عـدم التعريف بها جاء لغرض ابلاغي؛ وهو حتى لا يكون لقوم موسى عليه السلام حجة لهم عليه في معرفتها، على أن في التعريف بها وحدها دون غيرها من البقر سـراً وسحراً من موسى عله السلام ، فعلى لسانهم قال تعالى: إن البقر تشابه علينـا ، فكيف لو عرفت من قبل أن يسألوا عن علاماتها، فهي حجج طالمـا واجهـوا بهـا معجزات موسى عليه السلام، وا تبارك وتعالى قادر على أنْ يحقـق لهـم الـذي طلبوه من نبيهم، بأي فعل يفعله سيدنا موسى عليه السلام يأمره به ا عز وجـلّ ، كما إن إسناد فعلي (الذبح والضرب) لقوم موسى لا له عليه السلام، جـاءا ليقطعـا عليهم اتهامه عليه السلام، بأن ما سيفعله من ذبح وضرب في حال إسناد الفعلين له

---

[1] - سورة طه: الآية/94، ابن منظور : لسان العرب: (رقب) .

سحر منه أيضاً، وإسناد فعل المضارع (يأمركم) الذي يفيد معنى الأمـر، والفعـل الماضي (فقلنا) وفعل الأمر (اضربوه) عز وجلّ، دلالة موحية ومشيرة إلى أن ما سيترتب على فعل الأمر بذبح البقرة، هي أفعال دالة على أنها منه تبارك وتعـالى، ويظهر أن إسناد الفعل (فافعلوا) على مستوى الآية الأفقي ودلالته السطحية من قوله تعالى:" فَافْعلُوا ما تُؤْمرون"، لسيدنا موسى عليه السلام، بكونه المتكلّم معهم مباشرة، والقريب الشاهد على القبول أو الرفض منهم، وعلى ظهور الحقيقة من الحق وحـده سبحانه وتعالى حجة عليهم، فما قاله لهم من وصف البقرة إلزام لهم بفعل الذبح دون تراخ أو مماطلة، لكن ا عز وجل عليم بكفرهم وجدالهم وكثرة أسـئلتهم، ضـيق عليهم فبين أن البقرة التي يعرفونها ويتساءلون عن صفاتها حجة عليهم، فلّمـا لـم ينصاعوا للأمر لم يعاقبهم مباشرة، بل لجأ إلى استدراجهم حتى لم يبق سؤال يفيـد في تعريفها إلا وسألوه وأجابهم عنه، فلم تبق كذلك حجـة عنـدهم لعـدم ذبحهـا، وملزمون أيضاً بفعل أي فعل يأمرهم به عز وجل في أمرها وأمر القتيل، إذ الموقف والمقام والمقال، والظروف المحيطة بـالمتكلّم والمخاطـب والـسامع، وأسـلوب الاستدراج وطريقة الحوار وما تضمنه من معلومات صادقة تشير وتوحي للمخاطب وللسامع بمعرفة أمر القتيل، ملزمة كلّها لهم أيضاً أن يقوموا بفعل الذبح والضرب، فلا مناص من فعل الفعلين اللذين يؤمران بهما ولو جنحوا على عـدم القيـام بـه، بدليل:" فذبحوها وما كادوا يفعلون "، فحق عليهم العذاب بكفرهم، لكن على مستواها العمودي ودلالتها العميقة وسياق القصة، فإن الفعل (فافعلوا) هو مسند إلى ا عـز وجل، وكأن قبل الفعل حذْفَ فِعْلٍ يمكن تأوله: وهو: (ويقول) فافعلوا ما تـؤمرون، وذلك بدلالة الفعل يأمركم الوارد في بداية القصة، وبدلالة الفعلين: قال، و يقول من الآية نفسها وهو قوله تعالى: ... قَالَ إِنه يقُولُ إِنها بقَرةٌ لا فَارِض ولَا بِكْر عـوان بيْن ذَلِك فَافْعلُوا ما تُؤْمرون ، ويظهر من فعل الأمر (فافعلوا) إشارات دالة على أن لا فائدة من السؤال عن وصف البقرة وعلاماتها، فهو عليم بها، فأمرهم بذبحها فـي أول فعل جاء رداً على طلبهم من نبيهم، فعدلوا عن هدفهم الأول قـصداً، فتناسـوا معرفة القاتل واهتموا بمعرفة بقرة أمِروا بذبحها، لا يقدم تعريفها ولا يـؤخر فـي تحقيق هدفهم الأول، ولم يؤمروا بذبح بقرة معروفة، فراحوا يكثرون الأسئلة وكأنهم

يختبرون وجود ا وعلمه وصدق نبيهم ورسالته، فما دلالة الفعل قال المستغرقة في الماضي؟، ألا يشير إلى وجود القائل وتدبيره لهذا الكون من قبل ومن بعـد، وإلـى علم ا بما هو كائن وما يكون وما سيكون وما لا سيكون، فعلم ما كتمه قوم موسى وأعلمهم ما لا يعلمونه (قاتل القتيل)! ومع ذلك لم يكفوا عن طرح الأسئلة، إلا بعـد أن أبان عز وجل عن البقرة فأفصح عنها وصفاً وصفةً، حتى لم يبق ا ُ تعالى لهم علامة في البقرة يسألون عنها، فما كان منهم إلا قوله تعالى على لسانهم:" الآن جئت بالحق"، وفيه إشارة إلى أنهم عرفوها من أول وصف، بدليل أنهـم ذبحوهـا علـى مضض، وما كادوا يفعلون، وكأنهم مدركون أن نتيجـة فعلـي الـذبح والـضرب المسندين لقوم موسى، لدليل على صدق ما جاء به نبيهم، مـن التوحيـد والإيمـان بالبعث وصدقه وصدق رسالته، فذبحها حجة عليهم بإظهار موسى ومن تبعه علـى الكافرين من قومه، وبكثرة أسئلتهم تلك عنها، وإجابته عز وجـل عنهـا، وأمـرهم بالأفعال مقابلها، فقد ضيقوا على أنفسهم، وهذا التضييق ـ كما يبدو ـ لم يتأت فقط بالبحث عن البقرة أو عن صاحبها أو بدفع ثمنها، بل بتراخيهم حتى أوشـكوا أن لا يفعلوا فعل الذبح، وذهب الطبري إلى قبول التأويلين لفعل الذبح، الذي لـم يكـد أن يسْـند إليهم، قال:" ...والصواب من التأويل عندنا، أن القوم لم يكادوا يفعلـون مـا أمرهم ا به من ذبح البقرة، للخلتين كلتيهما: إحداهما غلاء ثمنها، مع ما ذكر لنـا من صغر خطرها وقلة قيمتها؛ والأخرى خوف عظيم الفـضيحة علـى أنفـسهم، بإظهار ا نبيه موسى صلوات ا عليه وأتباعه - على قاتله"([1]).

وقد دلّ على توقع عدم إسناده إليهم دليلان: أن هذا الحدث أو الفعل (فذبحوها)، بصيغته الماضوية وبوقوعه نتيجة نهائية في آخر الحوار، ومجيئـه مـسبوقاً بفـاء التعقيب، التي دلّت على انتهاء كلّ الأوصاف والصفات التي عدت حقاً لذبح بقـرة بعينها دون سائر البقر، دون أنْ يكون لها مبررات أو دواعٍ لذكرها، لدلالـة بهـذا التراخي والمماطلة على عدول قوم موسى عن فعل الذبح، والدليل الثاني: أن الفعل (فذبحوها)، قد أُستبدل بفعل يدلّ ويعبر ببنيته الصوتية وهو الحدث (يفعلون) الـدال

---

[1]-الطبري: جامع البيان، 220/2 .

على الحدوث له فعلاً، بنسبة أكثر من حدوث الفعل المستبدل (فذبحوها)، فكأن هـذا الحدوث يضارع صيغة (العدول)، وعضد هذا أيضاً صيغة الحدث نفـسه الحاليـة (المضارع)، أو الزمن النحوي لـ (يفعلون) فكان أقرب في الوقـوع مـن الفعـل الماضي (فذبحوها)، كما أن استعمال الفعل (كاد) بشكل خاص الدال بصيغته وزمنه، يعضد توقع عدول قوم موسى عن القيام بفعل الذبح، فكأن المفهوم من هذا التركيب لجملة (يفعلون) ـ دون الالتفات إلى حرف النفي الذي أثبت وقوع فعل الذبح، إذ لم ينفِ توقع العدول عنه ـ فالتركيب يوحي إلى تقريب هذا العدول، وهذا التقريب في عدول قوم موسى عن فعل الذبح، يوحي به التركيب في الأصل من كـاد المثبتـة والفعل بصيغة المضارع نحو: وكادوا أن يذبحوها، أي لم يذبحوها، ويـوحي هـذا التركيب (وما كادوا يفعلون)، بأن فعل الذبح الذي لم يكادوا يفعلوه ليس لـه قيمـة، وهو ـ كما يظهر ـ يحمل القيمة نفسها التي نمنحها في عرفنا اللغوي الاستعمالي، لمنْ نطلب منه القيام بفعل ما، لكنّه لم يكن الاهتمام به لدى المأمور بفعله، بمستوى الاهتمام من الآمر به، فيبدي الأخير امتعاضه وعدم رضاه من تلبية الفعـل، علـى الرغم من تنفيذه من قبل المأمور به، فكأن تنفيذه وعدمه سواء، ومعيار هذه المساواة بين تأدية الفعل وعدمه في عرفنا اللغوي الاستعمالي، هو التباطؤ والمماطلة، فعـدم وقوع الفعل (فذبحوها) عقب فعل الأمر (يأمركم) ليس استجابة مباشرة كمـا يريـد المخاطِب، بدلالة صيغة المضارع على الفرع منه وهو الأمـر، وزمنـه النحـوي الحاضر، وكأنه يأمرهم الآن في الحال، بقرينة فعل الأمر (فافعلوا) المسْتَبْدلُ بالفعل المضارع (يأمركم)، بدلالة القرينة اللفظية للفعل (تؤمرون) بعده، التي اشتملت بنيته الصوتية على مادة الفعل (يأمركم)، فكأن التركيب (فافعلوا ما تؤمرون) بديلاً عـن صيغة الأمر من الفعل (يأمركم)، كما أن وجود مادة الفعل الدالـة علـى الحـدث (فافعلوا)، لخير دليل على التأكيد على فعل الذبح دون إبطاء أو تراخ، لكنّه ُأسند إلى موسى عليه السلام رحمة بقومه، إذْ لو كان مسنداً إلى لفظ الجلالة ولم يمتثل إليـه قوم موسى، لوقع العذاب عقبه مباشرة، فأفعال الأمر التـي ُأمـر بفعلهـا الرسـل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مسندة للفظ الجلالة تبارك وتعالى، فهـم المتقـون المؤمنون، فلا وارد عندهم عليهم الصلاة والسلام، تأخير تنفيذ أي فعل يؤمرون به،

وللتمثيل لا للحصر، نذكر من هذه الأفعال التي أُمِر بفعلها موسى عليه السلام (إخلع نعليك، وأخرج يديك، فقلنا اضرب، ألق عصاك، خـذها ولا تخـف، اذهـب إلـى فرعون، فقولا له، فافرق بيننا، وهو مسند لفظاً إلى موسى ومعنىً إلى لفظ الجلالة، واتلُ عليهم، ولكن انظر، فخذ ما آتيتك، فَخُذْها بِقُوةٍ وأْمرْ قَوْمك...الخ) ([1]).

فنتيجته الحدث (فذبحوها)، هي آيات لا يريدون أن يعقلونهـا، فهـي بـراهين وآيات وعلامات، دالّة على وحدانية ا القدير اللطيف الخالق العليم المحيي المميت، ودليل على صدق الرسول والرسالة، وهذا ما أنكره وكذّبه قوم موسى عليه الـسلام وكتموه، إلا أنه سبحانه وتعالى أخرجه بهذه القصة التي خشعت لها الحجارة، فقـد أحيا الميت وأنطقه أمامهم ثم أماته، علّهم يعقلون فيؤمنون بـا وحـده ويتبعـون رسوله، فَبَعْثُ الميت وموته، من الأفعال التي له وحده تبارك وتعالى، وهي أحداث في علم الغيب، فأثبت سبحانه وتعالى بها حقيقة البعث التي كفروا بها، وقد فضل ا بني إسرائيل على العالمين، بأنْ أدركوا تلك الأفعال، ووقفوا على نتائج أفعال أمروا هم بفعلها أيضاً، وأدركوا أيضاً نتائجها، فتفضل ا عليهم بعلمه الذي لم يحط أحـد بشيء منه إلا بمشيئته تعالى، فأي إله أرحم وألطف وأعلم وأقدر، من ا الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، مالك الملك، الرقيب اللطيف الحي القيوم العزيز العليم .

كما أن فعل الأمر (ادع) الذي أسند إلى سيدنا موسى عليه السلام، يشير إلـى توقعهم باستجابة ا عز وجل لنبيه، وهو في سياق واحد مع الفعل قبله، إذ لم ينتهوا عن أمرهم نبيهم مرة واحدة بفعل الدعاء هذا، فأمروه به نفسه مرتين بعـده لفظـاً وصيغة، فانصرفوا إلى اتهام موسى عليه السلام بسخريته منهم، قبـل أن يـسألوا عنها، ولم يسألوا عن سبب ذبحها، فهم من أراد معرفة قاتل القتيل من موسى عليـه السلام، فلّما لم يكن من سبيل لهم إلى هذا السؤال، طلبوا وصفاً للبقرة علّه يمـنعهم من فعل الذبح ـ كما يبدو ـ وهو معرفة ما لا فائدة في معرفته فوصفها لا يقدم ولا يؤخر، فلما تبين لهم ما تبين ، أظهروا ما كتموه وهو قوله تعالى ـ وا أعلم ـ :

---

[1] - ينظر هذه الأفعال وغيرها في سورة القصص، والسور التي تحدثت عن قصة موسى عليه السلام، مع فرعون .

وإِذْ قُلْتُمْ يا موسى لَنْ نُؤْمِن لَكَ حتى نَرى الله جهْرةً فَأَخَـذَتْكُم الـصاعِقَةُ وَأَنْـتُمْ تَنْظُرون * ثُم بعثْنَاكُمْ مِنْ بعْدِ موْتِكُمْ لَعلكُمْ تَشْكُرون* وظَلَلْنَا علَيْكُم الْغَمـام وَأَنْزلْنَـا علَيْكُم الْمن والسلْوى كُلُوا مِنْ طَيباتِ ما رزقْنَاكُمْ وما ظَلَمونَا ولَكِنْ كَـانُوا أَنْفُـسهمْ يظْلِمون ([1]) .

فالفاء من الفعل (فافعلوا)، للتعقيب، فأدت معنىً وظيفياً مفهوماً من الكلام قبلهـا (وصف البقرة الأول) وكأنّها قد قطعت بوصفها كما يبدو، بقرينة مادة الحدث (فعل الأمر مسبوقاً بالفاء)، فقال: (فافعلوا) بدلاً من (فاذبحوا)، وهذا المعنى الوظيفي هـو التعليل اللازم من دلالة اللفظ من غير أنْ يصرح به اللفظ نفسه، ولعل هذا التعليـل هو من القسم الأول من الأقسام الستة، التي أوردها ابن حزم على:"ما يـدل علـى العلية بالتنبيه والإيماء، وذلك بأن يكون التعليل لازماً من مدلول اللفظ وضعاً، لا أن يكون اللفظ دالاً بوضعه على التعليل، وهو ستة أقسام، الأول: ترتيب الحكـم علـى الموصوف بفاء التعقيب والتـسبيب فـي كـلام ا أو رسـوله أو الـراوي عـن الرسول"([2])، ويتصل بدلالة اللفظ غير اللفظية تعليل الألوسي لاسم السورة، بافتتاحها بالمبهم ثم تعقيبه بالواضح فيه، أتم مناسبة لقصة البقرة التي سميت السورة بها " وإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فادارأتم فِيها وا مخْرِج ما كُنتُمْ تَكْتُمون"([3]). كما أن فعل الـذبح للبقـرة المؤكّد بأن قبله وبصيغة المضارع الدال بذاته على الأمر في قوله تعـالى:" إن ا يأمركم أنْ تذبحوا بقرة "، لهو إشارة وعلامة على أن من وراء هذين التأكيدين لفعل الذبح خطباً وأمراً جللَيْن، كما أن النتيجة التي وراءهما غير معروفة لموسى عليـه السلام، لكنّه على يقين بكل ما يؤمر وبما سيتحقق، فا هو مخرج ما كتموا، كما أن فعل الضرب، لم يقله لهم سيدنا موسى عليه السلام ، بل جاء دون توسط بخـلاف الأفعال السابقة بدليل: إنه يقول، إن ا يأمركم، إذ قال: " فقلنا اضـربوه ببعـضها، وا مخرج ما كنتم تكتمون " .

---

[1]- سورة البقرة : الآيات 55-56.

[2]- ابن حزم: الإحكام في أصول القرآن:338 .

[3]- الألوسي: روح المعاني: 103/1. دار إحياء التراث العربي. مصر: درب الأتراك .

إن المعنى الذي يمكن رصده في هذه القصة ينسجم مع دلالة الفعل (بقر) ومصدره، وهو علم الله بالذي كتمه بنو إسرائيل، وعلمه الذي أحيا الميت وأنطقه، فأي علم يجاري علم الله تعالى، وهذا المعنى مترابط ومتماسك لفظاً ودلالةً، مع تفسير ابن عباس لـ (ألم) بقوله :" أنا الله أعلم "، ومتعانق مترابط متسق متماسك، مع تفسير مَنْ يذهب إلى أن الحروف المقطّعة هي أحرف مقتطعة من أسماء الله الحسنى، فهي في حقل دلالي واحد: علماً وقدرة ورحمة وسعة ... ومعنى عليم أيضاً مفهوم من قوله تعالى:" وما الله بِغَافِلٍ عما تَعْمَلُون ". وجاء في التعريفات للجرجاني:" أن اسم الله عز وجل علم دال على الإله الحق دلالةً جامعةً لمعاني الأسماء الحسنى كلها"([1]) .

وهذه الآيات التي تتحدث عن قصة البقرة متعالقة مترابطة متماسكة، مع الآيات التي تتحدث عن المؤمنين وصفاتهم، وأول صفة لهم جاءت في الآية الثالثة من السورة، قال تعالى:" الذين يؤمنون بالغيب"، ومع نفي الريب عن كلّ ما جاء به القرآن الكريم وحدث به الرسل والأنبياء ، فالله واحد لا شريك له، عليم بما هو للعباد من خير وشر، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، يحيي ويميت ويبعث من في القبور، وإذا ما مضينا في التدليل على تماسك دلالات الأفعال التي هي من تقاليب الفعل (بقر)، فإننا سنجد هذا التماسك بين تلك الأفعال وآيات متفرقة في بنية نص السورة، موحية أو مشيرة إلى تناغم واتساق وانسجام دلالة هذه الأفعال مع زمن نزول السورة ومكانها، ومع الأحداث التي سبقت نزولها في مكة والمدينة، متماسكة مع العلامة التي يمكن رصدها دلالياً وتداولياً من ذكر قصة البقرة، إذ إن في المدينة اليهود، والخطاب القرآني في هذه السورة موجه إليهم، أكثر مما هو موجه إلى غيرهم كما تذكر كتب التفاسير وعلوم القرآن .

إن دلالة الأفعال المعجمية الستة التي تحصلت لنا من تقاليب الفعل (بقر)، المتحصل من تفكيك عنوان السورة، تشير إلى إمكانية إحالة بعض دلالاتها إحالة خارجية، وهذه الإحالة قد تتمثل في القصص التي وردت في السورة ، ومنها قصة

[1] - الجرجاني: التعريفات/51 .

سيدنا آدم عليه السلام وابنيه ، وكذلك قصة البقرة وغيرها من قصص سيدنا موسى عليه السلام مع قومه، ولعل أهم ما يمكن إحالته خارجياً من دلالة هذه الأفعال ، هي هجرة الرسول صلى ا عليه وسلم وما سبقها من أحداث أدت إلى ذلك، وقد تكفّلت كتب السيرة ببيان هذه الأحداث .

5- الحروف المقطعة الثلاثة (الـ ـم):

إذا كانت براعة الاستهلال كما عرفها (الجرجاني)، بأن المتكلّم يجمل فيها ما يريد أن يقوله في النص، فإن (الم) وغيرها من الحروف قد أُجْمِلَت فيها كلمـات ا -التي لن تنفد- ي النص القرآن كلّه بوصفه نصاً، وأجمل فيهـا كلمـات ا فـي السورة النص من السور ذوات الحروف المقطّعة، وأجمل فيها كلمات ا في السور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة (النص) كذلك، ولتوضيح ما ذكرناه عـن براعـة الاستهلال بالحروف المقطّعة، وأولها بشكل خاص الحروف الثلاثة (الـ م)، يمكـن القول أن كلّ كلام البشر إنّما هو معقود على ثمانية وعشرين حرفاً التي يتألف منها الكلام؛ إذ لا تجد كلمة من الكلمات التي تنطق إلا وأصواتها بين الهمزة والـلام، أو بين اللام والميم، أو بين الهمزة والميم، فإن دلّت هذه الدلالة التي تحصلت من خلال المستوى الصوتي، الذي يبين مخارج الأصوات وصفاتها، فإن الإحاطة بتأليف عدد قد ينتهي من المفردات، إنّما هو ضرب من الميتافيزيقيا، فلا يستطيع امـرؤ مهمـا أوتي من طلاقة اللسان وسحر البيان وقدرته على التعبير والإنشاء، أن يحيط بكلمات يجزم بنهايتها نظماً أو معنىً، أو نظماً ومعنىً، لكن المتكلّم أو الكاتب يختـار مـن الكلمات التي تؤدي المعنى الذي يقصده، فقد يختار كلمة مفيـدة أو مجموعـة مـن الكلمات تؤدي المعنى من خلال جملة أو أكثر.

إن أهم ما يحقق التماسك النصي للنص، هو تعالق التراكيب فيما بينهـا علـى مستوى الدلالات، وفي ضوء هذا المستوى التحليلي، فلا مندوحة مـن ربـط هـذه الحروف التي شكلّت الجملة الأولى، أو ما أطلق عليها مصطلح (الجملـة النـواة)، ربطها مع أبنية النص دلالياً في المقام الأول، استناداً إلى الموقـع الـذي شـغلته، والصوت الملفوظ الذي نطقت به أعضاء النطق انجازاً لها، والشكل المكتوب الـذي رمز لصوتها، والوقف الذي حققته الفاصلة القرآنية، تحقيقاً لنظرة نحو النص لجميع

مكونات النص؛ أصواتاً وكلمات وأبنية صغرى وكبرى، مترابطة متعالقة فيما بينها، تحقيقاً للبنية الكلية الكبرى، وفي ضوء تعدد قراءات المفسرين واللغويين وغيـرهم، للحروف المقطّعة، وإمكانية تعدد القراءة لها مع كلّ قراءة، فإن لكل حـرف منهـا ثلاثة رموز مرسومة كتابة، وكل ثلاثة حروف مكتوبة لكل منها صوت منها أيضاً، لا تمثل رمزاً كتابياً لصوت واحد من (الم) فحسب، بل رمزاً لثلاثة حـروف؛ الأول منها فقط للألف من(الم)، والثاني والثالث للام وللفاء من (ألف)، والأول فقط لـلام من (الم)، والثاني والثالث للألف والميم من (لام)، والأول فقط للمـيم مـن (الـم)، والثاني والثالث للياء والميم من (ميم)، وكذلك انفتاح التأويل لكلّ حرف من الحروف الثلاثة من (الم)، في ضوء اعتبار كلّ حرف مقتطع من كلمة أي كلمة بشكل عـام، وأي كلمة في بنيتها حرف من هذه الحروف، هي ليست مشتقة مـن لفـظ معـين معروف بذاته، قبل قراءة هذه الحـروف قـراءة تأويليـة، بمعنـى أن الكلمـات (المدلولات) المتأولة أظهرتها كثرة التأويل لهذه الحروف، فيصنّف أغلبهـا ضـمن الدلالات أو المعاني غير اللفظية، شأنها شأن المدلولات الذهنيـة اللازمـة، للفـظ (الدال) قبل أنْ تَدل عليه مدلولاته غير اللفظية، فمدلولات هذه الحروف جادت بهـا أبنية النص في مستواها التصوري المفهـومي، لـذا لا ضـابط لتعـدد الكلمـات (المدلولات)- فردة أو مركبة- لمتأولة لكل حرف، إذا ما كان كلّ تأويل منـضبطاً، فلا يمكن استبعاده ألبتة؛ لانسجامه وتعالقه مع الدلالة الكلية الكبرى للنص، وكـذلك آلية التأويل البنيوية للحروف الثلاثة (الم)، وكذلك تأويل ما تفرع عن كـل صـوت منها، برمزه الكتابي الثلاثي الشكل رسماً، مع إمكانية تحصيل من كل شكل، سـتة أفعال بتقليبه كما هو شأن الفعل (بقر) السابق، فكل ما يتصل باللفظ ويسهم في دلالة النص ضمن المجال النسبي أو الذهني، حري به أنْ يكون مدلولاً ماثولياً يرْتَق بـه صدع، قد يظهر في بناء من أبنية النص، وفي هذا السياق يذكر (سعيد يقطين) تعدد العلامات تبعاً للوسائط المترابطة بقوله:" يجري الحديث عن الوسـائط المترابطـة عندما تكون معلومات النص المترابط متعددة العلامات، أي عندما تجاوز النصوص إلى جانب الصور (الثابتة أو المتحركة) أو الأصوات، والشيء نفسه يمكن قوله عند

"الكلمات المترابطة" التي تستعمل عندما تكون متصلة بغيرها داخل نص معين بروابط محددة، وهكذا دواليك"([1]).

ووضح أبو هلال العسكري مبكراً دلالة الالتزام أو الاقتضاء، وهو يفرق بين الدلالة والعلامة بقوله:" الفرق بين الدلالة والعلامة: أن الدلالة على الشئ ما يمكن كل ناظر فيها أن يستدل بها عليه، كالعالم لما كان دلالة على الخالق، كان دالا عليه لكل مستدل به، وعلامة الشئ ما يعرف به المعلم له ومن شاركه في معرفته دون كل واحد، كالحجر تجعله علامة لدفين تدفنه، فيكون دلالة لك دون غيرك، ولا يمكن غيرك أن يستدل به عليه، إلا إذا وافقته على ذلك، كالتصفيق تجعله علامة لمجئ زيد، فلا يكون ذلك دلالة إلا لمن يوافقك عليه، ثم يجوز أن تزيل علامة الشئ بينك وبين صاحبك، فتخرج من أن تكون علامة له، ولا يجوز أن تخرج الدلالة على الشئ من أن تكون دلالة عليه، فالعلامة تكون بالوضع والدلالة بالاقتضاء"([2]) .

وفي هذا السياق الدلالي المتعدد للألفاظ، نجد الآمدي يعدد لنا حاملات المحمولات التي يستمدها علم الأصول من العربية بقوله:" وأما علم العربية: فلتوقف معرفة دلالات الأدلة اللفظية، من الكتاب، والسنة، وأقوال أهل الحلّ والعقد من الأمة، على معرفة موضوعاتها لغة، من جهة الحقيقة، والمجاز، والعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد، والحذف، والإضمار، والمنطوق، والمفهوم، والاقتضاء، والإشارة، والتنبيه، والإيماء، وغيره، مما لا يعرف في غير علم العربية"([3])، ويظهر من كلام الآمدي اعتباره للمدلولات غير اللفظية، التي تحملها الدوال؛ المنطوق، والإشارة، والإيماء. وبالجملة نقول: إن المعاني غير اللفظية هي معانٍ لازمة محذوفة تفترض التقدير بتأويلها، كما هو المفروض في تقدير المحذوف في التركيب، وإذا كان الحذف للفظ من التركيب أولى من ذكره، فالمعنى المتَأول الذي يسهم في دلالة النص، أولى منْ المعنى الظاهر للفظ مفرداً أو متركباً مع

---

[1]- انظر: يقطين: سعيد: (العلامات المترابطة) من النص إلى النص المترابط، ص/86 وما بعدها، مجلة عالم الفكر،ع/2، مج/32، 2003م.

[2]- العسكري: الفروق في اللغة ، 235 .

[3]-الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام ، 8/1.

غيره، فبعض هذه الدلالات المتأولة للفظ ما لم تتصل داخلة فيه، لكنّها لازمـة لـه، ويبدو أن دلالة الالتزام- وهي القسم الثاني لدلالة اللفظ غير اللفظية - لتي جعلهـا ابن حزم مساوية لدلالة المطابقة، من حيث كمال المعنى الموضوع له اللفظ، وأعـم من دلالة التضمن؛ لفقدان دلالة الالتزام معنى لازم، على الرغم من عدم ظهوره أو حضوره، بخلاف حضوره مع دلالة التضمن، قال:"وأما غير اللفظية، فهـي دلالـة الالتزام، وهي أن يكون اللفظ له معنى، وذلك المعنى له لازم من خارج، فعند فهـم مدلول اللفظ من اللفظ، ينتقل الذهن من مدلول اللفظ إلى لازمه، ولو قدر عدم هـذا الانتقال الذهني، لما كان ذلك اللازم مفهوما، ودلالة الالتزام، وإن شـاركت دلالـة التضمن في افتقارهما إلى نظر عقلي يعرف اللازم في الالتزام، والجزء في دلالـة التضمن، غير أنه في التضمن لتعريف كون الجزء داخلاً في مدلول اللفـظ، وفـي الالتزام لتعريف كونه خارجا عن مدلول اللفظ ، ودلالة الالتـزام مـساوية لدلالـة المطابقة ضرورة امتناع خلو مدلول اللفظ المطابق عن لازم، وأعـم مـن دلالـة التضمن، لجواز أن يكون اللازم لما لا جزء له"([1]).

وقال الغزالي، ت/505هـ، في تقسيمه الثاني للألفاظ:" إن الألفـاظ بالإضـافة إلى خصوص المعنى وشموله، تنقسم إلى لفظ يدل على عين واحدة ونسميه معينـاً، كقولك زيد وهذه الشجرة وهذا الفرس وهذا السواد، وإلى ما يدل على أشياء كثيـرة تتفق في معنى واحد ونسميه مطلقا، والأول حده اللفظ الـذي لا يمكـن أن يكـون مفهومه إلا ذلك الواحد بعينه، فلو قصدت اشتراك غيره فيه منع نفس مفهوم اللفـظ منه، وأما المطلق فهو الذي لا يمنع نفس مفهومه من وقع الاشتراك فـي معنـاه ، كقولك السواد والحركة والفرس والإنسان"([2]) .

وفي هذا السياق لتعدد المعاني من دلالات الكلمات اللفظية وغير اللفظية، يبدو أن (رولان بارت) قد لحق بما جاء به القدماء من تعدد دلالات اللفظ اللغوي، وذلك من خلال حديثة عن ما سماه (هسهسة اللغة)"([3]).

---

[1]- ابن حزم: الإحكام في أصول القرآن، 15/1.

[2]- الغزالي: المستصفى في أصول الأحكام:56/1 .

[3]- انظر: بارت: لذّة النص19.

وفي ضوء ما تقدم فلا بد من وقفة دلالية سيميائية للحروف (الم)، علّها تزودنا بدلالات لم تنص عليها المعاجم، دلالات تتجـاوز المـدلول الأول والثـاني لهـذه الحروف، دلالات قد تتأتّى من إدخال السيميائيات أو نظرية العلامات محـوراً فـي فهم النص، وقد نعت أحد الباحثين صاحب هذا الإدخال نعتاً حسناً بقوله: " لقد أحسن صـنْعاً منْ اقترح السيميائيات والمنطق، ذلك أن السيميائيات الحديثة والمعاصـرة بشقيها الأمريكي والأوروبي، أقيم بناؤها من بين ما أقيم عليه، على أوليات منطقية رياضية، كشأن السيميائيات القديمة والوسطية وامتداداتها "([1])، وبين (جيرار دولـو دال)، طبيعة العلامة وتعدد موضوعاتها وأقسامها بقوله:" إن العلامة نفسها تنتمـي على مقولات، وإلى أنماط وأقسام من العلامات مختلفة بحسب النظر إليهـا، سـواء بالنسبة لذاتها كعلامة أولى، أو بالنسبة لموضوعها كعلامة ثانية، أو بالنسبة لمؤولها كعلامة ثالثة، فالبنسبة لذاتها فإنّها كما هي مستقلة عن موضوعها وعـن مؤولهـا، ولكن كعلامة أولى ستكون إمكانية لعلامة؛ أي ستكون علامة وصـفية، وكعلامـة ثانية، ستكون علامة حقيقية (رسماً، أو نثراً مميزاً)؛ أي سـتكون علامـة فرديـة، وكعلامة ثالثة ستكون علامة مقنّنة، أو علامة نموذج مثالي؛ أي سـتكون علامـة عرفية، وبالنسبة لموضوعها، يمكنها: إما أن تشبه، أو أن تشير إليه، أو أن تحـدده، فهي إذن بالتسلسل: إما أيقونة أو قرينة و/أو رمز، وبالنسبة لمؤولها، لن تكـون إلا متصورة أو ممثلة (فدليل Rhéme)، أي ستكون علامة ثنائية، أو مؤولة باسـتدلال، بكل ما في كلمة الاستدلال من معنى (برهان Argument)"([2])، وقد ذكر محمد عبـد المطلّب أن للعلامة طبيعة كلية شمولية تأخذها، فقال:" وقد تأخذ العلامة طبيعة كلية يكون التحرك منها على ما تدلّ عليه ذا اتساع وشمول يغطي أبعاداً زمانية ومكانية لا نهائية"([3]).

---

[1] - مفتاح ، محمد: أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية: عـالم الفكـر: م 35، ع 3، 2007م.

[2] - دولو دال، جيرار: السيميائيات أو نظرية العلامات، 52،51، ترجمة: عبد الرحمن بوعلي.

[3] - عبد المطلب، محمد ، العلامة والعلامتية/ دراسة في اللغة والأدب، 10،9 .

إن الحروف المقطّعة في رحابة هذه النظرية متخنة بالمعاني، فالألف تشير إلـى أكثر من دلالة، فهي تشير إلى أسماءه الحسنى(ا ، الأول، الواحد، العدل...الـخ)، كما تشير إلى الوحدانية وإلى الصراط المستقيم واللام رمز الوحدانية والميم لاسـمه (العليم)، والألف قد تشير إلى فعل الأمر، إذا ما علمنا بأن أول لفظ خوطب الرسول عليه الصلاة والسلام به هو (اقرأ)، وأكثر أفعال الأمر إنما تبـدأ بحـرف الألـف، وبذلك يكون فعل الأمر (اعبد، أو اعبدوا) ، وهو في الوقت نفسه ملازم لتأويـل أو تفسير كثير من المفسرين للألف من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وأصحاب التفسير بالمأثور وبالرأي، وتفاسير الصوفية والشيعة والمعتزلة، وهو - الألف - من ا ، وتؤيد هذا دلالتا الالتزام والاقتضاء، من حيث إن العبادة هي وحده، وإذا ما كان هذا التأويل للألف مقبولاً، فإن الجملة التي يمكن أن نتأولها من هذه الحروف الثلاثة هي: اعبدوا ا الذي لا إله إلا هو، وكذلك: اعبدوا ربكم، وقد وردت آيات كثيـرة في سورة البقرة تعزز ذاك هذه التأويلات ([1]) .

ويظهر أن هذه الحروف ليست هي حروف قسم، فلو كانت حروف قسم، لمـا تتالى حرفا قسم، فيكون حرف الواو - مثلاً- حرفَ قسم وقبله حرف قـسم، كمـا في: ص وق ون، وإنْ كانت حروف قسم والواو حرف عطـف، فهـل يجـوز أنْ يعطف الاسم الظاهر المقسم به بعد حرف الواو، على حـروف القـسم (الحـروف المقطّعة)، وإنْ لم يجز ذلك إلا بالعطف على اسم محذوف أو ظاهر، فلا بـد مـن تأويل للاسم المحذوف إذ هو غير ظاهر، فإن جاز التأويل فلا بد من حرف قسم قبل هذه الاسم المتأول نحو: وا والقرآن ذي الذكر، قياساً على:" والضحى والليـل إذا سجى " و"والتين والزيتون"، فيكون حرف الواو قبل الاسم الثاني حرف عطـف لا قسم، ولو جاز وضع حرف قسم قبل الحروف المقطعة لجمعنا كذلك بـين حرفـي قسم، فلا يصح إذن أن نقول: و(الم) على أنها بذاتها المجردة مقسم بها، ولا ويـس وطه، والر وطسم، وكهيعص، كما أن البنية التركيبية للآيات التي تلـت الحـروف المقطّعة وسياقها - بشرط عدم وجود حرف (الواو) بين الحروف المقّطعة والآية أو

[1] - سورة البقرة: انظر للتمثيل: الآيات، 21، 163، 255، 285، 286.

الكلمة التي بعد حرف (الواو)، لا يشعر بالقسم ألبتة، إلا بتأويل اسم بدلاً مـن تلـك الحروف، لكن الآيات التي وقع بينها وبين الحروف المقطّعة حرف (الواو) مـشعرة بالقسم عن طريق العطف بهذا الحرف، وفي ضوء ذلك ـ كما يبدو ـ فـإن هـذه الحروف المقطّعة قد وقعت موقع الاسم المقسم به قَلّ أو كثّر، ليبقى حرف العطـف (الواو) على وظيفته المختص بها وهي العطف، ولقـد أشـار بعـض المفـسرين والدارسين لعلوم القرآن، إلى ما يتصل بهذا التأويل من غير تصريح مـنهم، بـأن الحرف أو ما فوقه من الحروف المقطّعة التي اُستهلت بها هذه السور، هي واقعة في موقع الاسم المقسم به، ويعضد هذا ما نص عليه الطبري في تفـسيره بقولـه :"... فالتي ابتُدِئ أوائلُها بحروف المعجم، أحد معاني أوائلها: أنهن فواتح ما افتتَح بهـن من سور القرآن، وهن مما أقسم بهن؛ لأن أحد معانيهن أنّهن من حروف أسماء ا تعالى ذكْره وصفاتِه، على ما قدمنا البيان عنها، ولا شك في صحة معنى القسم با وأسمائه وصفاته"... كما يعضده تأويله للحروف الثلاثة الأولى التي اسـتهلت بهـا سورة يونس (الر) بالرحمن مقسماً به، قال الطبري:"... عن مجاهد:(تلـك آيـات الكتاب الحكيم)، قال: التوراة والإنجيل. قال...عن قتادة:(تلك آيات الكتاب)، قال: الكُتُب التي كانت قبل القرآن، وقال آخرون: معنى ذلك: هذه آيات القرآن، قال أبـو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، تأويل من تأوله: "هذه آيـات القـرآن"، ووجه معنى(تلك) إلى معنى "هذه"، وإنما قلنا: هذا التأويل أولى في ذلك بالـصواب، لأنه لم يجئ للتوراة والإنجيل قبلُ ذكر ولا تلاوةٌ بعد، فيوجه إليه الخبر، فـإذْ كـان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: والرحمن، هذه آيات القـرآن الحكـيم"([1])، ويلاحـظ أن الطبري قد جاء بحرف الواو ـ وهو ليس مذكوراً أصلاً ـ فوضعه قبـل اسـم ا تعالى (الرحمن)، وتأويله لاسم الإشارة (تلك) بـ (هذه)، وهذا ما يعزز ذاك تأويل، من أن هذه الحروف هي حروف مقتطّعة من أسماء ا الحسنى، المقسم بها قبل أي مقسم به آخر، لكنّها وقعت في موقع المقسم به وهي أسماء ا الحسنى، ثم عطفـت الأسماء التي بعد حرف الواو وغيره عليها نحو: ":"ص والقرآن ذي الـذكر" و:" ق

---

[1] - الطبري: جامع البيان: 222/1، 15/ 12 .

والقرآن المجيد"، و:" ن والقلم وما يسطرون"، إذ يمكن تأويل أسماء أُقْتِطعتْ منهـا هذه الحروف، نحو: وا الحق والقرآن المجيد، وا المانع والمعطي والقلـم ، وا القدير والقرآن المجيد.

ولعلّ ما يقَوي ذلك ما جاء عند الزمخشري، وهو يبْعد هذه الحروف عن كونها مقسم بها على أنها حروف قسم، بل عد هذه الحروف أسماءً، قال:" اعلم أن الألفاظ التي يتهجى بها أسماء، مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبـت الكلـم"([1])، وكذلك استبعاده أنْ يكون حرف (الواو)، الذي ورد بعد هذه الحروف، حرْفَ قـسم، بل عده حرفَ عطفٍ، قال الزمخشري ـ وهو يجيب عن طرح زعم لزاعم، علـى أن هذه الحروف مقسم بها ـ :" قلت: إن القرآن والقلم بعد هذه الفـواتح محلـوف بهما، فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم واحد وقد استكرهوا ذلك . قال الخليل في قوله عز وجلّ:"والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلـى ومـا خلـق الـذكر والأنثى"([2])،الواوان الأخريان ليستا لمنزلة الأولى، ولكنهما الواوان اللتان تـضمان الأسماء إلى الأسماء في قولك: مررت بزيد وعمرو، والأولى بمنزلة الباء والتـاء، قال سيبويه: قلت للخليل: فلم لا تكون الأخريان بمنزلة الأولى؟ فقال: إنما أقسم بهذه الأشياء على شيء، ولو كان انقضى قسمه بالأول على شيء لجاز أن يستعمل كلاماً آخر، فيكون كقولك با لأفعلن، با لأخرجن اليوم، ولا يقوى أن تقـول: وحقـك وحق زيد لأفعلن. والواو الأخيرة واو قسم لا يجوز إلا مـستكرهاً قـال: وتقـول وحياتي ثم حياتك لأفعلن؛ فثم هاهنا بمنزلة الواو، هذا ولا سبيل فيما نحن بـصدده إلى أن تجعل الواو للعطف؛ لمخالفة الثاني الأول في الإعراب، فإن قلت: فقـدرها مجرورة بإضمار الباء القسمية لا بحذفها، فقد جاء عـنهم: ا لأفعلـن مجـروراً، ونظيره قولهم: لاه أبوك؛ غير أنها فتحت في موضع الجر لكونها غير مـصروفة، واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير إلى نحو ما أشرت إليه، قلت: هذا لا

---

[1]- الزمخشري: الكشاف: 27/1 .

[2]- سورة الليل: الايات (1-3).

يبعد عن الصواب، ويعضده ما رووا عن ابن عباس رضي ا عنه أنه قال: أقـسم ا بهذه الحروف"([1]) .

ويعزز هذا أيضاً ما نص عليه الرازي وهو يذكر الأقوال فيها بقولـه:"...أن الاكتفاء من الاسم الواحد بحرف واحد من حروفه عادة معلومة عند العرب، فـذكر ا تعالى هذه الحروف تنبيهاً على أسمائه تعالى"([2]) .

ويعزز هذا أيضاً ما جاء عند ابن قتيبه وهو يذكر المسموع للحروف المقطّعة، وكأنه يبين أهمية ودور المستوى التداولي ومدى ما يسهم به في فهم الـنص، مـن خلال معرفة العوالم، بقوله:" ولم نزل نسمع على ألسنة النـاس: الألـف: آلاء ا ، والباء: بهاء ا ، والجيم: جمال ا ، والميم: مجد ا . فكأنا إذا قلنا:(حم) دلنا بالحاء على حليم، ودللنا بالميم على مجيد، وهذا تمثيل أردت أن أُريك به مكان الإمكـان، وعلى هذا سائر الحروف، ومنْ ذهب إلى هذا المذهب فلا أُراه أراد أيضاً إلا القسم بصفات ا ، فجمع بالحروف المقطّعة معاني كثيرة من صفاته، لا إله إلا هـو."([3])، ويسنده كذلك ما ذكرته عائشة عبد الرحمن، وذهب إليه مصطفى حميدة أيضاً، عن خروج حرف الواو عن أصل الوضع اللغوي في القسم للتعظيم، إلى معنى بياني([4]). فهي بذلك لا تجعل الأسماء المكتوبة نحو: ص والقرآن ذي الذكر، و" ق والقـرآن المجيد"، مقسم بها، مما يدلنا على أن حرف الواو حرف عطف لا قسم، إذ يظهر لي بأن الأصل أن يكون الخروج من اللازم إلى غير اللازم، أي مـن خروجـه عـن اختصاصه إلى غير ما هو له، وبهذا التأويل فلا خروج لحرف العطف عن كونـه مختص بالعطف .

فإذا كانت هذه الحروف ـ كما نذهب ـ هي مقتطعة من أسماء ا الحـسنى، وهي دالّة سيميائياً أو علامة على محور الوحدانية، وكذلك دلالة أسماء علىالمحور

---

[1]- الزمخشري: الكشاف: 13/1 .

[2]- الرازي: مفاتيح الغيب، مج1، 12،11/1.

[3]- ابن قتيبة: أبو محمد عبد ا بن مسلم: تأويل مشكل القرآن، 306 . ت/ السيد أحمد صقر .

[4]- انظر: بنت الشاطىء: التفسير البياني للقرآن الكريم، 25/1. وحميدة، مـصطفى: أسـاليب العطف في القرآن الكريم، الصفحات: 366-369.

نفسه، فإن الترابط حاصل أيضاً، في أبنية النص على المـستوى العمـودي لـنص السورة، مما يعني تعالق الأبنية على مستوى دلالات النص، وهذا بين فـي الفقـرة التي تتحدث عن موضوع الكفر والشرك، فشكلّت الآيات(113- 123)، هذه الفقرة؛ إذ بدأت بالكلام عن اليهود والنصارى ودعوتهم إلى اتباع ما هم عليه مـن الكفـر والشرك، فتصدت لهم آيات في الفقرة نفسها، فدحضت أقوالهم وحـاججتهم بالأدلـة والبراهين،قال ا تعالى في سورة البقرة: وقَالَتِ الْيهود لَيستِ النـصارى علَـى شَيْءٍ وقَالَتِ النصارى لَيستِ الْيهود علَى شَيْءٍ وهمْ يتْلُون الْكِتَاب كَذَلِك قَالَ الَذِين لا يعْلَمون مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَالله يحْكُم بيْنَهمْ يوْم الْقِيامةِ فِيما كَانُوا فِيهِ يخْتَلِفُون (1) .

ويظهر لنا بكلّ وضوح وجلاء، دلالة هذه الآيات على الموضـوع المحـوري لهذه السورة وهو التوحيد، وذكر هذه الآيات إنما هو تذكيراً لمن آمن من العرب من أهل مكة بالثبات على إيمانهم، وتقريعاً وتعريضاً بكفار(مكة) للاعتبـار والعـضة، وكذلك تقريعاً وتعريضاً باليهود والنصارى الذين في المدينة، وهذا قاسم محـوري تشترك فيه السور المدنية مع السور المكية، وهو محور الوحدانيـة، وهـذه وجـه مناسبة في الاستهلال بالحروف المقطعة في السور المدنيـة الـثلاث (البقـرة، آل عمران، الرعد) . ويعزز ما ذكرنا وجه المناسبة بين دلالة الآيات التي تقدمت آيات الفقرة التي تصدرت بذكر اليهود والنصارى، كما أن السياق العام لبعض الآيات، هو سياق الدعوة إلى الإيمان با وحده لا شريك له، من غير طرح للأسئلة على النبي عليه السلام، أو الاستماع إلى ما يقوله الكافرون، بقصد دعوتهم إلى الثبات على ما أمر به سبحانه وتعالى، وهو ثباتهم على دينهم (الإسلام)، الذي ارتضاه لهـم عـز وجل، فلا يتخذوا سواه ديناً بديلا، قال ا تعالى: يا أَيها الَذِين آمنُـوا لا تَقُولُـوا راعِنَا وقُولُوا انْظُرْنَا واسْمعوا ولِلْكَافِرِين عذَاب أَلِيم ، وقال ا تعالى: أَلَمْ تَعْلَمْ أَن الله لَه ملْك السماواتِ والأَرْضِ وما لَكُمْ مِنْ دون اللهِ مِنْ ولِي ولا نَصِيرٍ*أَمْ تُرِيدون أَنْ تَسْأَلُوا رسولَكُمْ كَما سئِلَ موسى مِنْ قَبْلُ ومنْ يتَبدل الْكُفْر بِالْإِيمان فَقَدْ ضل سواء السبِيل*ود كَثِير مِنْ أَهْل الْكِتَابِ لَوْ يردونَكُمْ مِنْ بعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَارًا حسدًا مِـنْ عِنْـدِ

---

(1) - سورة البقرة: الآية/113، وانظر الآيات من السورة نفسها/116،117،120 .

أَنْفُسِهِمْ مِنْ بعْدِ ما تَبين لَهم الْحق فَاعْفُوا واصْفَحوا حتى يأْتِي الله بِأَمْرِهِ إِن الله علَى كُل شَيْءٍ قَدِير (1).

فمن خلال هذه الدلالات المتعالقة فيما بينها حول محور الوحدانيـة، يتحقـق تماسك النص بشكل كلّي من أوله إلى آخره، إذ إن الآيات التي ذكرناها آنفاً، متعالقة دلالياً مع مع دلالة الآيات الأولى من سورة البقرة إلى هذه الآيات، فقـد اسـتهلت سورة البقرة بالحديث عن المتقين فبينت صفاتهم من خلال الآيات التي تتحدث عـن المؤمنين، ثم تحدثت عن الكافرين بشكل عام، وخصت اليهود منهم بالخطاب بشكل مفصل، وهو واضح بين في سورة البقرة، من خلال قصص اليهود مـع الأنبيـاء والرسل الذين تتابعوا يدعونهم إلى الإيمان با وحده لا شريك له .

7- عناصر التماسك النصي في سورة البقرة.

ونتناولها من خلال العنوانات الآتية:

أ- الروابط والعلاقات المتحققة ضمن المستوى الدلالي: وتشمل عناصر؛ الإحالـة، المناسبة، عناصر الربط الدلالي الأخرى، وأشير هنـا إلـى إضـافة الـروابط والعلاقات الدلالية التي أثرتنا بها السيميائيات أو نظرية العلامات .

ب- الروابط والعلاقات النحوية: تشمل هذه الروابط والعلاقـات وسـائل الـربط الشكلية واللفظية، والوظائف النحوية التي تحققها هـذه الـروابط، والوظـائف والعلاقات النحوية التي تؤديها الألفاظ من خلال موقعها في التركيـب ضـمن المستوى النحوي للنص .

3- العلاقات والعناصر المتحققة ضمن المستوى التداولي. وتشمل؛ السياق، نظرية الأفعال الكلامية، الزمان والمكان وأسباب النزول ومكانه.

أ- العلاقات والعناصر الدلالية:

الإحالة النصية في سورة البقرة

ذكرنا في الفصل الأول إلى دور هذا العنصر الدلالي فـي تماسـك الـنص، ونذكّر بطبيعة هذه الإحالة؛ إذ تعتبر " علاقة دلالية ومن ثم لا تخضع لقيود نحوية،

---

[1]- انظر: الآيات (104-112) .

إلا أنها تخضع لقيد دلالي وهو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحيل إليه "([1])، ويمكن الوقوف على أهمية هذا العنصر على النحو الآتي:

أ- إحالة أسماء الإشارة.

(ذا): إن أول اسم إشارة يطالعنا في سورة البقرة هو (ذا) من قول ا تعالى: ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين ، وقد تعددت أقوال المفسرين والنحاة، في إحالته للقريب والبعيد أو لكليهما معاً، لكن المهم هو أن اسم الإشارة (ذا) يحيل إلى الكتاب (القرآن)، سواء أكانت الإحالة إليه قبلية أو بعدية، داخلية أو خارجية، بعيدة أم قريبة، ويظهر بأنه يشير إلى البعيد والقريب، وهو بذلك يمثّل إحالة قبلية وبعدية، خارجية وداخلية، ولتوضيح هاتين الإحالتين وربطهما معاً، فلا بد لنا من تأول جملة للآية الأولى التي شكلّتها الحروف المقطعة الثلاثة (الم): أنا ا أعلم بهدايتكم للصراط المستقيم الذي سألتموه، فهو في هذا القرآن، هذا القرآن هو ذلك الكتاب المحفوظ الذي وعدت بإنزاله على محمد صلى ا عليه وسلم وفيه هذه الحروف المقطّعة، وفي هذا التأويل الرابط للآيتين معاً، فإن الإحالة القبلية تمثلت في إشارة (ذا) إلى الكتاب في اللوح المحفوظ، وهي إحالة خارجية، وإحالة قبلية داخلية تشير إلى القريب، وهي متمثلة في إحالة اسم الإشارة إلى القرآن، في الجملة التي تأولناها، وإحالة إلى هذه الحروف المشكلّة للآية الأولى من غير تأويل، وهي بحكم علاقة التضمن والالتزام من نص القرآن الكريم.

الإحالة البعدية: ذلك أحال اسم الإشارة (ذا) إحالة داخلية بعدية ذاتية متطابقة، إلى الاسم (الكتاب) القريب .

قال الشهاب:" اختلاف النحاة فيما وضع له اسم الإشارة، فقيل منها ما وضع للقريب ومنها ماوضع للمتوسط ومنها ما وضع للبعيد، وقيل إنما هي على قسمين دون توسط ... لما كانت الإشارة هنا (لألم) فليس ببعيد تبادر الذهن للسؤال عنه، فبينه ـ أي البيضاوي ـ بوجهين أردفهما الزمخشري بثالث هو من تتمة

---

[1] - خطابي: لسانيات النص :17.

الثاني...الأول: أن ذلك لتقضي ذكره والمتقضى كالمتباعد، والإشارة إليه بما يـشار به إليه مشهور جار في كلّ كلام، ولذا قيل: ما أبعد ما مضى وما قد فـات، وفـي المثل: أبعد من أمس، فهو لكونه متقضياً معد للعدم في حكم البعيد، لا بعيـد عـن الوجود كما قيل... والثاني: أنّه لما وصل من المرسل إلى المرسل إليه وقـع فـي حـد البعد، كما تقول لصاحبك ـ وقد أعطيته شيئاً: احتفظ بذلك، وهذا أمـر مطّرد في العرف أيضاً...([1]) .

ويبدو أن تفسير أكثر المفسرين لقوله تعالى:"ذلك الكتاب" بأنه هذا الكتاب، وهذا الكتاب هو ذلك الكتاب الذي وعد ا سبحانه وتعالى بتنزيله، أو هو الكتاب الذي في اللوح المحفوظ، كلّها تفسيرات متفقة مع إحالة اسم الإشارة (ذلك) من (ذلك الكتاب)، إلى القريب والبعيد، سواء أكانت إحالة خارجية أم داخلية قبليـة وبعديـة، إذْ همـا إحالتان تحيلان إلى محال إليه واحد، وهو القرآن الكريم، وذكر الرازي في تفسيره أنواع الإحالة التي يحيل إليها اسم الإشارة (ذلك)، إذ أحاله إلى القرآن الكـريم مـن خلال استثماره للمستوى التداولي، فأحاله إحالة خارجية في إطار معرفة العوالم، أو ما لدى المتلقي من خبرات ومعارف، أي أن الإشارة بـ (ذلك) إشارة إلى الكتـاب المعروف عندهم، قال الرازي:" ...أنه تعالى خاطب بني إسرائيل؛ لأن سورة البقرة مدنية وأكثرها احتجاج على بني إسرائيل، وقد كانت بنو إسرائيل أخبـرهم موسـى وعيسى عليهما السلام، أن ا يرسل محمداً صلى ا عليه وسلم، وينزل عليه كتاباً، فقال تعالى:" ذلك الكتاب"؛ أي الكتاب الذي أخبر الأنبياء المتقدمون بأن ا تعـالى سينزله على النبي المبعوث من ولد إسماعيل...وأنه تعالى لما أخبر عن القرآن بأنه في اللوح المحفوظ بقوله: وإنه فِى أُم الكتاب لَدَيْنَا ([2]) ، وقد كان عليـه الـسلام أخبر أمته بذلك، فغير ممتنع أن يقول تعالى: ذلك الكتاب ؛ ليعلم أن هذا المنـزل هو ذلك الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ . ويتصل بهذا أيضاً كلام الرازي نفـسه، وهو يفسر الآية الأولى من سورة النمل وهو قول ا تعالى:" طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآن

---

[1] - انظر: الشهاب: حاشية الشهاب المسماة (عناية القاضي وكفايـة الراضـي) علـى شـرح البيضاوي، 183/1 وما بعدها، دار صادر- بيروت .

[2] - سورة الزخرف: الآية/4 .

وكِتَابٍ مبِينٍ"، قال: اعلم أن قوله: (تِلْك) إشارة إلى آيات السورة والكتاب المبين هو اللوح المحفوظ" ([1]).

ويعضد هذه الإحالة في ضوء المستوى التداولي، ظاهر الآية التالية وسبب نزولها، قال الله تعالى: الَّذِين آتَيْنَاهم الْكِتَاب يعْرِفُونَه كَما يعْرِفُون أَبنَاءهمْ وإِن فَرِيقًا منْهمْ لَيكْتُمون الْحق وهمْ يعْلَمون ([2])، ففي هذه الآية ورد الاسم الموصول (الذين)، والضمير:هم، من (آيتناهم)، ومن (منهم)، والبارز المؤكد (هم)، وضمير الرفع (الواو)، من: (يعرفونه)، و(يعرفون)، و(ليكتمون)، و(يعلمون)، وجميعها تحيل إحالة نصية خارجية متطابقة، إلى عبد الله بن سلاّم وأصحابه من أهل الكتاب، قال الواحدي:" نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلاّم وأصحابه، كانوا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلّم، بنعته وصفته وبعثه في كتابهم، كما يعرف أحدهم ولده إذا رآه مع الغلمان، قال عبد الله بن سلاّم: لأنّا أشد معرفة برسول الله صلى الله عليه وسلم، مني بابني، فقال له عمر بن الخطاب: وكيف ذاك يا ابن سلاّم ؟ قال: لأنّي أشهد أن محمداً رسول الله حقاً يقيناً وأنا لا أشهد بذلك على ابني؛ لأنّي لا أدري ما أحدث النساء، فقال عمر: وفقك الله يا ابن سلاّم"([3])، وأبان سبب نزول هذه الآية كذلك عن الضمير من (يعرفونه)، بإحالته إلى الرسول صلى الله عليه وسلّم، إحالة نصية خارجية ذاتية متطابقة، وقد وقع في موقع المفعولية من الجهة النحوية البحتة، ومرتبطاً مع المسند إليه (أهل الكتاب) بهذه العلاقة النحوية الوظيفية، ارتباط المسند (يعرفون) والمسند إليه بعلاقة الإسناد، فالفعل والفاعل والمفعولية، أو المحمول والموضوع والذيل، ضمها جميعاً تركيب واحد هو جملة (يعرفونه).

كما أن هذا الاسم (ذا) بشكل خاص، هو القادر على تأدية هذا الدور الوظيفي، في الربط بين البعيد والقريب، وبين السابق واللاحق، وبين الخارج والداخل، ومما يعضد هذه القدرة له في الربط قبلياً وبعدياً، ما ذكره الطبري وغيره من المفسرين، من تأويل للمشار به، فقد جاء في تفسير الطبري لقول الله تعالى:"

---

[1] - الرازي: مفاتيح الغيب،م1، 15،14/2.

[2] - سورة البقرة: الآية/146.

[3] - الواحدي: أسباب النزول: 46 .

ذلك الكتاب": هذا الكتاب، قال: قال ابن عباس: "ذلك الكتـاب":هـذا الكتـاب "([1]).

وقولهم: هذا الكتاب في " ذلك الكتاب " يؤدي إلى ربط آخر سورة الفاتحـة بـأول سورة البقرة، قال أبو حيان في تفسيره:" وسمعت الأستاذ أبا جعفر بن إبراهيم بـن الزبير شيخنا يقول: ذلك إشارة إلى الصراط في قوله: "اهدنا الصراط "، كأنهم لمـا سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم، قيل لهم: ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليـه هو الكتاب، وبهذا الذي ذكره الأستاذ تبين وجه ارتباط سورة البقرة بسورة الحمـد، وهذا القول أولى؛ لأنه إشارة إلى شيء سبق ذكره لا إلى شيء لم يجر له ذكر"([2])، واستغرب الألوسي هذه الإشارة بقوله: "وأغرب ما رأيناه في توجيه الإشارة، أنهـا إلى الصراط المستقيم في الفاتحة؛ كأنهم لما سألوا الهداية لذلك قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب، وهذا إن قبلته يتبين به وجه ارتباط سورة البقرة بسورة الحمد على أتم وجه وتكون الإشارة إلى ما سبق ذكره، والذي تنفتح له الأذان أنّه إشارة إلى القرآن...([3]).

وبحـكم التماسك والترابط والانسجام والاتساق، وتحكيم عناصرها بنية وتركيباً ودلالة وتداولاً، في نصوص القرآن المكي والمدني، وإمكانية التأويـل ومنطقيتهـا للمشار به وللمشار إليه، فلا تناقض ولا تعارض في إحالة اسم الإشارة إلى القريب أو البعيد، سواء أكانت الإحالة إلى ما نزل من القرآن الكريم قبل الهجرة أو بعـدها، وكل ما نزل فيهما غير متعارض أو متناقض أيضا كذلك، عند إحالة اسم الإشـارة الكتاب بعده إلى القرآن في اللوح المحفوظ، ويعضد هذه الإحالة ما جاء من آيات في سورة البقرة وغيرها من السور، مكية أم مدنية استهلت بحـروف مقطعـة أم لـم تستهل، فالمكي والمدني ـ بقطع النظر عن الناسخ والمنسوخ فيهما ـ هما القـرآن الذي في اللوح المحفوظ، وجمعا في هذا الكتاب، لذلك كانت الإشارة إلى الكتـاب لا إلى القرآن، أعمق في الدلالة على الجمع بين ما نزل في مكة وما نزل في المدينة، لأن الكتاب متضمن دلالة الجمع؛ أي المجموع، أما القرآن فجاء مفرقاً، وفـي لفـظ

---

[1] - الطبري: الجامع ،225،226/1 .

[2] - أبو حيان: البحر المحيط: 61/1 .

[3] - الألوسي: روح المعاني: 106،105/1.

(الكتاب) علامةٌ، أورد لها الألوسي دلالة تنسجم مع دلالة الآية الثانيـة بعـد قولـه تعالى:" ذلك الكتاب"، وهو قوله تعالى:"لا ريب فيه هدىً للمتقـين"، قـال:"ويطلـق الكتاب كالقرآن على المجموع المنزل على النبي المرسل صلى ا عليه وسلم،وعلى القدر الشائع بين الكل والجزء، ولا يحتاج هنا إلى ما قيل في دفع المغالطة المعروفة بالجذر الأصم، ولا أرى فيه بأساً إن احتجته، واللام في الكتاب للحقيقة مثلهـا فـي أنت الرجل، والمعنى ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بأن يخص به اسم الكتاب، لغاية تفوقه على بقية الأفراد في حيازة كمالات الجنس، حتى كأن ما عداه مـن الكتـب السماوية خارج منه بالنسبة إليه، وقال ابن عصفور: كل لام وقعت بعد اسم الإشارة وأي في النداء وإذا الفجائية، فهي للعهد الحضوري وقـرئ " تنزيـل الكتـاب"([1])، ويمكن رصد علامة أخرى تلوح بدلالة أخرى أيضاً، أفـصحت عنهـا الوظـائف النحوية التي أداها حرف النفي واسمه وشبه الجملة (فيه)، التي اشتملت على ضمير يحيل إلى الكتاب إحالة نصية قبلية ذاتية متطابقة، ليحصر نفي الريب عنه تحديـداً من خلال ضميره، الذي جاء مسنداً إليه، فنفي الريب مسنداً إلى الكتاب، إشارة إلى أن ريباً قد حصل في كتب سوى هذا الكتاب، وما فيه ريب لن يكون سبباً في الهداية إلى الطريق المستقيم، كذلك أدى الوقف من جهة أخرى وظيفة تداولية، إذ ينبئ النبر مع الوقف للفظ الكلمتين معاً (لا ريبْ) عن معنى تداولي أسلوبي، فـإذا مـا تكلّـم شخص ما أو جاء برأي سديد في موقف ما، فإن شخصاً أو أكثـر مـن المتلقـين، سيمدح هذا القول أو الرأي، فيقول بنبرة عالية: هذا الكلام أو هذا الرأي ويقـف، أو يتبعه ذاكراً نعتاً له فيقول: الصحيح أو الحق ويقف، ليدلّ على أن لا كلاماً ولا رأياً غيره أحق وأقوم منه.

أولئك: جاء اسم الإشارة مكرراً في الآيتين، وقد أحال إحالة قبلية إلى من دخل في صفة المتقين، فجاءت الإحالة في ختام الحديث عن صفات المتقين، إحالة إلـى عموم المتقين، تأكيداً لقوله "هدىً للمتقين"، أي بمعنى أن كل من دخل بالوصف هو بسبب هذا الكتاب، وهذا الكتاب هو من ا تعالى، فأكد على هذا بقوله: أولئك على

---

[1]- الألوسي : روح المعاني: 109/1،

هدىً من ربهم ، ويظهر أن الإشارة للبعيد، لتوزع المسند (الأفعال) وتعددها وتعدد المسند إليه في أكثر من آية، فاقتضى النظم لجمع صفاتهم وجمع المـسند إليـه، أن تكون الإشارة بـ (أولئك)، ولئلا تكون الإشارة إلى بعيد متوهم غير الذي أحال إليه اسم الإشارة، تُبع اسم الإشارة بإضافة ضمير الخطاب إليه (الكاف: أولئك)، ليحيـل إحالة قبلية قريبة إلى كلّ مسند إليه أسند إليه فعل مخصوص، كما أحال اسم الإشارة المكرر (أولئك) إلى ما أحال إليه الأول .

أولئك: وجاء في آخر الآيات التي تتحدث عن الكافرين([1])، إذ قـال تعـالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَـانُوا مُهْتَـدِينَ﴾ ([2]) فأحال إليهم إحالة ذاتية قبلية متطابقة.

(تلك): تكرر اسم الإشارة المفرد المؤنث (تلك)، في مواضع كثيرة من سورة البقرة، ويمثل في أغلب مواضعه إحالتين؛ إحالة قبلية خارجية إلى الكلام الذي قيـل قبل اسم الإشارة، وهو كلام في مجمله عن القصص، وإحالة بعدية خارجية متطابقة ذاتية إلى لفظة (آيات ا) بعده. واسم الإشارة (تلك)، شأنه في دلالته على الغائـب والحاضر متطابق مع اسم الإشارة (ذلك) الذي ذُكِر في الآية الثانيـة مـن سـورة البقرة، فلا فرق بين القول: تلك آيات ا ، والقول: هذه آيات ا ، في إشارته إلـى الحاضر، ويعضد ذلك ما جاء من تراكيب، يماثل تركيب الجزء الأول مـن الآيـة الواحدة في كلّ سورة بعد الحروف المقطعة، في عدد من الـسور ذوات الحـروف المقطّعة دون غيرها من سور القرآن الكريم، فمن هذه التراكيب جملة (تلك آيـات ا) في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ([3]).

إن الرابط بين هذه الجملة (آيات ا)، أنّها منزلة من ا تعالى، وقد ذكرها هذا الكتاب (القرآن) المنزل من ا تعالى، وأشار بعض المفسرين إلى هـذا التطـابق والتماثل، بين أسماء الإشارة مذكر ومؤنثاً غائباً أو حاضراً، وهو يتحدث عن اسـم الإشارة (تلك)، إذ نجد الطبري يقول في تفسير الآية السابقة يعنـي تعـالى ذكـره

---

[1] - انظر: الايات (6-16) من سورة البقرة .

[2] - سورة البقرة: الاية/16.

[3] - سورة البقرة: الاية/252، وانظر: سورة آل عمران: الآية/108، وسورة الجاثية: الآية/6 .

بقوله:"تلك آيات ا "، هذه الآيات التي اقتص ا فيها أمر الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وأمر الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى الـذين سـألوا نبيهم أن يبعث لهم طالوت ملكا وما بعدها من الآيات إلى قوله :"وا ذو فضل على العالمين"، ويعني بقوله:"آيات ا "، حججه وأعلامه وأدلته"([1])، وكذلك ما جـاء بـه الفخر الرازي من تفسير له بقوله: "اعلم أن قوله :"تِلْكَ إشارة إلى القـصص التـي ذكرها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت، وإظهار الآية التي هي نزول التابوت من السماء، وغلب الجبابرة على يد داود وهو صبي فقير، ولا شـك أن هذه الأحوال آيات باهرة دالة على كمال قدرة ا تعالى وحكمته ورحمته، فـإن قيل: لم قال:" تِلْكَ " ولم يقل:(هذه) مع أن تلك يشار بها إلى غائب لا إلى حاضـر؟ قلنا: قد بينا في تفسير قوله:" ذلك الكتاب لاَ رَيْبَ فِيهِ "، أن تلك وذلك يرجـع إلـى معنى هذه وهذا، وأيضاً فهذه القصص لما ذكرت صارت بعد ذكرها كالشيء الـذي انقضى ومضى، فكانت في حكم الغائب فلهذا التأويل قال:" تِلْكَ "([2])، وقد ذكر لهـا أبو السعود معنى التنزيل في تفسيره قال:" تِلْكَ " إشارة إلى ما سـلف مـن حـديث الألوفِ وخبرِ طالوتَ على التفصيل المرقومِ، وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلـو شأن المشار إليه"آيات ا " المنزلةُ من عنده تعالى"([3]).

وفي هذا السياق يمكن أن نعد ما وقع مضافاً إلى لفظ الكتاب، بعد الحـروف المقطعة مباشرة - سواء أكانت الحروف تشكّل وحدها آية، أم تشكّل معها أسـماء الإشارة والمشار إليه من المضاف والمضاف إليه آية نحو: قول ا تعالى:" الــر تلك آيات الكتاب الحكيم "، وقوله تعالى:" الم*تلك آيات الكتاب الحكيم "- يمكـن أنْ نعدها تابعة للكتاب من قوله تعالى:" ذلك الكتاب"، بحكـم علاقـة الجـزء والكـل والتبعية، التي تمثلها علاقة الإضافة بين المضاف والمضاف إليه، وقـد ورد لفـظ الجلالة (ا) عز وجلّ، بدلاً من الكتاب في جملة (تلك آيات ا)، لتتعاضـد الآيـة

[1]- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، 377/5 .

[2]- الرازي: مفاتيح الغيب: م3،ج6،208.

[3]- أبو السعود: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي إرشاد العقل السليم إلى مزايـا الكتـاب العزيز:291،292/1.

التي فيها الكلمات الثلاثة: تلك، آيات، الكتاب، مع سائر الآيات التي ورد فيها بنيتها الفاظ (الكتاب، آيات، الآيات وغيرها من الألفاظ التي يتضمنها القرآن الكـريم، وإن دلّ هذا الاستبدال والتكرار لها باللفظ جزئياً أو كلياً، أو تكرارها بالمعنى على شيء، إنّما يدلّ على تماس نصوص هذه السور دلالياً.

ويتصل بهذا النوع من الإحالات (البعدية والقبلية) إحالةاسم الإشارة (تلك) التي تنسجم مع الإحالتين التي أحال إليهما اسم الإشارة (ذلك)، من قوله:" ذلك الكتـاب"، وقد ورد اسم الإشارة (تلك) في عدد من السور ذوات الحروف المقطّعة([1])، فهـذه الإحالات المتكررة لفظاً ومعنىً في سائر السور ذوات الحـروف المقطّعـة، تـدلّ وتعزز من تماسك نصوص هذه السور موضع الدراسة والبحث بشكل خاص.

ب- إحالة الضمائر.

الضمائر التي تحيل إلى الكتاب (القرآن) .

(الكاف) من ذلك: وهي ضمير دال على الخطاب، والخطاب يكون للقريـب، وهذا يعضد إحالة اسم الإشارة (ذلك) إلى الكتاب إحالة قبلية بعيدة وإحالـة بعديـة قريبة .

الهاء: من قوله تعالى:" (فيه هدىً)، فيمثل هذا الضمير إحالـة قبليـة للاسـم (الكتاب)، فهو أقرب اسم له في تتابع الآية الخطي، وعمل فيه حرف الجـر (فـي) مؤدياً بذلك دوراً وظيفياً يفيد معنى الظرفية، ويظهر أن المعنـى النحـوي، لـيس مقتصراً في إفادته على العلاقة المكانية (المحلية) الذاتية المفهومـة مـن الكتـاب مضموناً فقط، بل أفاد الظرفية المكانية والزمانية مطلقاً أيضاً، فالكتاب (القرآن) فيه الهدى في أي مكان وفي أي زمان، ويعضد هذا الإطلاق نفي الريب عنـه جنـساً وعنه مكاناً وزماناً، وا سبحانه وتعالى تكفّل بحفظه، وارتبط الجـار والمجـرور (في) بالجملة قبله بعلاقة التعليق، إذ تعلّق بالنفي، والذي لا ريب فيه هـو طريـق

[1] - انظر على الترتيب: سورة يونس: الآية/1. سورة يوسف: الآية/1. سورة الرعد: الآيـة/1. سورة الحجر: الآية/1. سورة الشعراء: الآيتـان/1،2. سـورة النمـل: الآيـة/1. سـورة القصص: الآيتان/1،2. سورة لقمان: الآيتان/1،2.

الهداية إلى الصراط المستقيم، ويمكن الربط دلالياً وعلى المستوى العمـودي، فـي إحالة الآية " بما أنزل إليك " إلى الكتاب (القرآن).

الهاء من (مثله): في قول ا تعالى: وإِنْ كُنْتُمْ فِي ريْبٍ مِما نَزلْنَا علَى عبْدِنَا فَأْتُوا بِسورةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادْعوا شُهداءكُمْ مِنْ دون اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِين ([1]). فالضمير أحال إحالة قبلية إلى القرآن الذي أنزله ا تعالى، وإنْ كان لفظ القرآن لم يصرح به حقيقة، لكن دلّ عليه دليلان هما: الآية " وإِنْ كُنْتُمْ فِي ريْبٍ مِما نَزلْنَا "، وهي تحيل إحالة قبلية إلى الكتاب في الآية الثانية من السورة "ذلك الكتـاب"، كمـا أن لفظـة (ريب) الواردة في هذه الآية أكّدت بحكم تكرارها، بأن الذي نزل على عبده ، هـو الكتاب نفسه الذي نفى عنه الريب على وجه الإجمـال فـي أول الـسورة، فجـاء التفصيل بتحديهم على إثبات أو وقوع ريب ما، وقع أو قد يقع لديهم، في أي جـزء أو بعض من الكتاب الذي أنزل على محمد عليه السلام، فأدى حرف الجـر (فـي) معنىً وظيفياً أفاد الظرفية المحلية؛ أي إن كان عندكم أو في نفوسكم محل لريب ما في بعض الكتاب فافعلوا، و(من) أدى معنىً وظيفياً أفاد التبعيض، فانسجمت دلالـة الحرفين وتطابقتا معاً، في نفي وقوع أي ريب كماً وكيفاً لديهم، ونفيه عن وقوعـه في الكتاب كلّه إجمالاً، أو في بعضه تفصيلاً، والدليل الآخر على إحالـة الـضمير (الهاء) في " من مثله"، لفظةُ (بسورة) قبل الجار والمجرور، فالسورة بحكم علاقـة الجزء والكل التي أقرها نحو النص عنصراً دلالياً ، أحالت إلى الكتـاب (القـرآن) فالسورة جزء منه.

الضمائر المحيلة إلى غير العاقل: وردت ضمائر كثيرة في سورة البقرة تحيل إلى أسماء غير عاقله، ومن هذه الضمائر ما يلي:

الهاء: من (فوقها و أنّه) في قول تعالى: إن ا لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الـذين كفـروا فيقولون ماذا أراد ا بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يـضل بـه إلا

[1] - سورة البقرة : الآية:23.

الفاسقين (1)، فالضمير الهاء من كلمة (فوقها)، يحيل إحالة قبلية ذاتية متطابقة إلى الاسم غير العاقل (بعوضة)، والضمير الهاء من (أنّه) يحيل أيضاً إحالة قبلية ذاتيـة متطابقة إلى قوله (مثلاً) غير العاقل أيضاً، والضمير الهاء من كلمة: "نتلوها"، يحيل إحالة قبلية داخلية ذاتية متطابقة، إلى كلمة آيات الواردة قبل هذا الفعل من قـول ا تعالى: تِلْكَ آياتُ اللهِ نَتْلُوها علَيْك بِالْحق وإِنك لَمِن الْمرْسلِين (2).

ما يحيل إلى لفظ الجلالة:

من الضمائر التي تحيل إحالة قبلية ذاتية متطابقة إلـى لفـظ الجلالـة (ا)، الضمير المستتر المسند إليه مجموعة من الأفعال نحو: خلق، جعل، أنزل...الخ، من الإحالات الضميرية التي تتصل بالإحالة السابقة إلى لفظ الجلالة أيـضاً، الـضمائر المستترة التي تحيل إحالة خارجية إلى جبريل عليه السلام، ومنها قوله تعالى: تلك آيات ا نتلوها عليك ، إذ أحال الضمير (نحن) المـستتر مـن (نتلوهـا)، إحالـة خارجية إلى جبريل عليه السلام، أي أن جبريل هو الذي يتلو آيات ا على محمـد عليه السلام، وقد جعل الرازي إسناد الفعل إلى جبريل عليه مـن بـاب التـشريف العظيم له من ا تعالى قال:" أما قوله تعالى: "نَتْلُوها" يعني يتلوها جبريـل عليـه السلام عليك لكنه تعالى جعل تلاوة جبريل عليه السلام تلاوة لنفسه، وهذا تـشريف عظيم لجبريل عليه السلام ، وهو كقوله: إِن الذين يبايِعونَك إِنما يبايِعون ا (3).

ما يحيل إلى الرسول صلى ا عليه وسلّم:

الكاف: من إليك ويحيل إحالة خارجية إلى الرسول عليه السلام، إذ لم يرد لفظ الرسول عليه السلام في نص هذه السورة قبل الكاف أو بعده، ويمكن إحالته إحالـة داخليه بعدية متطابقة لاسم الذات (الرسول، النبي) المذكور في نص السورة بعـده، وبحكم معرفة المخاطِب والمتلقين بصفة النبي عليه السلام وكتابه، والتعريـف بـه بالضمير المضمر (الكاف) في أكثر من موقع من نص السورة، وسياق السورة على أن لا نبي بعده، قال تعالى:" وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِك"، مصدقاً لما معهم...الخ" مما يـدلّ

1- سورة البقرة: الآية/26.

2- سورة البقرة: الآية/252 .

3- سورة الفتح: الآية :10 .

على أن المحال إليه هو محمد عليه السلام، فهو خاتم الأنبياء والرسل، ورسالته هي خاتمة الرسالات، والدين الذي دعا إليه وجاء به الكتاب هو خاتم الأديان وناسخها.

الضمائر التي تحيل إلى الرسل:

ومن أمثلة ذلك الضمير الذي أحال إحالة قبلية ذاتية متطابقة، إبـراهيم عليـه السلام، في قوله تعالى: الم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ، قال ابن عاشور:" الضمير الذي اتصل بلفظة (رب) عائِد إلى إبراهيم، والإضافة لتـشريف المـضاف إليه"([1]).

الضمائر التي تحيل إلى أسماء ضمن حقل دلالي واحد:

وهذه الأسماء هي (المتقون، المؤمنون، المفلحون...)، إذ أحال ضمير الرفـع (الواو) في الأفعال (يؤْمِنُون، ويقِيمون، ينْفِقُون، يؤْمِنُون، يوقِنُـون)، إحالـة ذاتيـة متطابقة إلى الاسم المتقين الوارد في الآية الثانية، وهذا الضمير ورد في قـول ا تعالى: الذِين يؤْمِنُون بِالْغَيْبِ ويقِيمون الصلاةَ ومِما رزقْنَاهمْ ينْفِقُون*والذِين يؤْمِنُون بِما أُنْزِلَ إِلَيْك وما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِك وبِالآخِرةِ همْ يوقِنُون*أُولَئِك علَى هدًى مِنْ ربهِـمْ وأُولَئِك هم الْمفْلِحون ([2])، كما أحال ضمير الفصل (هم) قبل الفعل (يوقنون) وقبـل الاسم (المفلحون)، إلى الاسم (المتقين) إحالة قبلية ذاتية متطابقـة، كمـا أن إحالـة ضمير الفصل (هم) يفيد معنيين نحويين وظيفيين هما التوكيد و الحصر؛ أي حصر هذه الصفات بالمتقين وتوكيدها لهم، وأدى كذلك إلى الربط بـين الألفـاظ علـى مستوى الجملة والربط بين الآيات على مستوى الفقرة، ومن الضمائر التي تحيل إلى أسماء ذات حقل دلالي واحد، الضمائر التي تحيل إلى الأسـماء التاليـة: الآيـات، البينات، البرهان، الحِجج.

---

[1]- ابن عاشور: التحرير والتنوير، 32/3 .

[2]- سورة البقرة :الآيات:5،3،4 .

ما يحيل إلى الكافرين:

أحال الضمير (هم) مستتراً وبارزاً إحالة ذاتية متطابقة، قبلية وبعدية، داخليـة وخارجية، ومن ضمن الكافرين فئة المنافقين الذين ذكـرتهم الآيـات مـن خـلال صفاتهم،

الإحالة البعدية: أول ما أحال إلى الكافرين الاسم الموصول (الذين) المـسبوق بأداة التوكيد في جملة (إن الذين)، فأحال إليهم إحالة خارجية بعدية ذاتية متطابقـة، وجاء ذكر الكافرين من خلال المحتوى القضوي الـذي شـكّلته جملـة (إن الـذين كفروا)، فهذا المحتوى شكّل (قضية)، هي قضية (الكفر) ويدخل ضمن الحقل الدلالي قضية (الشرك)، وهذه القضية أجملتها الآيتان: ﴿إن الـذِين كفَـروا سـواء علَـيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهمْ لَا يؤْمِنُون* خَتَم الله علَى قُلُـوبِهِمْ وعلَـى سـمْعِهِمْ وعلَـى أَبصارِهِمْ غِشَاوةٌ ولَهمْ عذَاب عظِيم﴾ ([1])، ويظهر أن تصدير الآيات التي تتحـدث عن الكافرين، بالاسم الموصول وقبله أداة التوكيد، ليشمل جميـع الكـافرين ومـن ضمنهم المنافقين، ومما يعزز هذا – كما يبدو – أن مجيء اسم الجلالة (محيط) قد ورد سبع مرات في القرآن الكريم " ، وأول ما جاء في سورة البقرة قال تعـالى: "وا محيط بالكافرين"، وختم في سورة البروج بقوله تعـالى:" وا مـن ورائهـم محيط"، لكن الأمر المهم الذي أردت أن أصل إليه من وراء هذا الإحصاء، هـو أن الظرف (ورائهم) قد جاء مرة واحدة وفي آخر سورة منها، فختامه بهـذه الـسورة وبهذا اللفظ (ورائهم) لعلامة دلالية على إحاطة علم ا سبحانه وتعالى في كلّ شيء حدث في الماضي وفي الحاضر وفي المستقبل وفي اليوم الاخر وما فيه من أحداث وا سبحانه وتعالى أعلم .

ضمير الجمع (هم): في الكلمات التالية:(علَيْهِمْ، أَأَنْذَرْتَهمْ، تُنْـذِرْهمْ ، قُلُـوبِهِمْ، سمْعِهِمْ، أَبصارِهِمْ، جاءهم)، إذ أحال هذا الضمير إحالة قبلية ذاتية متطابقـة إلـى (الكافرين)، فأفاد الضمير التوكيد ، وقد أكد أيضاً بحرف التوكيد (إن) فـي صـدر الآية الأولى التي تتحدث عنهم قال تعالى:" إن الذين كفروا ".

[1] - سورة البقرة :الآيتان/6،7.

وتكرر الضميران (هم) وضمير الرفع (الواو) ظاهراً في الآيات التي تتحدث عن صفات المنافقين، والتي تبدأ من الآية السادسة، فأحال إلى الاسم (المنـافقون) إحالة ذاتية خارجية متطابقة، نحو: بهم، ويمدهم، هم المفسدون، يخـادعون، ومـا يشعرون، وفي قوله تعالى: وما هم بمؤمنين للدالة على التوكيد أيضاً .

الإحالة الخارجية:

الضمائر: وهي الضمائر التي تحيل إلى غير مذكور في الـنص؛ أي خـارج النص ويدلّ عليه سياق الآية أو الآيات، كما يدل عليه سبب النزول .

ومن الإحالة الخارجية إحالة الضمير المتصل (الهاء)، الذي وقع فـي موقـع المفعولية في جملة (اضربوه)، وارتبط بالمسند والمسند إليه بهذه العلاقة.

الجمل التفسيرية: وهي الجمل التي تنهض بمهمة التبيين والتوضـيح والبيـان للجمل التي قبلها، فتقوم بدورها النحوي الوظيفي محققة به، معنىً نحويـاً وظيفيـاً، يؤدي إلى ربط الجملتين فيما بينهما بسبب هذه العلاقة، سواء أكانت هـذه الوظيفـة النحوية متأتية بفعل علاقة البدل أم التوكيد بنوعيه، أم بعطف البيـان، أم جوابـاً أم إضافة، وقد أوضح عبد القاهر الجرجاني - في باب الفصل والوصـل - ارتبـاط الألفاظ بعضها ببعض دون رابط بينها، وكذلك ارتباط الجمل فيما بينها دون وجـود رابط بينها بقوله:" وأعلم أنّه كما كان في الأسماء ما يصله معنـاه بالاسـم قبلـه، فيستغني بصلة معناه له عن واصل يصله ورابط يربطه وذلـك كالـصفة التـي لا تحتاج في اتصالها بالموصوف إلى شيء يصلها به، وكالتأكيد الذي يفتقر كذلك إلى ما يصله بالمؤكد كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفـسها بـالتي قبلهـا، وتستغني بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها، وهي كل جملة كانت مؤكـدة للتي قبلها، ومبينة لها. وكانت إذا حصلت لم تكن شيئاً سواها، كما لا تكون الـصفة غير الموصوف والتأكيد غير المؤكد. فإذا قلت: جاءني زيد الظريف وجاءني القوم كلهم لم يكن الظريف وكلهم غير زيد وغير القوم"([1]) .

[1]- الجرجاني : دلائل الإعجاز ، 64.

ومن الآيات التي وردت في سورة البقرة، وجاءت جملاً مفسرة، أدت الوظائف النحوية فارتبطت الجمل فيما بينها بفعل تلك العلاقات، قول ا تعالى: الـم* ذَلِـك الْكِتَاب لا ريْب فِيهِ هدًى لِلْمتقِين ، إذْ إن جملة لا ريب فيه، هي مؤكدة لقوله: ذلـك الكتاب، فأزالت ما يوحي به اسم الإشارة من توهم، ويبين الجرجاني التـرابط بـين الجملتين من الآية رغم عدم وجود رابط يربطهما ببعض بقوله:" قوله" لا ريب فيه"، بيان وتوكيد وتحقيق لقوله:"ذلك الكتاب" وزيادة تثبيت له، وبمنزلة أن تقول: هو ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب، فتعيده مرة ثانية لتثبته. وليس تثبيت الخبر غير الخبر، ولا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه، وعاطف يعطفه عليه. ومثل ذلـك قوله تعالى: " إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. ختم ا على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم " قوله تعـالى: "لا يؤمنون" تأكيد لقوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وقوله: ختم ا على قلوبهم وعلى سمعهم تأكيد ثان أبلغ من الأول؛ لأن من كان حاله إذا أنذر مثل حاله إذا لم ينذر كان في غاية الجهل، وكان مطبوعاً على قلبه لا محالة"([1]).

التكرار بالمعنى: وجاء من خلال اللفظة الواحدة أو من خلال الجملـة، ومـن ذلك تكرار لفظة الكتاب التي في قوله تعالى:" أنزل إليك (الكتاب)، تكرارهـا فـي المعنى في قوله تعالى: أتحدثونهم بما فتح ا عليكم ليحاجوكم به عند ربكـم أفـلا تعقلون ، والذي فُـتِح عليهم هو هذا الكتاب، إذ إن سياق الآيات قبل هذه الآية في الحديث عن الكتاب سمعوه وعقلوه ثم أخذوا يحرفونه، وفي بعدها أيضاً بدليل قوله تعالى: فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند ا ([2])، ويعـضد إحالة هذه الآية للكتاب ويشد من تماسكها وتعالقها تداولياً، قوله تعالى: فلما جـاءهم ما عرفوا كفروا به ([3]).

التخصيص: وتحقق هذا العنصر من خلال موضوع التقديم والتأخير، ولهـذا التخصيص المتحصل من التقديم، قصدية محصورة على المتكلّم نفسه في الحقيقـة،

[1] - الجرجاني: دلائل الإعجاز: 66 .

[2] - سورة البقرة: الآية/79 .

[3] - سورة البقرة: الآية/89 .

وهي قصدية تتصل بالمعنى الكلي للنص اتصالاً مباشراً، إنْ لم تكن هي القصدية التي ألحت عليها بنى النص الصغرى والكبرى، من خلال المعاني الجزئية التي تصرح بها أو تلمح أو تشير إليها، وتتصل بشكل مباشر أو غير مباشر بهذه القصدية الحصرية، فتعددت وتنوعت لأجلها وحدات النص بألفاظه وجمله وفقراته، طولاً وقصراً، وتقديماً وتأخيراً، وذكراً وحذفاً، وتكراراً وإحالة ومقابلة، براهين وأدلّة وحججاً وقصصاً وأمثالاً وتذكيراً ووعداً ووعيداً، إلزاماً للمتلقي- رحمة به- ليقر بهذه القصدية التي أنكرها المقصود بالخطاب، فيسلك بهذا الإقرار طريق الاستقامة التي تمثّل هذه القصدية جوهرها، وذلك بأن يأخذ بأسباب استقامته عليها، بتنفيذه ما أمر به المخاطِب كما نفّذه المخاطبون على الوجه الذي أراده المخاطِب نفسه، فنقلت مضامين ما أمر بتنفيذه المخاطِب برسائل تؤول إلى قصدية واحدة، من خلال عدة مرسلين موحى لهم بهذه الرسائل من المخاطب نفسه.

ورد التخصيص لهذه القصدية الحصرية، بتقديم صاحبها على ركني الجملة (المسند والمسند إليه)، فصارت التكملة (الفضلة) وهو الضمير الذي وقع مفعولاً به(إياه)، أهم ما في الجملة، فبهذا التقديم كان محور التركيب البؤرة الرئيسة في الآية، قال ا تعالى:" واشكروا إنْ كنتم إياه تعبدون"([1])، وقد مر معنا ـ وذكره الطبري لابن عباس ـ تفسير العبادة بالتوحيد، فالوحدانية المتحققة يقيناً بشهادة التوحيد (لا إله إلا ا)، وهي جوهر الصراط المستقيم ولب الربوبية لرب واحد في الأصل، بخلاف رب البيت وغيره من الأرباب والأنداد، قال في البحر:" وإيا هنا مفعول مقدم، وقدم لكون العامل فيه وقع رأس آية، وللاهتمام به والتعظيم لشأنه؛ لأنه عائد على ا تعالى، كما في قولك:" وإياك نستعين" وهذا من المواضع التي يجب فيها انفصال الضمير، وهو إذا تقدم على العامل أو تأخر "([2]). فالربوبية والوحدانية هما المحمولان الرئيسان، اللذان ما فتئت أبنية النص أفقياً وعمودياً تحملهما لفظاً ومعنىً، كما نوهت هذه الأبنية بالقرآن الكريم المنزل على محمد عليه

[1] - سورة البقرة: الآية/172.

[2]- أبو حيان: البحر المحيط، ،110/2.

السلام، فهو المرسل الداعي لهما حقاً، فأوجب أنْ تكون المحمولات المتصلّة بصاحب الرسالة الأول، على قدر قصدية صاحبها في التأكيد عليها والاحتجاج لها؛ تصديقاً وتسلية وحجة واحتجاجاً. ويظهر التقديم في الآية الكريمة، خصوصية الوحدانية تعالى وحده، إذْ قُدم المفعول به وهو الضمير (إيا) البارز مضافاً إليه ضمير الغائب (الهاء)، الذي يحيل إحالة قبلية إلى لفظ الجلالة (ا) قبله، إحالة ذاتية مفردة متطابقة، قدم على فعل العبادة المسندة للخلق، بدليل إسناد فعل العبادة إلى ضمير الفعل المستتر(أنتم)، ليفيد حصر العبادة وخصوصيتها با وحده عز وجل، وفي هذا السياق أقف عند ما ذكره اللغويون من كون (إياك) هو الضمير كلّه، أم الكاف وحدها المتصلة بـ (إيا)، جاء في الدر المصون:" إذ اختلف النحاة فيه، فمنهم عد (إيا ضميراً) ومنهم من عد الكاف ضميراً، ومنهم منْ عد (إياك كلّها ضميرا)، جاء في حاشية (شرح ابن عقيل):" وذهب الخليل والمازني، واختاره ابن مالك، إلى أن هذه اللواحق أسماء، وأنها ضمائر أضيفت إليها " إيا "زاعمين أن " إيا " أضيفت إلى غير هذه اللواحق في نحو" إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب" فيكون في ذلك دليل على أن اللواحق أسماء، وذلك باطل لوجهين، الأول: أن هذا الذي استشهدوا به شاذ، ولم تعهد إضافة الضمائر، والثاني أنه لو صح ما يقولون لكانت" إيا " ونحوها ملازمة للإضافة، وقد علمنا أن الإضافة من خصائص الأسماء المعربة، فكان يلزم أن تكون إيا ونحوها معربة، ألست ترى أنهم أعربوا "أي" الموصولة والشرطية والاستفهامية لما لازمها من الإضافة؟ وقال الفراء: إن "إيا" ليست ضميرا، وإنما هي حرف عماد جئ به توصلا للضمير، والضمير هو اللواحق، ليكون دعامة يعتمد عليها، لتمييز هذه اللواحق عن الضمائر المتصلة.

وزعم الزجاج أن الضمائر هي اللواحق موافقاً في ذلك للفراء، ثم خالفه في "إيا" فادعى أنها اسم ظاهر مضاف إلى الكاف والياء والهاء، وقال ابن درستويه: إن هذا اسم ليس ظاهراً ولا مضمراً، وإنما هو بين بين، وقال الكوفيون: المجموع من " إيا " ولواحقها ضمير واحد"([1]).

---

[1]- السمين الحلبي: الدر المصون: 1/3-5 .

الملابسة أو السببية: ويمثل هذه العلاقة الاسم (الكتاب)، ونتيجته فهو (هدىً للمتقين)، جاء في معترك الأقران:" وقد ضمن ا للمتمسك بكتابه الهدى؛ لقوله:"هدىً للمتقين"، والولاية لقوله: وا ولي المتقين ، والمحبة لقوله: إن ا يحب المتقين ، والمعرفة لقوله: إن تتقوا ا يجعل لكم فرقاناً ، والفلاح لقوله تعالى:" واتقوا ا لعلكم تفلحون"...ودخول الجنة لقوله: إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ([1]). ويمكن الربط بين لفظة التقوى وبين بعض المعاني التي تضمنها عنوان السورة، إذ ذكر السيوطي أيضاً أن:" درجات التقوى خمسة: أن يتقي العبد الكفر؛ وذلك مقام الإسلام، وأنْ يتقي المعاصي والمحرمات؛ وهو مقام التوبة، وأن يتقي مقام الشبهات؛ وهو مقام الورع، وأن يتقي المباحات؛ وهو مقام الزهد، وأن يتقي حضور غير اه في قلبه؛ وهو مقام المشاهدة"([2]).

التطابق: ونقصد بالتطابق هنا التطابق الإحالي بين الضمائر وأسماء الإشارة وما يحيلان إليه، نحو: ذا مطاقة للاسم الكتاب ، وكذلك الهاء من فيه هدى، والواو من يؤمنون مطابقة للاسم الموصول (الذين) المطابق للاسم (المتقين) .

التضام: وهو وسيلة من وسائل التماسك النصي المعجمي ومن صوره:

التضاد: كلما كان التضاد حاداً غير متدرج كان أكثر قدرة على الربط النصي([3])، ومن الأمثلة على ذلك:المقابلة بين المؤمنين وصفاتهم والكفار وصفاتهم، وجاءت هذه المقابلة في أوائل سورة البقرة، وكذلك التضاد بين نوعي الجزاء:الثواب والعقاب، وقد أبانت أسباب نزول الآيات من البقرة وسياقها عن هذا التضاد، قال الواحدي:" فقوله يا أَيها الناس اعْبدوا ربكُم خطاب لمشركي مكة إلى قوله: وبشر الَّذِين آمنُوا ([4])، وهذه الآية نازلة في المؤمنين، وذلك أن ا تعالى لما ذكر جزاء

---

[1] - السيوطي: معترك الأقران:2/332،333.

[2] - المرجع نفسه:2/333.

[3] - انظر: عفيفي، نحو النص،113.

[4] - سورة البقرة: الآيتان/ 21،25.

الكافرين بقوله: النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ، ذكر جـزاء المؤمنين"([1]).

ومن الأمثله على التضاد ما جاء من كلمات متنافرة نحو: الحي/الميت ، باع/ اشترى، آمن/ كفر، وكذلك التضاد في الألفظ التالية: المؤمنون، الكفار، أأنذرتهم، أم لم تنذرهم، آمنا، وما هم بمؤمنين.

الاستبدال:

الاستبدال الفعلي: تحقق هذا العنصر في مواقع كثيرة في سورة البقرة، منها استبدال الفعل بجنس الفعل، قال تعالى :" فأتوا بسورة من مثله"، إذ استبدل الفعـل (فـأتوا) بلفظ تفعلوا مرتين، قال تعالى : فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا أي فإن لم تأتوا ولـن تأتوا، فجاء بالفعل الدال على الحدث، فالفعل فأتوا متضمن في الفعل نفسه.

ومنه استبدال الفعل (استبدلوا)، بالفعل (اشتروا) ؛لأن الضلالة والهـدى لا تجـارة فيهما على وجه الحقيقة، إذْ يذكر الرازي مجاز هذا التركيب متسائلاً ومجيباً:" هـب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازاً في معنى الاستبدال، فما معنى ذكـر الـربح والتجارة وما كان ثم مبايعة على الحقيقة، والجواب: هذا مما يقوي أمـر المجـاز ويحسنه ... لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه، تمثـيلاً لخـسارتهم وتصويراً لحقيقته "([2]).

ومن ضروب الاستبدال: استبدال جملة بفعل: ومنـه اسـتبدال جملـة صـلة الموصول (من الفعل:حاج والفاعل (هو) المحذوف، ومعمولي الفعل: (إبراهيم فـي ربه)، بجملة وقعت صلة للموصول أيضاً (من الفعل: كفَرَ، وفاعله (هو) المحذوف، ومعموله المجرور المحذوف الذي تعدى إليه عامله بحرف الجر (الباء): بـا ، إذ جاء هذا الاستبدال في قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حاجَّ إِبْراهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَـاه الله الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْراهِيم ربي الَّذِي يحْيِي ويمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وأُمِيتُ قَالَ إِبْـراهِيم

[1] - الواحدي: الشيخ أبي علي بن أحمد، أسباب النزول:32، ت/ السـيد الجميلي .

[2] - الرازي: مفاتيح الغيب، م1،ج79/2،80.

فَإِن الله يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِن الْمَشْرِق فَأْتِ بِهَا مِن الْمَغْرِبِ فَبهتَ الَّذِي كَفَرَ واللــه لَــا يَهْدِي الْقَوْم الظَّالِمِين (1) .

فجملة (الذي حاج إبراهيم في ربه) استبدلت بجملة (الذي كَفَرَ)، فسياق الآيــة يدلّ على أن الذي كفر هو الذي حاج إبراهيم في ربه، ووجــه ارتبــاط الجملتــين ببعضهما بعضاً، هو أن الجملة الأولى(المسْتَبْدلة) من الآية قــد جــاءت مفــصلّة، والجملة الثانية (المسْتَبْدل بها) من الآية نفسها قد جاءت مجملة بلفظ الفعل (كفــر)، أي بمعنى أن الجملتين قد ارتبطتا بحكم علاقة دلالية هي علاقة الإجمال والتفصيل، بقطع النظر عن تقدم جملة على أخرى أو تأخرها .

التعليل: ومن أمثلته قوله تعالى: أن أتاه ا الملك ، قال ابن عاشــور:" تعليــل حذفت منه لام التعليل، وهو تعليل لما يتضمنّه حاج من الإقدام علــى هــذا الغلــط العظيم الذي سهله عنده ازدهاؤه وإعجابه بنفسه ، فهو تعليل محض وليس علة غَائِية مقصودةً للمحاج من حجاجه"(2) .

التفريع: يؤدي التفريع دوره في التماسك النصي، من خلال تحقيــق العلاقــة بــين مسألتين أو قضيتين تقوم إحداهما أو تتحقق بناءً على تحقق الأخرى، وكأن التفريــع يقضي بوجود شيء ما أو بحدوثه، ومن الأمثله على هذا العنصر: وهكذا، لذلك، من حيث، ولعل، حتى، ولهذا، ما دام، ومن الآيات التي تمثّل هــذا العنــصر، قولــه تعالى:"ولهذا خلقهم"، وقوله تعالى:" ما دامت السموات والأرض"، :" لعلكم تتقــون"، و:" لعلكم تعقلون".

الترتيب: اهتم علماء النص بمسألة الترتيب، وقد أولاهــا (فنــدايك) أهميــة ودوراً بارزاً، كما جعل الترتيب عنصراً مهماً من العناصر التي تحقق الانــسجام للــنص، فجعل هذا العنصر على قسمين: ترتيب حر، وترتيب مقيد، واهــتم بالقــسم الثــاني بشكل خاص ؛ لأنه هو الذي يبرز ويظهر قصدية المتكلّم، وللوقوف على مدى تحقق هذا العنصر في سورة البقرة وفي غيرها من السور ذوات الحروف المقطّعة نــذكر

1- سورة البقرة: الآية/258.

2- ابن عاشور: التحرير والتنوير، 32/3 .

بعض الآيات التي التزم فيها هذا النوع من الترتيب وهو الترتيب المقيد، فمنه قـول ا تعالى: لا تأخذه سنة ولا نوم (1)، فقدم السنة التي تسبق النوم ثم عطف النوم عليها .

علاقة الوصل والفصل:

ومن الأمثله على هذا العنصر، انفصال الآيتين التاليتين من سـورة البقـرة: وإذَا لَقُوا الذِين آمنُوا قَالُوا آمنا وإذَا خَلَوْا إلَى شَياطِينِهمْ قَالُوا إنا معكُمْ إنمـا نَحْـن مسْتَهْزئُون*الله يسْتَهْزِئُ بِهِمْ ويمدهمْ فِي طُغْيانِهِمْ يعْمهـون (2)، انفـصلت عـن بعضهما رغم اتفاقهما في الخبر والإنشاء، وسبب انقطاع الآيتين عن بعضهما، هـو بيان عدم اشتراك الآيتين في الحكم، فانقطعت الآية الثانية عن الأولى لعدم وجـود رابط لفظي كحرف العطف مثلاً، إذ لو عطفت الآية الثانية على الأولى، لذهب الفهم إلى أن الآية المعطوفة هي من كلام الكافرين، وأوضح البيضاوي أن عدم العطـف ليكون الفعل على استهزائهم منه عز وجل، قال:"وإنما استؤنف به ولم يعطف ليـدل على أن ا تعالى تولى مجازاتهم، ولم يحوج المؤمنين إلـى أن يعارضـوهم، وأن استهزاءهم لا يؤْبه به، في مقابلة ما يفعل ا تعالى بهم ولعله لم يقل: ا مستهزئ بهم ليطابق قولهم، إيماء بأن الاستهزاء يحدث حالاً فحالاً ويتجدد حيناً بعد حين"(3).

ومن ضروب الفصل، الفصل بين الآيتين المستأنفتين: وارتبطت الثانية بالأولى بعلاقة المفعولية، ومن هذا النوع جاء قول ا تعالى:"ووصى بهـا إبـراهيم بنيـه ويعقوب يا بني إن ا اصطفى لكم الدين"(4) .

وقد بين ابن عاشور سبب عدم ذكر حرف التفسير بقوله:" وإنما لم يؤت بـأنْ التفسيرية التي كثر مجيئها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه؛ لأن أنْ التفسيرية تحتمل أن يكون ما بعدها محكياً بلفظه أو بمعناه، والأكثر أن يحكى بالمعنى، فلمـا

1- سورة البقرة: الآية:132.

2- سورة البقرة: الآيتان/14،15 .

3- البيضاوي: ناصر الدين أبو الخير عبدا بن عمر بن محمد : أنـوار التنزيـل وأسـرار التأويل،35/1.

4- سورة البقرة: الآية:132.

أريد هنا التنصيص على أن هذه الجملة حكاية لقول إبراهيم بنصه (ما عدا مخالفة المفردات العربية)، عومِلت معاملة فعل القول نفسه، فإنّه لا تجيء بعده أنْ التفسيرية بحال"([1]).

التماسك الدلالي من خلال عنصر المناسبة بين الآيات:

تمثّل المناسبة بين الآيات القاسم المشترك لارتباط الكلمات بعضها ببعض داخل الآيات، وارتباط الآيات بعضها ببعض داخل النص، وتُظهر هذا الارتباطَ أدوات التحليل التي تنتمي إلى مستويات التحليل (النحوي أو الدلالي أو التداولي)؛ إذ توضح أدوات التحليل عناصر التماسك النصي وتبرزها، ولقد أفصح الزركشي عن بعض العناصر والعلاقات التي تندرج تحت هذه المستويات، قال:" إما أن يظهر الارتباط بينهما لتعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح، وكذلك إذا كانت الثانية للأولى على جهة التأكيد والتفسير، أو الاعتراض والتشديد، وهذا القسم لا كلام فيه، وإما ألا يظهر الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى وأنها خلاف النوع المبدوء به، فإما أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف من حروف العطف المشترك في الحكم أولا "([2])، وليس شرطاً أن يتحقق عنصر الربط كأحد عناصر التماسك النصي في التتابع الخطي للآيات عن طريق أدوات الربط المتعددة، فالترابط حاصل دون أي أداة من أدوات الربط، ولا يقلل عدم وجود الرابط بين الكلمات أو بين الجمل أو بين الفقرات، من عدم ارتباطها بعضها ببعض، ولا يؤثر أيضاً في تماسك النص، والربط بين المتتاليات من غير أدوات ربط، يدخل في إطار الأداء الإنجازي غير المباشر لأدوات الربط، فتؤدي الكلمات دورها بشكل أفضل من تأديتها له بشكل مباشر، وذلك من خلال الربط الوظيفي والسياقي والدلالي، إذ نجد أن الآية اللاحقة هي عين الآية السابقة لها، أو أن تكون الجملة الثانية المتممة للآية الواحدة مع الجملة الأولى، هي عين الجملة الأولى، ومن ذلك قوله تعالى:" لا ريب فيه"، إذ ارتبطت مع قوله تعالى:" ذلك الكتاب" بعلاقة التبعية"، فأدت جملة "لا

[1] - ابن عاشور: التحرير والتنوير:39/3.

[2] - الزركشي: البرهان في علوم القرآن،40/1 .

ريب فيه" بحكم موقعها معنىً وظيفياً، أفصح عن علاقة التبعية تلك، وهـو معنـى التوكيد، وهذا المعنى النحوي هو ما ذكره كثير من المفسرين واللغويين والأدبـاء، وهم يتحدثون لإثبات تعالق الكلام بعضه ببعض([1])، فالتماسك بين الآية الأولى (الـم) والآية الثانية (ذلك الكتاب).، حاصل من خلال الدلالات السيميائية للحروف الثلاثة، فلما كانت الجملة الأولى هي المعول عليها في النص، باعتبارهـا مفتـاح الـنص ووقوع عبء تراكمية المعنى عليها، اقتضى هذا الاعتبار أنْ يكون التماسك النصي مبنياً وقائماً على ربط الدلالات المكتنزة في الجملة الأولى (الم)، التي تحمـل قيمـاً تعبيرية وطاقات إيحائية ورمزية وإشارية هائلة، بالدلالات الجزئية المنداحـة فـي الأبنية الصغرى والكبرى للنص، التي تعالقت وتماست كلّها فـي النهايـة، ليكـون النص كلّه ذا بنية كلية كبرى من عنوانه حتى آخر جملة تضمها بنيته .

فمما في هذه الحروف (الألف) من دلالة على البدء والعدل والاستقامة والتفرد والوحدانية والاستغناء، واللام من دلالة الملكية والنفي والوسطية واللطف، والمـيم من الأخروية و العلم والنهاية، مرتبطة بقوله تعالى :" ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين"، فهذا الكتاب فيه كلّ تلك المعاني التي وقفنا عليها، وهي منداحــة علـى امتداد فضاء النص، تؤكد عليها وتقر لها بها آياتٌ كثيرة في هذه السورة، وتتماسك معها آيات في سائر السور التي ماثلت سورة البقرة باستهلالها بالحروف المقطّعـة الأخرى، والتماسك والترابط حاصل بين سورة البقرة وسور القرآن كلّهـا، ولكننـا سنقف عند تماسك نصوص هذه السور ذوات الحروف المقطّعة بشكل خـاص فـي موضعها من هذه الدراسة، ويظهر أن وصل قوله تعالى:" هدىً للمتقين " فـي آيـة واحدة ليحمل دلالة ترتبط بكلّ قوة بين آخر آية من سورة الفاتحة " إهدنا الـصراط المستقيم"، والآيتين الأوليين من هذه السورة، فالهداية إلى الصراط المستقيم في هـذا الكتاب، واربط هذه الآية " ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين "، بالآية قبلها (الم)، فإن الرابط سيكون دلالياً من وجوه كثيرة منها؛ كثرة المعاني المتأوله لهـا، نحـو:

---

[1] - انظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، 227،228، ت/ محمود محمد شاكر، مكتبـة الخـانجي، القاهرة، ط/5،1424- 2004م .

تفسير الكتاب (القرآن) بأنه الصراط المستقيم حقيقة أو مجازاً، أو تفسيره بمعنى النعمة ...الخ، فإن المعاني المتأولة من الآية الأولى، يمكن عدها حلقة وصل بين الصراط الذي ورد في آخر سورة الفاتحة، والصراط المتأول والمفَسر به (الكتاب)، هذا من حيث المعنى الدلالي التحتي أو العميق، والمتكرر في الوقت نفسه على مستوى النص عمودياً أو رأسياً، سواء أكان متحققاً في بنية سورة البقرة بشكل خاص، أم متحققاً في بينة السور ذوات الحروف المقطّعة بشكل عام، وسيبين لنا هذين المعنيين العنصر التالي لهذا العنصر، ومن حيث الربط على مستوى بنية النص أفقياً، فإنه متحقق في الجانب اللفظي، ولتوضيح هذين الجانبين المعنوي واللفظي، فيمكن تحقيقه إذا ما تأولنا جملة أو أكثر لهذه الحروف الثلاثة (الم) رابطين لمعناها - في الوقت نفسه - بالمعاني التي نأى بحملها عنوان السورة، ورابطين لها مع معنى الآية الثانية ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين ([1])، ورابطين لها كذلك مع آخر آيتين من سورة الفاتحة ، في قوله تعالى: اهْدِنَا الصراطَ الْمسْتَقِيم *صِراطَ الذِين أَنْعَمْتَ علَيْهِمْ غَيْرِ الْمغْضوبِ علَيْهِمْ ولا الضالين ([2])، فنقول: اعبدوا ا الواحد الحي القيوم، الرقيب عليكم اللطيف بكم، العليم بكل شيء، عالم الغيب والشهادة، عالم بخلقكم وحياتكم وموتكم وبعثكم ومصيركم، سعادتكم وشقاءكم، طريق هدايتكم واستقامتكم، هداية واستقامة من أنعمت عليهم، فأحطت علمي في هذا القرآن البين الواضح، وضوح هذه الحروف التي تعرفونها وتتكلمون بها ، فأوحيت به إلى عبدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فنزل به روحنا عليه، ففيه الهداية إلى هذا الصراط المستقيم الذي سألتموه، وهو عبادة ا وحده وتقواه والإخلاص له، وهذه الوحدانية أبانت عنها آيات كثيرة صريحة في هذه السورة ، فمنها قوله تعالى: يا أَيها الناس اعْبدوا ربكُم الذِي خَلَقَكُمْ والذِين مِنْ قَبْلِكُمْ لَعلكُمْ تَتقُون ([3])، كما وضحت الآية نفسها بعد هذا النداء هذه العلامة، إذ فسرت العبادة بالتوحيد عند جلّ المفسرين، قال الطبري: "فأمر جل ثناؤه

[1] - سورة البقرة : الآية/2

[2] - سورة الفاتحة: الآية/2.

[3] - سورة البقرة: الآية/21.

الفريقين (*)... بالاستكانة، والخضوع له بالطاعة، وإفراد الربوبية له والعبادة دون الأوثان والأصنام والآلهة...وكان ابن عباس: فيما روي لنا عنه، يقول في ذلك نظير ما قلنا فيه، غير أنه ذُكر عنه أنه كان يقول في معنى"اعبدوا ربكم": وحدوا ربكم ... والذي أراد ابن عباس - إن شاء ا - بقوله في تأويل قوله:"اعبدوا ربكم" وحدوه، أي أفردوا الطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه([1])، وجعل القاضي عبـد الجبـار دلالة العقل قرينة مقرونة متصلة، مع أبنية النص اللفظية والمعنوية، وهو يتحـدث عن هذه الآية بقوله:" والقرائن قد تكون متصلة سمعاً، وقد تكـون منفـصلة سـمعاً وعقلاً، وقد بينّا أن الدليل العقلي وإنْ انفصل فهو كالمتصل في أن الخطاب يترتـب عليه، لأن قوله:" يا أيها الناس اعبدوا ربكم"، مع الدليل العقلي الدال علـى أنـه لا يكلّف من لا عقل له، أكّد في بابه من أنْ يقول: يأيها العقلاء اتقوا ربكم"([2])، ويظهر أن الخطاب بـ (أيها الناس) في هذه الآية من هذه السورة - مدنية المكان والزمان - هو استمرار في تعالي الخطاب القرآني عن أي اعتبارات وفوارق بـين هـؤلاء الناس المخاطبين عامة؛ سواء أكانت اعتبارات عقائدية أو لسانية أو شكلية أو ثقافية أو مكانية أو زمنية، فالاعتبار المقصود هو عبادة ا وحده من المخاطبين عامـة، وموضوع التوحيد متواصل في القرآن المدني لم يفارقه لفظـاً أو معنـىً، بحـسب ترتيب النزول، لكن التركيز عليه في القرآن المكي بحسب ترتيب النـزول أيـضاً، ضرورة لها الأولوية، وهو يخاطب متلقين اتخذوا أوثاناً تقربهم إلى ا زلفى، تركيز طبيعي ومنطقي ينسجم ويتناسب والدين الجديد، وفي هذا يذكر السيوطي أن النـداء بأداة النداء (ياء) التي هي في الأصل للبعيد حقيقة أو حكماً، وإنما حصل النداء بهـا للقريب لنكت منها :" كون المخاطب المتلو معتنىً به...وذكر أوجهـاً مـن التأكيـد

(*) أراد الطبري بالفريقين: " اللذان أخبر ا عن أحدهما: أنه سواء عليهم أأنذروا أم لم ينذروا، أنهم لا يؤمنون لطْبِعِه على قلوبهم وعلى سمعهم، وعن الآخر: أنه يخادع ا َ والذين آمنـوا بما يبدي بلسانه من قيله: آمنّا با وباليوم الآخر، مع استبطانه خلافَ ذلك، ومرض قلبـه، وشكّه في حقيقة ما يبدي من ذلك; وغيرهم من سائر خلقه المكلفين .

[1]- الطبري:جامع البيان: 363،362/1 .

[2]- الهمذاني: متشابه القرآن: 34/1.

وأسباباً من المبالغة لتكرار النداء بـ (يا أيها) عند الزمخشري: منها ما في "يا" من التأكيد والتبيه وما في "ها" من التنبيه؛ وما في التدرج من الإبهـام فـي (أي) إلـى التوضيح، والمقام يناسب المبالغة والتأكيد؛ لأن؛ كل ما نادى ا عباده من أوامـره ونواهيه وعِظاته زواجره، ووعْدِه ووعيده، ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضـية ـ وغير ذلك مما أنطق ا به كتابه ـ أمور عظام وخطوب جسام، ومعـان واجـب عليهم أنْ يتيقّظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها وهو غافلون، فاقتضى الحال أنْ ينادوا بالآكد الأبلغ "([1])، والمخاطبون ـ عند تعدي الفعل إلى مفعـولين، الأول: أنداداً المتأخر: والثاني: لفظ الجلالة الذي قدم وسبقه حرف الجر؛ فالاسم الموصول في الآية "الذي جعل" متعلقة بما قبلها بعلاقة نحوية هي البدل من قوله تعالى: " الذي خلقكم "، والبدل والمبدل نعت للفظ الجلالة (ربكم)، قال الطبري:" وقوله:" الذي جعل لكم الأرض فِراشًا" مردود على"الذي" الأولى فبقوله "اعبدوا ربكم الذي خَلَقَكم"، وهما جميعًا من نَعت"ربكم"، فكأنّه قال:اعبدوا ربكم الخالقكُم، والخالقَ الذين مـن قـبلكم، الجاعلَ لكم الأرض فراشًا"([2]).

ويمكن أنْ نتأول جملة قصيرة تفي بمعنى الفقرة السابقة، وهو تأول ـ كما يبدو ـ قد اختزله من قبل ترجمان القرآن، فتفسير ابن عباس لـ (الم) بقوله:" أنا ا أعلـم" أو ا ، لطيف، مجيد، عليم"، هو مختزل لكل الذي تأولناه؛ إذ أبان عن وحدانيـة ا وعلمه، قال تعالى: قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْـرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ([3])، فإذا كان عنوان السورة جامعاً لهذه المعاني، فإنه لم يأت في بنيته صوت إلا وهو واقع ما بين الهمزة واللام، أو بين الـلام والمـيم: لفظاً ومخرجاً وصفة، فلم يعد هناك صوت مخرجه خارج حدودها، وأصوات القرآن الكريم داخل هذه الحدود، ودلالة العنوان و(الم)، تضمنها نص السورة الجامعة هـي أيضاً للقرآن، عقيدة وفقهاً وأحكاماً ـ حتى سميت بـ (فسطاط القرآن)([4]) .

---

[1]- السيوطي: معترك الأقران: 1/ 448.

[2]- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن: 365/1 .

[3]- سورة الأنعام : الآية: 161 .

[4]- انظر الزركشي: البرهان، 269/1.

وارتبط قوله تعالى:" يكاد الْبرْقُ يخْطَفُ أَبصارهمْ كُلما أَضاء لَهمْ مـشَوْا فِيـهِ وإِذَا أَظْلَم علَيهمْ قَاموا ولَوْ شَاء الله لَذَهب بِسمْعِهمْ وأَبصارِهِمْ إِن الله علَى كُـل شَـيْءٍ قَدِير (1)، التي ورد فيها أول لفظ لاسم ا تعالى (القدير)، بالآيـات التـي بعـدها ارتباطاً دلالياً، ينسجم مع موضوع الخطاب المحوري.

ومن عنصر المناسبة بين الآيات التي تدل على تماسك وترابط أول الـسورة بآخرها، ما جاء في الآيات المتقدمة من السورة التي تتحدث عن صـفات المتقـين، وأواخر آياتها التي تتحدث عن موضوع الإيمان والمؤمنين الـذين شـملتهم هـذه الصفة، قال الفخر الرازي:" أنه بدأ في السورة بمدح المتقين الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، وبين في آخر السورة أن الذين مدحهم فـي أول السورة هم أمة محمد صلى ا عليه وسلم، قال تعالى: والمؤمنون كُلٌ آمـن با وملائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورسلِهِ لاَ نُفَرقُ بيْن أَحدٍ من رسلِهِ (2)، وهذا هو المراد بقوله في أول السورة الذين يؤْمِنُون بالغيب (3)، ثـم قـال ههنـا: وقَـالُواْ سـمِعْنَا وأَطَعْنَا (4)، وهو المراد بقوله في أول السورة: ويقيمون الصلاة ومِما رزقنـاهم ينفِقُون (5)، ثم قال ههنا غُفْرانَك ربنَا وإِلَيْك المصير وهو المراد بقوله في أول السورة وبالأخرة همْ يوقِنُون ثم حكى عنهم ههنا كيفية تضرعهم إلى ربهم فـي قولهم: ربنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا إلى آخر السورة وهو المراد بقوله في أول السورة أولئك على هدًى من ربهمْ وأولئك هـم المفلحـون ، فـانظر كيـف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها"(6) .

ويعلّل البقاعي ختم قصص بني إسـرائيل بهـذه القـصة، تـصديقاً للرسـالة وللمبعوث بها، ويبين من خلال التعليل على أمر التوحيد، الـذي هـو الموضـوع

1- سورة البقرة: الآية/20.

2- سورة البقرة: الآية/285.

3- سورة البقرة: الآية/3.

4- سورة البقرة: الآية/285.

5- سورة البقرة: الآية/3.

6- الرازي: مفاتيح الغيب:م4،ج7/ 138،139.

المحوري المحمول في بنية السورة الكلية الكبرى، قال البقاعي:"ولعل ختام قصص بني إسرائيل بهذه القصة لما فيها للنبي صلى ا عليه وسلم من واضح الدلالة على صحة دعواه الرسالة؛ لأنها مما لا يعلمه إلا القليل من حذاق علماء بني إسرائيل ثم عقبها بآية الكرسي التي هي العلم الأعظم من دلائل التوحيد فكان ذلك في غاية المناسبة لما في أوائل السورة في قوله تعالى: يا أيها الناس اعبدوا ربكم ، إلى آخر تلك الآيات من دلائل التوحيد المتضمنة لدلائل النبوة المفتتح بها قصص بني إسرائيل فكانت دلائل التوحيد مكتنفة قصتهم أولها وآخرها مع ما في أثنائها"([1]) .

المصاحبات المعجمية وأثرها في تماسك النص (مفاتيح النص)

تعد المصاحبات المعجمية من أهم المفاتيح التي يعتمد عليها في تحليل النص، ولا سيما عندما يظهر للمحلل أن النص قد بدأ ينغلق أمامه، فليجأ المحلل إلى كلمات تقع ضمن حقل دلالي واحد، فيجد فيها ما يفتح المواضع التي يظهر فيها انغلاق النص، ومما يساعد المحلل في انفتاح النص مع المصاحبات المعجمية، سياق الجملة أو الفقرة أو النص، فيعمد المحلل في ضوء دلالة السياق إلى اختيار الكلمة التي تنسجم والسياق، فيختار مصاحبة دون غيرها من المصاحبات التي تقع ضمن الحقل الدلالي الواحد، ولو كانت تلك المصاحبة تجود في نسبة من المعنى ينسجم والسياق العام للجملة أو للفقرة أو للنص، وقد جاء في سورة البقرة كلمات كثيرة تطابقت فيما بينها في المعنى أو في جزء منه، ومنها الكلمات التالية: (الكتاب/ القرآن)، (الريب/ الشك)، (الظن/ الافتراء)، (اليقين/ الإيمان) .

ب ـ العلاقات والعناصر النحوية:

الحذف: يعد الحذف من أهم العناصر التي تلعب دورا مهماً في تماسك النص، فتقدير المحذوف بدليل، هو رتق لأي خلل قد يمس البنية التركيبية، صوتاً أو صرفاً أو نحواً أو تداولاً، لمعرفة المتلقي بفنون الخطاب البلاغية والأسلوبية، التي يعمد المتكلّم أو الكاتب إلى حذف بعض الألفاظ أو التراكيب، ويدرك المتلقي غاية هذا الحذف؛ اختصاراً أو إيجازاً أو بلاغة، وإذا كان من شأن الحذف أن يؤدي إلى لبس

[1]- البقاعي: نظم الدرر في تناسق الآيات والسور:396/1،397 .

أو عدم الفهم، فإن المتكلّم أو الكاتب لن يلجأ إليه، أو سيذكر قرينة أو دليلاً يدل على المحذوف من بنية الجملة، ليؤدى به دور المحذوف في تحقيق الترابط والانـسجام لبنية النص في مستواها الأفقي، والتقدير للمحذوف جاء اهتماماً للجانب الشكلي الذي يشتمل على المعنى، سواء أكان المعنى ظاهراً أم مضمراً قلّ أو كثُـر، وعنـدما لا يتحقق المعنى من خلال ظاهر اللفظ، فلا بد من تأويل ينسجم ويتعالق مع المعنـى الظاهر للفظ، وينسجم ويتعالق مع أي معنى آخر يمكن تأويله إلى جانبه، فمن هنـا يمكننا القول: إذا كان التركيب لمبنى ما من البنية المكونة لمبنى الجملـة، يفـرض تقديراً أو تأويلاً لمحذوف يحقق سلامة التركيب ومعناه، من خلال لفظ أو أكثر قـد حذف، فإن أي معنى- قلّ أو تعدد- غير ظاهر من التركيب المكتوب، يفرض هـو الآخر أيضاً تأويلاً أو أكثر، على أن ينسجم هذا المعنى المتأول، وسـياق المعنـى التركيبي للجملة أو السياق العام للنص، تحقيقاً لتماسك النص.

أما ضروب الحذف في فمنها: (الاقتطاع)، وهو ذكر حـرف مـن الكلمـة وإسقاط الباقي، كقوله: درس المنا بمتالِعٍ فأبان

أي المنازل... وقد جعل منه بعضهم فواتح السور؛ لأن كل حرف منها يـدلّ علـى اسم من أسماء ا تعالى، كما روى ابن عباس " الم " معناه أنـا ا أعلـم وأرى "، و"المص" أنا ا أعلم وأفصل"،... ومنه أيضاً "(الاكتفاء): وهو أنْ يقتـضي المقـام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفي بأحدهما عن الآخر، ويخـص بالارتبـاط العطفي غالباً ... ومنه قوله تعالى: الذين يؤمنون بالغيـب ، أي والـشهادة؛ لأن الإيمان بكل منهما واجب، وآثر الغيب لأنّه أبدع، ولأنّه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس"([1]) .

ومن حذف الجملة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت "، قال الزجاج:"أي فضرب فانفجرت ([2]).

---

[1]- انظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، 3/ 117، 118،120 .

[2]- الزجاج: إعراب القرآن،13/1، ت/ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط/4،1420هـ - 1999م.

حذف المبتدأ: يعد حذف المبتدأ ظاهرة شائعة في القرآن الكريم، ومما يؤكّد هذه الظاهرة، ما ذكره عبد الفتاح الحموز بقوله:" يشيع حذف المبتدأ في التنزيل وقراءاته كثيراً، ولعل ما في سورة البقرة من مواطن حذِف فيها في تأويلات النحويين خير دليل على هذه الكثرة"([1])، ولقد استقصى عبد الفتاح الحموز مسائل الحذف في القرآن الكريم، معززاً هذه المسائل بكثير من الشواهد من آي الذكر الحكيم([2])، ومما جاء فيه المبتدأ محذوفاً في سورة البقرة ما يلي:

حذف ضمير الجمع (هم): وهو المبتدأ الذي يحيل إحالة قبلية على الكافرين، وجاء هذا الحذف في قوله تعالى: صم بكم عمي قال الزجاج:" ومن إضمار المبتدأ قوله تعالى " صم بكم عمى " فأضمر المبتدأ وأخبر عنه بثلاثة أخبار"([3]).

ومنه حذفه " في جملة الجزاء الاسمية المقترنة بالفاء، ومن ذلك قوله تعالى: وما تنفقوا مِنْ خيرٍ فلأنْفُسِكُم "أي: فهو لأنفسكم"([4]).

وقد جاء الفاعل ضميراً مستتراً في آيات متعددة من سورة البقرة، منها ضمير الفعل (أنبأ) الذي يحيل إلى آدم عليه السلام إحالة قبلية متطابقة، وجاء هذا في قوله تعالى: فلَمَّا أَنبأَهم بِأَسْمآئِهم ، قال الزجاج:" الضمير في (أنبأ) لآدم، وفي (قال) ضمير اسم الجلالة،أي قلنا نحن، وإنّما لم يؤت بفاعله اسماً ظاهراً مع أنه جرى على غير من هو له، أي عقب ضمائر آدم في قوله:"أنبئهم " و "أنبأهم"؛ لأن السياق قرينة على أن هذا القول لا يصدر من مثل آدم"([5]).

كما جاء مسنداً إليه في الأفعال: خلق: أربع مرات، وفي الأفعال: يميت، يحيي، رفع، سخر، يرسل...وتردد الفعل (جعل) مسنداً إلى الضمير المستتر (هو) في الآيات ... مرة ، وهذه الخصائص متحققة تماماً بين العنصرين، فا سبحانه وتعالى هو الفرد الصمد الحي القيوم، وهو الخالق والمحيي والمميت والرافع

---

[1] - الحموز: التأويل النحوي في القرآن الكريم، 139/1 ، وما بعدها.

[2] - انظر: المرجع نفسه بالتفصيل، 139 وما بعدها .

[3] - الزجاج: إعراب القرآن:180/1. .

[4] - الحموز: التأويل النحوي في القرآن الكريم: 152،153 .

[5] - سورة البقرة: الآية/31. وانظر: الزجاج: إعراب القرآن، 40/1 .

والمسخر، كما أن التطابق الذاتي بين الضمير المستتر في هذه الأفعال ولفظ الجلالة بين واضح، فالآيات متماسكة مترابطة؛ إذ "الوقائع التي تشير إليها قضاياها متعالقة في عوالم متعالقة "([1]).

حذف الموصوف: ومن الأمثلة عليه قوله تعالى: وبالآخرة هم يوقنون ، إذ حذف الموصوف الذي هو الدار وأقيمت الصفة مقامه، ونُعت بأنّه جائز حسن في العربية، يعد من جملة الفصاحة والبلاغة...والتقدير وبالدار الآخرة هم يوقنون.([2]).

حذف المضاف: ومنه حذف المضاف في قوله تعالى: وإذا واعدنا موسى أربعـين ليلة أي انقضاء أربعين ليلة، نحو: واسأل القرية.

حذف العائد: عائد الصلة ...(الضمير)، قوله تعالى: قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُم الدار الْآخِرةُ عِنْد اللهِ خَالِصةً مِنْ دون الناسِ فَتَمنوا الْموْتَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِين* ولَنْ يتَمنوْه أَبدًا بِما قَدمتْ أَيدِيهِمْ والله علِيم بِالظالِمِين ([3])، و" ما " في قوله " بما " بمعنى الذي والعائد محذوف، والتقدير قدمته، وتكون مصدرية ولا تحتاج إلى عائد"([4]) .

حذف المفعول به: قال الزجاج:" فمن ذلك قوله تعالى: وما يخـدعون إلا أنفـسهم وما يشعرون ؛ أي وما يشعرون أن وبال ذلك راجـع إلـيهم، وكـذلك ولكـن لا يشعرون أي لا يشعرون أنهم هم المفسدون، ولكن لا يعلمون أي لا يعلمون أنهم هم السفهاء "، ومن ذلك أيضاً؛ أي قوله تعالى : وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمـون ، أي تكتمونه، ومنه قوله تعالى: إلا إبليس أبى واستكبر أي أبى السجود واسـتكبر عنه ثم اتخذتم العجل أي اتخذتموه إلهاً ([5]).

العطف: تكرر العطف بالواو ست مرات في الآيات التي تحدثت عن صفات المتقين، فأشركت الواو المسند إليهم ضمير الجمع (الواو)، المحيلة إلى الاسـم الموصـول (الذين)، وأشركت الاسم نفسه (الذين) في الآية الرابعة ، بإسناد فعل إقامة الـصلاة،

---

[1]- مفتاح، لسانيات النص :32،33.

[2]- انظر: الزجاج: إعراب القرآن، 62/1 .

[3]- سورة البقرة: الآيتان/ 5،949.

[4]- القرطبي: أبو عبد ا مصذحمد بن أحمد الانصاري ، الجامع لاحكام القرآن ،33/2 .

[5]- الزجاج: إعراب القرآن، 405/1.

وإنفاق الرزق، والإيمان بالكتاب والكتب قبله، واليقين بالآخرة، في الدخول في صفة المتقين، فأغنى العطف بالواو عن تكرار الصفة (الذين)، إذ كلّ الأفعال آلت في الإسناد إلى الاسم الموصول الذي يحيل إلى الاسم (المتقين) إحالة قبلية ذاتية متطابقة.

التكرار:إعادة صياغة، وضع علماء النص التكرار عنصراً أساسياً من عناصر التماسك النصي، وقبلهم أولاه القدماء عناية هامة كذلك، فافردوا له فصولاً خاصة في كتبهم التي خصوها لعلوم القرآن، كما فعل عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز، وابن الزبير في ملاك التأويل وغيرهما، أو ما جاء في عنوانات فرعية في كتب أخرى، كما فعل الفيروزأبادي في بصائر ذوي التمييز، والزركشي في البرهان، والسيوطي في الإتقان ومعترك الأقران، وسنمثّل لهذا العنصر من خلال بعض الألفاظ والآيات التي تكررت لفظاً ومعنىً .

أولاً: المفردات.

لفظ الجلالة (ا): يبدو أن كثرة تكرار لفظ الجلالة (ا)، وأسمائه الحسنى التي تؤول إليه، تعضد الدلالة السيميائية للحروف المقطعة وهي أن هذه الحروف في سورة البقرة وفي سائر السور ذوات الحروف المقطعة، مقتطعة من أسماء ا عز وجلّ، ويعضد هذه الدلالة ما جاء من تفسير لها عند أكثر المفسرين على اختلاف مناهجهم ، ولا سيما تفسير ابن عباس، بأن الألف من ا ، كما أن هذه الدلالة متحصلّة في نصوص كل السور المستهلة بحروف مقطعة، وهذه الدلالة متطابقة ومنسجمة ومتماسكة مع دلالة كل حرف، إذ نجد أن الألف متطابقة مع لفظ الجلالة (ا) ، كما تطابقت مع اسم ا (الواحد) لفظاً ومعنىً في آيات كثيرة من سورة البقرة، و(اللام) على أسمائه: الحي، العلي، اللطيف، ، الواسع ، الغفور ، الرحمن، ، الميم : الرحيم، مالك الملك، المحيي، المميت، المحصي، المحيط العليم، القيوم، العظيم ...الخ.

الشفاعة: وردت ألفاظ؛ أسماء وأفعال ضمن حقل هذا الاسم (الشفاعة)، نحو (شفيع، يشفع ...)، وهذه الكلمات تنضوي من خلال المحْدِث لها المختص بأحداثها، إلى الموضوع المحوري المركزي، الذي أولته سورة البقرة وسائر السور ذوات

الحروف المقام الأول، بل وهو الموضوع الذي أكّدت عليه السور المكية قاطبة، ألا وهو محور (التوحيد)، ومن الآيات التي وردت فيها هذه الكلمات في سورة البقـرة قول ا تعالى: من ذَا الذِي يشْفَع عِنْده إلا بِإِذْنِهِ ([1])، وهذه الآية اشتملت علـى قسم كثير من أسماء ا الحسنى، وكذلك تضمنت الموضوع المحـوري، وصـيغة المضارع (يشْفَع) المسبوقة بأداة الاستفهام (منْ) قبلها، ومعمول الفعل (عنـده) وأداة الاستثناء بعده، جميعها دوال على قصور الشفاعة وحده، والفعـل (يـشْفَع) دالّ بنسبة منه على ما في اليوم الآخر من حساب ومغفرة كذلك .

تكرار الآيات: وهي سمة اتسم بها الخطاب القرآني، وذلك لأغراض متعـددة تفيـد التوكيد والتنبيه والوعظ، وقد جاءت الآيات المكررة في مواضع متفرقة في سـورة البقرة، ووقوع عنصر التوكيد في نص السورة ألفاظاً أو آيات، يؤدي إلـى تماسـك النص وتعالق وتعانق ألفاظه وجمله، كما يؤكد على وحدة الأبنية الـصغرى التـي يركز عليها الخطاب القرآني في هذه السورة، وهو يخاطب فريقاً مقصوداً بالمقـام الأول، ولا سيما إذا ما عرفنا بأن سورة البقرة كانت خطاباً لليهود، فتكررت آيـات كثيرة فيها تتحدث عنهم، فمن الآيات التي كررت بألفاظها المكونة لها تقريباً قول ا تعالى: يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت علـيكم وأنـي فـضلتكم علـى العالمين*واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخـذ منها عدل ولا هم ينصرون ، إذ ورد تكرار هذه الآية تقريباً في قوله تعالى: يـا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين*واتقـوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شـفاعة ولا هـم ينصرون ([2])، والتكرار للآيتين الأوليتين، هو للتوكيد على خصوصية بني إسرائيل بتفضل ا عليهم أكثر من غيرهم، والأصل أنْ يكونوا أولى النـاس شـكراً لهـذه النعمة، فكان التكرار لتذكيرهم بها وتنبيههم على المعاصي التي قـابلوا بهـا هـذا الفضل، ففي كلّ معصية يرتكبوها يأتي تكرار فضل ا عليه وتنبيههم ووعظهـم،

---

[1] - سورة البقرة: الآية/255.

[2] - سورة البقرة: الآيات: 47، 48 ، 122، 123 .

قال الفيروزأبادي:" وإنما كُررتا لأن كلّ واحدة منهما صادفت معصية تقتضي تنبيهاً ووعظاً؛ لأن كل واحدة منهما وقعت في غير وقت الأخرى"([1]).

التكرار باللفظ: وقد جاء منه تكرار الأفعال المثبتة والمنفية لفظاً ومعنىً فمنهـا: يؤمنون، لا يؤمنون، من يقول آمنا، وما هم بمؤمنين، آمن الرسول ، كل آمن، بعـد إذ هديتنا: هدى للمتقين، إن الذين كفروا ، كفروا به .

ختم: جاء مطابقاً للزمن بصيغة الماضي، فالختم جاء بعد الكفر، لذلك لم يـأت الفعل بصيغة المستقبل أو المضارع المستمر نحو: سيختم، يكفرون ليطابق يؤمنون، فالكفر حاصل وهم مستمرون فيه، فلا فائدة في دعوتهم للهداية وإنذارهم، أما مـنْ آمن بما أمر به عز وجل، كما آمن أنبياؤه ورسله، ومنْ يؤمن بما آمن به قبله مـن المؤمنين، فهو من المتقين الذين أنعم ا علـيهم، فـالختم جـاء بـسبب كفـرهم واستمرارهم فيه، بدليل الآية: فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، كمـا أن تكـرار فعل الكفر وبصيغة الماضي، لدليل على أن الكفر قد وقع قبل الختم وما زالوا فيـه، والإنذار وعدمه منسجم مع دلالة فعل الختم، فالمختوم لا يدخل إليه شيء ولا يخرج منه شيء، فإنذار الكفار وعدمه سيان.

التكرار بالمعنى:

الكتاب: ورد التكرار الكتاب في آيات كثيرة من هذه السورة، ومنه تكـرار للفظـة الكتاب بالمعنى، إذ لم يرد في كثير من الآيات، لفظُ الكتاب مصرحاً به، ومن هـذه الآيات قول ا تعالى: مما أنزلنا على عبدنا ، وقوله تعالى: ولمـا جـاءهم مـا عرفوا كفروا به وقوله تعالى: وهو الحق مصدقاً لما معهم . فـي جملـة (ممـا نزلنا)، قال القرطبي:"مما نزلنا"؛ يعني القرآن، والمراد المشركون الـذين تحـدوا، فإنهم لما سمعوا القرآن قالوا: ما يشبه هذا كلام ا ، وإنا لفي شك منه، فنزلت الآية، ووجه اتصالها بما قبلها أن ا سبحانه لما ذكر في الآيـة الأولـى الدلالـة علـى

---

[1] - الفيروزأبادي: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتب العزيز:147/1،ت: محمد علي النجار.

وحدانيته وقدرته ذكر بعدها الدلالة على نبوة نبيه، وأن ما جاء به ليس مفترى من عنده"([1]).

الصفة: تعد الصفة عنصراً من العناصر النحوية التي تربط بين الألفاظ في الجملة الواحدة، أو بين جملة وجملة أخرى، ومن ذلك الاسم الموصول (الذين) في الآية الثانية من سورة البقرة، قال تعالى: الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ومما رزقناهم ينفقون ، إذ جاء في موضع الصفة من (المتقين) في الآية قبلها.

ومن ضروب التوابع ما جاء في الجمل التي وصِفَ بها المفرد، قال أبو حيان:" وقد ينعت المفرد بجملة تابعة له في الجملة نفسها، وقد جاء هذا النوع من النعت في سورة البقرة في قول ا تعالى: يا أَيها الذِين آمنُوا أَنْفِقُوا مِما رزقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يأْتِي يوْم لا بيْع فِيهِ ولا خُلَةٌ ولا شَفَاعةٌ والْكَافِرون هم الظالِمون ([2])، والجملة من قوله: لا بيع، في موضع الصفة، ويحتاج إلى إضمار، التقدير: ولا شفاعة فيه فحذف لدلالة: فيه، الأولى عليه([3])، وواضح أن هذه الآية هي داخلة في قسم الجملة التابعة للمفرد، إذ تبعت الآية: لا بيع فيه ولا خلة، والمفرد هو لفظة (يوم) الذي اكتسب التعريف بفعل الجملة التي جاءت صفة له .

البدل: من المواضع التي جاءت فيها الآية بدلاً من الآية، فارتبطت الجملتان اللتان شكّلتا نص الآية بفعل هذه العلاقة، وأدت الجملة الثانية وظيفتها النحوية بفعل موقعها في الآية، ومن ذلك قوله ا تعالى: إن الذِين كَفَروا سواء علَيهِمْ أَأَنْذَرْتَهمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهمْ لا يؤْمِنُون ([4])، فقوله: سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم، جاءت في موضع البدل من قوله: الذين كفروا، وهي من باب الجمل التابعة للجمل التي لها

[1] - القرطبي: الجامع لاحكام القرآن/232/2/2 .

[2] - سورة البقرة: الآية: 254.

[3] _ أبو حيان: البحر المحيط:606/2.

[4] - سورة البقرة: الآية: 6.

محل من الإعراب. وقد عد الرازي قوله سواء بالرفع خبراً لأن:"أأنـذرتهم أم لـم تنذرهم " في موضع الفاعلية منه"([1]).

3- العلاقات والعناصر التداولية.

أولى القدماء والمحدثون على اختلاف مشاربهم ومناهجهم، المستوى التـداولي عناية مهمة لدوره في تماسك النص وفهمه، وذلك مـن خـلال ربـط الملفـوظ أو المكتوب بعرفية الاستعمال أو بواقع اللغة الاجتماعي، وقد عرف في البلاغة القديمة بمصطلح (سياق الحال)، وقد عبر عنه بالجملة التي جرت مجرى المثل وهي: لكل مقام مقال، ولم تغب هذه التداولية المكتنفة عن ابن خلدون في مقدمته، إذ نص فيها:" ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة، أحوال المخاطبين أو الفاعلين وما يقتضيه حالُ الفعل، وهو محتاج إلى الدلالة عليـه؛ لأنّـه مـن تمـام الفائـدة والإبانة"([2])، ولم يخرج النص القرآني عن العرف اللغوي المشترك عند المتلقـين، ولم يخرج أيضاً على أساليبهم، وفي هذا السياق يذكر هيثم سرحان التـزام الـنص القرآني بهذه الأعراف بقوله:" النص القرآني ملتزم بقوانين المواضعة والأعـراف اللسانية للمتخاطبين، وهو بذلك لم ينتهك سلطة اللسان... ويضيف: " تتبلور دلالـة القصد من خلال نظم المواضعة ذلك:...أن استخدامات اللغة جميعاً تكون محكومـة أخلاقياً ليس بمقاصد المؤلف، وإنما بالأعراف السائدة في مجتمـع اللـسانيات" ([3])، ونمثل لعلاقات هذا المستوى على النحو الآتي:

العنوان والسياق.

يمثل عنوان السورة عنصراً تداولياً في النص ، إذْ قصة البقرة التي أنبأ عنهـا عنوان السورة معروفة للمخَاطب، وهذه المعرفة هي مراعاة من المخاطِب لأحـوال المخَاطب؛ لإدراك مقصد الخطاب من خلال العنوان، والتأثير في الجانب النفـسي والاجتماعي للمتلقين، والمعاني التي تحصلت لنا من الفعل (بقر)، والأفعال ومعانيها المتحصلة أيضاً من تقليباته الستة، هي معروفة للمتلقين بدلالة وجود تلـك الأفعـال

---

[1] - الرازي : مفاتيح الغيب :م1،ج45/2. دار الفكر

[2] - ابن خلدون: المقدمة،1135/3.

[3] - سرحان، هيثم: استراتيجة التأويل الدلالي عند المعتزلة:14،15.

ومعانيها، في واقع المتلقين اللغوي والاجتماعي، أي أنها من ضمن الرصيد اللغوي، كما أن بنية الكلمات وتركيبها ودلالتها، من الكلام الحسن المستقيم، فلم تستغرب تلك الكلمات نحو: بقر، قرب، ربق، برق، قبر، رقب...الخ .

وليست هذه الأفعال الستة إلا نموذج للمستوى التداولي في التحليل، ودوره في فهم النص، بوصفه حدثاً فنياً يشكل نظامه بطريقة لغوية وعبر لغويـة، أي بـصفته نظاماً معرفياً وثقافياً واجتماعيا ونفسياً، ولكننا آثرنا التقديم بهذه الأفعال، تماشياً مع عنوان السورة الذي عددناه أيضاً عنصراً تداولياً بحكم معرفته؛ بنية ودلالة وقـصة وحواراً .

ويعد عنوان السورة (البقرة) عنصر من عناصـر الإحالـة التـي تدرسـها التداولية، بإعتبار عنوان السورة علامة معينة يحيل إلى شيء معين معروف وهـذا الشيء هو بقرة بني إسرائيل التي أمروا بذبحها وقد طلبوا تعيينها وتمييزهـا مـن سائر البقر، فأحال إليها عنوان السورة معرفاً لا نكرة .

وللسياق دور بارز في انسجام النص وترابطه، وذلك من خلال المعارف العامة والخبرات الحياتية الواقعية، التي يقدمها النص وهي معارف ليست غريبة أو مبتدعة فيه، بل إنّها في معظمها خبرات اكتسبها المتلقي أو سمع بها أو تعلّمها في منظومته الاجتماعية، ومن خلال هذه المعارف فإن المتلقي لا يجد صعوبة في إدراك المعنى الذي يرمي إليه المتكلّم، وفي هذا يذكر محمد خطابي:" أن لكل خطاب بنيـة كليـة ترتبط بها أجزاء الخطاب، وأن القارئ يصل إلى هذه البنية الكلية عبـر عمليـات متنوعة، تشترك كلّها في سمة الاختزال، على أن البنية الكلية ليست شيئاً معطـى، حتى وإن كانت هناك بينات متنوعة أو مؤشرات على وجود هذه البنية، وإنما هـي مفهوم مجرد (حدسي) به تتجلى كلية الخطاب ووحدته"([1])، ولعل الحدس أو التصور الذي يقصده هو منطقية التأويل بين العنوان ودلالاته المنداحة في فـضاء الـنص، كالتصور الكلّي لدلالات الحروف المقطّعة، التي تـضمنت كثيـراً مـن الـدلالات المباشرة وغير المباشرة، بدليل تعدد القراءات لهذه الحروف، مما يدلّ على امتلاك

[1]- خطابي: لسانيات النص:46.

النص سلطة عليا، فالنص يستمد سلطته من سلطة صاحبه، فلا قراءة تُودي بدلالة نهائية للنص، فالنص بهذه السلطة ينقض مقولة (رولان بارت) المشهورة (موت المؤلف)، إنْ كان مفهوم دالها ـ الموضوع والمحمول ـ مدلولاً مختزلاً خاضعاً لسلطة المتلقي، لكن سعيد يقطين وضح مقولة (موت المؤلف) بأنّها في سياق هذه التعدد الدلالي، ويجب عدم فهمها فهماً اختزالياً، بقوله:" سمح القول بانفتاح النص بالكشف عن تعدد دلالاته وتعدد قراءاته، وليس على امتلاكه دلالة واحدة يختزنها، ومعنى ذلك أن كل قراءة تتيح إمكانية الكشف عن دلالة مختلفة، هذا التعدد جعل القراءة إعادة إنتاج النص، ولم تبق تبعاً لذاك استهلاكاً للنص، وبذلك محِيت الحدود التقليدية بين القراءة والكتابة، وتجلّى هذا التصور بجلاء في مثل هذه المقولات " موت المؤلف"، والتمييز بين الراوي والكاتب، والشخصيات في الرواية في ليست من لحم ودم، وما شاكل هذه المقولات التي فهمت وقتها فهماً تبسطياً واختزالياً"([1]).

إن السياق العام لسورة البقرة هو إقرار الربوبية والوحدانية وحده عز وجل، وذلك من خلال عدة محاور رئيسية؛ يمكن ذكرها على النحو التالي:

1- ذكر أسماء ا الحسنى المتفرد بها وحده سبحانه وتعالى، بدليل إسناد أفعال لا تسند إلا ؛ لأنّها أسماؤه الحسنى فكلّها تؤول إلى الضمير المتصل(الهاء) من (أسمائه)، وهذا الضمير يحيل إحالة ذاتية متطابقة إلى لفظ الجلالة (ا) جلّ جلاله، وا تقدست أسماؤه هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد .

2- إسناد الأفعال: إن الأفعال في الحقيقة هي كلّها بحكم علمه الأزلي (الّدوني)، وما أفعال العباد إلا من باب المجاز لا الحقيقة، لكن القول بنسبتها إليهم، هي بحكم عقولهم إما شاكراً وإما كفوراً ، ويظهر أن تقديم فعل الخلق على سائر الأفعال بعده في الآيتين السابقين، لعلامة على أن فاعله هو فاعل ما بعده من أفعال، إذ لم ينكر الكفار أن ا هو خالق السماوات والأرض قال تعالى: وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السماواتِ والْأَرْض لَيقُولُن خَلَقَهن الْعزِيز الْعلِيم ([2])، كما أن سياق الآيات سياق إثبات لأفعال أخرى غير فعل الخلق للسماوات وللأرض وللغيث وللإخراج، ومجيء

---

[1] - خطابي : لسانيات النص: 78.

[2] - سورة الزخرف: الآية/9.

الأفعال صلة للصفة (الذي) في قول ا تعالى: الذِي جعلَ لَكُم الأَرْض فِراشً ـا والسماء بِنَاءً وَأنْزلَ مِن السماءِ ماءً فَأخْرج بِهِ مِن الثمراتِ رِزْقًا لَكُ ـمْ ، ه ـي تفسيراً وتبياناً للمعنى المستفاد من تقديم فعل الخلق وإسناده تعالى، والإق ـرار بفعل الخلق وحده كافٍ بتوحيده ونافٍ عن مشاركة أحد له في فعل مت ـضمن في فعل الخلق لزوماً، وهو أي فعل من الأفع ـال الكوني ـة المتعلق ـة بال ـسماء والأرض وما بينهما، وهي أفعال متضمنة على سبيل اللزوم فعل الخل ـق له ـذه المخلوقات، وهذه الأفعال التي يسيرها ا وأعملها في مخلوقاته رزقاً لعب ـاده، اعجازية إسناداً؛ حقيقة ومجازاً لمسند إليه غير لفظ الجلالة، أو إلى ما يحيل إلي لفظه إسناداً أو صفة، بفعل معاني الفاعلية أو الصفة أو البدل وغيرها، فما دامت هذه الأفعال تابعة لفعل الخلق وأقل شأناً منه، فلا سبيل إلا نفي إسناد فعل جامع يتضمن دلالة جميع الأفعال التي أسندت بعد فعل الخلق ،وه ـي الأفع ـال الت ـي جاءت صلة للاسم الموصول في الآية الثانية،وتقدمها فعلُ الجعل، فأي فعل من الأفعال بعده هو من باب الجعل، وذلك بدلالة المعنى ال ـوظيفي لح ـرف الف ـاء (التعقيب) ومعنى النهي من (لا) الناهية الناصبة، وفعل الأمر الإنجازي المفهوم بدلالة النهي لا بصيغة المضارع وهو المسند لضمير الجماعة (الواو)، ويبدو أن سياق الآيات قبل هذه الآيات هو سياق منْ يجعل مع ا إلهاً آخر، أو منْ ي ـسند فعلاً حقيقة أو مجازاً لمخلوق هو والمسند من مخلوقات ا ، فبإس ـناد الأفع ـال المسندة وحده إلى مسند إليه هو من مخلوقات ا ، يشارك ا سبحانه وتعالى في أفعاله، فالأفعال التي بعد فعل الخلق، متعالقة دلالياً مع فعل الخلق المتق ـدم، وهي جميعها محمولات لموضوع محوري واحد، ه ـو مح ـور الوحداني ـة سبحانه وتعالى، إذ إن فعل الخلق (خلقكم) المسند من المسند إليه نفسه وهو رب العالمين، هو خير شاهد على قصوره وحده.

3- الإيمان بالأنبياء والرسل وبما أنزل معهم ودعوتهم إلى عبادة إله واحد .

4- التأكيد على صدق الرسالة والرسول، فا تعالى هو منزل القرآن، وهو تعالى الذي بعث محمداً عليه الصلاة والسلام وأنزل عليه هذا القرآن، ف ـدعاهم إل ـى عبادة ا وحده وإتباع ما جاء به القرآن ودعا إليه، وهو سبحانه وتعالى ال ـذي

بعث الأنبياء والرسل من قبل ودعوا إلى ما دعا إليه محمد عليه السلام، وأنزل معهم الكتب التي دعت إلى ما دعا إليه القرآن الكريم، فهي دعوة واحدة تواصى بها وتواصل في تبليغها للناس الأنبياء والرسل، رحمة من رب العالمين بهم .

5- الموت والبعث وإثباتها للمنكرين: وذلك من خلال محاججة اليهود والمشركين وفضح دعواهم وأقوالهم، والرد عليهم بالأدلة والبراهين وضرب الأمثلة وأسلوب الحوار وذكر القصص التي عرفوها، والعذاب الذي لحقهم من ا بكفرهم وهو مدركون له في الحال، والعذاب الذي لقيه المتبعون من المتبعين، كما لقيه وسيلقاه الفريقان من ا تعالى، ولن يغني فريق عن فريق من العذاب شيئاً .

إن كلّ ما سجلّناه إنّما هو مردود إلى علم ا سبحانه وتعالى، فهو الحي القيوم، الأول والآخر، المحيي والمميت، مالك الملك، الواسع العليم، الذي وسع علمه كلّ شيء ولا يحيط بشيء منه أحد إلا بمشيئة العلي العظيم .

من خلال هذا الإيجاز لسياق السورة، فإنّه استند إلى كلّ ما ينسجم معه، فاستخدم أفعالاً وجملاً وفقرات، ملائمة لموضوع السورة وللمحاور الرئيسية فيها، ومراعياً إلى جانب ذلك أحوال المتلقي وظروفه؛ ثقافته ومعرفته للعوالم وقدرته، بيئته ومكانه وزمانه، فجاءت الألفاظ مفردة ومركبة أحداثاً إنجازية، لذلك كان السياق التداولي ذا خاصية شمولية مقصودة؛ لغوياً ونفسياً واجتماعياً في الجانبين المعرفي والاستعمالي، وفي هذا السياق يقرر منذر عياشي مكونات السياق التداولي بقوله:"يتكون السياق التداولي من كل العوامل النفسية والاجتماعية التي تحدد نسقياً لكي تلائم أفعال اللسان، وتتمثل هذه الأفعال في المعرفة، والرغبات، أو الإرادة، والتفضيل، وحكم مستخدمي اللغة وإنجازاتهم الاجتماعية من جهة أخرى (مثل علاقة السلطة والصداقة)... ويمكن تحليل النصوص على المستوى التداولي بوصفها تتابعات من أفعال اللسان"([1]). فلما كانت الأفعال هي المحور المشترك والأهم في هذا المستوى ـ بوصفها أحداثاً كلامية ـ تنسجم وتترابط وتتعالق مع غيرها لتشكل

[1]- عياشي، منذر، العلامتية وعلم النص:172.

أبنية نصية صغرى وكبرى، فهي إذن خير من يمثّل هذا المستوى التداولي، لـذلك سأتحدث عنه من خلالها؛ ليتبين لنا دور القواعد التداولية التي أضـافها (فنـدايك) وغيره، إلى سائر القواعد التي يمكن لها أن تسهم في إحكام النص وتحقيق نصـيته، وذلك باعتباره أكبر وحدة في التحليل (ذو بنية كلية كبرى)، قصر نحو الجملة بسبب هذا الاعتبار أن يحكم النص فيحقق له نصيته.

القصص والأمثال:

ويدخل ضمن هذا المستوى التداولي، ذكر القصص وضرب الأمثال، لما لهما من أثر مباشر في القلوب عند أولي الألباب، فهي صورة حيـة للواقـع المعرفـي الخاص بجانب اللغة الاجتماعي، وفي هذا السياق يذكر الزمخشري والرازي أهميتها في النص القرآني بقول الأول:"ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثـل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقـائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبي "([1])، وبقول الثاني:"أن المقصود من ضرب الأمثال أنها تؤثر في القلوب ما لا يؤثره وصف الـشيء فـي نفسه، وذلك لأن الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالـشاهد، فيتأكـد الوقوف على ماهيته، ويصير الحس مطابقاً للعقل وذلك في نهايـة الإيـضاح"([2])، وتتناول التداولية دراسة عنصر (الاقتضاء)، وهو:"مفهوم ارتبط بمفهوم الإحالـة... فإذا كانت العبارة محيلة فهذا يقتضي وجود شخص في العالم الواقعي تحال العبـارة إليه"([3])، ومما يندرج تحت هذا العنصر عبارة (الكتاب) من قولـه تعـالى: ذلـك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين ، فقوله الكتاب مع الإشارة إليه وصفته، يقتـضي وجود الكتاب وهو القرآن الكريم الذي تعهد ا سبحانه وتعالى بحفظه.

---

[1] - الزمخشري: الكشاف: 50،51، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شـيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان،ط3، 1426هـ -2005م.

[2] - الرازي:مفاتيح الغيب.م1،ج2: 87.

[3] - حسنين: الدلالة والنحو: 193.

أسباب النزول:

تتصل مناسبة نزول كثير من الآيات بالمقام أو بشاهد الحال، فقد يأتي نـزول الآية رداً على سؤال أو رداً على موقف اتّخذه الرسول عليه السلام، أو بياناً لأمـر يتصل بحادثة حدثت، أو تبييناً لكيفية حدوث بعض المسائل أو القـضايا والأمـور الحياتية للمتلقين، التي تتصل بالدين الجديد، فأسباب النزول تعضد في فهـم الـنص وحمل المعنى على الظاهر الذي أبانه الموقف الذي نزلت لأجله الآيـة أو الآيـات، ومن المواضع التي تماس فيها سبب النزول مع الوقائع، سبب نزول بعض الآيـات الواردة بشأن تبيين صفة المنافقين، وقد جاءت سورة البقرة بآيات تتحـدث عـنهم بشكل مفصل، بعد الحديث عن صفة المتقين وصفة الكافرين، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: وقَالُوا كُونُوا هودًا أَوْ نَصارى تَهْتَدوا قُلْ بلْ مِلةَ إِبْراهِيم حنِيفًـا ومـا كَان مِن الْمشْرِكِين ([1])، قال الشوكاني:"عن ابن عباس قال: قال عبد ا بن صوريا الأعور للنبي صلى ا عليه وسلم: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل ا فـيهم: وقَـالُواْ كُونُـواْ هـودًا} الآيـة ([2])، و(الحنيف) مأخوذ من الحنف، وهو الاستقامة وقيل هو الميل، ومنـه قيـل للمائـل الرجل أحنف، فالحنيف من الاستقامة معناه المستقيم، ومن الميل معناه المائل عـن معوج الأديان إلى طريق الحق...والحنيف في الدين: الـذي مـال عـن الأديـان المكروهة إِلى الحق ، ويجيء الحنيفُ في الدين بمعنى المستقيمِ على جميع طاعاتِ اللهِ"([3])، وربط الجصاص بين المعاني ذات الحقل الدلالي الواحد، التي أنبأ عنه لفظ (الحنيف)، فقال:"...معْنَى الْحنِيفِ الدين الْمسْتَقِيم؛ لأن الْحنَفَ فِي اللغَةِ هو الاسْتِقَامةُ والإِسْلام ههنَا هو الطاعةُ لِلهِ تَعالَى والِانْقِياد لِأَمْرِهِ"([4]) .

---

[1] - سورة البقرة:الآية/135.

[2] - الشوكاني: فتح القدير،146/1،147.

[3] - ابن عطية: المحرر الوجيز،438/1.

[4] - الجصاص:أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، أحكام القرآن. 413/3،413 .

الترابط بين السور المكية والمدينة من حيث (مكان النزول).

إن الخطاب بـ (يأيها الناس) هو معيار للقرآن المكي، كما نقـل ذلـك بعـض المفسرين بقطع النظر عن مخالفته أو موافقته لقول منْ قال بذلك، قـال القرطبـي:" قال علقمة ومجاهد: كل آية أولها " يأيها الناس " فإنما نزلت بمكة، وكل آية أولها " يأيها الذين آمنوا " فإنما نزلت بالمدينة.قلت (أي القرطبي): وهـذا يـرده أن هـذه السورة والنساء مدنيتان وفيهما يأيها الناس، وأما قولهما في يأيها الذين آمنوا ([1]) فصحيح، وقال عروة بن الزبير: ما كان من حد أو فريضة فإنه نزل بالمدينة، ومـا كان من ذكر الأمم والعذاب فإنه نزل بمكة، وهذا واضح ([2])، فالذي يهمنّا من هذا القول، أن فيه علامة على استمرار الدعوة نفسها إلى إله واحد، في بيئـة يقطنهـا اليهود والنصارى وإلى جانبهم المنافقين، وقد أشرك كلّ منهم با سبحانه وتعـالى، شأنهم شأن المشركين من العرب في مكّة، الذين اتّخذوا أصناماً يعبدونها مـن دون ا تقربهم إليه زلفى كما يعتقدون، فالخطاب بـ (يا أيها الناس) هو خطاب للنـاس كافة مؤمنين وكافرين، وهذا ما فسره ابن عباس وذهب إليه أبو حيان بقوله:"يا أيها الناس: خطاب لجميع من يعقل، قاله ابن عباس..."([3]).

الأفعال الكلامية: مما يتصل بالمستوى التداولي نظرية الأفعال الكلامية، وللوقـوف على يتصل بهذه النظرية نمثل له بنماذج من سورة البقرة على الشكل التالي:

شكّلت الآيات؛ الثالثة والرابعة والخامسة، من سورة البقرة، فقرة محتواها القـضوي ذكر صفات من يوصف بـ(المتقين)، وتحقق هذا الوصف للموصـوف، مـشروط بأداء مجموعة من الأفعال المسندة إلى الاسم (المتقين)، بصيغة المضارع المـستمر (يفْعِلُون: يؤمنون، يقيمون، ينفقون، يوقنون)، فمن أنجز هذه الأفعـال فـي الـزمن الماضي، ومن أنجزها وما يزال ينجزها، ومن سينجز هذه الأفعـال فـي الـزمن المستقبل، فقد دخل في الوصف (المتقين)، وهو هدى من ا في الحقيقة؛ لأن أسباب الهداية هي في ذلك الكتاب الذي أنزله ا على نبيه محمد صلى ا عليه وسلم، (فيه

---

[1]- سورة النساء: الآية/19.

[2]- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 225/1 .

[3]- أبو حيان : البحر المحيط/ 152/1 .

هدىً للمتقين)، ويمكن ذكر بعض أقسام الأفعال الكلامية والتمثيل عليها على النحـو الآتي:

1-الإخباريات: وغرضها الانجازي "نقل المتكلّم واقعة ما (بدرجات متفاوتـة) مـن خلال قضية، يعبر بها عن هذه الواقعة"([1])، فالأفعال التـي وضـعت تحـت هـذا العنوان، هي الأفعال التي رأى (أوستن) و(سيرل) بأنّها أفعال يكون اتجاه المطابقـة فيها من الكلمات إلى العالم، وكلّ الأفعال التي تحت هذا التصنيف تحتمـل الـصدق والكذب، فالصدق في هذه الأفعال معيارها ـ كما يبدو ـ في المقام الأول المـتكلّم، وكذلك مطابقتها للواقع وزمن إنجازها، فالأخبار التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لا تحتمل إلا الصدق، وكذلك الأفعال التي للأخبار عـن المـسلمات والحقائق الثابتة، لذلك كان إنجاز هذا النوع من الأفعال متحققاً في زمنه الماضـي وقد أخبر به بالزمن المضارع أولاً، فدلّ ذلك على الصدق فيها لا غيـر، قـال ا تعالى في أول سورة البقرة في الإخبار عن صفة المتقين: الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون،أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هـم المفلحـون ([2])، فاقتضى شرط المتقين إنجاز هذه الأفعال التي جاءت بصيغة المـضارع المـستمر، ولما أنجزت هذه الأفعال من المخاطبين: الرسول عليه السلام والمـؤمنين، تحقـق إنجازها وعدم احتمال غير الصدق لها، فجاء الإخبار عن صدق إنجازها من قبـل المخاطِب بصيغة الماضي في آخر السورة، قال ا تعالى: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه، والمؤمنون كل آمن با وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد مـن رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، ويعضده كـذلك إنجـاز الأفعال التي جاءت بصيغة الأمر، ومقامها الدعاء بالثبات على إنجازهـا:"ربنـا لا تؤآخذنا ...ولا تحمل علينا إصراً، ولا تحملنا، وأعف عنا وأغفر لنا وأرحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ([3])، ومنهم الكافرون الذين لـم ينجـزوا هـذه

[1] - نحلة: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية:177.

[2] - سورة البقرة: الآيات (3-5).

[3] - سورة البقرة: الآية/286.

الأفعال، بدليل نفي الإيمان عنهم، فعدم الإيمان هو عدم إنجـازهم للأفعـال التـي أخبرت بها الآيات صفةً للمتقين، وإنْ لم تكن صيغتها صيغة الأمر أو الطلب، فذكر صفات المتقين والتعريض بصفة الكافرين، مقامها يستوجب إنجاز هذه الأفعال التي جاءت بصيغة المضارع، ويعضد هذا ـ كما يبـدو ـ صـيغة المـضارع نفـسه المسبوق بأداة النفي وقد جاءت صفة للكافرين (لا يؤمنون)، ولم يقل لم يؤمنـوا، إذْ لو كان ذاك لكانت الصيغة صيغة ماض بقرينة أداة الجزم، إذ إن المقام هو الإخبار عما سيأتي من قبل الكفار المخاطبين في الحال لا السابقين مـنهم، وكلاهمـا لـن يؤمنوا؛ لأنّهم أصحاب عقيدة واحدة، فأخبر الله عز وجل عن عدم إنجازهم لأفعـال المؤمنين التي هي صفة المتقين، بلفظ الماضي ليطابق فعل الكفر الذي أنجزوه هـم قبل الختم، فلا فائدة في إنذارهم، فإنذارهم وعدمه سواء.

ويظهر مما تقدم بأن أمر الصدق أو الكذب في هذه الأفعال، مرهون بإنجـازه من قبل المخاطب، ولا يحتمل غير الصدق من قبل المتكلّم؛ لأن الإيمـان بالغيـب وإقامة الصلاة وسائر أفعال المؤمنين هي مطابقة لصفة المتقين، التي أخبـر عنهـا القرآن الكريم الذي (لا ريب فيه)، ويعضد هذا دخول هـذه الأفعـال فـي صـنف التوجيهات ، وذلك بربـط فعل التحـدي لهذا الكتاب بهذه الأفعـال .

2- **التوجيهات:** وهي الأفعال التي تتم فيها المطابقة من العالم إلى الكلمات، وتـشمل أفعال النصح والإرشاد، والتحدي، ويطلب المتكلّم من المتلقي أن يقوم بهـا نحـو: اعبد، اسجد، وقوله تعالى:" واستقم كما أمرت"، وقوله تعالى:" فـأتوا بـسورة مـن مثله"..الخ، فأمر الإنجاز لها مرهون بالمتكلّم، لذا كانت صـيغة الأفعـال بـصيغة المضارع المستمر، فإذا ما أنجز المخاطب فعلاً من هذه الأفعال " يؤمنون ، يقيمون، ينفقون، يوقنون، شمله الوصف الخاص بالمتقين، وهذا الإنجاز لهذه الأفعال عنـدما تحقق لدى المتلقين المؤمنين حقاً، جاء الإخبار بـصيغة الماضـي، فـي الآيتـين الأخيرتين من سورة البقرة؛ وحصل بهذا الإنجاز أيضاً الترابط والتماسك بين أوائل سورة البقرة وخاتمتها.

إن الاحتجاج للقرآن وتأكيد مصدر نزوله ونفي الريب عنه والتحدي بسورة من مثله، خير تمثيل على هذه المطابقة، وتشير لنا دلالة التحدي المفهومة مـن جملـة

الشرط المتقدمة: وإن كنتم في ريب مما أنزلنا على عبدنا ، على فعـل الإتيـان، ومن فعل التحدي (فأتوا بسورة من مثله)، على التأثير في الجانب النفسي والسلوكي للمخاطبين ولاسيما المتشكك أو المنكر منهم، وفعل السلوك المشعر بالتحدي هـذا، جعله (أوستن) من صنف أفعال التوجيهات([1])، وليس القصد أو المقام مقام تحد كما يشير ظاهر اللفظ كما يبدو، بل القصد من انجاز هذا الفعل من قبل المتكلّم ودعـوة المخاطب إلى انجازه أو محاولة انجازه، ومن ثم الإخبار عن استحالة انجـازه مـن قبل المخاطب وبالنفي، هو أن ينجز المخاطب فعلاً يكون خيراً له، وهذا الفعل الذي يريد المتكلّم من المخاطب انجازه، مرتبط ومتماسك لفظاً ومعنىً بـصفة المتقـين، ليلحق المخاطب بإنجازه له بهم، وقد حرص المتكلّم على انجازه بلفظه مـن جـذر الاسم نفسه(المتقين) فأنجزه بصيغة الأمر ومسبوقاً بفاء العطف والتعقيب، فقـال ا تعالى: فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ، ولعل عدم قصد التحدي من الفعل (فأتوا) هو المعنى غير المباشر للفعل، فقوة الفعل الانجازية خالفت مراد المتكلّم الظاهر، وذلك بقرينة الفعل (فاتقوا)، ومن هنا يتبين لنا مـدى صـدق القصد والرغبة في انجاز مثل هذا النوع مـن الأفعـال الـواردة تحـت صـنف (التوجيهات)، وفي هذا السياق يذكر (محمود نحلة) أن الغـرض الانجـازي لهـذه الأفعال هو:" محاولة المتكلّم توجيه المخاطب إلى فعل شيء ما، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة أو الرغبة الصادقة، والمحتوى القضوي فيها هو دائماً فعل السامع شيئاً في المستقبل، ويدخل فـي هـذا الصنف: الاستفهام، الأمر،الرجاء، الاستعطاف، التشجيع، الدعوة، الأذن، النصح، بل التحدي أيضاً الذي جعله (أوستن) في أفعال السلوك"([2])، ويظهر لنا في هذا الاقتباس أهمية الزمن في المحتوى القضوي، وهذا ما تحقق في صيغة الأفعال في أول سورة البقرة (يؤمنون، يقيمون، يوقنون...الخ)، وقد وردت أفعال كثيرة في سورة البقـرة تمثل هذا النوع من الأفعال،قال تعالى: يا َأيها الناس اعْبدوا ربكُـم الـذِي خَلَقَكُـمْ

---

[1] - انظر: نحلة: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، 177.

[2] - المرجع نفسه، 177.

والذِين مِنْ قَبْلِكُمْ لَعلكُمْ تَتقُون*الذِي جعلَ لَكُم الأَرْض فِراشًا والسماء بِنَاءً وَأَنْزلَ مِن السماءِ ماءً فَأَخْرج بِهِ مِن الثمراتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعلُوا لِلهِ أَنْدادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمون (1)، وكذلك الأفعال التالية من الآيتين التي بعدهما: نزلنا، فأتوا، وادعوا، لم تفعلوا، لـن تفعلوا، فاتقوا، أعدت. نلاحظ بأن هذه الأفعال: متنوعـة الـصيغة بـين الماضـي والمضارع والأمر، ومتنوعة كذلك بين الإنشاء والطلب، والمحمول التـي تتحـدث عنه واحد وهو محور الوحدانية، وذلك من خلال إسناد أفعال ليست خارجـة عـن عرف المتلقي ورصيده الثقافي، بل لأنّها لا تسند إلا وحده .

3-الالتزاميات: وهي الأفعال التي يلتزم المتكلّم فيها بفعل شيء في المستقبل، وذاك الفعل في هذا الزمن هو محتواها القضوي، وهي بهذا الالتزام يكون اتجاه المطابقـة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها القصد، ولقد أشار محمود نحلـة إلى وجه التماثل بين صنفي (التوجيهات والالتزاميات) من حيث اتجـاه المطابقـة فيهما، أي أنها في الصنفين من العالم إلى الكلمات، ولم يدع مجالاً لوضعهما بسبب هذا التماثل في صنف واحد ، مستدلاً بمعيارين الأول: المرجع في الالتزاميات هـو المتكلّم، وفي التوجيهات المخاطب، والثاني: عدم التأثير في الالتزاميات مـن قبـل المتكلّم في المخاطب، وحصوله في التوجيهات(2)، وإذا كنت أوافقه فـي المعيـار الأول فإنني لا أوافقه في المعيار الثاني، وذلك بوقوع التأثير من قبل المـتكلّم فـي المخاطب في الالتزاميات أيضاً، وهذا التأثير ظاهر بين في الأمثال والقصص ومـا تخللهما من أفعال وأحداث وتصوير لها. أمثلة نماذج.

4-التعبيرات: ويكون التوجه في هذه الأفعال من الخارج إلى الداخل، وتتمثل فـي الأفعال التي تصور مشهداً أو أكثر للمتلقي، وذلك بنقل ذلك المشهد من اللامحسوس أو اللامدرك إلى إحساسه وإدراكه، بل وكأنه يبث بثاً حياً ومباشراً، بقطع النظر عن وقوعه في الزمن الماضي أو في الزمن المستقبل، وهذا اللامحـسوس واللامـدرك محسوس ومدرك، (السماوات والأرض، نظام الكون، اعتراف الكفار بأن الخالق هو

1- سورة البقرة: الايتان/12،22، وانظر الآيات بعدهما .

2- انظر : نحلة: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية:178.

ا ، الموت والبعث، إنزال الغيث، إحياء الأرض بعد موتها، أحوال الأمم الـسابقة، ذكر القصص، ضرب الأمثال، التحدي بأن يأتوا بسورة من مثل هذا القرآن؛ سـبيل الهدايـة للصراط المستقيم، وأيقنته أنفسهم، ربنا أبصرنا وسمعنا، القيا في جهنم، لا تختصموا لدي.

5- **الإعلانيات:** وهي تشمل الأفعال التي يقدمها المتكلّم على جهـة الإخبـار فيهـا للمتلقي، ويكون التوجه فيها من العالم إلى الداخل أو من الـداخل إلـى الخـارج، وتتضمن أيضاً الأفعال التي ترد في سرد القصص أو ذكر الأمثال، وهـي أفعـال تنتمي في الوقت نفسه إلى المستوى التداولي، أو داخلة لدى المتكلّم والمتلقـي فـي إطار معرفة العوالم والعرف اللغوي الاجتماعي، أي أنها رصيد معرفي عند المتلقي لجأ إلى استخدامها المتكلّم عن قصد، ومن ذلك على ذلك الآية التي تتحدث عن قصة إبراهيم عليه السلام مع الذي حاجه في ربه، وفيها الفعـل (تـرى) المجـزوم بلـم المسبوق بهمزة الاستفهام، إذ أُنجزت في هذه الآية الأفعال غير المباشرة بأفعال غير مباشرة، من خلال أسلوب الاستفهام والمراد بـه التعجـب، قـال ابـن عاشـور:" والاستفهام في"الم تر "مجازي متضمن معنى التعجيب، ... وهذا اسـتدلال مـسوق لإثبات الوحدانية تعالى وإبطال إلاهية غيره لانفراده بالإحياء والإماتة، وانفـراده بخلق العوالم المشهودة للناس"([1]).

رابعاً- المواضيع الرئيسة التي تناولتها سورة البقرة:

تناولت سورة البقرة عدداً من الموضوعات الرئيسية التي تؤول جميعهـا إلـى إقرار موضوع مركزي واحد وهو (الإقرار بالوحدانية تعالى)، الذي سأقف عنده بعد الحديث هذه الموضوعات الرئيسية الأخرى وهي على النحو التالي:

1- العلم: ويتصل به الحديث عن الغيب، وإحاطة وشمول واتساع علم ا لكل شيء وبكل شيء، وقد جاءت آيات كثيرة في سورة البقرة، تضمنت الحديث والإبلاغ عن علم ا الذي أحاط ووسع كلّ شيء، ومن هذه الآيات قول ا تعالى: الله لا إِلَه إِلا هو الْحي الْقَيوم لا تَأْخُذُه سِنَةٌ ولا نَوْم لَه ما فِي السماواتِ وما فِـي الأَرْضِ مـنْ ذَا

---

[1]- ابن عاشور: التحرير والتنوير، 32/2، الدار التونسية.

الذِي يشْفَع عِنْده إِلا بِإِذْنِهِ يعْلَم ما بيْن أَيْدِيهِمْ وما خَلْفَهمْ ولا يحِيطُون بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِما شَاء وسِع كُرْسِيه السماواتِ والْـأَرْض ولا يئُـوده حِفْظُهمـا وهـو الْعلِـي الْعظِيم ([1])، كما جاءت آيات في أواخر سورة البقرة، تتحدث من خلال معناها عن علم ا ، قرنت بذكر موضوع البعث واليوم الآخر، فما يبديه الإنسان أو يخفيه يعلمه ا أولاً ثم يحاسبه عليه، فحذف الفعل (يعلمه) دال عليه سياق الآية فـي قـول ا تعالى: لِلهِ ما فِي السماواتِ وما فِي الأَرْضِ وإِنْ تبْدوا ما فِـي أَنْفُـسِكُمْ أَوْ تُخْفُـوه يحاسِبْكُمْ بِهِ الله فَيغْفِر لِمنْ يشَاء ويعذب منْ يشَاء والله علَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ([2]).

وقوله تعالى: ولِلهِ الْمشْرِقُ والْمغْرِب فَأَينَما تُولوا فَثَم وجْه اللهِ إِن الله واسِـع علِيم ([3]).

ومما يتصل بعلم ا الذي تأولناه دلالةً من دلالات الحروف المقطّعة، حـديث الغزالي عن المعجزات التي أيد ا بها رسله، حيث جعلهـا مـستندة إلـى العقـل والعرف، بقصد التصديق، قال الغزالي:" بعض العلوم بغير واسطة كالعلم بالـذات وصفاتها، وقد يفضي بوسائط، والوسائط ثلاثـة الحـواس وهـي الوسـيلة إلـى المحسوسات، ونظر العقل وهي الوسيلة إلى العقليات، واطّراد العادات، وبه يعرف معاني الخطاب وقرائن الأحوال، ثم قد لا يفضي الميز إلى العلـم إلا بواسـطتين، كالمعجزة تتوقف على واسطة العقل والعرف، فيستبان بالعقل كونه فعـل مختـرع صانع متصرف، ويستبان بالعرف أنه دال على الصدق، إذ لا يناسب انقلاب العصى ثعباناً صدق موسى في كونه رسولاً، وأما السمعيات فإنها معلومات ولكنها لا تظهر في العقل ظهور العقليات، ومستنده قول حق وخبر صدق وقول النبي عليه الـسلام صدق وكلام ا سبحانه كذلك وقول أهل الإجماع بتصديق الرسول إياهم"([4]) .

---

[1]- سورة البقرة: الآية ،255 .

[2]- سورة البقرة: الآية: 284 .

[3]- سورة البقرة: الآية: 115، وانظر: الآيتين/249، 260.

[4]- الغزالي: المنخول: 110،ت/محمد حسن هيتو،ط/1419،3هـ- 1998م، دار الفكر المعاصر بيرت لبنان دار الفكر دمشق – سورية .

2- الكتاب (القرآن): وتحدثت عنه السورة من حيث نزوله من الله تعالى، وتنزيهه عن كل ريب، وهدايته للصراط المستقيم، وما جاء به من ذكر الأنبياء والرسل عليهم السلام وأخبارهم، وأخبار قوم كل رسول منهم، والحال التي آلوا إليها بسبب تكذيبهم لهم وكفرهم بالله تعالى، وقد وظّف الفخر الرازي موضوع الكتاب (القرآن) والاحتجاج له بدلالته على التوحيد، الذي يعد المحور المركزي الذي تعانقت لأجله هذه الموضوعات، وذلك من خلال تفسيره للحروف المقطّعة وربط دلالتها بقوله تعالى في سورة البقرة:" ذلك الكتاب" قال الرازي: قوله: طسم* تِلْكَ آياتُ الكتاب المبين ([1])، معناه: آيات هذه السورة تلك آيات الكتاب المبين، وتمام تقريره ما مر في قوله تعالى: ذلك الكتاب ، ولا شبهة في أن المراد بالكتاب هو القرآن والمبين، وإن كان في الحقيقة هو المتكلم، فقد يضاف إلى الكلام من حيث يتبين به عند النظر فيه، فإن قيل القوم لما كانوا كفاراً فكيف تكون آيات القرآن مبينة لهم ما يلزمهم، وإنما يتبين بذلك الأحكام؟ قلنا ألفاظ القرآن من حيث تعذر عليهم أن يأتوا بمثله يمكن أن يستدل به على فاعل مخالف لهم كما يستدل بسائر ما لا يقدر العباد على مثله، فهو دليل التوحيد من هذا الوجه ودليل النبوة من حيث الإعجاز، ويعلم به بعد ذلك أنه إذا كان من عند الله تعالى فهو دلالة الأحكام أجمع، وإذا ثبت هذا صارت آيات القرآن كافية في كلّ الأصول والفروع أجمع."([2]).

3- الخلق والحياة والموت والبعث: واشتملت هذه الموضوعات على خلق الإنسان والأطوار التي مر فيها، ومن الآيات التي تحدثت عن هذا الموضوع قول الله تعالى: أَوْ كَالَّذِي مر علَى قَرْيَةٍ وهِي خَاوِيةٌ علَى عروشِها قَالَ أَنى يحْيِي هذِهِ اللَّه بعْد موْتِها فَأَماتَه الله مِئَةَ عامٍ ثُم بعثَه قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يوْمًا أَوْ بعْض يوْمٍ قَالَ بلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعامِك وشَرابِك لَمْ يتَسنهْ وانْظُرْ إِلَى حِمارِك ولِنَجْعلَك آَيةً لِلناسِ وانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزها ثُم نَكْسوها لَحْمًا فَلَما تَبين لَه قَالَ أَعْلَم أَن الله علَى كُل شَيْءٍ قَدِير ([3])، وكذلك الحديث عن خلق السماوات والأرض وثبات

[1] - سورة الشعراء: الآيتان:1،2.

[2] - الرازي: مفاتيح الغيب، م12،ج24/ 118،119.

[3] - سورة البقرة: الآية/259.

نظام الكون وتدبير أمره، فهذه المخلوقات الكونية وثبات نظامهـا، وظفّهـا الـنص القرآني في الدلالة على محور الوحدانية تعالى، فكانت من المشاهدات والمدركات التي لا ينكرها متلق عاقل، فتوجه النص القرآني إلى مخاطبة المشركين من خلالها لعلّهم يعقلونها فيؤمنون با الواحد الأحد الفرد الصمد، رب السماوات والأرض وما بينهما، وكذلك موضوع نزول الغيث وما يتصل به من إحياء الأرض بعد موتهـا، وهو على تماس بموضوع إثبات البعث، من خلال إسناد فعل الإنزال للغيث وفعـل إحياء الأرض بعد موتها إليه عز وجل وحده، قال تعالى: إِن فِي خَلْقِ الـسماواتِ والأَرْضِ واخْتِلافِ اللّيْلِ والنهارِ والْفُلْكِ الِتي تَجْرِي فِي الْبحْرِ بِما ينْفَع الناس ومـا أَنْزلَ الله مِن السماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الأَرْض بعْد موْتِها وبث فِيها مِنْ كُـل دابـةٍ وتَصْرِيفِ الرياحِ والسحابِ الْمسخرِ بيْن السماءِ والأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يعْقِلُون ([1]) .

كما أن مناسبة نزول هذه الآية، قد جاءت في سياق إثبات الوحدانية تبارك وتعالى، فجاءت متقدمة على الآية التي فسرتها بعدها، وهي الآية التي تنص علـى الوحدانية عز وجل، قال الواحدي([2]):"أنزلت بالمدينة على النبي صلى اله عليـه وسلّم وإِلَهكُمْ إِلَه واحِد لا إِلَه إِلا هو الرحْمن الرحِيم ([3])، فقالت كفّار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد فانزل ا تعالى ِن فِي خَلْقِ السماواتِ ، فأسباب نـزول بعض الآيات جاء مؤكداً على إقرار الألوهية وحده عز وجل، كما أن تجاوبـات الوحي مباشرة، تأكيد على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام وصدق الكتاب الذي أنزل إليه، ا سبحانه وتعالى إليه، وهذا التجاوب من خلال سـبب نـزول بعـض الآيات، تثبيت وتسلية لرسول ا عليه الصلاة والسلام، لما يكون قد سمعه من كفار قريش، محاولين التأثير والتشكيك فيما يدعو إليه عليه السلام، وهذا التجـاوب مـن جهة أخرى كان وفق السياق وما يشمله من حيث موضوع الحديث الذي نزلت فيـه الآية، ومناسباً مع زمان الحديث ومكانه، ووفق أحوال وظروف المخاطبين وثقافتهم، كما هو الحال في قصة إبراهيم مع الذي حاجه في ربه، قال السيوطي فيما يرويه:"

---

[1]- سورة البقرة: الآية/164.

[2]- الواحدي: أسباب النزول،48 .

[3]- سورة البقرة: الآية/163 .

الذي حاج إبراهيم في ربه هو (نمروذ بن كنعان، وأخرج ابن جرير مثله عن مجاهد وقتادة والربيع وزيد ابن أسلم"([1]).

وقد وظّف القرآن الكريم موضوع القصص في دلالته على المحاور الرئيسة التي تحدثت عنها سورة البقرة، فتحدث عن قصة آدم عليه السلام وخلافته في الأرض، وقصة خروجه من الجنّة، وقصة إبراهيم عليه السلام مع الذي حاجه في ربه، كذلك قصة موسى عليه السلام مع قومه، وقصة البقرة وكيفية إحياء ا سبحانه وتعالى الموتى، فربط هذه القصص بالواقع الثقافي الاجتماعي والعرفي للمتلفقين، له أهمية كبرى في إقناع المتلقي لأن يؤمن با وحده، قال تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ([2])، كما تناولت سورة البقرة موضوع الموت والبعث، فجعل إحياء الموتى للعاقل وغير العاقل سواء، في الدلالة على أنْ لا خالق ولا مميت ولا محيي إلا هو سبحانه وتعالى وحده، وأن هذا الإحياء للموتى دليل على حقيقة البعث بعد الموت، قال تعالى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ([3]).

خامساً- المحور الموضوعي المركزي في سورة البقرة .

المعنى الدلالي الذي يمكن استنباطه من بنية النص الكلّية الكبرى، فقد جاء منثوراً في بنية النص، مضمناً في ألفاظ تنوعت بنيتها الصرفية، وفي معاني ألفاظ اختلفت بنيتها الصوتية عن بنية سابقتها اللفظية، أو من خلال معنى آية أو أكثر، وكان للسياق دور بارز في معناها، وهذا المعنى الدلالي قد أشار إليه النص في

---

[1] - السيوطي: جلال الدين السيوطي، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، 26، راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد. المكتبة الأزهرية للتراث، ط/1، 1412ه ـ 1992م .

[2] - سورة البقرة: الآية/258.

[3] - سورة البقرة: الآية/260.

عنوانه، وذلك من خلال لفظ من ألفاظه تحصل لنا ونحن نفكك عنوان السورة محللين له .

طالعتنا ألفاظ وجمل وفقرات قصيرة وطويلة امتدت في فضاء النص من عنوانه حتى خاتمته، وهي تصرح لفظاً ومعنى بمفردات (القرب والتقرب والتقريب والقربان والاقتراب)، قرب ا عز وجل منا والتقرب إليه، وما القصص القرآني وذكر القرون والأمم السابقة، إلا هدماً للبعد الزمني وتقريباً له، فالحدود الزمنية والمكانية تكاد تنعدم نهائياً، بين زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وهذه الأمة خاتمة الأمم، وبين زمن الرسل والأنبياء والأمم السابقة، ولعل ذكر قصة سيدنا آدم عليه السلام في سورة البقرة لعلامة على هذا الهدم للزمن الماضي ووصله بزمانه وزماننا، ولقد ذكر كثير من المفسرين أن نزول سورة البقرة علامة على قرب الساعة، ولعل آخر آية نزلت من القرآن الكريم ووضعت في سورة البقرة لعلامة أخرى على قرب الساعة .

إن جميع الموضوعات السابقة والأحداث التي رافقتها واتصلت بها، هي خاصة با وحده، فلا يختص بها أحد غير ا عز وجل، ولا تتعلق بفاعل لأي حدث أو جزء منه، إلا به وحده سبحانه وتعالى، فدلّت بخصوصيتها على الوحدانية تعالى، وعقيدة التوحيد التي يدين بها المسلم وحده تبارك وتعالى، جوهرها الإيمان بالغيبات التي تحدث عنها القرآن الكريم، واستدلّ على وجودها ووقوعها في الحقيقة، وهي من الموضوعات المحورية البارزة، التي تناولتها السور ذوات الحروف المقطّعة، وقد عرف الجرجاني (التوحيد) لغة واصطلاحاً، قال:" التوحيد: في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان، وهو ثلاثة أشياء: معرفة ا تعالى بالربوبية، والإقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة "([1]).

---

[1] - الجرجاني: التعريفات:،96.

إن أول ما تحدثت عنه سورة البقرة موضوع الغيب، وهو موضوع اشتمل على مسائل عدة يجملها قول ابن كثير في تفسيره بقوله:" قال أبو جعفر الـرازي، عـن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: يُؤْمِنُون بِالْغَيْبِ قال: يؤمنـون بـا وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وجنته وناره ولقائه، ويؤمنون بالحيـاة بعـد الموت وبالبعث، فهذا غيب كلّه"([1]).

ويبدو أن العامل في الغيب وهو فعل الإيمان (يؤمنون)، جاء مناسباً مع بعـض الغيبيات التي من جملة الغيب، لأن التصديق بما غاب دلّ على وجوده الكون ومـا فيه من مخلوقات، فلا مناص من التصديق بوجود ا الخالق على الرغم من غيابـه عن نظرنا، وهو أمر لم ينكره أحد من كفار قريش وغيرهم، ونصت آيات كثيرة في القرآن الكريم على تصديق الكفار بذلك، ومن هذه الآيات قول ا تعـالى: ولـئن سألتهم من خلقهن ليقولن خلقهن ا قل أفلا تعقلون ([2])، أما الآخرة فناسـبها فعـل اليقين (يوقنون)، فذكرت معمولاً للفعل مقدماً عليه ـ وهي من الغيب بصريح اللفظ؛ لأن لا دليل على اليوم الآخر ظاهر بالنظر والاستدلال، كما هو الحال في الدلالـة على الخالق عز وجل، إلا ما تحدثّت عنه آيات كثيرة في القرآن الكريم، أو تحدثّت عن بعض ما يقع فيه، بقطع النظر عن وقت حدوثها منه، وما فـي قـصة البقـرة ومناسبة نزول الآيات التي تتحدث عنها إلا دليل على حقيقة اليوم الآخـر، وكـذلك ذكر القصص وضرب الأمثال في القرآن إلا للتأكيد الذي لا يقبل الريب بأن اليـوم الآخر وما فيه واقع في الحقيقة، إذ نجد الحديث عن البعـث والنـشور والحـساب والثواب والعقاب والجنة والنار، لذا فإن فعل اليقين (يوقنون) لا فعل الإيمان ـ كما يبدوـ قد ناسب أنْ يكون عاملاً للآخرة ليكون أقوى في الدلالة على حقيقـة اليـوم الآخر، على الرغم من أن اليوم الآخر وما يقع فيه من جملة الغيب؛ لأن اليقين يعني العلم دون الشك، أي بمعنى العالم، لذا فسر القرطبي قوله تعالى: وبـالآخرة هـم يوقنون بقوله:" أي وبالبعث والنشر هم عالمون"([3])، فمعنى اليقين كمـا يـذهب

[1]- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم،165/1.

[2]- سورة الزخرف: الآية/9.

[3]- القرطبي:الجامع لأحكام القرآن: 180/1.

علماء اللغة وعلماء التفسير أنّه: العلم دون الشك، يقال منه: يقنت الأمر (بالكسر) يقنا، وأيقنت واستيقنت وتيقنت كله بمعنى، وأنا على يقين منه"([1])، وقال الجرجاني:" اليقين: في اللغة: العلم الذي لا شك معه، وفي الاصطلاح: اعتقاد الشيء بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا، مطابقاً للواقع غير ممكن الزوال"([2])، فالآخرة من الغيبيات ابتداءً من ظهور علاماتها أو ما عرف بأشراط الساعة، ومن الغيبات الداخلة تحت تأثير العامل (يؤمنون) منها: عذاب القبر، الحشر، النشر، الجنّة، النّار، الحساب، الصراط، الميزان ...الخ.

ومن الآيات التي تؤكّد على محور الوحدانية قول ا تعالى: يا أيها الناس اعْبدوا ربكُم الذِي خلَقَكُمْ والذِين مِنْ قبلِكُمْ لَعلكُمْ تتقُون ([3])، ولقد مر بنا تفسير ابن عباس العبادة التي دلّ عليها الفعل (اعبدوا) بالوحدانية، وما ذكره القرطبي أيضاً لابن عباس بقوله:" كل عبادة في القرآن فهو التوحيد "([4])، ومما يدلّ ويؤكد على هذا المحور أيضاً الآية التي تلت هذه الآية وهي قوله تعالى: الذِي جعلَ لَكُم الأَرْض فِراشًا والسماء بِناءً وأَنْزلَ مِن السماءِ ماءً فَأَخْرج بِهِ مِن الثمراتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعلُوا لِلهِ أَنْدادًا وأَنْتُمْ تعْلَمون ([5])، ويشير إلى هذا المحور ذكر لفظ الجلالة بدلاً من الضمير أي: ولا تجعلوا له، قال أبو السعود في تفسير هذه الآية: "كأنه قيل: إذا أمرتم بعبادة منْ هذا شأنه من التفرد بهذه النعوت الجليلة والأفعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكاً، وإنما قيل: أنداداً باعتبار الواقع، لا لأن مدار النهي هو الجمعية، وقرئ نِدا، وإيقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبودِ بالذاتِ إثر تعيينه

---

[1] - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: 180،181/1.

[2] - الجرجاني: التعريفات/: 332.

[3] - سورة البقرة: الآية/21.

[4] - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، 193/18.

[5] - سورة البقرة: الآية/22.

بالصفات، وتعيين الحكمِ بوصف الألوهية التي عليها يدور أمر الوحدانية واستحالةُ الشرْكة، والإيذان باستتباعها لسائر الصفات"([1]).

ويعضد موضوع الربوبية والوحدانية له سبحانه وتعالى، الآية التي فسرت دلالتي المحمول والموضوع، وهي قول ا تعالى: فلا تجعلوا أنداداً وأنتم تعلمون ([2])، وموضوع التخاطب الواحد في نحو النص على اختلاف أبنيته المحققة له، تشير إلى تعالق موضوع الوحدانية التي حملت دلالتها الأفعال المسندة إلى لفظ الجلالة، وهذا التعالق أكّده علماء النص، إذ يذكر فندايك مفهومه لهذا التعالق بقوله: إن الوقائع التي تشير إليها القضايا تكون متعالقة، بقدر ما تكون مرتبطة بموضوع التخاطب ([3])، فا عز وجل هو الخالق للذين من قبلنا والخالق لنا وللذين من بعدنا، وهو خالق ما هو أعظم من خلقنا، فإسناد فعل الخلق له سبحانه وتعالى وحده في كثير من الآيات، وذكر متعلقه المرتبط به بعلاقة التعدية وهو مجموع المفاعيل؛ الإنسان، السماوات والأرض وما بينهما، أو هو المحمول الرئيسي، وذكر الأفعال: جعل، أنزل، أخرج، المسندة إلى ضمير الغائب (هو) المحيل على لفظ الجلالة (رب) والمضاف إليه كاف الخطاب ولاحقة بها ميم الجمع، في قوله تعالى: يا أيها الناس اعبدوا ربكم ، لتنسجم جميعها مع دلالة الخطاب الموجه إلى جميع الناس؛ موحدين وغير موحدين، وقد اختار الطبري من التأويلات لقوله تعالى:" وأنتم تعلمون" في الآية السابقة، تأويل ابن عباس بعد أن قدم رأيه بقوله:" فالذي هو أولى بتأويل قوله:"وأنتم تعلمون" إذْ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانِية ا ، وأنه مبدع الخلق وخالقهم ورازقهم، نظير الذي كان من ذلك عند أهل الكتابين، ولم يكن في الآية دلالة على أن ا جل ثناؤه عني بقوله:"وأنتم تعلمون"

---

[1] - أبو السعود: للقاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ت/ 982هـ، إرشاد العقل السليم إلى مزاي الكتاب العزيز، 84/1، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة /1، 1419هـ، 1999م، منشورات محمد علي بيضون.

[2] - سورة البقرة: الآية/22.

[3] - محمد مفتاح لسانيات النص :34.

أحد الحزبين، بل مخرج الخطاب بذلك عام للناس كافةً لهم، لأنّه تحدى النّاس كلّهـم بقوله:"يا أيها الناس اعبدوا ربكم"، أن يكون تأويلُه ما قاله ابن عباس وقتادة، من أنه يعني بذلك كلّ مكلّف، عالم بوحدانية ا "، وأنه لا شريك له في خلقه، يشرك معـه في عبادته غيره، كائنًا من كان من الناس، عربيا كان أو أعجميا، كاتبًا أو أميا، وإن كان الخطاب لكفار أهل الكتابِ الذين كانوا حواليْ دار هجرة رسول ا صـلى ا عليه وسلم، وأهل النفاق منهم، وممن بين ظَهرانيهم ممن كان مشركًا فانتقـل إلـى النفاق بمقدم رسول ا صلى ا عليه وسلم "([1]) .

إن التطابق في تعدي الأفعال وفي زمنها وفي مفعولاتها، دليل علـى عدميـة الندية عز وجلّ في عبادته وفعل أفعاله أولاً وآخراً، ودليل آخر على عجز مـنْ يرتاب في هذا القرآن الموحى به إلى نبيه محمد عليه السلام، مما يوحي بأن في هذا التحدي معنى إبلاغياً تحصل بالانتقال من لفظ الغيبة إلى الخطاب، وهو التنبيه على قدر الرسول عليه الصلاة والسلام، والتثبيت والتسلية له، قال أبو حيان:" وفي إضافة العبد إليه تعالى تنبيه على عظيم قدره، واختصاصه بخالص العبودية، ورفع محلـه وإضافته إلى نفسه تعالى، واسم العبد عام وخاص، وهذا من الخـاص"([2])، وعلـى شاكلة هذه الإضافة في الآية:" وإنْ كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا "، في قوتهـا الدالة على الخصوصية، فإن إضافة المضمر وعلامة الجمع (كم) من قوله تعـالى:" يا أيها الناس اعبدوا ربكم"، تفيد خصوصية الربوبية وتفرده بها وحده من جهـة، وخصوصية أنْ لا رب للناس المكلفين بعبادته إلا هو المتفرد بهـا وحـده سـبحانه وتعالى من جهة ثانية، وهذه النوع من الإضافة تكرر في إسناد الأفعـال إلـى ا تعالى، فدلّت العلاقات التـي فـي التركيـب (الإسـناد: المحمـول والموضـوع، الإضافة:التخصيص والتبعية والتكملة)، على معاني نحوية وظيفية هي الفاعلية بين الفعل والفاعل :خلقكم، لعلاقة الإسناد، والمفعولية لعلاقة التعدية التي أوجبت تكملـة ارتقت إلى ركني الجملة، فانتقلت من موقع التكملة (الذيل، الفضلة) إلى موقع المسند

---

[1]- الطبري: جامع البيان، 373/1 .

[2]- أبو حيان: البحر المحيط: ، 168/1،169.

إليه المحذوف في بنية الآية العميقة، ودلّ عليه اسم الموصول (الذي) محـيلاً إليـه إحالة قبلية وقد تكرر مرتين، وتعلّق بـه بعلاقة التبعية، فأدى معنىً وظيفياً يجسد لهذه التبعية فعلاً، فوقع صفة للفظ الجلالة (رب) من (ربكم)، وأدت هذه الـصفة - بوصفها صفة ذاتية لـ (رب) - دورها الفعلي نيابة عن موصوفها، فلا عبـادة إلا للموصوف الآمر هو بها، وذلك من خلال صلة الصفة (الذي)، المتمثّـة بإيقـاع الأفعال وانجازها والإخبار بها ونتائجها، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وليس ذلـك إلا لمقصد عبادة ا التي خُلِـقَ الخَلْقُ لها، حقيقة صفة للموصوف وحده، فهو الخـالق الرازق، وفي سورة البقرة كثير من الآيات الصريحة الدالة على محـور التوحيـد، التي تحدثت عن موضوعات الخلق والعلم والخلافة في الأرض، فمنهـا قـول ا تعالى: وإِذْ قَالَ ربك للملائكة إِني جاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعلُ فِيهـا مـنْ يفْسِد فِيها ويسْفِك الدماء ونَحْن نُسبح بِحمْدِك ونُقَدس لَـك قَـالَ إِنـي أَعْلَـم مـا لا تَعْلَمون ([1])، قال الفخر الرازي في تفسير الآية السابقة:" اعلم أن هذه الآيـة دالـة على كيفية خلقة آدم عليه السلام وعلى كيفية تعظيم ا تعالى إياه فيكون ذلك إنعاماً عاماً على جميع بني آدم فيكون هذا هو النعمة الثالثة من تلك الـنعم العامـة التـي أوردها في هذا الموضع"([2])، ويلاحظ أن تفسير الرازي لهذه الآيـة، يتفـق وقـول بعض المفسرين بأن حرف الألف، هو إشارة إلى أول الخلق، وهو خلق آدم عليـه السلام، وموضوع الخلق، من الموضوعات التي طرقتها هذه السورة وسائر السور ذوات الحروف المقطّعة، والخالق هو ا سبحانه وتعالى وحده، وقال ابن عاشور:" عطَفَتْ الواو قصة خلق أول البشر، على قصة خلق السماوات والأرض، انتقالاً بهم في الاستدلال على أن ا واحد وعلى بطلان شركهم"([3]).

ويمكن ملاحظة أكثر من محور قد تحدثت عنه سورة البقرة وسـائر الـسور ذوات الحروف المقطّعة، ويمكن تسجيلها من هاتين الآيتين من سورة البقرة، قـال تعالى: كَيْفَ تَكْفُرون بِاللهِ وكُنْتُمْ أَمْواتًا فَأَحْياكُمْ ثُم يمِيتُكُمْ ثُم يحْيِيكُمْ ثُم إِلَيْهِ تُرْجعون

---

[1]- سورة البقرة: الآية،30.

[2]- الرازي: مفاتيح الغيب: 1 / 174.

[3]- ابن عاشور : التحرير والتنوير : 205/1.

* هو الذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الأَرْضِ جمِيعًا ثُم اسْتَوى إِلَى السماءِ فَسواهن سبْع سمواتٍ وهو بِكُل شَيْءٍ علِيم ([1])، فمن هذه المحاور: محور الوحدانية التي كررت بلفظ الآية الأولى مرتين، ويتصل به أسماء ا الحسنى التي يمكن رصدها من الآية الأولى لفظاً أو معنىً، وكذلك محور البعث الذي تضمنته التزاماً واقتضاءً الآية الأولى.

وعقد الرازي في كتابه (أسرار التنزيل وأنوار التأويل فصلاً كاملاً جعله خاصاً بمحور الوحدانية تحت عنوان " في إقامة الدليل على أن ا واحد لا شريك له"([2]) .

وقال البقاعي وهو يفسر آية (الكرسي):" ولما وحد سبحانه وتعالى نفسه الشريفة، أثبت استحقاقه لذلك بحياته، وبين أن المراد بالحياة الأبدية بوصف القيومية فقال:(الحي)؛ أي الذي له الحياة، وهي صفة توجب صحة العلم والقدرة؛ أي الذي يصح أن يعلم ويقدر، (القيوم) أي القائم بنفسه المقيم لغيره على الدوام، على أعلى ما يكون من القيام، و(فيعول) ـ وزن قيوم ـ زيدت في أصوله الياء ليجتمع فيه لفظ ما هو من معناه، الذي هو القيام بالأمر مع واوه التي هي من قام يقوم، فأفادت صيغته من المبالغة ما في القيام والقوام على حد ما تفهمه معاني الحروف عند المخاطبة بها من أئمة العلماء الوالجين في مدينة العلم المحمدي من بابه العلوي"([3]).

وجعلت الباحثة سعاد رحائم عقيدة التوحيد إنسانية النزعة قبل أنْ تكون إسلامية العقيدة بقولها:" إن عقيدة التوحيد التي دان بها المسلمون منذ قيام الحياة على الأرض، أحد الأسباب الرئيسة في قيام الحضارة الإسلامية، التي هي بالدرجة الأولى إنسانية النزعة قبل أنْ تكون إسلامية العقيدة "([4]).

---

[1]- سورة البقرة : الآيتين :28،29.

[2]- الرازي: أسرار التنزيل وأنوار التأويل 167، ت/ عبد الرحمن عميرة وعبد المنعم درويش، ركابي/ للنشر والتوزيع ـ القاهرة، ط/1، 2000م .

[3]- البقاعي: نظم الدرر، 494/1.

[4]- رحائم: سعاد: الحضارة الإسلامية/ جذور وامتدادات؛ كتاب الأمة،ع /121،السنة السابعة والعشرون، 1428هـ ، 2007م، ط1، ص/30.

وفي هذا السياق نذكر ما جاء من معـاني لـبعض المفـردات التـي تنـسجم وموضوع السورة المحوري، كما تنتمي إلى نظرية الحقول الدلالية كذلك، باعتبار ما جاء من ألفاظ أو معان متأولة لهذه الحروف المقطعة (الم) هي من المـصاحبات المعجمية التي جاءت في هذه النظرية، فمن هذه الألفاظ: (الوسط)، والوسطُ من كل شيء: أعدلُه، قال تعالى: وكذلك جعلْناكُمْ أُمةً وسطاً (1)، أي عدلاً كما نص عليه الجوهري، وقال ابن منظور:" واعلم أَن الوسط قد يأْتي صفة، وأن أَصله أَن يكـون اسماً من جهة أَن أَوسط الشيء أَفضله وخياره، كوسط المرعى خير مـن طرفيـه، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها، لتمكن الراكب ولهذا قال الراجز:

إِذا ركِبْتُ فاجْعلاني وسطا

ومنه الحديث: "خِيار الأُمور أَوْساطُها" ومنه قوله تعالى: ومن الناسِ من يعبد اللّه على حرْف (2)؛ أَي على شَك فهو على طرف من دِينه غير متوسط فيه ولا متمكن فلما كان وسطُ الشيء أَفضلَه وأَعْدلَه جاز أَن يقع صفة وذلك في مثل قولـه تعـالى وتقدس: وكذلك جعلْناكم أُمة وسطاً أَي عدْلاً (3)، ويتصل بمعنى الوسط أيـضاً وصف الأخ الأوسط الوارد ذكره في سورة (القلم) قال تعالى : قال أوسطهم (4)، وذكر ابن سيده في المخصص أن السواء والعدْل والوسط والنّصف والقَصْد في حقل دلالي واحد، وهو يذكر رأي أبي علي في معنى السواء من قوله تعـالى: سـواء عليهم أأنذَرتَهم ، فإن السواء والعدْل والوسط والنّصف والقَصْد ألفاظٌ رب بعـضها من بعض في المعنى"(5).

ويتّصل بالموضوع المحوري المركزي كذلك لفظة الحنفية أو الحنيف، وهـي بهذا الاتصال تندرج ضمن إطار الحقل الدلالي للألفاظ السابقة، من حيث الاسـتقامة

1- سورة البقرة : الآية : 143 .

2- سورة الحج: الآية/11.

3- انظر:الجوهري: الصحاح، ابن منظور: لسان العرب (وسط)، وانظر: الأزهري :تهـذيب اللغة (وسط).

4- سورة القلم: الآية/28.

5- ابن سيدة: المخصص: باب (الاستواء).

والعدل وكل ما يؤول إلى معنى التوحيد، ويـدل علـى هـذا الاتـصال والتـرابط والانسجام والتماسك، سواء أكان هذا التماسك متأتٍ لنا في ضوء المستوى الـدلالي أو التداولي، كما أبانت عنهما كتب المعاجم، التي أشارت إلى المعارف العامة التـي عرفها العرب في جاهليتهم، إذ نجد الزبيدي يذكر ما ينبأ عن هذا التعـالق الـدلالي قال:" الحنَفُ محركةً: الاسْتِقَامةُ، نَقَلَه ابن عرفَةَ في تفسيرِ قَوْلِه تعالَى: بـلْ مِلـةَ إِبْراهِيم حنِيفاً ، قال: وإِنما قِيل للْمائل الرجْل: أَحْنَفُ تَفَاؤُلاً بالاسْتِقَامةِ، قلتُ: وهـو معنّى صحِيح ... وقال الراغِب: هو ميْلٌ عِـن الـضلال إِلَـى الاسْـتِقَامةِ وهـذا أَحْسن...وقال الأَخْفَشُ: الحنِيفُ: المسْلِم قال الجوْهري: وقد سمي المسْتَقِيم بذلك كما سمي الغُراب أَعْور وقيل: الحنِيفُ هو المخْلِص وقيل: من أَسْلَم لأَمْر ا ِ ولم يلْتَـو في شَيْءٍ، وقال أَبو زيْدٍ: الحنِيفُ: المسْتَقِيم([1]).

ومما يتصل بدلالات الألفاظ السابقة كـذلك دلالات لفظـة (الأمـة)،إ ذ ذكـر الأزهري دلالاتها المتعددة، التي تتعالق مع دلالات الألفاظ السابقة بقوله:" قال أبـو الهيثم: والأمة: الدين. والأمة: المعلم، وقال الفراء في قوله تعالى: إن إبراهيم كان أمة قانتاً ([2])، قال: أُمة معلماً للخير...والأمة أيضاً: الملك والنعيم ... وقـال أبـو إسحاق في قوله تعالى: كان الناس أُمة واحدة فبعث ا النبيين ([3])؛ أي كانوا على دين واحد.قال: والأمة: في اللغة أشياء، فمنها؛ أن الأمة: الدين، وهو هذا "([4]) .

ونجد ما يؤكد على هذا المعنى وهو الدين الواحد الذي عليه الأمة، في سـورة البقرة وغيرها، قال ا تعالى: وكَذَلِك جعلْنَاكُمْ أُمةً وسطًا لِتَكُونُوا شُهداء علَى الناسِ ويكُون الرسولُ علَيْكُمْ شَهِيدًا وما جعلْنَا الْقِبْلَةَ الَتِي كُنْتَ علَيْها إِلا لِـنَعْلَم مـنْ يتبِـع الرسولَ مِمنْ ينْقَلِب علَى عقِبيْهِ وإِنْ كانَتْ لَكَبِيرةً إِلا علَى الَذِين هدى الله وما كـان

---

[1] - الأصفهاني: الراغب، مفردات ألفاظ القرآن: 260، محمد بن محمـد بـن عبـد الـرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزبيدي تاج العـروس مـن جـواهر القـاموس: (حنف).

[2] - سورة النحل: الآية/120 .

[3] - سورة البقرة : الآية، 213 .

[4] - الأزهري: تهذيب اللغة (أم) .

الله لِيضِيع إيمانَكُمْ إن الله بِالناسِ لَرؤوفٌ رحِيم ([1])، وتتصل أسـماء ا الحـسنى بشكل مباشر في دلالتها على محور الوحدانية، وقد بان ذلك من خـلال الـدلالات المتأولة لأسماء ا الحسنى من الحروف المقطّعة،إن " معرفة ا سبحانة وتعـالى تتحصل من خلال المعرفة بأسماء ا الحسنى، ومعرفة ا المتفرد بالإلوهية، تؤلف أكبر جزء من عقيدة المسلم، فمعرفة المعاني التي يتضمنها كلّ اسم من أسـماء ا الحسنى، تؤكد على محور الوحدانية تعالى، فاسم ا (الجبار) يـشعر بالعظمـة والقوة، وصاحب العظمة والقوة المطلقة هو ا وحده، فلا يوصف أحد بالجبـار إلا ا عز وجل، لأن وصف غيره هو ادعاء للموصوف بأنه له حجماً وقـوة ليـست بقوته"([2])، ويبدو أن ابن عربي قد عضد دلالة الوحدانية من أسـماء ا الحـسنى، ومن لفظ الجلالة (ا) عز وجل بشكل خاص، وهو يقف معرفاً بأسرار (بـسم ا الرحمن الرحيم)، قال:" فا هو الاسم الجامع للأسماء كلها، والرحمن صفة عامـة فهو رحمن الدنيا والآخرة "([3]) .

سادساً- التناص بين سورة البقرة والسور ذوات الحروف المقطّعة:

لما تعاملنا مع سورة البقرة بوصفها نصاً منجزاً، مستقلاً عن سائر نـصوص السور ذوات الحروف المقطّعة الأخرى، فإن الحكم على نص هذه السورة بالنصية، خاضع لمعايير هذه النصية التي مثلتها عناصر التماسك النصي، إذ إن تلك المعايير والعناصر قد عدت قواعد عامة أو جزئية لنحو النص، لذا فإن أهم عناصر التماسك النصي لنص سورة البقرة، سيكون من خلال البحث عن معيار أو أكثر من معـايير النصية السبعة، التي ذكرنا من ناحية، ومن خلال البحث عن عنصر أو أكثر مـن عناصر التماسك النصي، التي تمكننا من الربط بين نص سورة البقـرة ونـصوص السور ذوات الحروف المقطّعة الأخرى من ناحية ثانية، وإذا كان التناص في النص

---

[1]- سورة البقرة: الآية:143،وانظر الآيات(128-134) من سورة البقـرة، والآيتـان /104، 105، من سورة آل عمران .

[2]- انظر: الفرقان؛ مجلة شهرية تصدر عن جمعية المحافظة على القرآن الكريم/ الأردن، السنة الثامنة: ص 46- ع/69- شوال 1428 هـ ، تشرين أول- 2007م.

[3]-ابن عربي: الفتوحات المكية، 83/1 .

يقتضي أن يتضمن لفظاً أو معنى من نص سابق عليه، فهذا يتطلب أن نعثر عليه في سورة البقرة، من خلال نصوص السور التي سبقتها بحسب ترتيب النزول.

إن هذا المعيار قد تحقق من خلال شواهد متعددة من الآيات في السور القرآنية بشكل عام والسور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة بشكل خـاص، ولإثبـات هـذا المعيار يمكننا وضع عنوانان فرعية له على النحو الآتي:

1-الاستهلال: تناص استهلال سورة البقرة مع استهلال خمس سور قرآنيـة كلّهـا مكية نزلت قبلها، إذ نجد أن الحروف المقطّعة الثلاثة (الم)، قد اسـتهلت بهـا أول سورة منها وهي سورة لقمان، كما استهلت بها علـى الترتيـب نـزولاً : سـورة السجدة، الروم، العنكبوت، واستهلال سورة البقرة بالحروف المقطّعة هـو تنـاص أسلوبي مع أسلوب الاستهلال في سائر السور ذوات الحروف المقطّعة.

إن من أهم ما يجب ذكره بين السور ذوات الحروف المقطّعة (سواء تماثلـت الحروف الاستهلالية لها كماً أم كيفاً أم لم تتماثل)، هو وجود تطـابق بـين بعـض الدلالات لفظاً ومعنىً أو لفظاً أو معنى لهذه الحروف، عدا الدلالات الأخـرى بـين السور مجتمعة، وهي دلالات زودتنا بها نظرية العلامات، عندما تم اعتمادها منهجاً في تحليل النص وفهمه، ومن هذه الدلالات العلامتية ما تأولناه لحرف (الألف)، وهو بداية كلّ فعل أمر استقراءً وتعالقاً مع أول لفظ (كلمة) نزلت مـن القـرآن الكـريم (اقرأ)، وهذه الألف كما كانت تدل وهي (أيقونة) على الاستقامة، والاستقامة صـفة للصراط بصيغة المذكر، وأمر الاستقامة على الأمر الرباني نص عليه القرآن الكريم في أكثر من موقع لفظاً ومعنىً ، كما نص على أفعال أمر تؤدي إلى الـسير فـي طريق الاستقامة، قال تعالى: فلذلك فادع واستقم كما أمرت [1]، ويدخل في معاني هذه الأفعال ومشتقاتها ما يمكن أن يعد في حقل دلالـي واحـد يؤيـده الـسياق أو الاستعمال، ومنه ألفاظ (عدل، أعدل ، سوي ، الوسط ، وسطا...)، وجاء في سورة القلم: فقال لهم أوسطهم لولا تسبحون ، علامة منذ البداية علـى: خيـر أمـة أخرجت للناس .

[1] - سورة الشورى: الآية/14.

2-ذكر الكتاب (القرآن): من المواضع التي ورد فيها ذكر الكتاب متطابقـاً لفظـاً وموضعاً في سورة البقرة، مع وقوعه في السور ذوات الحروف المقطعـة، وروده في الآية الثانية من سورتي لقمان والسجدة، وجاء في موقع المضاف إليـه فيهمـا، وورد في متن سورتي الروم والعنكبوت، وورد في الآية الثانية في السور القرآنيـة التي عرفت بالحواميم ، فجاء مضافاً للمصدر (تنزيل) في السور: (غافر، الجاثية، الأحقاف) ومعطوفاً في سورتي (الزخرف، الدخان)، ومبتدأ بمعنى المفعول دلّ تابعه الواقع بدلاً منه في الآية الثالثة من سورة (فصلّت)، كما ورد في الآية الأولى التـي شكلّتها الحروف المقطعة مع الكتاب؛ معرفة أو نكرة، معطوفاً أو مضافاً، في السور القرآنية (يونس، هود، يوسف، إبراهيم، الحجر، ص، ق)، وجاء في الآية الثانيـة معطوفاً في سوره (يس)، ومنصوباً في سورة (طه)، وجاء في الآيـة الثانيـة فـي مجموعة السور التي عرفت باسم الطواسين (النمل، الشعراء، القصص)، وجاء في الآية الثانية من سورة (القلم) بمعنى النعمة، وجاء في متن سورة (مريم)، ما عـدا تكراره لفظاً أو معنى في بنية سائر السور، إذ تكرر بلفظ الكتاب وبلفـظ القـرآن ، وبمعنى النعمة وبمنعى الصراط المستقيم([1]).

ويضاف إلى ذكر الكتاب أو القرآن لفظاً أو معنىً، ما جاء من آيات يتحـدى فيها بأن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن الكريم، وهو من باب تناص آيات السورة نفسها مع بعضها بعضاً نحو قوله تعالى في الآية الخامسة من سورة البقـرة: وإنْ كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم مـن دون ا إن كنتم صادقين ، ونجد ألفاظاً ومعاني متكررة قد وردت في سورة يونس في الآية الثالثة منها، تضارع ما جاء في سورة البقرة، وهي قوله تعـالى: أم يقولـون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا منْ استطعتم من دون ا إن كنتم صـادقين ، ونجد ذلك أيضاً في سورة هود في الآية الثالثة عشرة، قال تعالى: أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا مـنْ اسـتطعتم مـن دون ا إن كنـتم صادقين . فكما هو ظاهر نلاحظ الألفاظ التي تكررت في الآيات الثلاث من السور

[1]- انظر: الآيات في مواضعها من السور، وانظر: السيوطي: الاتقان:176/4.

الثلاث جميعها (وإن كنتم، فأتوا، مثله، من دون ا ، صادقين)، كما تكرر المعنى بين سورة البقرة في لفظ (ريب) ولفظ (افتراه)، فبحكم علاقة التضمن وعلاقة الجزء والكل، فإن لفظ الافتراء داخل في معنى الريب العام الشامل، ولمـا كـان القـرآن الكريم قائماً على طريقة الإجمال والتفصيل من جهة، وكانت سورة البقـرة أيـضاً، شاملة مجملة فيها معنى الإحاطة والشمول من جهة أخرى، اشتملت على لفظ عـام هو الريب، ثم فصل هذا اللفظ في الآيات مـن الـسور ذوات الحـروف المقطعـة الأخرى، ودلالة هذا الشمول أبان وأفصح عنها حرف الجر (من) ، الذي أدى معنى وظيفياً يفيد التبعيض، وجاء في الآية السابقة من سورة البقرة، ولم يأت في الآيتـين من سورتي يونس وهود، قبل لفظ (مثله)، لتكون السورة الواحدة وعشر السور التي وقعت قبل لفظة (مثله):" بسورة مثله و" بعشر سور مثلـه"، بعـضاً مـن القـرآن المجموع المنزل كاملاً.

3- ذكر القصص، نحو قصة خلق آدم عليه السلام، وقصته خروجه من الجنّة، كما في سورتي البقرة والأعراف.

4- وحدة الموضوع بين سورة البقرة وسائر السور ذوات الحـروف المقطّعـة. إذ تبين ذلك من خلال المحاور التي اشتملت على محور الوحدانية والتأكيد على نبـوة الرسول صلى ا عليه وسلم، والحديث عن البعث،و ذكر الخلق الإنـسان وخلـق السموات والأرض وما بنيهما، وإنزال الغيث، وذكر القصص وضرب الأمثال.

5- وحدة الإسناد للأفعال الدالة على وحدانية ا تعالى. تكررت أفعال كثيـرة فـي نصوص السور السابقة، فكانت نتيجة الأفعال المسندة إلى لفظ الجلالة هي بـسببها، لعلاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه، فالمعنى الوظيفي (الفاعليـة) متعـالق مـع المعنى الوظيفي (الابتداء) الذي شغله لفظ الجلالة في كثير من الآيات، فمن الأفعال نحو: خلق، جعل، أنزل، يحيي، يميت، سخر، يرسل، رفع، والقرينة الدالة عليه وهو الفعل (ترونها)، المشتملة على الضمير المحال إحالة قبلية إلى السموات ومطابق لها أيضاً، كما أن علاقة المفعولية المتأتية من الدور الوظيفي من مفاعيل هذه الأفعـال، تشير إلى موضوع الوحدانية والتفرد في فعل هذه الأفعال؛ هي مرتبطة ومتعالقة مع موضوع الوحدانية.

ومن الآيات التي تناصت بها سورة البقرة مع السور القرآنية ذوات الحروف المقطعة، الآية المعروفة باسم "آية الكرسي" ([1])، إذ تضمنت بنيتها ألفاظاً ومعاني، جاءت في آيات كثيرة من نصوص السور ذوات الحروف المقطّعة التي سبقت سورة البقرة نزولاً، وكذلك التي جاءت بعد سورة البقرة بحسب ترتيب المصحف، فمن هذه الآيات: قوله تعالى: الم* الله لا إِلَه إِلا هو الْحي الْقَيوم ([2])،

ومن المواضع التي تناصت فيها سورة البقرة مع سورة الأعراف، في المحور المركزي وهو محور الوحدانية ونفي الشرك، قال ا تعالى: إِن ربكُم اللَّه الَّذِي خَلَقَ السماواتِ والأَرْض فِي سِتةِ أَيامٍ ثُم اسْتَوى علَى الْعرْشِ يغْشِي اللَّيلَ النهار يطْلُبه حثِيثًا والشمْس والْقَمر والنجوم مسخراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَه الْخَلْقُ والأَمْر تَبارك الله رب الْعالَمِين ([3]) .

ومن الآيات التي فيها تناّص من سورة البقرة مع سورة الروم، من خلال بعض دلالات عنوان سورة البقرة، لفظة (مهاجر) بصيغة اسم الفاعل من قوله تعالى: فَآمن لَه لُوطٌ وقَالَ إِني مهاجِر إِلَى ربي إِنه هو الْعزِيز الْحكِيم*ووهبْنَا لَه إِسْحاقَ ويعْقُوب وجعلْنَا فِي ذُريتِهِ النبوةَ والْكِتَاب وآتَيْنَاه أَجْره فِي الدنْيا وإِنه فِي الْآخِرةِ لَمِن الصالِحِين ([4])، إذ التماسك من خلال عنصر التناص، من خلال لفظة (مهاجر)، ووجه التماسك فيها، وهو المعنى نفسه الذي تحصلّ لنا من خلال عنوان سورة البقرة، وهو ما ذكره ابن القطاع وابن منظور، بأنّه خروج من بلد إلى بلد أو هجرة من أرض إلى أخرى([5]) .

---

[1] - سورة البقرة: الآية/255.

[2] - سورة آل عمران:الآيتان/1،2.

[3] - سورة الأعراف: الآية/45، وانظر الآيات في السور التالية: يونس: الآيات/11،3،12، هود: الآية/61، الرعد: الآيتان/31،32، سورة إبراهيم:الآية/44، القصص: الآيات/13،12،7، سورة الروم:الآيتان/7،8، العنكبوت: الآيتان/5،6، النّمل: الآية/67، يس: الآيتان/46،47،الشورى: الآيات/19،17،18، ق: الآيات/45،38،43.

[4] - سورة الروم: الآيتان/26،27.

[5] - انظر: الفصل الثاني من الدراسة/ تحليل عنوان سورة البقرة.

فمن خلال استعراض بعض الآيات التي تثبت تناص سورة البقرة مع سائر السور ذوات الحروف المقطّعة ، تبين لنا مدى تحقق هذا المعيار (التناص)، الذي يعد أحد المعايير السبعة التي وضعها علماء النص للحكم بنصية (النص)، وهذه الآيات التي يعد بعضها تكراراً باللفظ وبعضها الآخر تكراراً بالمعنى، قد أكدت بشكل صريح أو غير صريح، على وحدة موضوع الخطاب، الذي يعد هو الآخر معياراً للتعالق بين أبنية النص الصغرى والكبرى، مما يعني تحقق التماسك النصي للنص، في بنيتيه الصغرى والكبرى من خلال ما أسهم به عنصر التناص، وبفعل هذا التماسك والتعالق والترابط، تحققت البنية الكلية الكبرى للنص، كما كان للترابط المفهومي الذي ينبئ عنه موضوع الخطاب، أو ما يتصل به ضمن التصور المفهومي، دور كبير ومهم في تحقيق هذا التماسك، وذلك من خلال نظرية النسبية أو المعنى النسبي الذي يمكن أن يستشّف في كثير من التراكيب، إذ إن بعض هذه التراكيب، يوحي بعدم الترابط والتعالق مع تراكيب أخرى في النص ذاته، فيشعر المتلقي بأن النص غير مترابط ، لكنّه - كما يذكر النصيون - ما يلبث حتى يدرك بأن النص لا يزال منسجماً ومترابطاً، عندما يستهدي بما يلمح به أو يشير إليه، من خلال دلالاته غير المباشرة أو المباشرة، التي تجبر ما أصاب النص من انفصام، عند تغاير موضوع الخطاب أو عند افتقار الجمل إلى أدوات الربط الشكلية .

2.2 السور ذوات الحروف (الم)

يشمل هذا التحليل السور ذوات الحروف المقطّعة التي استهلت بالحروف الثلاثة (الم) وهي: سورة آل عمران، وسورة العنكبوت وسورة الروم وسورة لقمان وسورة السجدة، وتحليل هذه السور في مجموعة واحدة مرده إلى افتتاحيات هذه السور بالحروف الثلاثة (الم)، وتتابعها في ترتيب النزول وترتيب التلاوة، أما وضع سورة مع السور المستهلة بالحروف (الم)، فمرده عاملان: الأول تماثلها في الحروف الثلاثة الأولى مع هذه المجموعة، والثاني؛ لأنّها إحدى السور الطوال التي قاربت سورتي البقرة وآل عمران، ووقوعها في الترتيب الثالث للسور ذوات الحروف المقطّعة في ترتيب التلاوة .

1- دلالات الحروف المقطّعة (الم) في السور .

أورد السمين الحلبي في الدر المصون للجرجاني، وهو رأي ليس بجديد، لكنّـه رأي لقي توجيهاً نظمياً من السمين الحلبي، ربط به آية (الم) - باعتبارها جملةً نواة - بالآيات بعدها، وعنصر هذا الربط كما يظهر من كلام السمين أن (الحـذف؛ أي حذف الخبر) هو عنصر الربط بين الآيتين، قال السمين:" نقل الجرجـاني هنـا أن (الم) إشارة إلى حروف المعجم كأنه يقول: هذه الحروف كتابك أو نحو هذا ويـدل: لا إِلَهَ إِلا هو الْحي الْقَيوم نَزلَ علَيْك الْكِتَاب على ما ترك ذكره من خبـر هـذه الحروف وذلك في نظمه مثل قوله تعالى: أَفَمنْ شَرح الله صدْره لِلإِسْلَامِ فَهو علَى نُورٍ مِنْ ربهِ فَويْلٌ لِلْقَاسِيةِ قُلُوبهمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَئِك فِي ضلَالٍ مبِـين (1)، كمـا استحسن ابن عطية قول الجرجاني هذا فيها، قال السمين:قال ابن عطية:" يحسن في هذا القول ـ يعني قول الجرجاني ـ أن يكون "نزل" خبر قوله:"ا " حتـى يـرتبط الكلام إلى هذا المعنى"(2).

ويظهر أنّه من خلال تأويل من معانٍ لـ (الم)، والاستشهاد بآية (الكرسـي)، التي تشابه مطلعها مع مطلع سورة آل عمران بآيتها الثانية، وكذلك تأولينا جملة نواة لـ (الم) البقرة، واستشهادنا على ذاك التأويل بالآية الثانية من سورة (آل عمـران)، استناداً إلى تفسير القرآن بالقرآن، أن من جاء به الجرجاني واستحسنه ابن عطيـه، وما استشهد به السمين الحلبي لارتباط النظم من خلال عنصر الحذف، بالآية مـن سورة (الزمر)، قد انسجم مع جملة من الدلالات التـي تأولهـا القـدماء للحـروف المقطّعة، ومن بينها إشارتها إلى حروف المعجم، وكذلك انسجم رأي الجرجاني مع آراء النحاة في عدهم (الم) مبتدأ قد تُرك خبره استغناءً ذكره في النظم الذي دلّ عليه وقوع الفعل (نزل) خبراً للفظ الجلالة (ا). فدلّت الآية (2) من السورة على أسماء ا الحسنى وعلى الموضوع المحوري للسورة وهو الوحدانية بشهادة التوحيد (لا إله إلا هو)، ودلّت الآية الثالثة، وقد تصدرت بالفعل (نزل) على موضوع رئيس مـن

1- سورة الزمر: الآية/ 22.

2- السمين الحلبي: ، الدر المصون،3/2.

الموضوعات التي تعد أبنية كبرى من بنى السور ذوات الحروف المقطّعـة، وهـذا الموضوع قد ورد ذكره في آخر الجملة المتأولة ـ نواةً ـ لـ (الم) البقرة، فكانـت دلالات للحروف المقطّعة بشكل عام، لفظية وغير لفظيـة، هـي البـذور الأولـى المغروسة في بنية هذه الحروف؛ صوتاً وخطاً واستهلالاً ودلالة وتداولاً.

أ- دلالتها على أسماء ا الحسنى .

أول ما ورد لفظ الجلالة (ا) في هذه السورة في مطلع الآية الثانية، وتبعتـه جملة شهادة التوحيد، التي تدل على اسم وأكثر من أسماء ا الحسنى وهي الأحـد (الواحد)، الفرد، الصمد، واكتملت الآية الثانية باسمين من أسماء ا الحسنى، وهذه الأسماء الحسنى تعالى وتكرر غيرها غ كثيراً في سورتي البقـرة وآل عمـران وغيرهما من السور، ويظهر أن تفسير الحروف المقطّعة بأنها حروف مقتطعة مـن أسماء ا الحسنى، هو أقرب ما قيل في تفسيرها، اعتباراً لقرائن متعددة اكتـسبت قيمها من النص نفسه، ويتصل بها ما يعرف بتفسير القرآن بالقرآن، ومـن خـلال تتابع وتعالق وترابط كلمات القرآن الكريم وآياته بشكل عام، وتتابع الآية الثانية من سورة آل عمران بشكل خاص، لقرينة ترتقي إلى مستوى الدلالة على أنها تفـسير للآية الأولى (الم)، وقد ذكر كثير ممن كتبوا في علوم القرآن أن ألفاظ القرآن الكريم آخذ أعناقها بأعناق بعض، وصرحوا بأن القرآن الكريم بهذا التعانق لألفاظه كالكلمة الواحدة،([1])، ولقد سبق لنا أنْ استشهدنا بآية الكرسي، تفـسيراً للمعـاني المتعـددة للحروف المقطعة (الم) التي استهلت بها سورة البقرة، والآية الثانية من سـورة آل عمران ـ كما يبدو ـ قد عضدت ذاك التفسير بتفسيرها الآية قبلها (الم) أيما تفـسير وا تعالى أعلم، ويضاف إلى هذه القرائن، آراء بعض المفسرين لها ـ لا سيما ابن عباس ـ وكذلك رأي الطبري لـ (الر) من سورة يونس، وما يفهم من كـلام ابـن قتيبة في كتابه مشكل إعراب القرآن، أضف إلى ذلك الموقع المتقدم لهذه الحروف، ومجيء حرف العطف بين الحروف المقطعة والاسم بعده نحو: (ص والقـرآن) و (ق والقرآن).

---

[1]- انظر: مقدمة الدراسة/ الدراسات السابقة، مساهمة القدماء في نظرية (نحو النص).

لقد أفصحت آيات متعددة عن بعض الدلالات الـسيميائية للحـروف المقطّعـة (الم)، فمن هذه الآيات قول ا تعالى: قُل اللهم مالِك الْملْكِ تُؤْتِي الْملْك منْ تَـشَاء وتَنْزِع الْملْك مِمنْ تَشَاء وتُعِز منْ تَشَاء وتُذِل منْ تَشَاء بِيدِك الْخَيْر إِنك علَـى كُـل شَيْءٍ قَدِير * تُولِج اللَّيْلَ فِي النهارِ وتُولِج النهار فِي اللَّيْل وتُخْرِج الْحي مِن الْميـتِ وتُخْرِج الْميتَ مِن الْحي وتَرْزقُ منْ تَشَاء بِغَيْرِ حِسابٍ ([1]).

ومن دلالتها على أسماء ا الحسنى (الأول، الواحد، الأحد، الفرد، الـصمد، المغني)، وهذه الدلالة لحرف الألف مرده: دلالتها اللغوية والسيميائية، فلغةً؛ يمكـن نطقها أولاً قبل أي حرف آخر، ورياضياً؛ يتأول منه دلالته علـى اسـم ا تعـالى الأول، باعتبار حرف الألف حرفاً رياضياً، وهو أول حرف يبدأ بـه لفظـاً، أمـا سيميائياً فتحصل لنا منه، دلالته على اسمي ا تعالى (الفرد المغني)، مـن خـلال التعامل مع صوت الألف على أنها (أيقونة)، فهو منفرد لفظاً ورسماً ومستغن عـن اتصاله بحرف آخر، أما دلالته على أسماء ا الحسنى الأخرى؛ الواحـد، الأحـد، الصمد ، فجاءت من خلال دلالته الرياضية، ونلاحظ بأن تلك الدلالات تؤول إلـى دلالة واحدة، فالمعاني كلّها تدور في حقل دلالي واحد، فلا تناقض بينهـا، ودلالـة حرف الألف على أسماء ا الحسنى وردت في آيات كثيرة من سورة آل عمـران، كما جاءت دلالة الوحدانية، في قول ا تعالى: شَهِد اللـه أَنـه لا إِلَـه إِلا هـو والْملائِكَةُ وأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَه إِلا هو الْعزِيز الْحكِيم ([2]) .

وهذه الدلالات التي تؤول إلى محور التوحيد، هي رد على النصارى الـذي اشركوا با سبحانه وتعالى، لذا كثرت الآيات التـي تـشير وتؤكـد أن الألوهيـة والربوبية وحده، كقوله تعالى : ا لا إله إلا هو وقوله: هو الذي صوركم وقوله: لا إله إلا هو .

---

[1] - سورة آل عمران: الآيتان/ 26،25.

[2] - سورة آل عمران: الآية/18 .

ب - دلالتها على معـاني (الاسـتقامة، المـستقيم، العـدل، الوسـط، الـسوي، الوحدانية).

ترددت هذه المعاني من خلال كثير من الألفاظ على اختلاف بنيتها (أسـماء، أفعال، مصادر ومزيداتها)، ومن الآيات التي تتماس مع دلالة الاسـتقامة والعـدل، الآية التي نصت على شهادة التوحيد، وكذلك الآية التي تلتها ونصت علـى الـدين الوحيد المقبول عند ا تعالى، قال ا تعالى: شَهِد الله أَنه لا إِلَه إِلا هو والْملائِكَةُ وأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَه إِلا هو الْعزِيز الْحكِيم * إِن الدين عِنْد اللهِ الإِسْـلام وما اخْتَلَفَ الَذِين أُوتُوا الْكِتَاب إِلا مِنْ بعْدِ ما جاءهم الْعِلْم بغْيًا بيْنَهمْ ومنْ يكْفُرْ بِآَياتِ اللهِ فَإِن الله سرِيع الْحِسابِ ([1])، فجملة (لا إله إلا هو) تؤكد دلالة الوحدانيـة، ودلّ عليها حرف الألف بعده حرفاً مقتطعاً من لفظ الجلالة (ا) الفرد الـصمد، وكـذلك دلالة حرف اللام من (الم) بعدها حرفاً مقتطعاً من (لا) النافية أيضاً التي تـصدرت جملة (لا إله إلا هو)، وبعد حرف الألف أيقونة وعدداً رياضياً، كما أن واحـداً (1) ـ عدداً رياضياً ـ منسجم ومتطابق مع حرف الألف، باعتبـار العـدد والحـرف أيقونيتن بشكليهما المرسومين المستقيمين المنعزلين عن ما بعـدهما مـن الأعـداد والحروف، فالعدل أو الاعتدال والاستقامة والوحدانية، دلالات غير لفظية مـضمنة في الحرف (الألف)، والاسمان (العزيز، الحكيم) متضمنان لهذه المعاني، فهما مـن أسماء ا الحسنى تبارك وتعالى، والاسم (الإسلام) متضمن لهذه المعـاني أيـضاً ومنهم من قال:" أن القرآن الكريم هو سبب الهداية إلى الـصراط المـستقيم الـذي سألوه، وهي من دلالات الحروف المقطّعة في آل عمران وغيرها، ومما جاء مـن ألفاظ الصراط المستقيم قول ا تعالى في سورة الأعراف: لأقعدن لهم صـراطك المستقيم ([2])، وقال الطبري:" فإنه يقول: لأجلسن لبنـي آدم"صـراطك المـستقيم"، يعني: طريقك القويم، وذلك دين ا الحق، وهو الإسلام وشرائعه"([3])، ومن الآيـات الدالة على هذه المعاني، قوله تعالى في سورة الروم: فَأَقِمْ وجْهك لِلدين حنِيفًا فِطْرةَ

---

[1] - سورة آل عمران: الآيتان/19،18 .

[2] - سورة الأعراف: الآية/16.

[3] - الطبري: جامع البيان: 334/12.

اللهِ الِتي فَطَر الناس علْيها لا تْبِدِيلَ لِخَلْق اللهِ ذَلِك الدين الْقَيم ولَكِن أَكْثَر النـاسِ لا يعْلَمون (1) .

وقد ذكر الطبري وابن كثير وغيرهما ما قيل عن تأويل للـصراط المـستقيم لبعض الصحابة، ما تأوّله المفسرون أيضاً، قال الطبري:" أجمعت الأمة مـن أهـل التأويل جميعًا على أن "الصراط المستقيم"، هو الطريق الواضح الـذي لا اعوجـاج فيه، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخَطَفي:

أميرُ المؤمنين على صِراطٍ... إذا اعوج الموارِدُ مُسْتَقيمِ

يريد على طريق الحق ... ثم تستعير العرب "الصراط" فتستعمله في كل قولٍ وعمل وصِف باستقامة أو اعوجاج، فتصفُ المستقيم باستقامته، والمعوج باعوجاجه. ومن هذه الدلالات للحروف المقطّعة، ما جاء في سائر السور من هذه المجموعة، إذ دلّت على أسماء الحسنى، الملكية، الإحاطة والشمول، قال تعالى: لِلهِ مـا فِـي السماواتِ والأَرْضِ إِن الله هو الْغَنِي الْحمِيـد (2)، ويظهـر أن جملـة (ناكـسي رؤوسهم) من قوله تعالى في سورة السجدة: ولَـوْ تَـرى إِذِ الْمجْرِمـون نَاكِـسو رءوسِهِمْ عِنْد ربهِمْ ربنَا أَبصرْنَا وسمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْملْ صالِحًا إِنـا موقِنُـون (3)، يتعالق مدلولها مع مدلول ما مر من معانٍ للفعل (بقر) وأحد تقلباته في معاجم اللغة، فقد جاء في كتاب الأفعال ولسان العرب معنىً يطابقها، وهو معنى الفعل (بيقر)؛ أي الرجل عاد منكساً راساً خاضعاً، والسورتان استهلتها بـ (الم).

وفي سياق دلالات الحروف السيميائية الحسابية (1) على اسم ا عـز وجـلّ (الأول)، فقد ذكر بعض الفلاسفة دلالات للرقم (1) واحد وغيرهـا مـن الأرقـام، تتصل وتتماس بموضوع الوحدانية والقدرة عز وجل، وأورد هذا القـول محمـد مفتاح وهو يتناول معطيات الأرقام الرياضية لمعرفة ما تفضي إليـه مـن دلالات تثري النص فهماً وتحليلاً، وقد نقله عن (الموسيقى) لـ (أرستيد كوانتليوس)، قـال

---

[1] - سورة الروم: الاية/30.

[2] - سورة السجدة: الآية/26.

[3] - سورة السجدة: الآية/12.

محمد مفتاح:" أحاد: الذي يعتبر مبدأ التناغم الكوني، والعلة الفاعلة في كل شيء.([1]).

وأورد الشهرستاني قولاً (لفلوطرخيس) يتصل بدلالة الرقم (واحد) قال:" وحكى (فلوطرخيس) في المبادئ أنه قال: أصول الأشياء ثلاثة وهي: العلة الفاعلة، والعنصر، والصورة؛ فا تعالى هو الفاعل، والعنصر هو الموضوع الأول للكون والفساد، والصورة جوهر لا جسم. وقال: الطبيعة أمة للنفس، والنفس أمة للعقل، والعقل أمة للمبدع الأول؛ من أجل أن أول مبدع أبدعه المبدع الأول صورة العقل. وقال: المبدع لا غاية له ولا نهاية؛ وما ليس له نهاية ليس له شخص وصورة، وقال: اللانهاية في سائر الموجودات لو تحققت لكان لها صورة واقعة ووضع وترتيب، وما تحقق له صورة ووضع وترتيب: صار متناهياً؛ فالموجودات ليست بلا نهاية، والمبدع الأول ليس بذي نهاية؛ ليس على أنه ذاهب في الجهات بلا نهاية، كما يتخيله الخيال والوهم، بل لا يرتقي إليه الخيال حتى يصفه بنهاية ولا نهاية، فلا نهاية له من جهة العقل؛ إذ ليس يحده، ولا من جهة الحس؛ فليس يحده، فهو ليس له نهاية؛ فليس له شخص وصورة خيالية وجودية حسية أو عقلية: تعالى وتقدس"([2]) .

وقد ألمح ابن البناء المراكشي إلى دلالة حرف الألف السيميائية المتأوّلة - بكونها أول الأعدد الحسابية - لمحور الوحدانية من خلال دلالة العلامتين؛ النطق والرقم فقال:"... والألف تدلّ على الكون بالفعل في الوجود، فهي منفصلة؛ لأنّها من حيث إنّها أول الحروف في الفصل الذي بين ما يسمع وما لا يسمع متصلة بهمزة الإبتداء، ولذلك جعلت علامة الاثنين"([3]) .

ج _ دلالة الحروف على أفعال الأمر:

دلّت الألف على أفعال الأمر في مجموعة هذه السور، وقد ورد الفعل (اعبدوا) نفسه، الذي جاء بمعنى التوحيد عند ابن عباس في سورة البقرة، وفي سورة العنكبوت مرتين، قال ا تعالى: وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْر

---

[1]- مفتاح: أولويات منطقية رياضية، مجلة عالم الفكر: ع: 3، مجلد 35، ص134 .

[2]- الشهرستاني: الملل والنحل:122 .

[3]- المراكشي: عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل: 32 .

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمون ،وقوله تعالى: وإِلَى مدْين أَخَاهمْ شُعيْبًا فَقَالَ يا قَوْمِ اعْبدوا الله وارْجوا الْيوْم الْآخِر ولَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مفْسِدِين (1). وكذلك دلالتها على هذه الأفعال، إذ وردت أفعال أمر تتعالق مع دلالات الأسماء الحسنى والاستقامة نحو: اسجد، واستقم.

د ـ دلالة محاجة النص القرآني للكفار وإقامة الحجة عليهم: وتتضح هذه الدلالة في آيات متعددة من سورة آل عمران، ومن هذه الآيات قول ا تعالى: سيقُولُ الذِين أَشْركُوا لَوْ شَاء الله ما أَشْركْنَا ولا آَباؤُنَا ولا حرمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِك كَذب الذِين مِنْ قَبلِهِمْ حتى ذَاقُوا بأْسنَا قُلْ هلْ عِنْدكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجوه لَنَا إِنْ تَتبِعون إِلا الظن وإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرصون * قُلْ فَلِلهِ الحجةُ الْبالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهداكُمْ أَجْمعِين (2).

2- عناصر التماسك النصي في مجموعة هذه السور .

أ- سورة آل عمران.

إن أول عنصر من عناصر التماسك النصي يتطلب أنْ نقف عنده، هو عنوان السورة، وهو ـ كما يبدو ـ يمثّل رابطاً دلالياً؛ اقتضاءً وتضمناً والتزاماً، وتتحقق هذه الدلالات من خلال عنصر المناسبة بين عنوان السورة ومضمونها، وبينه وبين بعض مضامين سور أخرى، تعالقت مع مضامين سورة آل عمران عنواناً وموضوعاً.

1-: المناسبة بين عنوان السورة ومضمونها.

يتكون اسم السورة من مورفيمين صوتيين اثنين هما آل و عمران ، ولربط اسم السورة بمضمونها لا بد من الوقوف على المعاني التي يدل عليها المورفيمان معاً، وذلك لربط أي معنى داخل السورة بأي معنى ينبئ عنه عنوان السورة، كما هو الحال في المعاني التي تحصلت لنا من معاني عنوان سورة البقرة، إذْ إن العنوان جزء هام من منهج التحليل النصي الذي يراعي النص كل النص من عنوانه حتى آخر جملة في بنيته.

1- سورة العنكبوت: الآية/16، 36.

2- سورة آل عمران: الآيتان/149،148، وانظر الآيتين بعدهما .

من خلال استقراء سورة آل عمران، طالعتنا لفظة تضارع لفظة (آل) وهـي بهـذه المضارعة تقع معها في إطار دلالي واحد، أو في إطار ما سمي بنظريـة الحقـول الدلالية، وهذه اللفظة هي (ذريـة) وأهل، ويظهر أن التفـصيل لعنـوان الـسورة المجمل في لفظة آل التي تفيد العموم، مفصلّة في لفظة ذرية، فالذرية هي جزء من (آل)، ويعضد هذا العموم والتخصيص ما جاء من آيات فـي سـورة آل عمـران، تتحدث عن أكثر من ذرية، كلّ ذرية منها مخصوصة بعينها، لكن كلّ ذرية متصلّة بذرية سابقة عليها تعد أصلاً لها، أي بمعنى أن كلّ ذرية فرع على ذريـة قبلهـا، تشكلّ كلّها سلسلة متواصلة حتى تنتهي إلى أصل واحد، وهذا الأصل- كما يبـدو- هو لفظة (آل)، وقد جاء في سورة آل عمران قول ا تعالى:"ذريـة بعـضها مـن بعض"، وجاء معنى آل عند الراغب الأصفهاني([1]):"أنه مقلوب من الأهل ويـصغر على أُهَيْلٌ إلا أنّه خص بالإضافة إلى الأعلام الناطقين دون النكرات، ودون الأزمنة والأمكنة، يقال: آل فلانٍ، ولا يقال: آل رجل ولا آل زمان كذا، ولا يقال: آل الخياط بل يضاف إلى الأشرف الأفضل، يقال: آلُ ا وآل السلطان، والأهل يضاف إلـى الكل، يقال: أهل ا وأهل الخياط، كما يقال: أهل زمن كذا وبلد كـذا...ويـستعمل فيمن يختص بالإنسان اختصاصاً ذاتياً إما بقرابة قريبة، أو بموالاة، وقال:"أدخلوا آل فرعون أشد العذاب"([2])، وأبان الفيرورزأبادي([3])، عن دلالة آل في معناه الثالـث، بمعنى الذرية بشكل صريح قال:" بمعنى القرابة والذرية الكلية، قال عز وجل:"وآل إبراهيم وآل عمران"([4])، وقال: يرثني ويرث من آل يعقوب ([5])، ويظهر الـربط بين عنوان السورة، من خلال عنصر التعميم والتخصيص بـين لفظـة آل ولفظـة ذرية، وهذا العنصر من العناصر التي جاءت بها نظرية نحو النص واعتمدته فـي تماسك النص وترابطه .

---

[1] - الأصفهاني، الراغب: مفردات ألفاظ القرآن، 98. .

[2] - سورة غافر:الآية46 .

[3] - الفيروزأبادي: بصائر ذوي التمييز: 162/2.

[4] - سورة آل عمران:الآية33 .

[5] - سورة مريم:الآية 6.

ولعل ما في إطار المستوى التداولي للفظة (آل)، ما يكشف عن دلالة اللفظة ضمن العرف اللغوي الاجتماعي، وهذا المعنى في ضوء هذا الإطار هو ما يشير إلى معاني المدح والفخر والرفعة والتميز، في فعل أفعال يصعب على قوم أو (آل) ما القيام بها، وكأن لفظة (آل) تفيد التخصيص لهذه المعاني وحصرها في آل بعينه، ويعضد هذه المعاني التداولية ما جاء عند الأصفهاني سابقاً؛ بأنّه يضاف إلى الأشرف الأفضل بخلاف لفظة أهل.

ويظهر أن لفظة (آل البيت) التي وردت في أحاديث لرسول ا عليه الصلاة والسلام، هي من باب تخصيصهم بصفات ومواقف لم تتحقق عند غيرهم، وقد جاء في القرآن الكريم ما يفيد هذا التخصيص مدحاً وثناءً لآل البيت في مواضع كثيرة منه ... فكان عنوان السورة بـ (آل) أتم مناسبة وانسجاماً وتعالقاً بين دلالاته وأسماء الرسل ألأنبياء الذين ذكروا في هذه السورة، ولقد تنبه أبو هلال العسكري- وهو يفرق بين الآل والذرية تفريقاً نسبياً- إلى دلالة المدح والتشريف والثناء، من عموم لفظة آل وخصوصية لفظة ذرية، فأدخل الذرية في الآل من باب القرابة بقطع النظر عن درجتها، أما الذرية فدرجة القرابة أكثر اتصالاً وقوة لأنها تتعلق بالنسل، قال:" آل الرجل: ذو قرابته، وذريته: نسله، فكل ذرية آل، وليس كل آل بذرية. وأيضا: الآل يخص بالأشراف، وذوي الأقدار، بحسب الدين، أو الدنيا. فلا يقال: آل حجام، وآل حائك، بخلاف الذرية"([1]).

ولما كان الإجمال والتفصيل سمة من سمات النص القرآني، فقد جاءت آيات في سورة البقرة مجملة تتحدث عن الأصل الذي تفرعت عنه كل ذرية، وفُصلَ هذا الإجمالُ في سورة آل عمران، قال ا تعالى في سورة البقرة: وإذْ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين ([2])، وقال ا تعالى في سورة آل عمران: إن ا اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذُرية بعضها من بعض وا سميع

[1] - العسكري: الفروق اللغوية:6 .

[2] - سورة البقرة: الآيات/124، وانظر: الآيات (125-133).

عليم ([1])، ولما كان عنوان السورة آل عمران، جاءت الآيات بعد هذه الآية تتحدث عن ذرية آل عمران، قال ا تعالى: ﴿إِن الله اصْطَفَى آدم ونُوحًا وآلَ إِبْراهِيم وآلَ عِمْران علَى الْعالَمِين* ذُريةً بعْضها مِنْ بعْضٍ والله سمِيع علِـيم*إِذْ قَالَـتِ امْـرأَةُ عِمْران رب إِنـي نَذَرْتُ لَك ما فِـي بطْنِـي محررًا فَتَقَبـلْ مِنـي إِنـك أَنْـتَ السمِيـع الْعلِيم*فَلَما وضعتْها قَالَتْ رب إِني وضعْتُها أُنْثَى والله أَعْلَم بِما وضـعتْ ولَيس الذكَر كَالْأُنْثَى وإِني سميْتُها مرْيم وإِني أُعِيذُها بِك وذُريتَهـا مِـن الـشيْطَان الرجِيمِ﴾ ([2])، ويلاحظ هنا تكرار اسمي ا تعالى في هذه الآيـات، والآيـات التـي تتحدث عن الذرية في سورة البقرة، وهما في قول ا تعالى: "إنـك أنـت الـسميع العليم"، وبعد الحديث عن مريم عليها السلام جاء الحديث عن ذرية أخرى مـن آل عمران، وهي ذرية زكريا عليه السلام في قول ا تعالى: ﴿هنالك دعا زكريا ربـه قال رب هب من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾، وفي سورة مريم جاء ذكـر زكريا عليه السلام في أول السورة.

2- العلاقات والعناصر النحوية:

الحذف:

حذف الخبر: نعت القرطبي قول الأخفش بالعرف عندما جعل الخبر محـذوفاً، فـي قوله تعالى: ﴿فِيهِ آياتٌ بينَاتٌ مقَام إِبْراهِيم ومنْ دخَلَه كَان آمِنًا ولِلهِ علَى الناسِ حِـج الْبيْتِ من اسْتَطَاع إِلَيْهِ سبِيلا ومنْ كَفَر فَإِن الله غَنِي عن الْعالَمِين﴾ ([3])، قال:"وارتفع المقام على الابتداء والخبـر محـذوف، والتقـدير منهـا مقـام إبـراهيم، قالـه الأخفش...وقوله معروف في كلام العرب"([4]).

حذف عائد الصلة: قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ا ميثاق النبيين لما آتيـتكم مـن كتـب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم

[1] - سورة آل عمران: الآيات (33-36).

[2] - سورة آل عمران: الآية/38.

[3] - سورة آل عمران: الآية/97.

[4] - الألوسي: روح المعاني: 473/15.

على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم مـن الـشاهدين ([1])، قـال سيبويه: سألت الخليل بن أحمد عن قوله عز وجل: وإذ أخذ ا ميثاق النبيين لمـا آتيتكم من كتاب وحكمة فقال: لما بمعنى الذي.قال النحاس: التقـدير علـى قـول الخليل للذي آتيتكموه، ثم حذف الهاء لطول الاسم.و" الذي" رفع بالابتداء وخبره "من كتاب وحكمة " و" من " لبيان الجنس"([2]).

ومنه حذف رابط الصلة في الجملة المفسرة للجملة قبلها في قول ا تعالى من سورة الروم...قال تعالى: فَأَقِمْ وجْهك لِلدين حنِيفًا فِطْرةَ اللهِ التِي فَطَر الناس علَيْها لا تبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِك الدين الْقَيم ولَكِن أَكْثَر الناسِ لا يعْلَمون ([3]) .

حذف شبه الجملة من حرف الجر والضمير: قال ابن عاشور:"وجملـة " لا تبـديل لخلق ا " مبينة لمعنى "فطرة ا التي فطر الناس عليها " فهي جارية مجرى حال ثالثة من (الدين) على تقدير رابط محذوف، والتقدير: لا تبديل لخلق ا فيه، أي في هذا الدين، فهو كقوله في حديث أم زرع في قول الرابعة: زوجي كلَيْل تهامة لا حر ولا قُر ولا مخافة ولا سآمة أي في ذلك الليل، فمعنى "لا تبديل لخلق ا " إنه الدين الحنيف الذي ليس فيه تبديل لخلق ا خلاف دين أهل الشرك"([4]).

التكرار: برز الرابط النحوي (التكرار)، المؤدي بلفظه كلمة أو جملة أو بمعناهمـا، وظيفة نحوية تدلّ على التوكيد لفظياً أو معنوياً، ومن النوع الأول، تكـرار جملـة (الكتاب لا ريب فيه) في الآيتين الثانيتين في سورتي البقرة والسجدة، قال تعـالى: الم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لا ريْب فِيهِ مِنْ رب الْعالَمِين ([5]).

العطف: أفاد العطف لجملتي (وينَزلُ الغيث) و (ويعلم ما في الأرحام)، على جملة (إن ا عنده علم الساعة)، الاختصاص، أي أن اله هو المختص وحده بهذا العلـم، قال الألوسي:"... فيفيد الكلام الاختصاص أيضاً، والمقصود تقييدات التنزيل الراجعة

1- سورة آل عمران: الآية/81.

2- القرطبي: الجامع لاحكام القرآن ،125،124/4.

3- سورة الروم: الآية/30.

4- ابن عاشور :التحرير والتنوير :73/11.

5- سورة السجدة: الآيتان/2،1.

إلى العلم لا محض القدرة على التنزيل إذ لا شبهة فيه فيرجع الاختصاص إلى العلم بزمانه ومكانه ومقداره... وقال العلامة الطيبي: دلالة هذه الجملة على علم الغيب، من حيث دلالة المقدور المحكم المتقن على العلم الشامل...وخوالف بين (عِندَه عِلْم الساعة) وبين هذا، ليدل في الأول على مزيد الاختصاص اعتناء بأمر الساعة ودلالة على شدة خفائها، وفي هذا على استمرار تجدد التعلقات بحسب تجدد المتعلقات مع الاختصاص"([1]).

الربط بإن: جاء التوكيد بحرف التوكيد (إن) في قول ا تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ*فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ([2])، قال ابن عاشور:" وقد آذن بكون الكلام تعليلاً موقع (إن) في أوله، فإن التأكيد بإن هنا لمجرد الاهتمام، وليس لرد إنكار منكر أو شك شاك، ومن خصائص (إن) إذا وردت في الكلام لمجرد الاهتمام، أن تغني غَناء فاء التفريع وتفيد التعليل والربط... ولما في هذه من إفادة الربط استغني عن العطف لكون (إن) مؤذنة بالربط، وبيان وجه التعليل أن هذا البيت لما كان أول بيت وضع للهدى وإعلان توحيد ا ليكون علماً مشهوداً بالحس على معنى الوحدانية ونفي الإشراك، فقد كان جامعاً لدلائل الحنيفية، فإذا ثبت له شرف الأولية ودوام الحرمة على مر العصور، دون غيره من الهياكل الدينية التي نشأت بعده ، وهو مائل ، كان ذلك دلالة إلهية على أنه بمحلّ العناية من ا تعالى، فدلّ على أن الدين الذي قارن إقامته هو الدين المراد ، وهذا يؤول إلى معنى قوله: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ([3]) .

ومن دلالة التقديم لإفادة الاختصاص: تقديم لفظ الجلالة والظرف على جملة علم الساعة، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ، قال الألوسي:"... وتقديم لفظ الجلالة فقيل: إن ا ، ولم يقل إن علم الساعة عند ا مع أنه أخصر لأن اسم ا سبحانه أحق بالتقديم ولأن تقديمه وبناء الخبر عليه يفيد الحصر كما قرره الطيبي،

---

[1]- القرطبي: الجامع لاحكام القرآن ، 139/4 .

[2]- سورة آل عمران:الآيتان/96،97.

[3]- سورة آل عمران: الآية/ 19 . انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، 161/3،162.

مع ما فيه من مزية تكرر الإسناد، وتقديم الظرف يفيد الاختصاص أيضاً، بل لفـظ عند كذلك؛ لأنها تفيد حفظه، بحيث لا يوصل إليه فيفيد الكلام من أوجه اختـصاص علم وقت القيامة با عز وجل"([1]).

الجمل المعترضة: ومنها جملة (إن الذين) مِن قوله تعالى: مِنْ قَبْلُ هـدًى لِلنـاسِ وَأَنْزلَ الْفُرْقَان إن الذِين كفَروا بِآياتِ اللهِ لَهمْ عذَاب شَدِيد والله عزِيز ذُو انْتِقَامٍ ([2])، فجملة (إن الذين) معترضة بين الجملة التي قبلها والآية الخامسة التي تلت هذه الآية، وهي رد على الكافرين بشكل عام، وعلى النصارى بشكل خـاص؛ لأن سـورة آل عمران خطاب للنصارى كما تذكر كتب التفاسير.

3- العلاقات والعناصر الدلالية:

الإحالة: ونمثِّل لها بنوعيها الداخلية والخارجية، من خلال إحالات الضمائر وأسماء الإشارة، متطابقة أو غير متطابقة لفظاً ومعنىً .

الإحالات الضميرية:

من الإحالات الضميرية غير المتطابقة لفظاً، إحالة ضمير الغائب مـن قولـه (لتحسبوه)، فأحال هذا الضمير إحالة قبلية غير مطابقة لمذكور مفرد بين قبلـه، إذ أحال إلى ما يفهم من قول ا تعالى: وإِن مِنْهمْ لَفَرِيقًا يلْـوون أَلْـسِنَتَهمْ بِالْكِتَـابِ لِتَحْسبوه مِن الْكِتَابِ وما هو مِن الْكِتَابِ ويقُولُون هو مِنْ عِنْدِ اللهِ وما هو مِنْ عِنْـدِ اللهِ ويقُولُون علَى اللهِ الْكَذِب وهمْ يعْلَمون ([3])، أي الذي لُوي منـه، أو الملتـوي، وهو تحريف في بنيته؛ حركة أو حرفاً أو كلمة، بقصد تغيير معناه وتناقـضه مـع معنى ما قبله وما بعده، فجاء الضمير في (لتحسبوه) مفرداً ليتطابق مع أي تحريف في بنيته، كما تلوح من الفعل (تلوون) دلالة تفيد التضاد؛ لدلالة التـضمن اللفظيـة للفعل، وهي دلالة الاستقامة باعتبارها دلالة غير لفظية؛ عرفت بدلالـة الالتـزام، وبإفادة تماسك النص وترابطه في مستواه الخطي والأفقي من خلال التفسير النسبي له، فإن تأويل هذه الدلالة غير اللفظية، بعدها صفةً للكتاب وبصيغة اسـم الفاعـل

---

[1]- الألوسي: روح المعاني: 473/15.

[2] - سورة آل عمران: الآية/4.

[3]- سورة آل عمران: الآية/78.

(المستقيم)؛ لتقابل صفة الكتاب (الملتوي)، فإنّها تسهم في ترابط المتتاليات (الآيات)، في سورتي البقرة وآل عمران أفقياً وعمودياً، وهذا الترابط يحقق للـنص تماسـكه على مستوى الدلالات المتعلقة بوحدة موضوع الخطاب، ليكون هذا الالتواء بنـسبة منه في الكتاب، نقيضاً للكتاب الحق الذي أنزل على موسى عليه السلام؛ لأن معنى الكتاب في هذه الآية هو (التوراة) كم ذكر بعض المفسرين، وجعله ابن كثير للتوراة والإنجيل ـ وهو ينقل كلام وهب بن منبه ـ فقال:" إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما ا لم يغير منهما حرف، ولكنهم يضِلّون بالتحريف والتأويل، وكتب كانوا يكتبونهـا من عند أنفسهم، "ويقُولُون هو مِنْ عِنْدِ اللهِ وما هو مِنْ عِنْدِ اللهِ"، فأما كتب ا فإنها محفوظة ولا تحول"([1])، فهما بهذا الثبات هاديان إلى الطريـق المـستقيم، كهدايـة الكتاب الذي نزله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد عليه السلام، قـال تعالى ذلـك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين ، وقال تعالى: نَزلَ علَيْك الْكِتَاب بِالْحق مـصدقًا لِما بيْن يديْهِ وأَنْزلَ التوْراةَ والإِنْجِيلَ ، ويظهر التطابق بين المعنيـين النحـويين الوظيفيين، اللذين أداهما حرفا الجر؛ الباء السابقة (بالكتاب) التي تفيـد الإلـصاق، وحرف الجر(من) الذي ورد أربع مرات، مرة مثبتـاً لفظـاً ومنفيـاً معنـىً فـي: لتحسبوه من الكتاب بقرينتي لام التعليل والفعل (تحسبوه)، بمعنى تظنّـوه مـن الكتاب، ومرة منفياً بكونه ليس من الكتاب، فأثبت وقوعه لفظاً، لما أثبت وقوع حدث التحريف فيه، بإسناد الفعل (تلوون) إلى ضمير الرفع منه، ليحيل إحالة قبلية ذاتيـة متطابقة، إلى اسم الذات وهو الفريق الكافر، الذي قُدم للتأكيد على قيامـه بالحـدث، وبدليل وجود حرفي التوكيد؛ (إن و واللام) مـن (وإن لفريقـاً)، مثبتـاً وبـصيغة المضارع المستمر وبلفظ الجمع، فقابل هذا التأكيد على إحداث الفعل منهم خاصـة وتحققه، بنفيه عن الكتاب، وارتبطت جملة: وما هو من الكتاب ، بالجملـة قبلهـا بواسطة حرف العطف، لكنّها مع ارتباطها بها جاءت مصدرة بحرف النفـي؛ لـئلا يفيد العطف إشراك الملتوي ليكون من الكتاب، فدلّ على هذا الملتوي بضمير الغائب البارزاً تأكيداً ثانِياً على المنفي، فالضمير (هو) يحيل إحالة قبلية على ما أحال إليـه

[1] - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم :65/2.

الضمير من (لتحسبوه)، الذي يعد المحمول الرئيسي في الجملة، فعلى الرغم من أنه جاء ذيلاً أو تكملة بحسب مصطلحات النحو الوظيفي، لكنّه ارتبط بما قبلـه بعلاقـة الإسناد؛ أي ارتبط بها مع المسند المذكور(لتحسبوه) والمسند إليه المحذوف (أنـتم)، فجاء محمولاً؛ لتوجه الفعل والفاعل إليه، ويظهر أن وقوعه موقع المسند إليه، كـان من وراء مجيئه محمولاً في الجملة الأولى، ووقوعه ظاهراً عقِب حرفـي العطـف والنفي في الجملة الثانية، فإذا كان الكتاب ناله أو طاله التحريف، فهـذا يعنـي أن الكتاب كلّه قد ناله ذلك، وكونه من عند ا فليس فيه ذلك أيضاً، فقد تعهد سـبحانه وتعالى بحفظه.

أسماء الإشارة: ومن أسماء الإشارة التي تحيل إحالة قبلية ذاتيـة متطابقـة للفظـة (الكتاب)، ما جاء في الآية من سورة العنكبوت: أَولَمْ يكْفِهِمْ أَنا أَنْزلْنَا علَيك الْكِتَـاب يتْلَى علَيهِمْ إِن فِي ذَلِك لَرحْمةً وذِكْرى لِقَوْمٍ يؤْمِنُون ([1])، قال ابن عاشور:" فالإشارة بـ (ذلك) إلى (الكتاب)؛ ليستحضر بصفاته كلها وللتنويه به بما تقتضيه الإشارة من التعظيم . وتنكير (رحمة) للتعظيم ، أي لا يقادر قدرها . فالكتاب المتلو مشتمل على ما هو رحمة لهم اشتمال الظرف على المظروف لأنه يشتمل على إقامـة الـشريعة وهي رحمة وصلاح للناس في دنياهم ، فالقرآن مع كونه معجزة دالّةً على صـدق الرسول صلى ا عليه وسلم ومرشدة إلى تصديقه مثل غيره من المعجزات وهـو أيضاً وسيلة علم وتشريع وآداب للمتلو عليهم وبذلك فضل غيره من المعجزات التي لا تفيد إلا تصديق الرسول الآتي بها"([2]) .

الضمير (هم) من: ولَقَدْ كُنْتُمْ تَمنوْن الْموْتَ مِنْ قَبْل أَنْ تَلْقَوْه فَقَـدْ رأَيتُمـوه وأَنْتُمْ تَنْظُرون (143)، فالضمير (هم) يحيل إحالة خارجية إلى طائفة من المؤمنين لم يشهدوا غزوة بدر، وقد دلّنا سبب نزول الآية على المحال إليه .

[1] - سورة العنكبوت: الآية : 51.

[2] - ابن عاشور: التحرير والتنوير:15/11.

السبب والنتيجة:

علاقة السببية علاقة الحرب بالموت فهي سـببية؛ لأن مـن أسـباب المـوت الحرب، فالملاقاة بنيتها الدلالية المباشرة هي بين شخصين أو بين فـرقتين، بـدليل قراءة (تلاقوه) من المفاعلة التي تكون بين اثنين وما لقيك فقد لقيتـه، ويجـوز أن يكون من باب سافرت والضمير عائد إلى (الموت)، وقيل: إلى العدو المفهوم مـن الكلام وليس بشيء، كما دلّت لفظة الموت هنا على الموت مقصود بـه الـشهادة، قرينة لفظية يطابق استعمالها في التركيب ما يتمناه المؤمن المتقي وهو تمنيه الموت شهادةً في سبيل ا ، ويظهر بأن علامة يمكن رصدها من وراء هذا التركيب، يدلنا عليها المسند والمسند إليه، الموضوع والمحمول من جملة: وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمنوْن الْموْتَ مِنْ قَبْل أَنْ تَلْقَوْه فَقَدْ رأَيْتُموه وَأَنْتُمْ تَنْظُرون آل عمران: الآية/ 143، وارتبطـت الجملة (فقد رأيتموه) بالجملة التي قبل الفاء من فقد، بالجملة السابقة بفاء تفيد جملة (وأنتم تنظرون) من خلال المعنى النحوي الوظيفي الذي أدته واو الحـال والجملـة التي تفيد الرؤية في الحال (الحاضر)، وبذلك يتعالى النص القرآني على الزمن ومنه زمن المتلقي، تثبيتاً له أو هداية له أو حجة عليه، فهو يراعي أحوال المتلقين بخلاف معتقداتهم ومذاهبهم وأجناسهم وصفاتهم.

وارتبطت جملة (رأيتموه) بجملة (ولقد كنتم تمنون الموت مع جملة تلقوه)، من خلال إحالة الضمير من تلقوه العائد على الموت قبله.

كما أن الحقل اللغوي يتضمن في حدوده الدلالية، المصاحبات اللفظيـة التـي تتعالق وتتعانق فيما بينها تعالقاً وتعانقاً في اللفظ وفي الدلالة، فيؤثر المتكلّم استعمال لفظاً بدلاً من آخر، وفي المكان الملائم من تركيب الجملة، قاصداً معنـى أو أكثـر دون غيرهما من المعاني، تصريحاً بهما أو تلميحاً لهما، وبهذا يكون الجرجاني قـد مس جانباً مهماً من جوانب هذه النظرية، بنظريته التي عرفت بـ (النظم) وأظهرها كتابه (دلائل الإعجاز) بشكل خاص.

لقيتموه: لِقي ليس فعلاً دالٌ بزمنه على المضي بل على الإغراق فيه، بخلاف رأيتموه، كما لا يتضمن (لاقيتموه) دلالة أخرى تفيد في رؤية الحدث ماضياً أو فـي الحال، فشهادة الرؤية هي الشهادة المقدمة يقيناً على أي شهادة.

الاستبدال:

لا يتضمن الاستبدال حذفاً إذ لا تقدير للفظ المستبدل، كما أن الاستبدال يشرك البدل في أن يكون اللفظ المستبدل به مكان اللفظ المستبدل، كما هـو البـدل مكـان المبدل منه بخلاف التعويض، ومن ضروب الاستبدال: استبدال اسم باسم، وجاء هذا الاستبدال في قول ا تعالى من سورة آل عمران: وما محمد إلا رسولٌ قدْ خلَتْ مِنْ قبْلِهِ الرسلُ أفإنْ ماتَ أوْ قُتِلَ انْقلَبْتمْ على أعْقَابِكُمْ ومنْ ينْقَلِبْ على عِقبيْـهِ فلَـنْ يضر الله شيْئًا وسيجْزي الله الشاكِرين ([1])، حيث استبدل الاسم (الثابتين) المفهـوم من سياق الآية من خلال بنيتها العميقة، باسم الشاكرين، الشاكرين له على تحقيق ما تمنّوه حقاً، وأرادوه حقيقة، فالشكر ملازم أصلاً لصاحب الشكر حقاً.

الاستبدال الفعلي: ومنه استبدال الفعل (ذقتوه)، بالفعل (رأيتموه) الـذي لحـق بـه الضمير المنصوب، الذي يحيل إحالة قبلية إلى الاسم (الموت)، وهـو خـارج إرادة المسند إليه غير متحصلّة في ملّكيته ووقته ومكان حدوثه لـدى المتلقـي؛ المتمنـي وغير المتمني له، إنه خارج إرادة الجميع، فا سبحانه وتعالى هو (المحيي وهـو المميت)، وقد دلّ قوله تعالى: وما كان لِنَفْسٍ أنْ تَموتَ إلا بِإذْنِ اللهِ كِتَابـا مؤَجلاً ومنْ يرِدْ ثَواب الدنْيا نُؤْتِهِ مِنْها ومنْ يرِدْ ثَـواب الْـآخِرةِ نُؤْتِـهِ مِنْهـا وسـنَجْزي الشاكِرين ([2])، وبهذا الدلالة النسبية التي يمكن رصدها من وراء تركيب الآية، تدل على أسماء ا الحسنى وعلى محور الوحداينة .

الترتيب: ومنه الترتيب بين أقسام الهيئات، فقـدم القيـام علـى القعـود والقعـود الاضطجاع، وكان هذا الترتيب موجباً مع أداء الصلاة، التي جاء الفعل (يـذكرون) بمعناها في قول ا تعالى: الذِين يذْكُرون الله قِياماً وقُعوداً وعلَى جنُوبِهِمْ ويتَفَكرون فِي خَلْقِ السماواتِ والأَرْضِ ربنَا ما خَلَقْتَ هذَا باطِلاً سبْحانَك فَقِنَا عذَاب النار ([3])، ولم يقع هذا الترتيب في قول ا تعالى في سورة يونس: وإِذَا مس الإِنْسان الضر دعانَا لِجنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَما كَشَفْنَا عنْه ضره مر كَأَنْ لَمْ يدْعنَا إِلَى ضر مـسه

---

[1]- سورة آل عمران: الآية/144.

[2]- سورة آل عمران: الآية /145.

[3]- سورة آل عمران: الآية/191،.

كَذَلِك زين ِللْمسْرِفين ما كانُوا يعْملُون ([1])، قال الزركشي:" لكن وقع بين ترتيب الآيتين مغايرة أوجبتها المبالغة، وذلك أن المراد بالذكر في الأولى الصلاة، فيجب فيها تقديم الاضطجاع، وإذا زال بعض الضر قعد المضطجع، وإذا زال كلّ الضر قام القاعد، فدعا لتتم الصحة، وتكتمل القوة"([2]) .

ومن أمثلة هذا العنصر قوله تعالى: وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم ([3]) ، فذكر قوم عاد قبل ثمود لكونها أسبق ، ولعل قرينة (تبين...مساكنهم) قد أقرت للمتلقي من خلال تبينه واطّلاعه على مساكن كل قوم - قدم قوم على قوم.

التفريع: ومنه جملة (ذلك بأنهم) تفريع على جملة (لا يؤده إليك)، وجاء في قوله تعالى: ومِنْ أَهْل الْكِتَابِ منْ إِنْ تأْمنْه بِقِنْطَارٍ يؤَدِه إِلَيْك ومِنْهمْ منْ إِنْ تأْمنْه بِدِينَارٍ لا يؤَدِه إِلَيْك إِلا ما دمْتَ علَيْهِ قَائِمًا ذَلِك بِأَنهمْ قَالُوا لَيْس علَيْنَا فِي الأُميين سبِيلٌ ويقُولُون علَى اللهِ الْكَذِب وهمْ يعْلَمون ([4]) .

التضاد: ومن الألفاظ الواردة في هذه الآية، التي تنتمي إلى هذا العنصر الذي يسهم في تماسك النص (سمعنا، عصينا) إذ فأنبأتا عن صفة الكافرين، بدلالة الآية نفسها بعد هاتين اللفظتين " ولَكِنْ لَعنَهم الله بِكُفْرِهِمْ "، ولم يكن استثناء قليلاً من الإيمان المفهوم من لفظ الفعل (يؤمنون) المسبوق بأداة النفي وقبلها سابقتها فاء التعقيب، تثبيتاً للقليل من الإيمان عندهم حقاً، ولكن هذا القليل من الإيمان - كما يبدو - هو بسبب اللفظ لكلمة (سمعنا)، لأنهم حقيقة قد سمعوا لكنهم عصوا، فاقتضى الإيمان حقاً السمع والطاعة، والإيمان الذي دعوا إليه هو ليهتدوا، هو الإيمان الذي قال عنه ا تعالى:" فإنْ آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا"، ولفظة (أقوم) ترمز إلى الصراط المستقيم، وبهذا التركيب للكلمات في هذه الآية من سورة آل عمران، يظهر الترابط

---

[1] - سورة يونس: الآية/12.

[2] - الزركشي: البرهان: 472/3 .

[3] - العنكبوت:الآية/38ا

[4] - سورة آل عمران، الآية 75 .

والتماسك على مستوى الدلالات بين سورتي البقرة وآل عمران من جهة، وتـرابط جميع السور ذوات الحروف المقطّعة موضع الدرس والتحليل من جهة أخرى .

واستناداً إلى مسألة التفسير النسبي التي يتحقق فيها النص من خلال ظهورهـا في المتتاليات الخطية لأبنيته، فإن لفظة اسم التفضيل (أقوم)، تلازم السمع والطاعـة معاً، كما في أواخر سورة البقرة : سمعنا وأطعنا .

الاختصاص: دلّ الفعل (نزل) في قوله تعالى: نزل عليك الكتاب علـى قـصر إسناد الفعل وحده، فالمحتوى القضوي للجملة السابقة، التي وقعت خبراً للمبتـدأ (لفظ الجلالة)، شكلّ قضية هي قضية مصدر الكتاب... قال ابن عاشـور:"وجـيء بالمسند فعلاً لإفادة تقوية الخبر، أو للدلالة مع ذلك علـى الاختـصاص: أي ا لا غيره نزل عليك الكتاب إبطالاً لقول المشركين: إن القرآن من كلام الشيطان، أو من طرائق الكهانة، أو يعلمه بشَر، والتضعيف في (نَزل) للتعدية فهو يساوي الهمز في أنزل، وإنّما التضعيف يؤذن بقوة الفعل في كيفيته أو كميته، في الفعل المتعدي بغير التضعيف، من أجل أنّهم قد أتوا ببعض الأفعال المتعدية، للدلالة على ذلك، كقولهم: فَسر وفسر، وفَرق وفرق، وكَسر وكسر، كما أتوا بأفعال قاصرة بصيغة المضاعفة، دون تعدية للدلالة على قوة الفعل، كما قالوا: ماتَ وموت وصاح وصيح، فأمـا إذا صار التضعيف للتعدية فلا أوقن بأنّه يدلّ على تقوية الفعل، إلاّ أن يقال: إن العدول عن التعدية بالهمز، إلى التعدية بالتضعيف، لقصد ما عهد في التضعيف من تَقويـة معنى الفعل، فيكون قوله:" نزل عليك الكتاب" أهم من قوله:(وأنزل التوراة) للدلالـة على عظم شأن نزول القرآن" والخبر (الجملة) هنا مستعمل في الامتنـان، أو هـو تعريض ونكايةَ بأهل الكتاب: الذين أنكروا ذلك"([1]).

الترابط والمناسبة بين الآيات: واستناداً إلى هذا التفسير فإن الرابط بـين الآيتـين الأوليتين من سورة آل عمران، هو ارتباط دلالي ونحوي، وذلك بعد الآية الثانية آية مفسرة للأولى، فتفسير الآي بالآي يمثل أحد وجوه الربط دلالياً، كما أن ارتباطهمـا بعلاقة نحوية وظيفية هي علاقة التبعية المؤداة بكونها بدلاً من الآية قبلها .

[1] - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 25/3 .

كما ارتبطت الآية الثالثة بالثانية بعلاقة الإسناد بين الفعل (نـزل) والـضمير المحذوف الذي يحيل إحالة قبلية متطابقة، للفظ الجلالة (ا)، أو لاسمه (القيوم) عز وجل في آخر الآية، قال ابن عاشور:" ابتدئ الكلام بمسند إليه خَبره فِعْلِي: لإفـادة تقوية الخبر اهتماماً به، وجيء بالاسم العلَم: لتربية المهابة عند سماعه، ثـم أردف بجملة: لا إله إلاّ هو: ا لا إله إلا هو الحي القيوم* نَزلَ علَيْـك الكتـاب بـالحق مصدقاً لما بيْن يديْهِ وأَنزلَ التوراة والإنجيل ([1])، وأتبع بالوصفين الحي القيوم ؛ لنفي اللّبس عن مسمى هذا الاسم، والإيماء إلى وجه انفراده بالألوهية، وأن غيره لا يستأهلها؛ لأنّه غير حي أوْ غير قيوم، فالأصنام لا حياة لها، وعيسى فـي اعتقـاد النصارى قد أميت، فما هو الآن بقيوم ولا هو في حال حياته بقيـوم علـى تـدبير العالم، وكيف وقد أوذِي في ا ، وكُذّب واختفّى من أعدائه.

ومن أمثلة المناسبة بين الآيات: قوله تعالى: هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ([2])، ويلاحظ أن خبـر إن مـن المـضاف والمضاف إليه وهو (سميع الدعاء)، يمثل استبدالاً للفظ الجلالـة (ا) عـز وجـل (السميع)، وذلك للمناسبة بين هذا الخبر ولفظ الدعاء في أول الآيـة " دعـا ربـه"، فوجب لفظ سميع الدعاء مناسبة لفعل الدعاء، وهو متضمن لعلم ا بدعوة زكريا، إذ أغنى لفظ سميع الدعاء " السميع العليم"، ويعضد هذا قوله تعالى في الآية التي بعدها قال تعالى: فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحـراب أن ا يبـشرك بيحيـى مصدقاً بكلمة من ا وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين ([3])، ففاء التعقيب التـي تصدرت الآية تدلّ على أن الاستجابة لدعاء زكريا عليه السلام جاءت وهـو فـي المكان نفسه (المحراب) والزمن نفسه اللذين دعا فيهما ربه، بدليل الآية :" كلّما دخل عليها زكريا " والآية : هنالك دعا زكريا ربه ، وصوت زكريا عليه السلام فـي الدعاء كان أيضاً خافتاً، فجاء الخبر (سميع الدعاء) يقيناً منه عليه السلام بأن ا عز وجل يعلم السر وأخفى، وفاء التعقيب والفعل المسند للملائكة (فنادته الملائكة) جـاء

---

[1] - سورة آل عمران: الآية/38.

[2] - سورة آل عمران، الآية 75 .

[3] - سورة آل عمران: الآية/39.

مفسراً ومطابقاً لفعل النداء المسند إلى زكريا عليه السلام، في الآية التي تتحدث عن قصته في أول سورة مريم، قال ا تعالى: إذْ نادى ربه نداءً خفيا (1).

وجه الارتباط بين سورتي مريم وآل عمران

جاء الحديث عن ذرية مريم، من خلال البشارة بسيدنا عيسى عليه السلام، قال ا تعالى: إذْ قالت الملائكة يا مريم إن ا يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين (2)، ثم جاءت الآيات التي تؤكـد على هذه الذرية الواحدة من إبراهيم عليه السلام إلى محمد عليه السلام، وتؤكد كذلك على الدعوة الواحدة التي دعا إليها كلّ الأنبياء والرسل وتواصوا بها، وهي دعـوة الدين الحنيف الذي نسخ كلّ الأديان قبله، هي الحنفية التي كان عليها إبراهيم عليـه السلام، التي تدعو إلى عبادة ا وحده لا شريك له، وتبين لأهل الكتاب أن أنبياء ا ورسله كلّهم مخلوقون من أصل واحد، فا لم يلد ولم يولد، (3)، وقد سبقتها آيـات تتحدث في موضوع الربوبية والوحدانية عز وجل، وطاعته وتقواه، فهـذا هـو الصراط المستقيم، الذي دعا إليه الدين الإسلامي الذي جاء به القرآن الكريم المنزل على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام(4) .

4- العلاقات والعناصر التداولية

تمثّل الأفعال الكلامية غير المباشرة نحو:(أأسلمتم) إنجازاً غير مباشر لمعنـى آخر غير المعنى الذي يؤديه الفعل وهو إفادة الأمر لا الاسـتفهام، قـال الـسمين الحلبي:" قوله "أأسلمتم" صورته صورة استفهام ومعناه الأمر، أي: أسلِموا، كقولـه تعالى:" فَهلْ أَنْتُمْ منْتَهون"(5)، أي: انتهوا، قال الزمخشري:" يعني أنه قد أتاكم مـن البينات ما يوجب الإسلام ويقتضي حصوله لا محالة؛ فهل أسلمتم أم أنتم بعد علـى

1- سورة مريم: الآية/3.

2- سورة مريم: الاية/45.

3- سورة آل عمران: الآيات (59-68) .

4 - سورة آل عمران: الآيات (50-53).

5- سورة المائدة: الاية:91.

كفركم؟ وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طـرق البيـان والكـشف طريقاً إلا سلكته: هل فهمتها لا أم لك"([1])، واستحسن السمين الحلبي هذا الكلام منه بقوله:" وهو كلام حسن جداً"([2]).

وفي الجانب المعرفي التداولي يتبين أن سبب نزول هذه الآية، منسجم تمامـاً وتقرير أمر الوحدانية   تعالى، إذ جاء في هذه الآية أعظـم شـهادة كمـا يـذكر الواحدي في سبب نزولها قال:" قال الكلبي: لما ظهر رسول ا صلى ا عليه وسلّم بالمدينة قدم عليه حبران من أحبار أهل الشام، فلما أبصرا المدينـة قـال أحـدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان، فلمـا دخلا على النبي صلى ا عليه وسلّم عرفاه بالصفة والنعت فقالا: أنت محمد قـال: نعم، قالا وأنت أحمد قال: نعم، قالا: إنا نسألك عن شهادة، فإن أنت أخبرتنا به آمنّا بك وصدقناك، فقال لهما رسول ا صلى ا عليه وسلّم: سلاني، فقالا: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب ا ، فأنزل ا تعالى على نبيه: شَهِد الله أَنه لا إِلَه إِلا هو والْملائِكَةُ وأُولُو الْعِلْمِ ، فاسلم الرجلان وصـدقا برسـول ا صـلى ا عليـه وسلّم"([3]).

سبب النزول: ومنه قوله تعالى: إِن أَولَ بيْتٍ وضِع لِلناسِ لَلذِي بِبكةَ مباركًا وهدًى لِلْعالَمِين ([4])، تظهر الآية الرصيد المعرفي المشترك عند المتلقـين مـن خـلال مخاطبتهم بما هو معروف عندهم، والنص نفسه يشاركهم هذه المعرفة، وفي سـبب النول يبرز الربط الذي يؤدي إلى تماسك النص والمساهمة في عملية التواصل، قال الواحدي فيما يرويه عن مجاهد:" تفاخر المسلمون واليهود، فقالـت اليهـود: بيـت

---

[1] - الزمخشري: الكشاف،261/1.

[2] - السمين الحلبي: شهاب الدين ابي العباس بن يوسف بن محمد إبراهيم، الدر المـصون فـي علوم الكتاب المكنون،51/2، ت/علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيـروت ـ لبنان،ط/1/ 1414هـ، 1994م.

[3] - الواحدي: أسباب النزول، 85 .

[4] - سورة آل عمران: الآية/ 96.

المقدس أفضل وأعظم من الكعبة لأنه مهاجر الأنبياء وفي الأرض المقدسة وقال المسلمون : بل الكعبة أفضل، فأنزل الله هذه الآية"([1]) .

(ببكّة) اسم مكة: وهو لغة بإبدال الميم باء في كلمات كثيرة عدت من المترادف: مثل لازب في لازم، وأربد وأرمد أي في لون الرماد، وفي سماع ابن القاسم من العتبية عن مالك: أن بكة بالباء اسم موضع البيت ، وأن مكة بالميم اسم بقية الموضع، فتكون باء الجر هنا لظرفية مكان البيت خاصة"([2]).

ومما يندرج تحت هذا المستوى، الذي يمكن أن تعد أسباب النزول من تجاوبات الوحي ضمن إطاره المعرفي/ معرفة العوالم، ما ذكره البخاري في صحيحه في سبب نزول قوله تعالى: ﴿لا تَحْسبن الذِين يفْرحون بِما أَتَوْا ويحِبون أَنْ يحْمدوا بِما لَمْ يفْعلُوا فَلا تَحْسبنهمْ بِمفَازَةٍ مِن الْعذَابِ ولَهمْ عذَاب أَلِيم﴾ ([3])، قال:" أن رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، اعتذروا إليه وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت الآية"([4]).

السياق

إن سياق الآيات الأربعة الأولى من سورة آل عمران، يدلنا على أن الحديث كان عن القرآن الكريم، لذا فإن لفظ (الفرقان) الوارد في الآية الرابعة، يرتبط بعلاقة التبعية مع لفظ الكتاب في الآي الثانية، وهذا يعني منطقياً أنْ تتماسك الآية الرابعة مع الثانية، فذكر لفظة الفرقان هو تكرار:" ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارق بين الحق والباطل، بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيماً لشأنه وإظهاراً لفضله"([5]).

---

[1] - الواحدي: أسباب النزول،98،99.

[2] - ابن عاشور : التحري والتنوير: 161،160/3 .

[3] - سورة آل عمران: الآية/ 188.

[4] - صحيح البخاري: 14 / 26، حديث رقم (4190)، الواحدي: أسباب النزول ،115.

[5] - الزمخشري: الكشاف، 160/3.

استعمال (أم): ومما يتصل بالروابط والعلاقات التداولية في التواصـل، اسـتعمال العرب لـ (أم) المنقطعة، نحو: أعمرو عندك أم عندك زيد، فهذا ليس بمنزلة: أيهما عندك، ألا ترى أنّك لو قلت:أيهما عندك عندك، لم يستقم إلا على التكرير والتوكيد، فقال سيبويه مستشهداً على مثاله السابق:" وبمنزلة أم ههنا قوله عز وجل:"آلم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين. أم يقولون افتراه "، فجاء هذا الكلام على كلام العرب قد علم تبارك وتعالى وذلك من قولهم، ولكن هذا على كلام العرب ليعرفـوا ضلالتهم...

ومثل ذلك قوله تعالى: أم اتخذ مما يخلق بناتٍ وأصفاكم بالبنين ، فقد علـم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون: أن الله عز وجل لم يتخذ ولداً، ولكنـه جـاء حرف الاستفهام ليبصروا ضلالتهم. ألا ترى أن الرجل يقول للرجل: آلسعادة أحـب إليك أم الشقّاء؟ وقد علم أن السعادة أحب إليه من الشقاء، وأن المـسئول سـيقول: السعادة، ولكنه أراد أن يبصر صاحبه وأن يعلمه"([1]).

5- الموضوعات الرئيسة التي تناولتها مجموعة سور (الم) .

أ - القرآن الكـريم: وقد نصت آيات كثيرة من هذه السور على موضـوع القـرآن الكريم منها قوله تعالى: نَزلَ علَيْك الْكِتَاب بِالْحق مصدقًا لِما بـيْن يدْيـهِ وأَنْـزلَ التوْراةَ والإِنْجِيلَ ([2])، ويبدو عدم ارتباط الآية الثامنة بالآية السابعة، مـن حيـث كانت السابعة حديثاً عن الكتاب(القرآن)، ثم بدت منفصلة عن السابعة مـن خـلال الألفاظ التي شكّلت الآية الثامنة، بمجيئها مصدرة بالاسم المنادى(ربنا) المدعو؛ لأنه هو سبحانه وتعالى هو الهادي الرحمن الرحيم الوهاب، لكنّها ارتبطت بالآية قبلهـا برابط دلالي سيميائي الزامي، وهو أن المدعو المنادى هو الذي أنزل هذا الكتـاب الذي فيه الهداية التي هدي إليها من أنعم الله عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء، فدعوا ربهم بثبات قلوبهم على هذه الهداية، وطلب المغفرة والرحمة معها .

---

[1] - سيبويه: الكتاب، 173،172/3.

[2] - سورة آل عمران: الآية/3، وانظر الآيتين/8،7 من السورة نفسها .

ب- **العلم**: ويمثله قوله تعالى: ويمثّله قوله تعالى: ﴿إن الله لا يخْفَى علْيهِ شَيْء ِفي الْأرْضِ ولَا ِفي السماءِ* هو الِذي يصوركُمْ ِفي الْأرْحامِ كَيفَ يشَاء لا ِإلَـه ِإلا هـو الْعزِيز الْحكِيم﴾ ([1]).

ويتصل بهذا الموضوع موضوع (الغيب)، وقد استدلّ الألوسـي علـى هـذا الموضوع من سبب نزول قوله تعالى: ﴿إن الله عِنْده عِلْم الساعةِ وينَـزلُ الْغَيْـثَ ويعْلَم ما ِفي الْأرْحامِ وما تَدْرِي نَفْس ماذَا تَكْسِب غَدًا وما تَدْرِي نَفْـس ِبـأَي أَرْضٍ تَموتُ ِإن الله عِليم خَبِير﴾ ([2])، فذكر الحديث المروي عن عكرمة، قال:" إن رجـلاً يقال له الوارث بن عمرو جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد متـى قيام الساعة؟ وقد أجدبت بلادنا فمتى تخصب؟ وقد تركت امرأتي حبلى فما تلد؟ وقد علمت ما كسبت اليوم فماذا أكسب غداً؟ وقد علمت بأي أرض ولدت فبـأي أرض أموت؟ فنزلت هذه الآية"([3]).

د – **البعث واليوم الآخر:** ويتصل هذا الموضوع بموضوع الغيب من حي أنّه مـن المسائل الغيبية، ولا يعلم هذا إلا الله سبحانه وتعالى، لكنّه أمر واقع بحكـم اليقـين، فهو كالكتاب المنزل من الله سبحانه وتعالى لا ريب فيه، فلن يخاف الله وعده، قـال الله تعالى: ﴿ربنَا ِإنك جامِع الناسِ ِليوْمٍ لا ريْب ِفيهِ ِإن الله لا يخْلِفُ الْمِيعـاد﴾ ([4])، فعلى الرغم من عدم ارتباطها بالآية بعدها، إلا أن ارتباطها بها كان بـرابط ذهنـي ضمني، وهو العذاب الذي وعد الله به الكفار، وهو اليوم الآخر الذي ورد نكرة، ثم عرفَ تعريفاً متطابقاً بالجملة نفسها، التي وردت متعلقة بلفظة (الكتاب) فـي الآيـة الثانية من سورة البقرة، وبقطع النظر عن نوع هذا التعالق، سواء أكانت جملـة(لا ريب فيه صفة أو خبراً لاسم الإشارة (ذلك) أو خبراً للكتاب، فقد جاءت هذه الجملة مكررة لفظاً في هذه الآية، نافيةً عن ذاك اليوم، الظن والشك والوهم، فلم يبق شيء يرتاب فيه، بل بقي العلم واليقين بمجيء ذاك اليوم الموعود دون ريب، كمـا هـو

---

[1]- سورة آل عمران: الآيتان/5،6.

[2]- سورة لقمان: الآية/34.

[3]- الألوسي: روح المعاني،473/15، وانظر: الواحدي، أسباب النزول،289.

[4]- سورة آل عمران: الآية/9.

الحال مع الكتاب الحق المنزل من عند ا تعالى، فلا شك ولا ظن ولا وهـم فيـه، وبهذا النفي المطلق له بالتنزيه عن كل ريب، تبين أن الهداية فيه وهو سـببها، وا سبحانه وتعالى هو الذي أنزله، وهو المؤكد على ذاك الموعود الذي استبدل بجملـة (لا ريب فيه)، فالريب المنفي عن هذا اليوم الوارد في الآية، هو الريب نفسه المنفي عن الكتاب، لكن الكتاب متضمن الهداية وأسبابها، واليوم الموعود متضمن الثـواب للمهتدين، ففيه الجنة وما أعده سبحانه وتعالى فيها للمؤمنين، ومتضمن العذاب ومـا أعده ا للكافرين، ويلاحظ هنا أن الترابط بين سورتي البقرة وآل عمـران، هـو ارتباط بارز لفظاً ومعنىً، فقد قال ا تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ([1])، وقد بينت آية أخرى من سورة آل عمران وباللفظ نفسه، ما في ذاك اليوم للفريقين دون ظلم قال ا تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ([2]) .

كما تضمن قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ([3])، موضوع البعث واليوم الآخر؟

الخلق: ومن الآيات التي وردت في سورة العنكبوت وأشارت إلـى بدايـة الخلـق ونهايته وقد تضمنت هذه الآية اسم من أسماء ا الحسنى وهو (المبدىء)، قال ابـن عاشور:"ولم يجيء في أسمائه تعالى إلا المبْدِيء دون البادئ "([4]) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن سورة لقمان، قد انفردت هذه السورة عـن سـائر السور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة والسور القرآنية التي استهلت بـ ـ (الـم)، بموقعها من حيث ترتيب النزول بين هذه السور، فقبلها أربع عشرة سورة وبعـدها أربع عشر سورة، لكنها مع هذا التفرد في الحالتين لم تكن ثاني سور القـرآن مـن حيث ترتيب التلاوة، إذا ما عرفنا أن من بين الدلالات التي دلّت عليها هذه الحروف مجتمعة، كانت دلالة الإحاطة والشمول، تلك الدلالة التي تحصلت لنا ونحـن نقـف

[1]- سورة البقرة: الآية24 .

[2]- سورة آل عمران: الآية/ 25.

[3]- سورة آل عمران: الآية/ 19.

[4]- ابن عاشور: التحرير والتنوير،476/10.

على الخصائص الصوتية لهذه الحروف صفة ومخرجاً، وكذلك معاملة هذه الحروف الثلاثة معاملة الفعل على (فعل وأفعل) بمعنى جمع، ليأخذ الكتـاب بدلالـة هـذين الفعلين صفة (مجموع)، وإذا كانت هذه الدلالة (الإحاطة والشمول) وهذه الصفة لهذا الكتاب على أنه (المجموع) توحي أو تشير إلى إحاطة كلمات ا لفظاً ومعنىً بكـل شيء، فإن هذا المعنى قد أفصح عنه قول ا تعالى: ولَوْ أَنما فِـي الأَرْضِ مِـنْ شَجرةٍ أَقْلام والْبحْر يمده مِنْ بعْدِهِ سبْعةُ أَبحرٍ ما نَفِدتْ كَلِماتُ اللهِ إِن الـه عزيـز حكِيم (1) .

ويبدو ترتيب النزول علامة دالّة تنسجم مع دلالة الآية السابقة فتلتقيان لإفـادة معنى الإحاطة الشمول، وقد قال بعض المفسرين بدلالة (الـم) علـى أول الخلـق ووسطه وآخره.

6- الموضوع المحوري المركزي في مجوعة سور (الم)

الموضوع المحوري الذي تحدثت عنه مجموعة هـذه الـسور هـو إثبـات الوحدانية سبحانه وتعالى، الوحدانية في الألوهية والربوبية، وقد أشارت إليه الآية الأولى من سورة البقرة، من خلال دلالات الحروف التي استنطقناها، فدلّ (الألف)؛ عدداً ورسماً وابتداءً، على لفظ الجلالة (ا) سبحانه وتعالى، وعلى أسمائه الحسنى وصفاته كذلك، ومن (اللام) دلالة نفي وجود إله غير ا سبحانه وتعالى، فأثبتت له الألوهية والربوبية، ونفتها عن أحد سواه عز وجل، وكذلك دلالتها علـى الملكيـة، ودلالة الحرف على اسم من أسمائه الحسنى نحو: اللطيف، ومن الحـرف الثالـث (الميم) تأولنا أسماءً وصفات سبحانه وتعالى نحو: العليم، المجيد، مالك الملـك، القيوم، فها هي الحروف الثلاثة نفسها، تكررت فاستهلت بها سورة آل عمران، فإذا كانت تلك الدلالات واحدة في الآيتين منْ السورتين دون تصريح، فإن الآية الثانيـة من سورة آل عمران باعتبارها مفسره للآية الأولى (الم)، قد أبانت وأفصحت عـن بعض تلك الدلالات، إذ إن اسم الجلالة (ا) سبحانه عز وجل، قـد تـصدر الآيـة الثانية وتبعه باللفظ شهادة التوحيد بلفظها مباشرة (لا إله إلا هـو)، وتبـع شـهادة

1- سورة لقمان: الآية/ 27

التوحيد اسمان من أسمائه الحسنى، قال ا تعالى: الم* الله لا إِلَه إِلا هـو الْحـي الْقَيوم* نَزلَ علَيك الْكِتَاب بِالْحق مصدقًا لِما بين يديهِ وأَنْزلَ التوراةَ والإِنْجِيلَ ([1])، والاسمان (الحي القيوم) ينبآن عن كلّ ما يتصل بصفاته وقدرته التي لا يشركه فيها أحد، وفي هذا السياق نجد (سقراط) الفيلسوف يجعل هذين الاسـمين، خـصوصية وصف ا تبارك وتعالى نفسه بهما، قال:"إن أخص ما يوصف به الباري تعالى هو كونه: حياً، قيوماً؛ لأن: العلم، والقدرة، والجود، والحكمة، تندرج تحت كونه حيـاً، والحياة صفة جامعة للكل، والبقاء، والسرمد، والدوام، وحفظ النظـام فـي العـالم، تندرج تحت كونه قيوماً، والقيومية صفة جامعة للكل، وربما يقول: هو حي نـاطق من جوهره أي من ذاته، وحياتنا ونطقنا لا من جوهرنا؛ ولهذا يتطرق إلـى حياتنـا ونطقنا العدم والدثور والفساد، ولا يتطرق إلى حياته ونطقه تعالى وتقدس"([2])، ولعل هذا الذي قال به سقراط (الموحِد) إنْ جاز نعته بهذه الصفة، ينطبق على آية التوحيد من السورة نفسها، وهي قول ا تعالى: شَهِد الله أَنه لا إِلَه إِلا هو والْملائِكَةُ وأُولُو الْعِلْمِ قَائِما بِالْقِسطِ لا إِلَه إِلا هو الْعزِيز الْحكِيم ([3]).

ومما يتصل بموضوع الوحدانية ما جاء من آيات في سورة آل عمـران، وقـد وردت فيها ألفاظ ذات جذر لغوي واحد، فجاءت في تراكيب وصيغ متعددة؛ أسماءً وأفعالاً ومشتقات، مكونة كلمات نحو: الإسلام، المسلمون، أسلم، أسلمت، سلم، آمن، آمنوا، المؤمنين، يؤمنون...الخ، ويتصل بهذه الألفاظ ألفاظ (المستقيم، وما يشتق منه من أفعال مجردة ومزيدة، القيم، العدل، السوي، سواء)، وفسرت هذه الكلمات بمعنى التوحيد أو الوحدانية، وذلك بحسب موقعها في تراكيب الآيات التي جاءت في متنها أو بحسب السياق العام الذي وردت فيه، فمن هذه المعاني التي فسرت بها الكلمـات ذات الجذر (سلم أو أسلم)، ما أورده الأزهري في متن مادة (شكس) قـال:" وقـال الفراء: رجل شكس عكص، وقال الليث: الليل والنهار يتشاكسان أي يتضادان، وقول ا جل وعز:) ضرب ا مثلاً رجلاً فِيه شُركاء متَشَاكِسون ورجلاً سلَماً لرجلٍ هلْ

[1] - سورة آل عمران: الآيات: 1-3.

[2] - الشهرستاني: الملل والنحل: 122.

[3] - سورة آل عمران: الآية 18.

يسْتَويان مثَلاً، وتفسير هذا المثل أنه مصروف لمن وحد ا جل وعز ولمـن معـه شركاء، فالذي وحد ا مثله مثل السالم لرجل لا يشركه فيه غيره، يقال: سلم فـلان لفلان أي خاص له، ومثل الذي عبد مع ا غيره مثل صاحب الشركاء المتشاكسين، والشركاء المتشاكسون: العسرون المختلفون الذين لا يتفقون، وأراد بالشركاء الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون ا "([1]) .

وجاء ابن منظور بلفظ وضح به صفة صاحب القلب، اكتنفت بنيته الحـروف الأصلية الثلاثة من لفظة "سليم "، في قوله تعالى " إلا منْ أَتَى الله بقَلبٍ سـليمٍ " أي سليم من الكفر وقال أَبو إِسحق في قوله عز وجلّ " ورجلاً سلَماً لرجل"... والمعنى أَن من وحد الله مثَلُه مثَلُ السالم لرجل لا يشْرِكُه فيه غيره ومثَلُ الذي أَشرك اللـه مثَلُ صاحب الشركاء المتشاكسِين"([2])، والكفر ضد الإسلام، قال تعالى: قُلْ يا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعالَوْا إِلَى كَلِمةٍ سواءٍ بيْنَنَا وبيْنَكُمْ أَلا نَعْبد إِلا الله ولا نُشْرِك بِـهِ شَـيْئًا ولا يتخِذَ بعْضنَا بعْضًا أَرْبابًا مِنْ دون اللهِ فَإِنْ تَولوْا فَقُولُوا اشْهدوا بِأَنا مسْلِمون ([3]).

ومما يعضد محور التوحيد وحدة الأفعال الدالة والمؤكدة له، فا سبحانه تعالى هو الواحد الأحد الفرد الصمد، فدعا الأنبياء والرسل البشر إلى الإيمان به إلهاً واحداً ورباً واحداً، منذ سيدنا آدم عليه السلام أول الأنبياء إلى خاتم الأنبيـاء والمرسـلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، فا عز وجل الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية، رغم تجدد الزمان وتغير المكان، فالأفعال المسندة سبحانة وتعالى وحده دالّة على هذا المحور المركزي، والداعين المبلغين المنفذين لأوامر ا تعالى تجمعهم صـفة واحدة، هي صفة النبوة الأنبياء أو الرسل، وكانت وحدة الهدف والقصد عند جميـع الأنبياء والرسل، الهداية لما فيه خير البشرية، فبعث خير الخلق لتبليغ الناس ما هو خير لهم، ا الغني عن عبادة الخلق، الغني عن أي شريك، قـائم بنفـسه، (الحـي القيوم) .

[1] - الأزهري: تهذيب اللغة:313/3.

[2] - ابن منظور: لسان العرب (سلم).

[3] - سورة آل عمران: الآية/64، وانظر الآيات 79-85.

أولاً: الإقرار بالوحدانية   عز وجل، فمنْ أقر بهذا الأمر، أقر بأن: الخالق هو ا ، المحيي هو ا ، المميت هو ا ، الرازق هو ا ، الباعث هو ا ، الغفـور هـو ا ، الشفيع هو ا ، المعذب هو ا ، مدبر الأمر هو ا ، فهذه الأسماء والصفات الخاصة با عز وجل، أشارت وألمحت ورمزت إليها الحروف المقطّعة التي استهلت بهـا السور ذوات الحروف المقطّعة جميعها، ولقد كانت هذه الدلالة أو التأويل لها، أحـد التأويلات التي ذكرها بعض المفسرين، وهي كذلك إحدى الدلالات التي ذهبنا إليها، مع جملة الدلالات التي تأولها مفسرون عدة، أو تأولنا لها دلالات جديدة في ضـوء اعتبار أن هذه الحروف المقطّعة هي مقتطعة من كلمات وليست مقتطعة من كلمات معروفة حسب .

الزمان والمكان: المكان هو المكان(الأرض، المعاد حتى لو ارتقى العبد المخلـوق لمكان آخر (السماء)، أي هو المكان الذي يعبد ا َ فيه المخلوق المكلّـف، المـأمور بإقرار الوحدانية   تبارك وتعالى، والزمان بالنسبة لأي مخلوق مكلف بالعبادة، هو عمره الزمني المنقضي من الزمان، فا عز وجل هو منْ يملك المكـان والزمـان مطلقاً لا يحده مكان ولا زمان، إنما هو منْ يحد ويقيد المكان والزمان، فعبادة ا لا يحدها لا مكان ولا يقيدها زمان، وعبادة ا تعالى هي نفسها رغم تغيـر المكـان وتجدد الزمان، فلما كانت العبادة هي نفسها لمعبود واحد لا غيره سبحانه وتعـالى، فلا قيمة للمكان وللزمان مع ثبوت الربوبية والوحدانية   تعالى، ومع ثبوت العبادة إليه عز وجل، والمكان والزمان الذي عاش به وفيه منْ هم قبلنا ومنْ هم بعدنا إلـى أنْ يحدث ا أمراً كان مفعولاً، لا قيمة لهما في رؤية خـالق الزمـان والمكـان، :"كألف سنة مما تعدون"، :" إنّهم يرونه بعيداً ونراه قريباً "، ولقد دلّ تعالي الخطاب القرآني على عدم قيمتي الزمان والمكان في كثير من آيات السور القرآنية :" أتـى أمر ا فلا تستعجلوه "، وكأنه مقبل علينا ، كالبشير أو النذير الذي أقبل ونـود أن يستعجل ليحمل إلينا الخبر أو العلم الذي نتلهف لسماعه .

إن كلّ هذه الأحداث بزمنها ومكانها، وظّفتها نصوص هذه الـسور، لأجـل الموضوع المحوري المركزي، ألا وهو الإقرار   عز وجل بالوحدانيـة، الـذي تتحقق عند الإقرار به، لمنْ يحترم عقله فيتفكر لما حوله، كل المواضيع الرئيـسية

التي كانت أولاً، توظيفاً لأجله عند المتلقي المنكر الجاحد الكافر، بل إن من المتلقين المنكرين مَنْ يستدرجه النص القرآني، ليذكرهم بحقائق هم مؤمنون بها سلفاً، وهـي حقيقة الخلق؛ الإنسان، السموات والأرض، إنزال الغيث وإحياء الأرض بعد موتها، القصص للأمم السابقة ومصير الكفرة منهم، لتمثل موضوعاً رئيسياً يـؤول وهـو موضوع (الحياة بعد الموت (البعث)، وهو كذلك - بتوظيفه - إلى الإقرار بحقائق أخرى، ليتحقق بعقله وبصره وبفعله وعدمه، إلى الحقيقة المحورية الواحدة وهـي (الوحدانية) وتمثل كلّها مجتمعة في الأصل موضوعاً، فمنْ آمن بـأن ا واحـد لا شريك له، آمن بالبعث والحساب والجنة والنار ، فهـذه الموضـوعات والمحـاور الرئيسية، كانت هي الغالبة على نصوص السور ذوات الحروف المقطّعـة بـشكل خاص والسور المكية بشكل عام ، فهذه الموضوعات والمحاور كانت هي جـوهر المحتوى القضوي للأحداث الكلامية التي أنجزتها نصوص هذه السور، ولنقف على هذه الأحداث من خلال نماذج من الآيات التي تضمنتها أبنية مجموعة هذه الـسور (الـم) .

3.2 دلالات الحروف المقطّعة (المص).

أ - أسماء ا الحسنى:

(ا ، الواحد، الأحد، الفرد، الصمد، العليم، الأول، الآخر، الغنـي، اللطيـف، مالك الملك، المصور، المجيد)، وقد وردت هذه الأسماء في مواضع متفرقـة مـن السورة .

ب - الربوبية والوحدانية:

من الآيات التي تعزز هذه الدلالة المحورية قول ا تعالى:" إن ربكم ا الذي خلق السماوات والأرض"([1])، ورأى الرازي أن في هذه الآية علامات عديدة، فقال:" في هذه الآية بشارة عظيمة للعقلاء لأنّه قال:" إِن ربكُم ا الـذى خَلَـقَ الـسموات والأرض"، والمعنى أن الذي يربيكم ويصلح شأنكم ويوصل إليكم الخيـرات ويـدفع عنكم المكروهات، هو الذي بلَغ كمال قدرته وعلمه وحكمته ورحمته، إلى حيث خلق

---

[1]- سورة الأعراف: الآية :54 .

هذه الأشياء العظيمة، وأودع فيها أصناف المنافع وأنواع الخيرات، ومن كـان لـه رب موصوف بهذه الحكمة والقدرة والرحمة، فكيف يليق أن يرجع إلى غيره فـي طلب الخيرات أو يعول على غيره في تحصيل السعادات؟ ثم في الآية دقيقة أخرى، فإنّه لم يقل أنتم عبيده بل قال هو ربكم، ودقيقة أخرى وهي أنه تعالى لما نسب نفسه إلينا، سمى نفسه في هذه الحالة بالرب، وهـو مـشعر بالتربيـة وكثـرة الفـضل والإحسان، فكأنه يقول من كان له رب مع كثرة هذه الرحمة والفضل، فكيف يليق به أن يشتغل بعبادة غيره"([1]) .

ونجد في سورة الأعراف آيات أخرى تؤكد عل معنى التوحيد والربوبيـة وحده لا شريك له، منذ أنْ خلق ا سبحانه وتعالى الإنسان، إذ نجد فيها ما ينبئ عن دلالة التفصيل لحرف الصاد، قال ا تعالى: وإذْ أخَذَ ربـك مِـنْ بنـي آدم مِـنْ ظُهورِهِمْ ذُريتَهمْ وَأشْهدهمْ على أنْفُسِهمْ ألَسْتُ بِربكُمْ قالُوا بلى شَهِدْنَا أنْ تَقُولُوا يـوْم الْقِيامةِ إنا كُنا عنْ هذَا غَافِلِين*أوْ تَقُولُوا إنما أشْرك آباؤُنَا مِنْ قبْلُ وكُنا ذُريـةً مِـنْ بعْدِهِمْ أفَتُهْلِكُنَا بِما فَعلَ الْمبْطِلُون* وكَذَلِك نُفَصلُ الآياتِ ولَعلهمْ يرْجِعون ([2]).

ج ـ أفعال الأمر:

قال ا تعالى: ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قومِ اعبدوا ا ما لكم مـن إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ([3])، وهذا الدعاء مـن سـيدنا نـوح لقومه، هي الدعوة نفسها التي نصت عليها سورة البقرة، ولم تجئ على لسان أحـد من الرسل، بل جاءت دعوة من ا عز وجل لكل الناس، ثم حملها كل رسول إلـى قومه قبل محمد عليه الصلاة والسلام، الذي أرسل للناس كافة، فلزم الخطاب بـ ـ " يأيها الناس"، دون التخصيص بـ يا قوم، قال ا تعالى: يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقم والذين من قبلكم لعلكم تتقون...فلا تجعلوا أنداداً وأنتم تعلمـون ([4])،

---

[1] - الرازي: مفاتيح الغيب : 326/9.

[2] - سورة الأعراف: الآيات (172-174) .

[3] - سورة الأعراف: الآية:59.

[4] - سورة البقرة : الآيتين 21،22 .

وتفسير العبادة التي تضمنها وعبر عنها فعل الأمر (اعبدوا) بالوحدانية قال به ابـن عباس كما ذكر أكثر المفسرين.

د- الاستقامة: الألف من (الم، المص)، (مستقيم، استقم،فادعوه، سوي، عدل معتـدل ودلالة حرف الميم على مستقيم، باعتباره الحرف الأول المقتطع من (مستقيم).

هـ - الملكية: ومن دلالات حرف اللام: الملك، والنفي في إثبات الوحدانية، وكذلك دلالته على أسماء ا الحسنى نحو: الحي، القيوم، ومن دلالات حرف الصاد: اسـم ا عز وجل (المصور)، والاسم: صدرك، وبعض الأفعال التـي تـضمنت بنيتهـا حرف الصاد نحو:صورناكم، نفصل ...الخ.

بعد الوقوف على بعض دلالات الحروف المقطّعة السابقة، أذكر بعض الدلالات السيميائية للحروف المقطّعة، فمن هذه الدلالات، دلالة الحروف المقطّعة على أسماء ا الحسنى، ودلالتها على علم ا الذي أحاط بكل شيء، ودلالتها على اليوم الآخر، ودلالتها على الملك المطلق، فمن الآيات التي تدلّ على المعنى الأول المتأول قـول ا تعالى: وَلِلهِ الأَسْماء الْحسْنَى فَادْعوه بِها وذَروا الَذِين يلْحِـدون فِـي أَسْـمائِهِ سيجْزَوْن ما كَانُوا يعْملُون (1).

4.2 عناصر التماسك النصي في سورة الأعراف

أ- المناسبة بين عنوان السورة ومضمونها:

هذه السورة هي السورة المكية الأولى التي استهلت بأربعة حـروف مقطّعـة بحسب ترتيب التلاوة وهي (المص)، وقد :" نزلت بمكة إجماعاً "(2)، شكّلت هـذه الحروف الآية الأولى من السورة، وهذه السورة ..... بحـسب ترتيـب النـزول، وافترقت عن السور التي استهلت بـ (الم) بزيادة حرف الصاد، وعدت من الـسور الطوال لكثرة عدد آياتها، وانصرف اهتمام بعض المفسرين إلـى تأويـل الحـرف الرابع منها بشكل خاص، فرأوا أن وجوده رابعاً بعد (الم) جاء بسبب لفظة واحـدة

1- انظر: سورة الأعراف: الآيات: 180-187.

2- الفيروزأبادي: بصائر ذوي التمييز: 203/1 .

بدأت بحرف الصاد وهي كلمة (صدرك)، قال في البرهان:"وتأمل سورة الأعـراف زاد فيها (ص) لأجل قوله:" فلا يكن في صدرك حرج "([1])، وظاهر قول المفسرين هذا، هو الربط بين هذه السورة وسورة ألم نشرح، بينما كان اهتمـام ابـن عبـاس منصباً على تأويل الحروف كلّها بقوله(أنا ا ُأفصل) و (أنا ا أعلـم وأفـصل)، ومنهم من رأى أن الحروف الأربعة كلّها تدل على اسم من أسماء ا الحسنى وهو" المصور"، ولرصد المعاني التي يمكن تأولها من حرف الصاد بشكل خاص - إذ لا أجد ضرورة لتكرار دلالة الحروف الثلاثة قبله، فقد ذكرناها سـابقاً فـي تحليلنـا لسورتي البقرة وآل عمران - فلا بد من استقراء الكلمات التي تـصدرها حـرف الصاد أو وقع في بنيتها أصلاً من أصولها من جهة، ومنْ ثم اسـتقراء أسـماء ا الحسنى التي وردت في هذه السورة؛ إذ إننا نوافق من يذهب إلى أن هذه الحـروف هي حروف مقتطعة من أسماء ا الحسنى، وما قيل في هذه الحروف مـن معـانٍ أخرى، فقد ذكرنا أنها تؤول إلى هذا المعنى أو متضمنة في مجاله التصوري أيضاً، وهو أنّها حروف مقتطعة من أسماء ا الحسنى.

قال صاحب اللباب:" قال ابن عباس رضي ا عنهما:(آلمص): أنا الله أَفَصلُ، وعنه: أنا الله أعلم وأفَصلُ، وقال السدي رضي ا عنه:(آلمص) على هجاءِ قولنا في أسماء الله: سبحان المصور)، قال القَاضِي رحمه ا : ليس حمْلُ هذا اللفْظِ على قولنا: أنا ا أفصل أولى من حمله على قوله:(أنا الله أصْلِح)،(أنا ا أمتحن ، أنا ا أملك؛ لأنه إن كانت العبرةُ بحرفِ الصادِ فهو موجود في قوله: أنّا الله أصْلِح)، وإن كانت العبرةُ بحرف الميم فكما أنه موجود في العلم فهو أيضاً موجود في الملك، والامتحان، فكان حمْلُ قولنا: (آلمص) على هذا المعنى بِعيْنِهِ محض التحكم، وأيضاً فإنْ جاء تفسير الألفاظِ بناءً على ما فيها من الحروفِ من غير أنْ تكون تِلْك اللفظَةُ موضوعة في اللغَةِ لذِلك المعْنَى؛ انْفَتَحتْ طريقةُ الباطنية في تفـسير سـائر ألفـاظ القرآن الكريم بما يشَكِلُ هذا الطريق. وأما قولُ بعضهم: إنه من أسماء اللهِ - تبارك وتعالى - فأبعد؛ لأنه ليس جعله اسْماً لله أولى من جعله اسماً لبعض رسـلِهِ مـن

[1]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 170/1 .

الملائِكةِ ، أو الأنبياءِ - عليهم ، وعلى نبينَا أفضلُ الصلاة والسلام - ولأن الاسـم إنما يصير للمسمى بواسِطَةِ الوضْع والاصطلاح وذلك مفقود هنَا ، بـل الحـق أن قول:(آلمص) اسم لقب لهذه السورة الكريمة، وأسماء الألقابِ لا تفيد ههنا فائدة في المسميات، بل هي قائِمةٌ مقام الإرشاداتِ، وللهِ - تبارك وتعالى - سبحانه أن يسمي هذه السورةَ بقولـه (آلمص)، كما أن الواحـد مِنا إذا حدث له ولـد فإنـه يـسميه بمحمدٍ "([1]).

ينبئ اسم السورة (الأعراف) في الجانب المعرفي التداولي، أن التسمية به لـيس بالاسم الغريب الذي لا يعرفه العرب، قال ياقوت:" الأعرافُ: هي في الأصـل مـا ارتفع من الرمل الواحد عرفة. قال أبو زياد في بلاد العرب بلـدان كثيـرة تـسمي الأعراف منها أعراف لُبنى وأعراف عمرة قال: طُفيل بن عوف الغنوي:

جلبنا من الأعراف أعراف غمرة ... وأعراف لبِني الخيلَ من كل مجاب

وأعراف نَخل هضبات حمر في أرض سهلة، قال الراجز:

يا من لثَور لَهقٍ طواف ... أعين مشاءٍ على الأعراف

ويوم الأعراف من أيامهم وقد ذَكر عدة مواضع يقال لها عرفة في موضـعها ذُكرت، والأعراف اسم للجبل المشرف على قُعيقعان بمكة "([2])، وقـال الزبيـدي: والأعْرافُ: سور بين الجنةِ والنّار وبه فُـسر قولُـه تعـالى: ونـادى أَصْـحاب الأَعْرافِ ، وقالَ الزجاج:الأَعْرافُ: أَعالِي السور واخْتُلِفَ في أَصْحابِ الأَعْـرافِ فَقِيلَ: هم قَوْم اسْتَوتْ حسناتُهم وسيئاتُهم فلم يسْتَحِقوا الجنـةَ بالحـسناتِ ولا النـار بالسيئاتِ فكانُوا على الحِجابِ الذِي بين الجنةِ والنّار قالَ: ويجوز أَن يكـون معْنـاه وا أعلم: على الأَعْرافِ: على معْرفَةِ أَهْل الجنةِ وأَهْل النّار هؤلاءِ الرجالُ وقِيـلَ: أَصْحاب الأَعْرافِ: أَنْبِياء وقِيلَ: ملائِكةٌ على ما هو مبـين فـي كُتُـب التّفاسِـير، والأَعْرافُ من الرياحِ: أَعالِيها وأَوائِلُها وكذلك من السحابِ والضبابِ وهو مجاز([3]).

---

[1]- الحموي: ياقوت، معجم البلدان،150/1 .

[2]- ابن عادل: تفسير اللباب،259/7.

[3]- الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزبيـدي تاج العروس: تاج العروس من جواهر القاموس6017/1.

ولعل تأويل ابن عباس:" أنا الله أفصل " قد أنبأ عنه عنوان السورة نفسه، أي أن الأعراف هي المكان الذي فصل الله به للذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم وسموا بأصحاب الأعراف، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مكانه فسميت السورة به، لقوله تعالى: ونادى أصحاب الأعراف ، وكان هذا التساوي سبباً في عدم دخولهم الجنة أو النار، ففصل الله عز في أمرهم، ولما كان هذا الأمر البارز في السورة، اقتضى تسمية السورة باسم يشير إلى هذا الأمر البارز، فكان المكان "الأعراف" الاسم الأكثر ملائمة ومناسبة للسورة .

2- العلاقات والعناصر النحوية:

علاقة الإسناد: وهي أهم العلاقات النحوية الرابطة في هذا المستوى ، فإذا ما أردنا أنْ نؤكد على ارتباط الحروف المقطّعة (المص) بالآية التي بعدها، فإن المعنى الوظيفي الذي تؤديه هذه الحروف بحكم موقعها هو المبتدأ، والمعنى الذي تؤديه لفظة كتاب في مطلع الآية الثانية هو الخبر له، فبحكم علاقة الإسناد بين المبتدأ (المص) والخبر (كتاب) تم الارتباط بين الآيتين .

العطف: قوله تعالى:"أَوْ هُمْ قَائِلُون" من الآية: وكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاها فَجاءها بأْسنَا بياتًا أَوْ هُمْ قَائِلُون ([1])، عطفٌ عليه أي وقائلين من القيلولة نصفَ النهار كقوم شعيب ([2]).

الحذف: حذف واو العطف، قال تعالى:(أَوْ هُمْ قَائِلُون) قال أبو السعود في تفسيره: وإنما حذفت الواو من الحال المعطوفةِ على أختها، استثقالاً لاجتماع العاطفَين، فإن واو الحال حرفُ عطفٍ قد استعيرت للوصل لا اكتفاءً بالضمير، كما في جاءني زيد هو فارس فإنه غير فصيح"([3]).

حذف الفعل: ويتعالق مع الفعل المحذوف االجار والمجرور عند حذفه، ومنه تعالق الفعل قال السيوطي:" ومثال المتعلق بالمحذوف: وإلى ثمود أخاهم صالحاً الجار

---

[1] - سورة الأعراف: الآية/4.

[2] - ابو السعود: تفسير أبو السعود، 483/2.

[3] - ابو السعود: تفسير أبو السعود، 473/2.

والمجرور (إلى ثمود)، بتقدير: وأرسلنا، ولم يتقدم ذكر الإرسال، ولكن ذكر النبـي والمرسل إليهم يدلّ على ذلك"([1]).

التكرار: ومنه تكرار الفعل (قال) والجمل (فيها تحيـون، فيهـا تموتـون، منهـا تخرجون)، في قوله تعالى: قَالا ربنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسنَا وإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحمْنَا لَنَكُونَن مِن الْخَاسِرِين*قَالَ اهْبِطُوا بعْضكُمْ لِبعْضٍ عدو ولَكُمْ فِي الأَرْضِ مسْتَقَر ومتَاع إِلَـى حِينٍ*قَالَ فِيها تَحْيوْن وفِيها تَموتُون ومِنْها تُخْرجون ([2])، قالَ: أُعيد الاستئنافُ إمـا للإيذان بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى: قَالَ فَمـا خَطْـبكُمْ أَيهـا المرسلون إثر قوله تعالى: قَالَ ومن يقْنَطُ مِن رحْمةِ ربهِ إِلا الضالُّون وقولـه تعالى: قَالَ أَرأَيتَك هذا الذي كَرمْتَ علَى بعد قوله تعالى: قَالَ أَأَسْـجد لِمـنْ خَلَقْتَ طِينًا } وإما لإظهار الاعتناءِ بمضمون ما بعده من قوله تعالى: فِيها تَحْيوْن وفِيها تَموتُون ومِنْها تُخْرجون أي للجزاءِ كقوله تعالى: مِنْها خلقناكم وفِيها نُعِيدكُمْ ومِنْها نُخْرِجكُمْ تَارةً أخرى ([3]) .

العطف: ومنه عطف جملة على جملة، فجملة (وقالوا الحمد) عطفت على جملـة (أولئك أصحاب الجنة)، من قوله تعالى: والَذِين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وسْعها أُولَئِك أَصْحاب الْجنةِ همْ فِيها خَالِدون .

التوكيد: ومنه التوكيد بالمعنى، وجاء هذا النوع من التوكيد في قوله تعالى: قُـلْ إِنما حرم ربي الْفَواحِشَ ما ظَهر مِنْها وما بطَن والإِثْم والْبغْـي بِغَيْـرِ الْحـق وأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ ما لَمْ ينَزلْ بِهِ سلْطَانًا وأَنْ تَقُولُوا علَى اللهِ ما لا تَعْلَمون ([4])، قولـه: (بِغَيْرِ الحق) متعلق بالبغي مؤكد له معنى([5]).

البدل: قوله تعالى: قُلْ إِنما حرم ربي الْفَواحِشَ ما ظَهر مِنْها وما بطَـن والإِثْـم والْبغْي بِغَيْرِ الْحق وأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ ما لَمْ ينَزلْ بِهِ سلْطَانًا وأَنْ تَقُولُوا علَى اللهِ ما لا

---

[1] - السيوطي: الأشباه والنظائر: 224/2،225، ت/ عبدالعال مكرم سالم.

[2] - سورة الأعراف: الآيات (23-25).

[3] - أبو السعود: تفسير أبو السعود، 480/2.

[4] - سورة الأعراف: الآية/33.

[5] - أبو السعود: تفسير أبو السعود، 483/2.

تَعْلَمون ([1])، فجملة (ما ظَهر مِنْها وما بطَن) بـدلٌ مـن الفـواحش؛ أي جهرهـا وسرها"([2]).

التعميم: ومنه ما جاء في لفظة (والإثم)؛ أي ما يوجب الإثـم وهـو تعمـيم بعـد تخصيص، وقيل: هو شرب الخمر، (والبغى) أي الظلم أو الكِبْر ُأفرد بالذكر للمبالغة في الزجر عنه"([3]).

التخصيص: وجاء في قوله تعالى: وكَمْ مِنْ قَرْيةٍ َأهْلَكْنَاها فَجاءها بْأسنَا بياتًا َأوْ همْ قَائِلُون ([4]). قال أبو السعود :"وتخصيص الحالتين بالعذاب لما أن نـزولَ المكـروهِ عند الغفلة والدعةِ أفظع وحكايتَه للسامعين أزجر وأردع عن الاغترار بأسباب الأمن والراحةِ، ووصفُ الكل بوصفي البياتِ والقيلولة مع أن بعض المهلَكين بمعزل منهما لا سيما القيلولةِ للإيذان بكمال غفلتِهم وأمنِهم"([5]) .

الصفة والنعت:ومنه قوله تعالى: قليلاً ما تذكرون ([6])، قال أبو السعود:"وقلـيلاً نُصب إما بما بعده على أنه نعتٌ لمصدر محذوفٍ مقدمٍ للقصر، أو لزمـانٍ كـذلك محذوف"([7]).

الحصر: يفيد الحصر في الآية: وقَالُوا لَوْلا ُأنْزِلَ علَيْهِ َآياتٌ مِنْ ربهِ قُلْ إِنما الآَياتُ عِنْد اللهِ وإِنما َأنَا نَذِير مبِين ([8])، يفيد في تحقيق الموضوع المحوري المركـزي، الذي تدور حوله آيات سورة (العنكبوت)، قال ابن عاشور :"وأفادت "إنمـا" قـصر النبي عليه الصلاة والسلام على صفة النذارة، أي الرسالة لا يتجاوزها إلـى خلـق

---

[1] - سورة الأعراف: الآية/33.

[2] - أبو السعود: تفسير أبو السعود ، 483/2.

[3] - سورة الأعراف: الآية/33، وانظر: تفسير أبي السعود: 483/2.

[4] - سورة الأعراف: الآية/4.

[5] - ابو السعود: تفسير أبو السعود ، 483/2،482.

[6] - سورة الأعراف: الآية/3.

[7] - أبو السعود: تفسير أبو السعود 483/2.

[8] -سورة العنكبوت: الآية 50.

الآيات أو اقتراحها على ربه، فهو قصر إفراد رداً علـى زعمهـم أن مـن حـق الموصوف بالرسالة أن يأتي بالخوارق المشاهدة"([1]) .

التقديم والتأخير: قوله تعالى: ومَنْ خَفَتْ موازينُه فَأُولَئِكَ الَّذِين خَسِروا أَنْفُسهمْ بِمـا كَانُوا بِآياتِنَا يظْلِمون ([2])، فقوله: (وبآياتنا) متعلقٌ بيظلمون على تـضمين معنـى التكذيبِ، قُدم عليه لمراعاة الفواصل"([3]).

العلاقات والعناصر الدلالية:

أ ـ الإحالة الداخلية، إحالات الضمائر وتطابقها مع الذوات وتشمل:

الضمائر المحيلة إلى لفظ الجلالة:

نحن: وورد محذوفاً وقد شغل موقع المسند إليه في: أهلكناها، فلنسألن، فلنقصن، وما كنّا، مكناكم، وجعلنا، لقناكم، صورناكم، قلنا، أنزلنا، إنا جعلنا، نفصل الآيات، نجزي المجرمين، نجزي الظالمين، ونزعنا ما في صدورهم، فـاليوم ننـساهم، جئنـاهم، فصلناه، أرسلنا نوحاً، سقناه، فأنزلنا، فأخرجنا، ويتصل به ضمير المـتكلّم بـصيغة الجمع (نا) من بأسنا، بآياتنا([4]).

الضمائر المحيلة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام:

الكاف من(أنزل إليك، صدرك): ويحيل إحالة خارجية وداخلية ذاتية متطابقة، والإحالة الأولى بحكم السياق، والثاني للنبي الأمي، " أهمية الوصف ودلالتها، ولعل ذكر ضمير الخطاب بدلاً من التصريح به ومطابقته الذاتية للمحال إليه يؤدي معنـىً وظيفياً نحوياً يفيد التخصيص والحصر، وجاء الوصف(الأمي) للمحال إليه داخليـاً (النبي) مؤكداً لهذا التخصيص والحصر .

أنت: وجاء محذوفاً في: قل إن ا لا يأمر بالفحشاء أتقولون على ا مـا لا تعلمون ، وقول ا تعالى: قل أمر ربي بالقسط ([5]).

---

[1] - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 14/11.

[2] - سورة الأعراف: الآية/9.

[3] - أبو السعود: تفسير أبو السعود، 486/2.

[4] - انظر: سورة الأعراف: الآية/52، وانظر: أبو السعود: تفسيره، 493/2.

[5] - سورة الأعراف: الآيتان: 28،29.

ضميرا الفصل (هم) والجمع (الواو): وقد أحال الضميران إحالات ذاتية متطابقة؛ قبلية وبعدية متعددة، المفهوم من سياق الآيات، ومن ذلك ما جاء في الكلمات التالية في آيات سورة الأعراف:(دعواهم، جاءهم، قالوا، أرسل إليهم، عليهم، خسروا، كانوا، اتبعوا، ولا تتبعوا، قليلا ما تذكرون، مكناكم، خلقناكم، صورناكم(أنتم)، يظلمون، تشكرون.

إحالات أسماء الإشارة وتطابقها مع الذوات:

ضمير الغائب الذي يحيل إلى الكتاب (القرآن) :

الهاء من:" حرج منه "، ويحيل هذا الضمير إحالة قبلية متطابقة ذاتياً إلى لفظة (كتاب)، ورغم أنه جاء نكرة إلا أن الضمير دلّ على معرفته لاحقاً، وقد ذكر سيبويه أن الضمير أعرف المعارف، كما دلّ عليه السياق أيضاً فالمقصود هو الكتاب (القرآن) بقرائن متعددة: قرينة ذكر الحروف المقطعة قبله، وقرينة ذكر فعل الإنزال والمنزل عليه والمنذرين به .

وكذلك (الهاء) من (لتنذر به)، إذ أحال الضمير المجرور إحالة قبلية متطابقة ذاتياً إلى لفظة " كتاب".

الهاء: في قوله تعالى: وكَمْ مِنْ قَرْيةٍ أَهْلَكْنَاها فَجاءهـا بأْسـنَا بياتًـا أَوْ هـمْ قَائِلُون (4)، إذ أحال الضمير المنصوب الذي لحق الفعلين (أهلكناها و (فجاءها) إلى الاسم (قرية) إحالة ذاتية قبلية متطابقة.

التكرار بالمعنى: ومنه قول ا تعالى: اتبعوا ما أنزل إليكم ، والمنزل إليهم هو الكتاب (القرآن) الوارد في الآية الثانية: كتاب أنزل إليك ، وهذا القرآن هو سبب الهداية إلى الصراط المستقيم، قال ابن الزبير:" ... ولما تقدم في الأعراف قوله تعالى: واتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، والإشارة إلى القرآن؛ لأنّه يوضح الطريق إليه وهو الصراط المستقيم، قال تعالى: وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، والإشارة بهذا إلى المنزل قرآناً؛ لأنّه مبين للصراط المستقيم الذي طمع اللعين في الاستيلاء عليه وقطع سالكه فقيل عبارة عن مرامه من ذلك:" لأقعدن لهم صراطك

المستقيم"، إلى آخر المحكي من كلامه، ومراده: لأستولين لهم عليه"([1])، ويظهر من خلال هذا التكرار بالمعنى، مدى ارتباط هذه السورة بشكل عـام بـسورة البقـرة وغيرها من السور ذوات الحروف المقطّعة، وارتباط هذه الآية بشكل خاص بالآيـة الثانية من سورة البقرة:" ذلك الكتاب"، وارتباط الآيتين في السورتين بآخر آيتين من سورة الفاتحة .

ومنه قوله تعالى: يوم يبعثون ، وهو يوم القيامة أو اليوم الآخر، ونلاحـظ أن إبليس لعنه ا ـ عدو بني آدم ـ لم ينكر أمر البعث ويومه، وفي ذلك الإقـرار منه تأكيداً للكافرين على وقوع ذلك اليوم، وهو أشد عداوة لبني آدم، فكان الأولى أن ينكر هو مسألة البعث ووقت الحساب، لكنّه يعلم تمام العلم وقوعه الأمرين في وقت معلوم، وهذا ما فسرته الآيتان المكررتان لفظاً في سورتي الحجـر وص؛ قـال ا تعالى:" قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقـت المعلوم ".

ومن ضروب الاستبدال، الاستبدال الفعلي (تعبدون بـ ـ تـدعون)، وكـذلك الاستبدال الاسمي بين غير العاقل بالعاقل؛ أي استبدال (الأصنام بالاسم الموصـول (الذين) في قول ا تعالى: إِن الذِين تَدْعون مِنْ دون اللهِ عِباد أَمْثَـالُكُمْ فَـادْعوهمْ فَلْيسْتَجِيبوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِين (194) أَلَهمْ أَرْجلٌ يمْشُون بِها أَمْ لَهمْ أَيدٍ يبْطِـشُون بِها أَمْ لَهمْ أَعْين يبْصِرون بِها أَمْ لَهمْ آَذَان يسْمعون بِها قُل ادْعوا شُركَاءكُمْ ثُم كِيدون فَلَا تُنْظِرون (195) إِن ولِيي الله الذِي نَزلَ الْكِتَاب وهو يتَولى الصالِحِين (196) هو الذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدةٍ وجعلَ مِنْها زوْجها لِيسْكُن إِلَيْها فَلَما تَغَشَاها حملَتْ حمْلًا خَفِيفًا فَمرتْ بِهِ فَلَما أَثْقَلَتْ دعوا الله ربهما لَئِنْ آَتَيْتَنَا صالِحًا لَنَكُونَن مِن الشاكِرِين (189).

استبدل الفعل المضارع على وزن (تفعلون) بـ الفعل (تدعون) المطابق لزمن الفعل (تعبدون) وصيغة، إذ فُسر الفعل المستبدل به بمعنى العبـادة، ومـن المـصاحبات المعجمية للاسم (العبادة) الاسم (الوحدانية)، ولقد مر بنا تفسير ابـن عبـاس لفعـل

[1] - ابن الزبير : ملاك التأويل ،492/1.

الأمر (اعبدوا) في قول ا تعالى : يا أيها الناس اعبدوا ربكم ، بأن العبادة التـي عبر عنها الفعل (اعبدوا) هي بمعنى التوحيد أو الوحدانية .

المناسبة بين الآيات: يوضح البقاعي ترابط وتماسك الآيات من خلال هذا العنصر، عند تفسيره للجملة التالية للجملة التي قبلها في الآية نفسها، قال تعالى: فَـادْعوهمْ فَلْيسْتَجِيبوا لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صادِقِين ، بقوله:" ولما كان دعاؤهم لهم إنما هو على سبيل الإشراك، قال مشيراً إلى سفول رتبتهم بإثبات الجار:"من دون ا "؛ أي الـذي لـه صفات الكمال والعظمه والجلال (عباد أمثالكم) أي في العجز عن كل شيء، لا سيما عما وقع به التحدي من معارضة القرآن وغيرها، وأنتم تزيـدون عليهـا بالحيـاة والعقل، والمعبود لا يصح أن يكون مثل العابد فكيف إذا كان دونه؛ ولما كـانوا لا يسلمون أنهم أمثالهم، سبب عن ذلك أمرهم بدعائهم لبيان دعوى المثلية بل الدونيـة فقال:(فادعوهم) أي إلى شيء من الأشياء .

الربط بالفاء: قال البقاعي:"ولما كان الإله الحق يجيب وليه عند التحدي مـن غيـر تخلف، أشار إلى ذلك بالربط بالفاء فقال:(فليستجيبوا لكم)، أي يوجدوا لكم إجابة بينة في الإتيان بسورة تماثل شيئاً من القرآن وفي شيء من المنافع ".

الجمل المعترضة: قوله تعالى: اتبعوا ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ ربكُمْ ولا تَتبِعوا مِنْ دونِـهِ أَوْلِياء قَلِيلًا ما تَذَكرون (3) والجملة اعتـراض تـذييلي مـسوقٌ لتقبـيح حـال المخاطَبين([1])

الترتيب:

ومنه تقديم فعل الخلق على الأفعال بعده، في قول تعالى: ولَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُـم صورْنَاكُمْ ثُم قُلْنَا لِلْملائِكَةِ اسْجدوا لآدم فَسجدوا إلا إِبْلِيس لَمْ يكُنْ مِن الساجِدِين ([2]). قوله تعالى:"ولَقَدْ خلقناكم ثُم صورناكم"، تذكير لنعمة عظيمةٍ... وتأخيره عن تـذكير ما وقع قبله من نعمة التمكين إما لأنها فائضةٌ علـى المخـاطَبين بالـذات وهـذه بالواسطة، وإما للإيذان بأن كلا منهما نعمةٌ مستقلةٌ مستوجِبةٌ للشكر على حيالها، فإنّ

[1] - أبو السعود: تفسير أبو السعود،464/2.

[2] - سورة الأعراف: الآية/11.

رعايةَ الترتيبِ الوقوعي ربما تؤدي إلى توهم عد الكل نعمةً واحدةً كما ذكـر فـي قصة آدم"([1]).

ومن ضروب الترتيب الذي يختص به حرف الفاء في الأصل ويفيد التعليل: ما جاء في قوله تعالى: قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّـكَ مِـنَ الصَّاغِرِينَ ([2])، قال أبو السعود:" والفاء في قوله تعالى:(فاهبط مِنْها) لترتيب الأمر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الأمر وتعليله بالأباطيل وإصراره على ذلك، أي فاهبِطْ من الجنة"([3]).

ومنه قوله تعالى: أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا أي في الجنة أو في زمرة الملائكة، تعليـلٌ للأمر بالهبوط فإن عدم صحةِ أن يتكبر فيها علةٌ للأمر المذكور ، وقوله تعالى:(إنك مِن الصاغرين)، تعليلٌ للأمر بالخروج مشعر بأنه لتكبره، أي مـن الأذلاء وأهـل الهوان على ا تعالى وعلى أوليائه لتكبرك"([4]).

ومنه قوله تعالى: اخرج منها مذؤماً مدحوراً ،إذ هو سبب لقوله:" لأقعـدن لهم " بهدف إخراجهم من الجنّة بأفعالهم التي زينّها لهم إلى النار، فكان العقاب مـن جنس الفعل؛ فأخرجه ا من الجنة إلى النار، لأنه عصا ا عز وجل ولـم يمتثـل لأمر السجود.

المناسبة بين دلالات الجمل ودلالات الكلمة (الاسم): الإجابة بصفته ولي أمر تقـع الإجابة التي يجب عليها حملها لأنه ولي أو والي (ولي الأمر)، تدبير الأمور الملقاة عليه، فهو بمعنى الخليفة، وهذا المعنى تكرار للاسم (الخليفة):" إنـي جاعـل فـي الأرض خليفة، وهو استبدال للمخلوق العاقل (الإنسان)، فلا يطلق هذا الاسم إلا على عاقل.

---

[1] -أبو السعود: تفسير أبوي السعود:478/2.

[2] - سورة الأعراف: الآية/ 13.

[3] - أبو السعود: تفسير أبوي السعود: 481،480/2،

[4] - المرجع نفسه: 481،480/2.

المصاحبات المعجمية:

للمصاحبات المعجمية دور مهم في ترابط النص وفهمه بشكل مستقل، وفي ترابطه وتماسكه مع غيره من النصوص التي يشكل معها نصاً واحداً بشكل عام أيضاً، ومن المصاحبات المعجمية التي أدت دور الترابط والتماسك بين نص الأعراف ونصوص السور ذوات الحروف المقطّعة الأخرى لفظة (حرج)، إذ إن سبب الحرج قد يكون مبعثه الريب أو الشك، ولعل الباعث أصلاً لهما- كما يبدو- ما يقال على مسمع النبي عليه الصلاة والسلام أو ما ينقل إليه- من طعن في ما يوحى إليه بقصد التشكيك به، وحمل النبي عليه الصلاة والسلام على الشك به، وليس مصدر الحرج شكّه عليه الصلاة والسلام فيما يوحى إليه به، لذلك كان توجه الخطاب القرآني بالاستهلال بهذه الحروف المقطعة ولا سيما كثرتها في السور المكية، وذكر القرآن الكريم بعدها والاحتجاج له، والتأكيد على مصدر نزوله، والمواضيع المحورية التي تناولتها هذه السور بشكل خاص والسور المكية بشكل عام، جاء مناسباً لبدء الدعوة، وتسلية وتثبيتاً للداعي إلى الدين الجديد، فكان الاختيار للفظة (حرج) بدلاً من: فلا يكن في صدرك ريب أو شك أو ضيق، أولى لفعل التنزيل وهدف إنزاله من جهة، وسر إنزاله إليه وحده بشكل مخصوص، بدلالة حرف الخطاب المحيل إليه إحالة ذاتية متطابقة، فالكتاب منزل من ا وقد نفى عنه الريب مسبقاً، والرسول عليه السلام متيقن من هذا، لكن المقام- كما يبدو- دعا إلى ذكر النهي عن الحرج تسلية له عليه السلام وتأكيداً وتثبيتاً لما هو عليه، وعدم المبالاة بما يقع على نفسه، والإعراض عما يختلج صدره من تعرض له ولدعوته وعدم مبالاة قومه له، إذا ما عرفنا أن أمر الدعوة والدين الجديد ما يزال في بدايته، ولا سيما والسورة من السور المتقدمة في النزول في مكة مكان بدء الوحي، ولعل معنى هذه الآية مرتبط بمعنى الآية التي نزلت في أول سورة استهلت بحرف مقطّع وهي سورة القلم - وفيها الإشارة إلى عدم الانصياع والمبالاة لما يقوله الكافرون، قال تعالى: ودوا لو تدهن فيدهنون ، وقوله تعالى: ما أنت بنعمة ربك بمجنون وقوله تعالى: ليزلقونك لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون ، ومتصل كذلك مع قول ا تعالى: ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، ومرتبط كذلك مع كلّ آية

تحتج للقرآن الكريم وتنوه بعربيته، وفي هذا السياق للمصاحبات المعجمية وتـرابط معنى هذه الآية: فلا يكن في صدرك حرج منه بغيرها من الآيـات التـي ورد فيها لفظ الشك والريب، يذكر الزمخشري ما نصه في تفسيرها "، أي: شـك منـه كقوله: فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك ، وسمي الـشك حرجـاً؛ لأن الـشاك ضيق الصدر حرجه، كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه، أي: لا تشك في أنـه منزل من ا و تحرج من تبليغه؛ لأنّه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم، فكان يضيق صدره من الأداء ولا ينبسط له، فأمته ا ونهاه عـن المبـالاة بهم"([1])، وليس ما ذهب إليه الزمخشري ـ فيما يظهر ـ يفيد وقوع الشك عند النبي عيه السلام أو أنْ يسند الشك له، بل جاء للتمثيل، فتفسيره للآية التي نزلت في سورة يونس ينفي هذا الإسناد، ويجعله على سبيل الفرض والتخييل، بقوله:" فـإن قلـت: كيف قال لرسول ا صل ا عليه وسلم: فإن كنت في شك مما أنزلنا إليـك ([2]) مع قوله:" وإنهم لفي شك منه مريب " قلت: فرق عظيم بين قوله:" وإنهم لفي شـك منه مريب " بإثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق، وبين قوله:" فإن كنت في شك " بمعنى الفرض والتمثيل.."([3])، لا يعني هذا نقض معنى الـشك الـذي أورده الزمخشري للحرج، فالحرج لم يكن مصدره شك النبي عليه السلام، إنما مـصدره شك وتكذيب قومه به وتشكيك الرسول صلى ا عليه وسلم به أيضاً .

الجمل المعترضة: للجمل المعترضة دور مهم في إضافة معلومات تفيد فـي فهـم التراكيب، قال تعالى: والذِين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ لا نُكلفُ نَفْـسًا إِلا وسْـعها أُولَئِك أَصْحاب الْجنةِ همْ فِيها خالدون ، فجملة (لا نُكلفُ نَفْسًا إِلا وسْـعها) جملـة معترضة بين المبتدإ والخبر، للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع، وهو الإمكان الواسع غير الـضيق مـن الإيمان والعمل والصالح .

[1] - الزمخشري: الكشاف : 478،479، خرج أحاديثه وعلّق عليه/خليل مـأمون شـيحا، دار المعرفة، بيروت- لبنان، ط/2005،1426،3م.

[2]- سورة الأعراف: الآية،94.

[3] - الزمخشري: الكشاف، 473.

علاقة الحالية: التي أفادت المتلقي مع إفادته بالحال التي يكون عليها اتساق النّظام يقتضي أن تكون جملة: "تجري من تحتهم الأنهار" حالاً من الضمير في قوله: " هم فيها خالدون "([1]) .

العلاقات والعناصر والتداولية:

معرفة العوالم: يندرج ضمن معرفة العوالم ما يسمى بالمعارف المشتركة عند المرسِل والمتلقي، ولقد صرح النص القرآني (الرسالة) بمعرفة المتلقي بهذه المعرفة ونوعها، وهذه المعرفة هي معرفة الكافرين (اليهود والنصارى) بالنبي صلى ا عليه وسلّم، وهذه المعرفة كتابية موثقة في كتبهم التي أنزلت على أنبيائهم، قال ا تعالى: النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل فبلّغ كلّ نبي منهم قومه بها، فقد أخذ ا ميثاقاً عليهم بهذا التبليغ، كما نصت على ذلك الآية من سورة آل عمران قال ا تعالى: وإذ أخذ ا ميثاق النبيين ([2]).

وفي هذا السياق الدلالي التداولي نجد البقاعي يتحدث عن موضوع (الوحدانية) من خلال تفسيره لهذه الآية وربطه للآيات بعنصر (المناسبة) المفهوم من كلامه، قال :"ولما كان اتباع من يدعي أنه أعقل الناس وأبعدهم عن النقائص وأعرقهم في معالي الأخلاق وأرفعهم عن سفسافها لمن هذا سبيله أخزى الخزي وأقبح العار، وكانوا مع العلم بهذا الذي وصفت به - معبوداتهم يفعلون في الإشراك بهم وفي خوفهم ورجائهم ما هو عين الجهل؛ كرر تبكيتهم باتباعهم في أسلوب آخر أوضح مما قبله في تبيين النقائص والتنبيه على المعايب ملجىء إلى الاعتراف أو التصريح بالعناد أو الجنون فقال مؤكداً: (إن الذين تدعون) أي أيها المشركون دعاء عبادة ملازمين لذلك، أو أنه أطلق الدعاء على العبادة إشارة إلى أنه لا تصح عبادة من ليس فيه قابيلة أن يدعى، والحاصل أن الدعاء يلازم المعبود"([3]).

السياق:إن السياق العام الذي يمكن رصده من نص سورة الأعراف، هو الحديث عن موضوعات ومحاور عظيمة ظاهرة وغائبة دلت عليها دلائل أم لم تدل، وجاء

---

[1] - سورة الأعراف: الآية،42 .

[2] - سورة الأعراف: الآية/157.

[3] - البقاعي: نظم الدرر، 197/2 .

الكلام عنها وعن غيرها مفصلاً تفصيلاً، وهذا التفصيل ينسجم مع تفسير ابن عباس لـ (المص) أنا ا أفصل، ولقد أفصحت الآية التالية من السورة نفسها عن تفسير ابن عباس، قال ا تعالى: وكَذَلِكَ نُفَصلُ الْآياتِ ولَعلهمْ يرْجِعون ، كما أن طريقة الإثبات والتأكيد على كل مسألة أو محور منها، كان خلال دلائل وتعليل لكل ما يتصل بها، يؤيد ويحكم لهذه الأدلة مدة إحداثها وثبات موقعها، وانتظام أنظمة ما يتصل بها من ظواهر، دون أن تتعارض مع المعارف العامة والمكتسبة لدى المتلقين، وهذه المحاور إنما وظّفها النص القرآني لمحور الوحدانية تعالى، ومن الآيات التي أكّدت لهذا المحور وأوجبت على المتلقي تحقيقه كما أقر به العقل والعلم والمعرفة.

فهذه الآية استندت إلى الجانب المعرفي الذي جاء به المستوى التداولي لفهم النص، أكّدت الآية: إِن ربكُم الله الَذِي خَلَقَ السماواتِ والأَرْض فِي سِتةِ أَيامٍ ثُم اسْتَوى علَى الْعرْشِ يغْشِي اللَّيلَ النهار يطْلُبه حثِيثًا والشمْس والْقَمر والنجوم مسخراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَه الْخَلْقُ والأَمْر تَبارك الله رب الْعالَمِين (1)، إذ إن هذه الآية أمر كان متحصلاً ومعروفاً عندهم سابقاً، وهو أن ربهم هو ا ، وليس في الغيب والوجود رباً غيره، لكنّهم اتخذوا أرباباً من دونه، ومن ثم ذكّر هم بما عندهم من معارف سابقة قد سمعوها، وهي أن ا هو الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما، وذكر معها ما يؤكد الربوبية وحده، وجعلت هذه الأدلة على وحدانية ا تعالى صلة لاسم الموصول (الذي) ووقع هذا الاسم صفة للفظ الجلالة (ا)، ويبدو أن الرازي قد أشار إلى هذه المعارف التي توفرت لهم بقوله:" أنّه سبحانه ذكر في أول التوراة أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، والعرب كانوا يخالطون اليهود والظاهر أنهم سمعوا ذلك منهم فكأنه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الأوثان والأصنام، فإن ربكم هو الذي سمعتم من عقلاء الناس أنه هو الذي خلق السموات والأرض على غاية عظمتها ونهاية جلالتها في ستة أيام(2).

1- سورة الأعراف: الآية/54.

2- الرازي: مفاتيح الغيب:348/9.

التقديم والتأخير:

يتصل هذا العنصر النحوي بالمستوى التداولي من خلال تقديم للفـظ الجلالـة (ربكم) في بنية الآية السطحية بعد تحويلها عن بنيتها العميقة التي توجب تقديم لفظ الجلالة (ا) قبل دخول (إن)، هو تؤكد بهذا المبنى المحول وما تضمنه من معـانٍ ظاهرة أو صامتة مصوتة، على المحور الرئيسي وهو التوحيد، ا ربكم ، إن ربكم ا ، فأدت (إن) دورها بوقوعها في الآية المحولّة، من خلال التأكيد على ما اسـتقر عندكم من معارف الشرائع السابقة، بأن ربهم حقاً هو ا أولاً دون أن يذكر صفته، ومن ثم جيء بذكر الصفة التي تلزمهم بحسب معرفتها لهم سابقاً، بأن الذي خلَق في ستة أيام السماوات والأرض وما بينهما، هو ا رب العالمين الذي دعا إلى توحيده القرآن الكريم، الذي أنزله على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، فـلا رب ولا إلـه قبله ولا بعده، فما من شيء خُلِقَ ويخْلَق من الخلق إلا هو خالقه، " ألا له الخلـق"، ففي ضوء المستوي النحوي الحديث القديم (نحو الجملة، النحو التوليدي التحـويلي) والمستوى التداولي الحديث القديم (معرفة العوالم) البلاغي والأسلوبي، استثمر نحو النص ـ الاتجاه الجديد في دراسة النصوص وتحليلها ـ معطيـات هـذه العلـوم وغيرها التي تفيد في تحليل النص الأدبي وفهمه، فأشركها معه لفهم المعاني الجزئية والكلية لأبنية النص الصغرى والكبرى أيضاً .

المقابلة: استثمر الرازي معطيات أصل من أصولي الفقه والنحـو وهـو القيـاس، ليدخل النظير المماثل لنظير آخر- بقطع النظر عن تباين حجم أحدهما عن الآخر- ليدخله مخلوقاً تحت الآية السابقة، بدليل أن الخالق لهما واحـد قـال: " واعلـم أن الخلق عبارة عن التقدير، فإذا دللنا على أن الأجسام متماثلة وجب القطع بـأن كـل صفة حصلت لجسم معين، فإن حصول تلك الصفة ممكن لسائر الأجسام، وإذا كـان الأمر كذلك كان اختصاص ذلك الجسم المعين بتلك الصفة المعينة خلقاً وتقديراً فكان داخلاً تحت قوله سبحانه:" إِن ربكُم ا الذي خَلَـقَ الـسموات والأرض "، وقـال االرازي:"اعلم أنّا بينا أن مدار أمر القرآن على تقدير هذه المسائل الأربـع، وهـي التوحيد والنبوة والمعاد والقضاء والقدر، ولا شك أن مدار إثبات المعاد على إثبـات التوحيد والقدرة والعلم، فلما بالغ ا تعالى في تقرير أمر المعاد عاد إلى ذكر الدلائل

الدالة على التوحيد، وكمال القدرة، والعلم، لتصير تلك الـ دلائل مقـ ررة لأصـ ول التوحيد، ومقررة أيضاً لإثبات المعاد"([1]).

التعريف والتنكير: ويدخل التعريف ضمن إطار هذا المستوى التداولي، من خلال ما يقدمه (التعريف) من معلومات ومعارف مشتركه بين طرفي العملية التواصلية، مما يعزز الترابط المفهومي للمعلومات الواردة بين أجـ زاء الـ نص، فـ أداة التعريـ ف (أل)أفادت العهد الذكري والعهد الذهني، وخير ما يمكن أنْ نستشهد به لهذا العنصر التداولي الذي يسهم في انسجام النص وترابطه وتماسكه، قوله تعالى: الَّذِين يتبِعون الرسولَ النِبي الأُمي الَّذِي يجِدونَه مكْتُوبًا عِنْدهمْ فِي التَّوْراةِ والْإِنْجِيل ([2])، وكـ ذلك دور التعريف في التماسك النصي، بين السور ذوات الحروف المقطّعة مجتمعـ ة - خاصة في دلالة الحروف المقطّعة وارتباط القرآن بها مباشـ رة، وعلاقـ ة القـ رآن الكريم بالمنزل عليه وصفته المذكورة في هذه السورة بشكل صريح، وبمعنى آخـ ر الوقوف من خلال هذا العنصر، على الدلالة المشتركة بسبب هذا التلازم بين النبـ ي الأمي عليه السلام وصفاته، وبين القرآن الكريم واستهلاله بالحروف المقطّعـ ة، أي هل في هذا التعريف والنعت أو الصفة لهذا النبي الأمي والقرآن الموحى إليه، ومـ ا ذكر من معارف مشتركة بين طرفي عملية الاتصال، ما يدلل على أن في الإحالـ ة لهذه الحروف إحالة خارجية سياقية، وكذلك إحالة اسم الإشارة الوارد في أول سورة (الم* ذلك الكتاب)، وإفادة (ال التعريف في الكتـ اب) العهـ د الـ ذكري والـ ذهني، والحضوري أيضاً، والعلامة المستفادة من:" لا ريب فيـ ه "، تـ دل وتحيـ ل إحالـ ة خارجية إلى الكتاب المحفوظ، بحكم دخولها ضمن الإطر المعرفية الخلفية للمخاطب في مستواها التداولي، وجاء الفصل بشكل صريح ومؤكد من خلال قولـ ه تعـ الى:" النبي الأمي ..."، ولم يوصد الخطاب القرآني طريـ ق الهدايـ ة والرحمـ ة، أمـ ام المخاطب المنكر الذي لديه المعرفة الخلفية بالنبي الأمي وصفاته وصـ فات كتابـ ه الموحى به إليه:" مصدقاً لما معهم"، قال ا تعالى: وإِذَا قِيلَ لَهمْ آَمِنُوا بِما أَنْزلَ الله

---

[1] - الرازي: مفاتيح الغيب:349/9،349. .

[2] - سورة الأعراف: الآية/157.

قَالُوا نُؤْمِن بِما أُنْزِلَ علَيْنَا ويكْفُرون بِما وراءه وهو الْحق مصدقًا لِما معهمْ قُلْ فَلِـم تَقْتُلُون أَنْبِياء اللهِ مِنْ قَبلُ إِنْ كُنْتُمْ مؤْمِنِين (1)، ولا موصـداً أيـضاً البـاب أمـا المخاطب الجاهل لها بحكم ما يقدمه النص من أدلة وبراهين وآيات، كفيلة وحـدها على أنْ تلزمه بإتباع هذا النبي الأمي وما يدعو إليه، قال ا تعالى: واكْتُبْ لَنَا فِي هذِهِ الدنْيا حسنَةً وفِي الآخِرةِ إِنا هدْنَا إِلَيْك قَالَ عذَابِي أُصِيب بِهِ منْ أَشَاء ورحْمتِـي وسِعتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسأَكْتُبها لِلَّـذِين يتقُـون ويؤْتُـون الزكَـاةَ والَّـذِين هـمْ بِآَياتِنَـا يؤْمِنُون*الَّذِين يتبِعون الرسولَ النبِي الْأُمي الَّذِي يجِدونَه مكْتُوبًا عِنْدهمْ فِي التـوْراةِ والإِنْجِيل يأْمرهمْ بِالْمعْروفِ وينْهاهمْ عن الْمنْكَر ويحِل لَهم الطيباتِ ويحرم علَـيْهِم الْخَبائِثَ ويضع عنْهمْ إِصْرهمْ والأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ علَيْهِمْ فَالَّذِين آَمنُوا بِهِ وعـزروه ونَصروه واتبعوا النور الَّذِي أُنْزِلَ معه أُولَئِك هم الْمفْلِحون (2) .

ويدخل ضمن هذا المستوى التداولي المعارف المعلومة المتداولة بـين النـاس التي لا ينكر معرفتها أحد منهم، وهي من المعارف التي يعتمد عليها المتلقـي فـي حياته اليومية، وقد جاء قول ا تعالى: إِن الَّذِين كَذبوا بِآَياتِنَا واسْتَكْبروا عنْهـا لا تُفَتح لَهمْ أَبواب السماءِ ولا يدْخُلُون الْجنةَ حتى يلِج الْجملُ فِي سم الْخِيـاطِ وكَـذَلِك نَجْزِي الْمجْرِمِين (3).

فالمعارف من خلال ظاهر الألفاظ التي في الآية، هي في الحقل الاسـتعمالي، نحو: الجمل، سم الخياط، وهو الثقب الضيق في أعلى الإبرة، ويسمى (الخرت)، فلا مندوحة تُجوز لمتلقٍ بأنْ يتساءل عن (الجمل) جاهلاً به، فهو معروف من الـسائل والمسؤول، بل إن المسؤول ليستهجن السائل، فكانت المعرفة الكاملة بحجم الفـراغ للمكان الذي سيشغله الجمل وهوبحجم خرت الإبرة، مما يفيد بعدم دخول الكـافرين الجنة ألبتة .

حتّى يلج: انتهاء غاية، والغاية في هذه الجملة لا نهاية لها، لما تضمنه الحرف (حتّى) من معنى الشرط الذي لن يتحقق البتة في حكمنا المعرفي، ليس لحجم الإبرة

1- سورة البقرة: الآية،91.

2- سورة الأعراف: الآيتان: 157،156.

3- سورة الأعراف: الآية،45 .

حسب، بل معرفتنا بحجم الثقب الذي يتخللها فيشغل فراغاً مكانياً، وهو الفراغ الذي يحتاج إلى دقيق نظر خبير في الصنعة، بأنْ يُدْخلَ خيطاً رفيعاً يعرف درجة سماكته الرفيعة الحائك الخبير، من ثقب بحجم هذا الخيط الرفيع، فلا مقارنة بين حجم الجمل وحجم الخيط، فلما كانت المقابلة بين حجم الإبرة نفسها وحجم الجمل غير واردة ولا يقبلها العقل، فكيف سيقبل العقل مسألةً إنْ تحقق جزء منها ؟ وهو فعـل الولـوج لا الدخول، فما حدوثه إلا ضرب من اللامعقول، الذي لن يتحقـق إلا إذا شـاء ا ، فدخول الكفار الجنة من الاستحالة بمكان كاستحالة ولوج الجمل فـي سـم الخيـاط جزاءً لكفرهم، وكان بمقدورهم النجاة من العذاب ومن الخلود في النّار، إذ كلّ مـا يحملهم على هذه النجاة كان ميسراً لهم، فباستعمال النص القرآني ما لدى المتلقـين من معارف، فقد راعى سائر أحوال جميع المتلقين، فالجمل والإبرة يعرفهما جميـع المتلقين من غير مفاضلة بين مستوياتهم المعرفية، وبهذا اتجهت الآية إلى الجانـب العرفي الاستعمالي للمسند والمسند إليه، الذي تطاول أثره إلى الجملة التكملة (الذيل) المحمول الرئيسي في الآية .

ولقد سبق الزمخشري والنّحاس وابن عاشور علماء النص المحدثين، في الإفادة من معطيات المستوى التداولي في تماسك النص وترابطه وفهمه، وذلك من خـلال المعاني والدلالات الملفوظة وغير الملفوظة، التي يستفيد منها المتلقي في فهم النص، فلقد صـرحوا بمعرفـة العـوالم تلـك، وهـم يفـسرون الآيـة الـسابقة، قـال الزمخشري:"...وعن ابن عباس رضي ا عنه: إن ا أحسن تشبيهاً من أن يـشبه بالجمل، يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة، والبعير لا يناسبه؛ إلاّ أن قراءة العامة أوقع لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك، يقال: أضيق مـن خرت الإبرة، وقالوا للدليل الماهر: خِريت، للاهتداء به فـي المـضايق المـشبهة بأخرات الإبر، فقيل: لا يدخلون الجنة، حتى يكون ما لا يكون أبداً من ولـوج هـذا الحيوان الذي لا يلج إلاّ في باب واسع، في ثقب الإبرة، وعن ابن مسعود أنه سـئل

عن الجمل، فقال: زوج الناقة، استجهالاً للسائل، وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف"([1]) .

وقال النحاس:"...والمعنى لا يدخلون الجنة ألبتة، والعرب تستعمل أمثال هذا كثيراً، وسئِلَ عبد ا بن مسعود عن الجمل، فقال: هو زوج الناقة، كأنّه استجهل من سأله عما يعرفه الناس جميعا "([2]) .

وقال ابن عاشور:" فقد جعل لانتفاء دخولهم الجنّة امتداداً مستمراً، إذْ جعل غايته شيئاً مستحيلاً، وهو أن يلج الجمل في سم الخياط ، أي لو كانت لانتفاء دخولهم الجنّة غايةٌ لكانت غايتُه ولوج الجْمل وهو البعير في سم الخِياط، وهو أمر لا يكون أبداً...والجمل: البعير المعروف للعرب، ضرب به المثل؛ لأنّه أشهر الأجسام في الضخامة في عرف العرب... والقرآن أحال على ما هو معروف عند النّاس من حقيقة الجمل وحقيقة الخِياط، ليعلم أن دخول الجمل في خَرْت الإبرة، محال متعذّر ما داما على حاليهما المتعارفين"([3]) .

وقد حمل عبد الفتاح الحموز الانزياح في قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهم، لقوله تعالى:" ولا يدخلون الجنّة حتى يلج الجملُ في سم الخياط"، بضم الجيم وفتح الميم مشددةً، حمله على المبالغة، فقال:" ويتبدى لي أن هذا الانزياح ينبئ عن مبالغة، وهي مبالغة تكمن في ولوج الجمل سم الخياط، على أن الجملَ جمْع جامِل، والجامِلَ جمْع جملٍ(اسم جمع)، ويعزز هذا القول قراءة ابن عباس وغيره (الجملُ) على أنّه جمع جملٍ، وقراءته وقراءة غيره (الجمْلُ) على أنه مخفف من الجمل، على الرغم من أن قراءة الجمل) أكثر إنباءً عن المبالغة، وعن تحدي ا سبحانه وتعالى لهؤلاء"([4]).

ومن ضروب المستوى التداولي استعمال الفعل والاسم (فطر، فاطر ، فطرة): أنا فطرتها...الخ، فطرة ا التي فطر الناس عليها، قال ا تعالى: فَأَقِمْ وجْهك

---

[1] - الزمخشري: الكشاف، 230/2.

[2]- النحاس: معاني القرآن:35/3.

[3] - ابن عاشور: التحرير والتنوير:299/5.

[4]- الحموز: انزياح اللسان العربي الفصيح والمعنى:4.

ِللدين حنِيفًا فِطْرةَ اللهِ التِي فَطَر الناس علَيها لا تَبدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِك الدين القَيم ولَكِن أَكْثَر الناسِ لا يعلَمون [1]، ويلاحظ تعالق المستوى الدلالي والتداولي في هذه الآية، من حيث دلالة الحروف المقطعة (الم) في سورة الروم وغيرها، على أفعال الأمـر والصراط والمستقيم، ودلالة الفعل (فطَر) على أول الابتداء في الفعل، وهو متعـالق دلالياً مع دلالة الألف سيميائياً على الأول، بعده أحد أسماء ا الحـسنى المتأولـة لحرف الألف.

الموضوع المحوري المركزي في سورة الأعراف (المص).

مما يتصل بالموضوع المحوري المركزي في هذه الـسورة، الـدلالات التـي أفضت بها الحروف المقطّعة بدلالاتها على معنى الوحداينة أو التوحيد، باعتبار هذا المحور هو الموضوع المركزي، ولعلّ عبـد ا دراز قـد لمـس هـذه الوحـدة الموضوعية المحورية، وهو يتحدث عن نقطة الانطلاق أو النواة التي يدور حولهـا نظام الإقناع القرآني بقوله:" ونعتقد أن نقطة الانطلاق والنواة التي يدور حولها نظام الإقناع القرآني تنحصر في هذه الفكرة الرئيسية: وهي أن صانعاً يتصف بالكمـال المطلق والقوة المطلقة، والخير المطلق خلق كلّ شيء في الوجود، وأخضعه لإرادته خضوعاً مطلقاً، وسر نجاح هذه الفكرة، أنّها من ناحية: تنسجم تماماً مـع الوحـدة الدينية التي يستهدف الإسلام إعادتها من جديد إلى الوجود، حيث إن الفرقة لا تنـشأ إلا في التعدد [2]، ومن ناحية أخرى فإن سمو هذه الفكرة فـوق كـلّ الاعتبـارات الضيقة في الديانات المختلفة، تذكّر الناس بالحقيقة الخالدة التي عرفوهـا أو التـي يسهل عليهم معرفتها، والواقع أنّه حتّى العرب المشركين كانوا يعترفون بوجود إلـه أعظم، خالق للكون ومدبر لشؤونه...ولا يرجع هذا الاعتراف فقط إلى بعض الآثار المحفوظة عندهم من ديانة إبراهيم وإسماعيل، وإنّما توجد نواته في أعماق الـنفس الإنسانية، ولكن هذا التوحيد الأول أو هذه الديانة الفطرية ـ كما يسميها القـرآن ـ

[1] - سورة الروم: الآية/30.

[2] - انظر الآية (64 من سورة آل عمران، والآية (46) من سورة العنكبوت .

لم تكن إلا فكرة نظرية محجوبة ومغمورة في الواقع تحت معتقدات وعبادات كانت تؤدى إلى عدد لا يحصى من الآلة"([1]).

ومما يتصل بالموضوع المحوري، ما جاء من كلمات وجمل نحو: أسـماء ا الحسنى، الأمة، تؤمنون با ، وهي تتماس مع سائر الألفاظ والجمل والفقرات التي وردت في نصوص السور ذوات الحروف المقطّعة الأخرى، فمن الكلمـات التـي جاءت في سورة آل عمران كلمة (أمة) التي أُضيفت إلى أفعل التفـضيل (خيـر)، الدالة على أمة الإسلام، التي فضلها ا سبحانه وتعالى هذه على سائر الأمم، قـال ا تعالى: كُنْتُمْ خَيْر أُمةٍ أُخْرِجتْ لِلناسِ تَأْمرون بِالْمعْروفِ وتَنْهوْن عن الْمنْكَـر وتُؤْمِنُون بِاللهِ ولَوْ آمن أَهْلُ الْكِتَابِ لَكان خَيْرًا لَهـمْ مِـنْهم الْمؤْمِنُـون وأَكْثَـرهم الْفَاسِقُون ([2])، كما جاءت الآية معرضة بالكافرين أيضاً، ثم تلت هذه الآيـة آيـات تستثني منْ آمن حقاً من أهل الكتاب، فاليهودي الذي أسلم لموسـى عليـه الـسلام والمسيحي الذي اسلم لعيسى عليه السلام، أسلموا بالفطرة التي فطروا عليها، واتبعوا أمر أنبيائهم الذين جاءوا بالدين الحق، قال ا تعالى: لَيسوا سواءً مِنْ أَهْل الْكِتَابِ أُمةٌ قَائِمةٌ يتْلُون آياتِ اللهِ آنَاء اللَّيْل وهمْ يسْجدون* يؤْمِنُون بِاللـهِ والْيـوْمِ الْـآخِر ويأْمرون بِالْمعْروفِ وينْهوْن عن الْمنْكَر ويسارعون فِـي الْخَيْـراتِ وأُولَئِـك مِـن الصالِحِين ([3]) .

وفي سورة الأعراف آياتُ تفصل لبعض الموضوعات المحورية، التي شـكلّت أبنية صغرى وكبرى فـي نـصوص الـسور ذوات الحـروف المقطّعـة، وهـذه الموضوعات تؤول في خاتمتها إلى الموضوع المحوري المركزي، وقد اشتملت في بنيتها على لفظة الأمة وغيرها من الألفاظ التي تدلّ على الوحدانية، قال ا تعالى: ولِكُل أُمةٍ أَجلٌ فَإِذَا جاء أَجلُهمْ لا يسْتَأْخِرون ساعةً ولا يسْتَقْدِمون*يا بنِي آدم إِمـا يأْتِينكُمْ رسلٌ مِنْكُمْ يقُصون علَيْكُمْ آياتِي فَمن اتقَى وأَصْلَح فَلا خَوْفٌ علَيْهِمْ ولا هـمْ يحْزنُون*والَذِين كَذبوا بِآياتِنَا واسْتَكْبروا عنْها أُولَئِـك أَصْـحاب النـار هـمْ فِيهـا

---

[1] - دراز: مدخل إلى القرآن الكريم، 73،74 .

[2] - سورة آل عمران: الآية 110.

[3] - سورة آل عمران: الآيتان،113،114 .

خَالِدون*فَمنْ أظْلَم مِمن افْتَرى علَى اللهِ كذِبًا أوْ كذب بِآياتِهِ أُولئِك ينَالُهمْ نَصِيبهمْ مِن الْكِتَابِ حتى إِذَا جاءتْهمْ رسلُنَا يتَوفَّوْنَهمْ قَالُوا أَين ما كُنْتُمْ تَدْعون مِنْ دون اللهِ قَـالُوا ضلوا عنا وشَهدوا علَى أَنْفُسِهِمْ أَنهمْ كانُوا كافِرِين ([1])، فمن الموضوعات المحورية التي أشارت هذه الآيات في المعنى، وتعد موطناً للاستشهاد، محور الوحدانية الدال عليه دلالة لزوم، أسماء ا الحسنى المتضمنة في جملة (فإذا جـاء أجلهـم)، فـا سبحانه وتعالى هو المحيي وهو المميت، وكذلك موضوع تصديق الرسل وما جـاء معهم، فقد تضمنته جملة (رسل منكم يقصون عليكم آياتي)، وكذلك موضوع البعـث والحشر والحساب الذي تضمنه جملة (أولئك أصحاب النار)، كما تـضمنت الآيـة الأخيرة الالتفات إلى الموضوع المحوري المركزي، وهو إثبات الوحدانية سبحانه وتعالى من خلال جملة (قالوا أين ما كنتم تدعون من دون ا)، ويلاحظ المتلقي من خلال الدلالة النسبية بعض المعاني، التي تتصل بقسم من المعاني المتأولة للحروف المقطّعة ومنها: ا ؛ الأول، الآخر، الفرد الصمد، المحيي، المميت، الوحدانية، اليوم الآخر، أفعال الأمر: اتق، أصلِحْ)، والحال كذلك في الاستثناء لمن آمن مـن قـوم موسى، وأفاد هذا الاستثناء حرف الجر التبعيضي (من)، قال ا تعالى: قُلْ يا أَيها الناس إِني رسولُ اللهِ إِلَيكُمْ جمِيعًا الَّذِي لَه ملْك السماواتِ والْأَرْضِ لا إِلَـه إِلا هـو يحْيِي ويمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ ورسولِهِ النبِي الْأُمي الَّذِي يؤْمِن بِاللهِ وكَلِماتِهِ واتبِعوه لَعلَّكُمْ تَهْتَدون* ومِنْ قَوْمِ موسى أُمةٌ يهْدون بِالْحق وبِهِ يعْدِلُون ([2])، وبين سبحانه وتعالى مصير الأمة التي تنهى عن السوء ومصير منْ لم ينه عنه، قـال ا تعـالى: وإِذْ قَالَتْ أُمةٌ مِنْهمْ لِم تَعِظُون قَوْمًا الله مهْلِكُهمْ أَوْ معذبهمْ عذَابًا شَدِيدًا قَالُوا معْذِرةً إِلَـى ربكُمْ ولَعلهمْ يتقُون*فَلَما نَسوا ما ذُكروا بِهِ أَنْجيْنَا الَّذِين ينْهوْن عن الـسوءِ وأَخَـذْنَا الَّذِين ظَلَموا بِعذَابٍ بئِيسٍ بِما كانُوا يفْسقُون*فَلَما عتَوْا عنْ ما نُهوا عنْـه قُلْنَـا لَهـمْ كُونُوا قِردةً خَاسِئِين ([3]).

---

[1] - سورة الأعراف:الآيات ، 34-37 .

[2] - سورة الأعراف: الآيتان:158،159.

[3] - سورة الأعراف: الآيات: 164-166.

5.2 تناص سورة الأعراف مع سائر السور ذوات الحروف المقطّعة.

قال تعالى: قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12)، وهذه الآية تمثل تناصاً لسورة الأعراف مع سورة البقـرة بحسب ترتيب المصحف، وفسر أبو السعود هذه الآية، تفسيراً يتعالق مع ذكرها في قصة آدم وإبليس في سورة البقرة وسورة الحجر وسورة (ص) وغير هذه الـسور أيضاً، "(قَالَ) استئنافٌ مسوقٌ للجواب عن سؤال نشأ من حكاية عدمِ سجود، كأنـه قيل: فماذا قال ا تعالى حينئذ؟ وبه يظهر وجه الالتفاتِ إلى الغَيبة إذ لا وجه لتقدير السؤال على وجه المخاطبة، وفيه فائدةٌ أخرى هي الإشعار بعـدم تعلـق المحكـي بالمخاطَبين كما في حكاية الخلْق والتصوير، (ما مَنَعكَ أَلا تَسْجُدَ)؛ أي أن تسجد كما وقع في سورة ص، و (لا) مزيدةٌ مؤكدةٌ لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في قوله تعالى: لّئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الكتاب ، منبهةٌ على أن الموبخَ عليه ترك السجود، وقيـل: الممنوع عن الشيء مصروفٌ إلى خلافه فالمعنى ما صـرفك إلـى أن تـسجد،(إِذْ أَمَرْتُكَ) قيل: فيه دِلالةٌ على أن مطلقَ الأمرِ للوجوب والفور، وفي سورة الحِجْـر: قَالَ يإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَكُونَ مَعَ الساجدين ، وفي سورة ص: مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ، واختلافُ العبارات عند الحكايةِ، يدلّ على أن اللعين قد أدمج في معصية واحدةٍ ثلاثَ معاصٍ؛ مخالفةَ الأمرِ ومفارقةَ الجماعةِ، والإباءِ عن الانتظـام في سلك أولئك المقربين، والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام، وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها، لكن اقتُصر عند الحكاية في كل موطنٍ على ما ذكر فيه اكتفاءً بمـا ذكر في موطن آخر وإشعاراً بأن كل واحدةٍ منها كافيةٌ في التوبيخ وإظهار بطـلان ما ارتكبه، وقد تُركت حكايةُ التوبيخ رأساً في سورة البقرة وسورة بنـي إسـرائيلَ وسورة الكهفِ وسورة طه"([1]). ويبدو أن هذا الترك بقرينة ذكره في سور أخـرى غير التي ذكرها أبو السعود، هو أحد الشروط التي وضعها علماء الـنص للـنص الظاهر المعلن، وهذا الترك يقابل شرط الاقتصاد في النص.

---

[1] - أبو السعود، تفسير أبو السعود،480/2.

الفصل الثالث

الســـور ذوات الحــروف المقطعة

(الر، المر، كهيعص، طه، يس)

1.3 السور ذوات الحروف (الر، المر)

السور القرآنية التي استهلت بهذه الحروف الثلاثة (الــر) خمس سور، وهي بحسب ترتيب التلاوة (يونس، هود، يوسف، إبـراهيم، الحجـر)، لـذا سـنتناولها بالدراسة والتحليل في هذا الفصل الذي خُصص لها، بالإضافة إلى دراسة وتحليـل سورة (الرعد) معها – آخر السور ذوات الحروف المقطّعة نزولاً حـسب ترتيـب النزول – التي اشتمل الاستهلال بها على الحرف الأخير من هذه المجموعة وهـو حرف (الراء)، وعلى الحرف الأخير (الميم) من مجموعة السور التي استهلت بـ ـ (الم)، التي درسناها قبل مجموعة هذه السور، وستكون دراسة سورة الرعد – على الرغم من وقوعها حسب ترتيب التلاوة متقدمة على سورتي (إبراهيم والحجر) – ـ الدراسة الأخيرة لسور هذه المجموعة، وذلك للوقوف على العلامات التي يمكـن أنْ ينبئ عنها نزولها آخر السور ذوات الحروف المقطّعة، وكمية الحروف التي استهلت به، ومكان نزول السورة كذلك.

1- دلالة الحروف المقطّعة في هذه السور

وردت آيات كثيرة في مجموعة هذه السور قد أكّدت للدلالات التي تأولناه لهذه الحروف، وهذه الدلالات أكتفِي بذكرها مع ذكر الآية التي تدل عليها علـى النحـو التالي:

أ- أسماء ا الحسنى: وهي من جملة التأويلات التي قال بها بعـض المفـسرين وغيرهم، وهو التأويل الذي ارتضيناه بشكل عام للحـروف المقطّعـة؛ إذ إن كـلّ التأويلات الأخرى التي قيلت في هذه الحروف – كما يبدو- تؤول بنسب منها إليها، أو تتصل معها بمعنى من المعاني، ومن أسماء ا الحسنى التي جاءت في نصوص سور هذه المجموعة (ا ، السميع، العليم، الكبير، المتعال).

ب- الوحدانية: من الآيات التي تؤكد على محور الوحدانية من خلال ذكـر لفظـة الربوبية والألوهية، وما جاء بعدهما من أفعال مسندة إلى لفظ الجلالة جاءت صـلة للموصول (الذي)، نحو أفعال: الخلق وتدبير الأمر والاستواء، وكذك فعـل الأمـر (اعبدوا) الدال على معنى الوحدانية كما ذكر ذلك بعض المفسرين، قال تعـالى: ﴿إن ربكُم الله الذِي خَلَقَ السماواتِ والأرْض فِي سِتةِ أيامٍ ثُم اسْتَوى على الْعرْشِ يـدبر الْأَمْر ما مِنْ شَفِيعٍ إلا مِنْ بعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُم الله ربكُمْ فَاعْبدوه أَفَلا تـذَكرون﴾ ([1])، قـال الرازي:" اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم تعجبـوا مـن الـوحي والبعثـة والرسالة، ثم إنه تعالى أزال ذلك التعجب بأنه لا يبعد ألبتة في أن يبعث خالق الخلق إليهم رسولاً يبشرهم على الأعمال الصالحة بالثواب، وعلى الأعمال الباطلة الفاسدة بالعقاب، كان هذا الجواب إنما يتم ويكمل بإثبات أمرين: أحدهما: إثبـات أن لهـذا العالم إلهاً قاهراً قادراً نافذاً الحكم بالأمر والنهي والتكليف. والثاني: إثبات الحـشر والنشر والبعث والقيامة، حتى يحصل الثواب والعقاب اللذان أخبـر الأنبيـاء عـن حصولهما، فلا جرم أنه سبحانه ذكر في هذا الموضع ما يدل على تحقيـق هـذين المطلوبين. أما الأول: وهو إثبات الإلهية، فبقوله تعالى: ﴿إن ربكُم ا الـذى خَلَـقَ السموات والأرض﴾. وأما الثاني: وهو إثبات المعاد والحشر والنشر. فبقوله: ﴿إِلَيْهِ مرْجِعكُمْ جمِيعاً وعْد ا حقًّا﴾ ([2])، فثبت أن هذا الترتيب في غاية الحـسن، ونهايـة الكمال"([3]).

ومن الآيات التي جاء لفظ الجلالة (ا) مصرحاً به، ودلّت معه على الإقـرار له بالوحدانية المطلقة، قوله تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ يا أَيها الناس إِنْ كُنْتُمْ فِـي شَكٍ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبد الذِين تَعْبدون مِنْ دون اللهِ ولَكِنْ أَعْبد الـه الـذِي يتَوفـاكُمْ وأُمِرْتُ أَنْ أَكُون مِن الْمؤْمِنِين* وأَنْ أَقِمْ وجْهـك لِلـدين حنِيفًـا ولا تَكُـونَن مِـن

---

[1]- سورة يونس: الآية/3، وانظر الآيتين بعدها/4،5.

[2]- سورة يونس: الآية/4 .

[3]- الرازي: مفاتيح الغيب:200/8 . .

الْمشْرِكِين* ولا تَدْع مِنْ دون اللهِ ما لا ينْفَعك ولا يضرك فَإِنْ فَعلْتَ فَإِنك إِذًا مِـن الظالِمِين (1) .

كما بانت دلالة الوحدانية في أوائل سورة إبراهيم، جاء في تفـسير البقـاعي لأوائل سورة إبراهيم:"ولما كان النور مجملاً، بينه على سبيل الاستئناف أو البـدل بتكرير العامل فقال:(إلى صراط العزيز) الذي تعالى عن صفات النقص فعز عن أن يدخل أحد صراطه الذي هو ربه، أو يتعرض أحد إلى سالكه بغير إذنـه (الحميـد) المحيط بجميع الكمال، فهو المستحق لجميع المحامد لذاته وبما يفيض على عباده من النعم التي يربيهم ويتحمد إليهم بها على كل حال ، فكيف إذا سلكوا سبيله الواضـح الواسع السهل! . ولما أضاف طريق النجاة إلى وصفين يجوز إطلاق كل منهما على الخلق، بينهما باسمه الشريف العلم على الاستئناف في قراءة نـافع وابـن عـامر بالرفع. وعلى أنه عطف بيان في قراءة الباقين بالجر لأنه جرى مجـرى الأسـماء الأعلام لاختصاصه بالمعبود بحق ووصفه بما اقتـضى توحيـده، فقـال:(ا) أي المحيط علماً وقدرة (الذي له ما في السماوات) أي الأجسام العالية مـن الأراضـي وغيرها، ولما كان في سياق الدلالة على الخالق وإثبـات توحيـده ، أكـد بإعـادة الموصول مع صلته فقال:"وما في الأرض" أي فويل لمن أشرك به شيئاً منهمـا أو فيهما ، فإنه لا أبين من أن ما كان مملوكاً لا يصلح لأن يكون شريكاً."(2) .

ج- الصراط المستقيم:

الألف: من (الر)، وقد مر تأويلها بدلالتها على الصراط المستقيم من خلال رسـمها في (الم/ البقرة)، ومن الآيات الي تعزز هذا التأويل قوله تعالى:" والله يدْعو إِلَى دارِ السلَامِ ويهْدِي منْ يشَاء إِلَى صِراطٍ مسْتَقِيمٍ""(3).

د- أفعال الأمر: من أفعال الأمر التي تتعالق فيها دلالة الألف والراء من (الر) فعـل الأمر: اذكر: وهو خطاب للرسول صلى ا عليه وسلّم لتذكير المشركين في مكـة، بما لاقاه الأقوام السابقون الذين كذبوا رسولهم وكفروا با العظيم... (وقـد ارتـبط

1- سورة يونس: الآيات (104- 106) .

2- البقاعي: نظم الدرر،587/3.

3- سو رة يونس: الآية/25.

هذا الفعل ودلالاته مع كلّ فعل أو محتوى قضوي فيه تذكير مـن الرسـول عليـه السلام لقومه، ويتصل هذا المعنى بقوله تعالى: إنـا أرسـلناك هاديـاً ومبـشراً ونذيرا .

ومن أفعال الأمر التي جاءت في هذه السور دالّة على الوحدانية، قوله تعـالى في سورة يونس: فَاعْبدوه أَفَلا تَذَكرون ، في سورة هود: اعبدوا ا ما لكم مـن إله غيره ([1])، كما جاءت في سورة الأعراف (4) مرات، ومـرتين فـي سـورة المؤمنون/23، 32. (9) مرات، و(7) في السور ذوات الحروف المقطّعـة، وهـذه الدلالات متعالقة مع دلالة الآية التي جاءت في سورة البقرة، إذ إن قوله تعالى:" يـا أَيها الناس اعْبدوا ربكُم الَذِي خَلَقَكُمْ والَذِين مِنْ قَبلِكُمْ لَعلكُمْ تَتقُـون "([2])، فـالمحتوى القضوي للجملتين واحد وهو الإقرار بالوحدانية والعبودية سبحانه وتعالى وحده، فجاء الإجمال في آية البقرة وفُصل في مواضع كثيرة من الـسور ذوات الحـروف المقطّعة، من خلال الجمل التي تبادل فيها المسند والمسند إليه مواقعهما نحـو:(ا ربكم) و(ربكم ا).

وفي سياق موضوع الوحدانية سبحانه وتعالى، التي تجاذبتها ألفاظ الألوهية والربوبية والعبادة، وتجاذبتهـا كـذلك دلالات الحـروف المقطّعـة الـسيميائية أو العلامتية، ولا سيما دلالة حرف (الألف) على أنّه أول حرف قد اُقتُطِـع مـن لفـظ الجلالة (ا) ومن جميع أسمائه الحسنى، ودلالتها على اسمه الأول بـشكل خـاص باعتبار حرف الألف رقماً هو أول الأرقام العددية (1)، ودلالته على اسمه (الغني) بانفصالها واستغنائها عن الحروف المقطّعة بعدها، ودلالتها على الصراط المـستقيم بشكلها المرسوم (المستقيم المعتدل) باعتبارها أيقونة، ودلالتها على أفعـال الأمـر باعتبار أن أفعال الأمر – ما خلا بعض أفعال منها – قد ابتدأت بحرف الألف، ولا سيما نزول أول لفظ من ألفاظ القرآن تنزيلاً، هو فعل الأمر (اقرأ)، وكـذلك تـردد عدد من أفعال الأمر التي تتعالق مع معنى الاستقامة لفظاً ومعنىً، نحو(استقم) فـي

[1] - سورة هود: الآيات (51،61، 84).

[2] - سو رة البقرة: الآية/21.

قوله تعالى: فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ([1]).

هـ - الإشارة إلى الرسل :

هناك ترابط بين عنوان السور وحرف (الراء)، حتّى أن سورة الحجر التي لم تسم باسم أحد من الرسل قد اشتملت على هذا الحرف، وهذه الدلالات كلّها، تؤول إلى الدلالة الأولى وهي دلالة الحروف المقطعة على أنها حروف مقتطّعة من أسماء الله الحسنى، فالله سبحانه وتعالى هو الواحد الفرد الصمد، الخالق، الرازق الآخر، إليه المصير، وهو مرسل الرسل والأنبياء ... بحكم الدلالة اللفظية وغير واللفظية؛ دلالة التضمن ودلالة الإلتزام، ما عدا الدلالات السيمائية المتعددة .

7- الإنذار التحذير التذكير: إن الكلمات التي في بنيتها حرف الراء تحتمل أن تكون من دلالات هذا الحرف، فدلالة هذه الكلمات ودلالة فعل الأمر (اذكر)، هي منسجمة ومتعالقة بنسب منها، مع أسماء الرسل عليهم السلام التي جاءت أسماءً أو عنوانات لسور هذه المجموعة، فهم مبشرون برحمة الله وما أعده الله لمن آمن به واتبعهم، ومنذرون من عذابه من كفر بالله .

2- عناصر التماسك النصي

أ- العلاقات والعناصر النحوية .

الحذف: ومنه حذف المبتدأ والخبر: قد يحذف أحدهما إنْ قُدر الآخر، فمن هذا الضرب، ما جاء في قوله تعالى: مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ([2])، ذكر القرطبي أن النحاة اختلفوا في رفع " مثل " في قوله تعالى:"مثل الجنة التى وعد المتقون"، فقال سيبويه: ارتفع بالابتداء والخبر محذوف، والتقدير: وفيما يتلى عليكم مثل الجنة، وقال الخليل: ارتفع بالابتداء وخبره " تجري من تحتها الأنهار " أي صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار، كقولك: قولي يقوم زيد،

[1]- سورة هود: الآية/112 .

[2]- سورة الرعد: الآية/35. .

فقولي مبتدأ، ويقوم زيد خبره، وأنكره أبو علي ... وقال الفراء: المثل مقحم للتأكيد، والمعنى: الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار، والعرب تفعل ذلك كثيرا بالمثل، كقوله: " ليس كمثله شيء"([1])؛أي ليس هو كشيء"([2]) .

حذف أداة الاستفهام والمستفهم عنه: وجاء هذا الحذف في قوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عذَابه بياتًا أَوْ نَهارًا ماذَا يسْتَعْجِلُ مِنْه الْمجْرِمون ([3]) .

ذكر القرطبي في قوله تعالى: قل أرأيتم أن أتاكم عذابه بياتا أو نهاراً أنّه " ظرفان، وهو جواب لقولهم: متى هذا الوعد وتسفيه لآرائهـم فـي اسـتعجالهم العذاب، أي إن أتاكم العذاب فما نفعكم فيه، ولا ينفعكم الإيمان حينئذ، وقوله تعالى: ماذا يستعجل منه المجرمون استفهام معناه التهويل والتعظيم، أي ما أعظـم مـا يستعجلون به، كما يقال لمن يطلب أمرا يستوخم عاقبته: ماذا تجني علـى نفـسك ! والضمير في " منه " قيل: يعود على العـذاب، وقيـل: يعـود علـى ا سـبحانه وتعالى"([4]) .

حذف الخبر: قال تعالى: وإِذَا تُتْلَى علَيْهِمْ آَياتُنَا بينَاتٍ قَالَ الَذِين لا يرْجون لِقَاءنَـا ائْتِ بِقُرْآَنٍ غَيْر هذَا أَوْ بدلْه : أي غير هذا القرآن .

التقديم والتأخير: ومنه تأخير شبه الجملة (لكم) التي وقعت مفعولاً به للفعل أنـزل في قوله تعالى: ا الذي خلق السماوات والأرض وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم ([5])، وقد جاءت جملة (لكم) مع لفظ الفعل نفسه في سـورة النمل قال تعالى: أَمْ منْ خَلَقَ السماواتِ والأَرْض وأَنْزلَ لَكُمْ مِن السماءِ ماءً فَأَنْبتْنَا بِهِ حدائِقَ ذَاتَ بهْجةٍ ما كَان لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجرها أإِلَه مـع الـهِ بـلْ هـمْ قَـوْم يعْدِلُون ([6])، وأجاب ابن الزبير عن الحالتين بقوله:" أن آية إبراهيم قد تقدمها قولـه

---

[1] - سورة الشورى: الآية/11 .

[2] -القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 324/9.

[3] - سورة يونس: الآية/50 .

[4] - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 350/8.

[5] - سورة إبراهيم: الآية/32.

[6] - سورة النمل: الآية/61.

تعالى: قُلْ لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة ، وقد علم المؤمنون أن ا غني عن العالمين، وأن المنزل من ماء السماء إنّما هو رحمة للعباد وإحيـاء لـلأرض بعـد موتها، ليخرج ما بث فيها سبحانه من أنواع الحبوب والثمرات وغير ذلك مما بـه صلاح أحوال العباد وتتميم معائشهم، ولم يغب عن المؤمنين المـذكورين قبـل أن ربهم غني ذلك كله ومنفرد بخلقه والإنعام به، فلم يحتج هنا إلى تنبيههم بأن ذلك لهم إذ حالهم التذكر وموالاة الاعتبار لا الغفلة، وأخّر ذكر ذلك إلى ذكر الرزق ليجري مع قوله في الزينة والطيب من الرزق: قُلْ هي للذين آمنُوا في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة ، أما آية النّمل فقد تقدمها قوله تعالى: ءأ ُ خير أما يشركون ، فلمـا تضمنت تعنيفاً للمشركين على سوء مرتكبهم وعماهم عن التفكر والاعتبـار قـصد تحريكهم وإيقاضهم من رقدة الغفلة، فقيل: وأنزل لكم ، فحصل تنبيههم وإعلامهـم أن إنزال الماء من السماء إنما هو لهم وإنه لا حاجة به سبحانه إليه، فاستجر الكلام تعنيفهم، ويشهد لهذا قوله تعالى عقب الآية: ما كان لكم أنْ تُنْبِتُوا شجرها أإله مـع ا بل هم قوم يعدلون ؛ أي يعدلون بربهم غيره ويعدلون بعبادته إلى عبادة غيره، وكلّ هذا شرك لا فلاح معه"([1])، ويلاحظ أن ابن الزبير في إجابتـه عـن التقـديم والتأخير في الآيات التي تشابهت أو تكررت ألفاظها، قد لجأ إلى ربط الآيات بعضها ببعض من جهة، وربط السور ذوات الحروف المقطّعة خاصة من جهة أخرى، كما أنه وضح الآيات المتقدمة بالآيات التالية، وكأنه يفسر القرآن بالقرآن من خلال هذا الربط، ولعل أهم ما جاء عند ابن الزبير في تعليله للتقديم والتأخير هو التأكيد علـى الموضوع المحوري المركزي في السور ذوات الحروف المقطّعة وهو (الوحدانية)، سواء أكان هذا المحور واضح بلفظ الآية السابقة من سورة النّمل أم من خلال كلام ابن الزبير نفسه .

التكرار: تكرار حرف الراء في مجموعة هذه المجموعة:(عنصر تماسك)؛ إذ أقر القدماء والمحدثون أن السورة والنص إنما يبنيان على الحروف المستلهة بها السورة أو الجملة الأولى في النص.

---

[1]- ابن الزبير: ملاك التأويل، 2/ 716،717 .

تكرار الكلمات: أرسل، أرسلنا، المرسلون، أرى، الرؤيا، بشير، البشرى، إذ جـاءت هذه الكلمات في نصوص كثير من مجموعة هذه السور، وتكرار أسماء ا الحسنى: الغفور، الرحيم، حكيم، عليم، المحيي المميت، الوارث، وقد تكررت هذه الكلمات في نصوص هذه السور بكثرة.

العطف: و(ضائق) عطف على (تارك) فهو وفاعله جملة خبر عن (لعلّك) فيتـسلط عليه التفريع([1]).

البدل: ومن العلاقات النحوية الرابطة البدل، ومن ضروبه بدل جملة من جملة: قال تعالى: قَالَ الكافرون إِن هذا لساحر مبِين ، قال ابن عاشور:"هذه الجملـة بـدل اشتمال من جملة: أكان للناس عجباً ، ووجه هذا الإبدال: أن قولهم هذا ينبئ عن بلوغ التعجب من دعوى الوحي والرسالة من نفوسهم مزيد الإحالة والتكذيب حتـى صاروا إلى القول: إن هذا لسحر مبين ([2]) أو إن هذا لـساحِر مبـين فاسـم الإشارة راجع إلى ما تضمنته جملة: أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا .

وقرأه الجمهور (لسِحْر) بكسر السين وسكون الحاء على أن المراد به الحاصل بالمصدر، أي أن هذا الكلام كلام السحر ، أي أنه كلام يسحر به، فقد كان من طرق السحر في أوهامهم أن يقول الساحر كلاماً غير مفهـوم للنـاس يـوهمهم أن فيـه خصائص وأسماء غير معروفة لغير السحرة، فالإشارة إلى الوحي"([3]) .

ب- العلاقات والعناصر الدلالية:

المناسبة بين سور هذه المجموعة .

إن أول ما سنقف عنده من عناصر التماسك النصي ضمن المـستوى الـدلالي لمجموعة هذه السور من خلال العنوانات التالية:

المناسبة بين عنوان السور ومضمونها:

إن أهم ما يميز هذه المجموعة من السور باستهلالها بهذه الحروف بالإضـافة إلى تماثلها في نوع الاستهلال وكميته أمران، الأول: أن هذه الحروف شكلّت فـي

---

[1]- ابن عاشور:التحرير والتنوير: 17،16/10.

[2]- سورة يونس:الآية/76 .

[3]- ابن عشور التحرير والتنوير: 421/6.

مستهل كل سورة مع ما يليها من كلمات الآية الأولى منها، أي أنها لم تشكل وحدها آية كما شكلّت مجموعة (الم) وغيرها من السور ذوات الحرفين والخمسة، والأمـر الثاني: أنّ هذه السور قد عنونت باسم رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ما خلا سورة واحدة منها سميت بسورة (الحجر)، فرغم أنها تماثلت مع هذه المجموعة بهذه الحروف، إلا أنها اختلفت معها في التسمية، ويظهر أن عدم تسميتها باسم أحد الرسل لا يعني أنها مختلفة معها، إذا ما عرفنا أن أصحاب الحجر- وهم قوم ثمـود - قد أرسل الله عز وجل نبيه صالحاً عليه السلام، وقد خُصوا بآية بينة أتاهم بهـا رسول الله عليه السلام، وهم الذين طلبوا هذه الآية (الناقة) بألسنتهم، فأخرجهـا الله لهم بدعاء نبيهم عليه السلام من صخرة صماء، إلا أنهم ظلمـوا أنفـسهم بتكـذيب رسولهم وقتلهم لها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنهم اختصوا دون غيرهم مـن الأمم بالقوة، فلجأوا إلى نحت بيوت في الجبال دون حاجة إلى ذلك، فهـم آمنـون مطمئنون، لكنهم فعلوا ذلك أشراً وبطرا وعبثاً ([1])، فكان ما كان من عقابهم علـى فعلتهم التي فعلوا . فلما كذّبوا رسولهم حمِلَ التكذيب على تكذيب جميع الرسل؛" لأن منْ كذّب واحداً منهم فكأنما كذّبهم جميعاً، ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسـلين"([2]). ولهذا كان الانصراف إلى تسمية السور باسم (الحجر)، لما تميز به أصحاب الحجر من تكذيب للرسل وعقر للناقة ونحت للبيوت من الصخر (الحجارة)، وفي هذا تناغم وانسجام بين اسم السورة وطبيعة الجبال التي ينتحون منها لا فيها، بدلالة الآية مـن السورة نفسها، قال الله تعالى: ﴿ولَقَدْ كَذب َأصْحاب الْحِجْرِ الْمرْسلِين*وآَتَيْنَاهمْ آَياتِنَا فَكَانُوا عنْها معْرِضِين*وكَانُوا ينْحِتُون مِن الْجِبالِ بيوتًا آَمِنِين﴾ ([3])، ومن هنا يظهر أن تسمية السورة يراعى فيه الحدث الأبرز، كما في تسمية سورة البقـرة بـالبقرة، ولقد ذكر الزركشي وغيره مراعاة الأحداث البارزة، التي كانت معتبرة في عنـوان السورة ([4]) .

---

[1]- انظر: ابن كثير : تفسير القرآن العظيم: 545/4.

[2]- الزمخشري: الكشاف، 564، ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 545/4 .

[3]- سورة الحجر: الآيات:80-82.

[4]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن/269-272.

كما أن ورود قصص لكثير من الرسل في هذه السورة، كان له دور في عـدم تسمية السورة باسم سيدنا صالح، فاجتمع الأمران: أمر أصحاب الحجر، وأمر ذكر الرسل وقصصهم في السورة ، فكان الانصراف إلى تسمية السورة بهذا الاسم أولى وأنسب من تسميتها باسم صالح عليه السلام، أو تسميتها باسم رسول آخر، فالتسمية بأصحاب الحجر متضمنة لمعنى تسميتها باسم صالح عليه السلام، فماثلت - كمـا يبدو - هذه المجموعة في الاستهلال من هذا الباب .

وقد تميزت هذه المجموعة من السور، في نوع الاستهلال (الر) وعنوان أربعة سور منها وهو اسم رسول من الرسل، ويبدو أن دلالة حرف الـراء علـى معنـى (رسول) مجرداً من أل التعريف، أو مستحضراً فحذف لدلالة اسم الرسـول عليـه لتسميتها باسمه؛ (الرسول؛ يونس، إبراهيم، هود، يوسف، عليهم السلام)، فحـصلت المطابقة والتماسك بين عنوان السورة والمعنى المتأول بدلالة الالتزام أو التـضمن لفظة رسولٍ، وهذا المعنى الأول المتأول (رسول) وهو ما عنونت السورة باسـمه، يبدو وارداً من الجانب التصوري، وهو تأويل منسجم مع تفسير ابن عباس وغيـره لحرف الميم في سورة البقرة، بأنه من رسول ا محمد عليه الصلاة والسلام خـاتم الرسل والأنبياء، وكذلك انسجام حرف الراء الأخير من اسم السورة (الحجر) مـع الراء في (الر) تطابقاً لفظاً وموقعاً، أم أن هنا أمراً مشتركاً لهذه المجموعـة وراءه اشتراكها بالحرف الثالث منها بـشكل خـاص، (أرى، رؤيـة، بـشير، بـشرى، نذير...ولقد تأول ابن عباس رضي ا عنهما لهذه الحروف، جملة تضارعت فـي عدد كلماتها الثلاثة، وفي تطابق اللفظتين الأولى والثانية، مع الجملتين اللتين تأولهما لفواتح سورتي البقرة والأعراف؛وهما (أنا ا أعلم و أنا ا أفصل)، إذ تأول لـ - (الر) جملة (أنا ا أرى) ومن المحدثين منْ تأول كلمـات لحـرف الـراء نحـو: البشرى، الرؤيا([1]).

---

[1] - انظر :عبد الجليل، براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور،211-223 .

المناسبة أو التماسك بين مضمون السور واستهلالها بالحروف المقطّعة.

ما نقصده بالمناسبة بين مضمون هذه السور واستهلالها بالحروف المقطّعة، هو المناسبة بين المعاني الكثيرة؛ اللفظية وغير اللفظية التي تُؤولتْ للحروف المقطعـة، وبين المعاني التي تضمنتها بنى نصوص هذه السور، ولقد مر بنا معنى الإحاطـة والشمول لهذه الحروف، ودلالتها على أسماء ا الحسنى، ودلالتها على الوحدانيـة، ودلالتها العلم والغيب، ودلالتها على أفعال الأمر، ولعل كلام البقاعي يعضد ما ذُكر لهذه الحروف من تأويلات من خلال تفسيره لآخر آية من سورة (هود) بقوله:" ولما تضمن هذا التهديد العلم والقدرة، قال عاطفاً على ما تقديره: فلله كل ما شوهد مـن أمرنا وأمركم وأمر عالم الغيب والشهادة كله ما كان من ابتـداء أمورنـا (و) أي المحيط وحده بكل شيء مع ذلك (غيب السماوات والأرض) أي جميع ما غاب علمه عن العباد فهو تام العلم، ومنه ما ينهى عنه وإن ظن الجهلة أنه خارج عن قدرته لما أظهر من الزجر عنه ومن كراهيته "([1]) .

وهذه المعاني تضمنها بعض الألفاظ في الآيتين الأوليتين من سورة (إبراهيم)، فقد أشار البقاعي إلى قسم منها من خلال قوله تعالى: إلى صراط العزيز الذي تعالى عن صفات النقص فعز عن أن يدخل أحد صراطه الذي هو ربه، أو يتعرض أحد إلى سالكه بغير إذنه (الحميد) المحيط بجميع الكمال، فهـو المـستحق لجميـع المحامد لذاته وبما يفيض على عباده من النعم التي يربيهم ويتحمد إليهم بها على كل حال ، فكيف إذا سلكوا سبيله الواضح الواسع السهل، ولما أضاف طريق النجاة إلى وصفين يجوز إطلاق كل منهما على الخلق ، بينهما باسمه الـشريف العلـم علـى الاستئناف في قراءة نافع وابن عامر بالرفع . وعلى أنه عطف بيـان فـي قـراءة الباقين بالجر لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لاختصاصه بالمعبود بحق ووصفه بما اقتضى توحيده ، فقال(ا) أي المحيط علماً وقدرة (الذي له ما في الـسماوات)

---

[1]- البقاعي: نظم الدرر، 592/3 .

أي الأجسام العالية من الأراضي وغيرها، ولما كان في سياق الدلالة على الخـالق وإثبات توحيده"([1]) .

وقد أشار البقاعي إلى هذه المعاني وهو يفسر أواخر سورة (إبراهيم) ويربطها بأولها بقوله:" ولما تمت الإشارة إلى الدين أصلاً وفرعاً، نبه على المواعظ والأمثال بتذكر ما له من الآيات والمصنوعات، والبطش بمن خالفه من الأمم، وأشار إلى أن أدلة الوحدانية والحشر لا تحتاج إلى كبير تذكر، لأنها في غاية الوضوح ولا سـيما بعد تنبيه الرسل، فأدغم تاء التفعل، فقال:(وليذكر) أي مـنهم (أولـوا الألبـاب) أي الصافية، والعقول الوافية، فيفتحوا عيون بصائرهم فيعلموا أنّه لا وصول لهـم مـع الغفلة فيلزموا المراقبة فلا يزالوا في رياض المقاربة، ويعلموا ـ بمـا ركـز فـي طبائعهم وجرى من عوائدهم ـ أن أقل حكـامهم لا يرضـى بـأن يـدع رعيتـه يتهارجون لا ينصف بينهم ولا يجزى أحداً منهم بما كسب، فيكون ذلك منه انسلاخاً من رتبة الحكم التي هي خاصته، فكيف يدعون ذلك في أحكم الحاكمين، فقد تكفلت هذه الآية على وجازتها بجميع علم الشريعة أصولاً وفروعاً، وعلم الحقيقة نهايـات وشروعاً، على سبيل الإجمال وقد انطبق آخر السورة على أولها، لأن هـذا عـين الخروج من الظلمات إلى النور بهذا الكتاب الحامل على كل صواب "([2]) .

المناسبة بين فواتح السور وخاتمة السور التي قبلها:

إن ارتباط أوائل سورة (يونس) بخواتيم السور التي قبلها، ليس مقصوراً علـى ارتباطها بالسورة التي قبلها فحسب، بل لا بد من ربطها بسورة أُستهلت بحـروف مقطّعة أولاً وهي سورة الأعراف؛ لأنّها السورة التي أُستهلت بحروف مقطعة، ولم يأتِ بعدها سورة أُستهلت بحروف مقطّعة مباشرة، بل جاءت بينهـا وبـين سـورة يونس التي أُستهلت بحروف مقطّعة، سورتان لم تستهلا بحروف مقطّعـة، وهمـا سورتا الأنفال والتوبة، فأهم ما يمكن الاستشهاد به في ارتباط سورة يونس بالـسور الثلاثة قبلها، ما ذكره البقاعي في نظم الدرر فقال:" لما قدم في أول الأعراف الحث

[1] - البقاعي: نظم الدرر: 166/4.

[2] - المرجع نفسه: 394/4 .

على إبلاغ النصيحة بهذا الكتاب وفرغ مما اقتضاه السياق من التحذير مـن مثـل وقائع الأولين ومصارع الماضين، ومما استتبع ذلك من توصيل القول قي ترجمـة هذا النبي الكريم مع قومه في أول أمره وأثنائه وآخره، في (سورتي الأنفال وبراءة) وختم ذلك بأن سور الكتاب تزيد كل أحد مما هو ملائم له متهيئ لقبوله وتبعده عما هو منافر له بعيد من قبول ملاءمته...أعاد سبحانه القول في شأن الكتاب الذي افتتح به الأعراف وختم سورة التوبة، وزاده وصف الحكمه وأشار بأداة البعـد إلـى أن رتبته فيها بعيدة المنال بديعة المثال فقال: " تلك "، أي الآيات العظيمة جـداً التـي اشتملت عليها هذه السورة، أو السور التي تقدمت هذه السورة، أو هـذه الحـروف المقطعة المشيرة إلى أن القرآن كلام ا ، وإلا لما أعجز القادرين على التلفظ بهـذه الأحرف" آيات الكتاب" أي الذكر الجامع لكل خير"([1]).

ومن أمثلة الربط عن طريق المناسبة بين الآيات، ارتباط أوائل سورة (يوسف) بسورة (هود) ما ذكره البقاعي بقوله:"وأما مناسبة الأول للآخر، فإنّه تعالى لما أخبر في آخر تلك بتمام علمه وشمول قدرته، دلّ على ذلك أهل الـسبق مـن الفـصاحة والفوت في البلاغة في أول هذه بما فعل في كلامه، من أنّه تعالى يقدر على أن يأتي بما تذهب الأفهام والعقول ـ على كر الأزمان وتعاقب الدهور وتوالي الأيام وتمادي الليالي ـ في معناه كل مذهب وتطير كل مطار مع توفر الدواعي واستجماع القوى، ولا تقف من ذلك على أمر محقق ولا مراد معلوم، وعلى أن يأتي بما يفهم بأوائـل النظر أدنى معناه فهما يوثق بأنه مراد، ثم لا يزال يبرز منه من دقائق المعاني كلما كرر التأمل وتغلغل الفهم إلى حد يعلم أنه معجوز عن كل ما فيه من جليل معانيـه ولطيف مبانيه فقال تعالى: الر ([2]) .

المناسبة بين فواتح السور وخواتيمها:

إن خواتيم سورة يونس ليست مرتبطة ومتعالقة مع فواتح السورة حسب، بـل مرتبطة ومتعالقة دلالياً لوحدة موضوع التخاطب مع مضمون السورة، سواء أكـان

[1] - البقاعي: نظم الدرر: 411/3، 412.

[2] - سورة يوسف: الآية/1، البقاعي: نظم الدرر، 498/3.

هذا الترابط والتعالق من خلال الحديث عن الموضوعات التي تحدثت عنها الـسورة وغيرها من السور ذوات الحروف المقطّعة، أو تعالقها في مضمون ما تفضي إليه، فتؤول إلى محور رئيسي وهو الإقرار بالوحدانية تعالى بالربوبية والإلوهية، قُلْ يا أَيها الناس إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍ مِنْ دِينِي فَلا أَعْبد الذِين تَعْبدون مِنْ دون اللهِ ولَكِـنْ أَعْبد الله الذِي يتَوفاكُمْ وأُمِرْتُ أَنْ أَكُون مِن الْمؤْمِنين ([1]) .

إن محور الوحدانية الذي تضمنته خواتيم سورة يونس، قد دلّت عليـه كلمـات وأفعال لفظاً ومعنىً، فمن هذه الكلمات (ديني، أعبد، ا ، الـذي يتوفـاكم"، فالـدين المعرف بإضافته إلى ضمير (الياء)، الذي يحيل إحالة خارجية إلى الرسول عليـه السلام دلّ عليه السياق، والدين الذي يقصده بإضافته إليه هو دين الإسلام .

المناسبة بين الآيات.

قال ا تعالى: ولا تَكُونَن مِن الـذِين كَـذبوا بِآيـاتِ اللـهِ فَتَكُـون مِـن الْخَاسِرِين*إِن الذِين حقتْ علَيهِمْ كَلِمةُ ربك لا يؤْمِنُون*ولَوْ جاءتْهمْ كُل آيـةٍ حتـى يروا الْعذَاب الأَلِيم ([2])، تبين تناسب قوله تعالى:(إن الذين حقت)، مع التي قبلها بما من خلال معنى التشكيك الذي تضمنته الفعل المسند إلى ضمير الرفع الـذي فـسره الاسم (الخاسرين)، إذ:" لما سبق التعريض إلى المشركين الشّاكّين في صدق النبـي صلى ا عليه وسلم والاستشهاد عليهم في صدقه بشهادة أهل الكتاب أعقـب ذلـك بأنهم من زمرة الفرق الذين حقت عليهم كلمة ا أن لا يؤمنوا، فهم لا تجدي فـيهم الحجة لأنهم أهل مكابرة، وليسوا طالبين للحق؛ لأن الفطرة التـي فطـرت عليهـا عقولهم غير قابلة لحقائق الإيمان، فالذين لم يؤمنوا بما يجيء من الآيات هم ممـن علم ا أنهم لا يؤمنون، تلك أماراتهم"([3]).

---

[1]- سورة يونس: الآية/104، وانظر: الآيات (105- 109) .

[2]- سورة يونس: الآيات/96،،95،97.

[3]- البقاعي: نظم الدرر:127/6.

إحالات أسماء الإشارة والضمائر في هذه السور.

تشمل هذه الإحالات إحالات الضمائر وإحالات أسماء الإشارة، ويظهـر أن عناصر الإحالة الضميرية أو عناصر الإحالة الإشارية لكل عنصر مـن عناصـر الصنفين، يتمع بالقوة حضوراً في بنية النص- بقطع النظر عن مكان تواجده منها- ما تجعله يحيل للسابق وللاحق أو للقريب أو للبعيد، أما العناصر الشكلية وما تؤديه من معاني نحوية وظيفية للقريب كصور التوابع والإضافة، بعـضها لا يـؤدي إلا وظيفة إما للاحق وإما للسابق.

أ ـ أسماء الإشارة:

تلك: قال ا تعالى:"الر تِلْكَ آَيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ "([1])، يحيل اسم الإشارة (تلك) إحالة قبلية وبعدية كما هو الشأن في إحالة اسم الإشارة (ذلك) في أول سورة البقرة؛ أي إلى القرآن الكريم كلّه حتّى، جعلوه يحيل إلى القرآن الذي في اللوح المحفـوظ وهو الذي وعد به سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وفي هذا السياق الإحالي نجـد الرازي يقرر هذا بشكل صريح، إلى الاحتمالات الإحالية التي تحصلّت له من اسـم الإشارة، الاحتمال الأول:أن يقال:المراد من لفظة (تِلْكَ)، الإشـارة إلـى الآيـات الموجودة في هذه السورة، فكان التقدير تلك الآيات هي آيات الكتاب الحكيم الذي هو القرآن، وذلك لأنه تعالى وعد رسوله عليه الصلاة والسلام أن ينزل عليه كتابـاً لا يمحوه الماء، ولا يغيره كرور الدهر، فالتقدير أن تلك الآيات الحاصلة فـي سـورة (الر) هي آيات ذلك الكتاب المحكم الذي لا يمحوه الماء، والاحتمال الثاني، أن يقال: المراد أن تلك الآيات الموجودة في هذه السورة هي آيات الكتاب المخزون المكنون عند ا ، الاحتمال الثالث والرابع: أن يقال: لفظ "تِلْكَ " إشارة إلى مـا تقـدم هـذه السورة من آيات القرآن، والمراد بها: هي آيات القرآن الحكيم، والمراد أنهـا هـي آيات ذلك الكتاب المكنون المخزون عند ا تعالى، أن قوله: الر"إشارة إلى حروف التهجي، فقوله:"الر تِلْكَ آيات الكتاب" يعني هذه الحروف هي الأشياء التـي جعلـت علامات لهذا الكتاب الذي آيات به وقع التحدي، فلولا امتياز هذا الكتاب عن كـلام

[1]- سورة يونس: الآية/1 .

الناس بالوصف المعجز، وإلا لكان اختصاصه بهذا النظم، دون سائر الناس القادرين على التلفظ بهذه الحروف محالاً "([1])

وفي سورة الحجر نجد اسم الإشارة (تلك) أيضاً وقد أحال إلى ما أحال إليه اسم الإشارة في سورة يونس، ولقد كرر هذه الإحالة الرازي وهو يـربط إحالـة اسـم الإشارة (تلك) ودلالة لفظة الكتاب في سورة الحجر، بالذي أحال إليه اسم الإشـارة (ذلك)، وبدلالة لفظة الكتاب التي وردت في سورة البقـرة :"ذلـك الكتـاب"، قـال الرازي:"اعلم أن قوله: "تلك " إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيـات. والمـراد بالكتاب والقرآن المبين الكتاب الذي وعد ا تعالى به محمداً صلى ا عليه وسـلم وتنكير القرآن للتفخيم، والمعنى: تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتاباً وفي كونه قرآناً مفيداً للبيان"([2]) .

ذلك: ورد اسم الإشارة وقد أحال كما يبدو إحالتين ذاتيتين إلى لفظي الجلالـة (رب و ا)، فالإحالة الأولى إحالة اسم الإشارة إلى لفظ رب المضاف إليـه كـاف الخطاب وضمير الجمع (الميم)، إحالة قبلية متطابقة إلى اللفـظ وهـو فـي بنيتـه المذكورة (ربكم) في أول الآية من قوله تعالى:" إِن ربكُم الله الَّذِي خَلَقَ الـسماواتِ والأَرْض فِي سِتةِ أَيامٍ ثُم اسْتَوى علَى الْعرْشِ يدبر الأَمْر ما مِنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بعْـدِ إِذْنِهِ ذَلِكُم الله ربكُمْ فَاعْبدوه أَفَلا تَذَكَّرون"([3]) . وأحال إحالة بعدية متطابقة إلى لفـظ الجلالة (ا) بعده، فالمبتدأ والخبر في جملة (ربكم ا) قبـول (إن)، وجملـة (ا ربكم) محتواها القضوي واحد، وورد الجمع بين اللفظين في أكثر من موضع فـي القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى :" إِن الله ربـي وربكُـمْ فَاعْبـدوه هـذَا صِـراطٌ مسْتَقِيم"([4]).

---

[1]- الرازي: مفاتيح الغيب: 194/8،195.

[2]- الرازي: مفاتيح الغيب:267/9 .

[3]- سورة آل عمران: الآية/ 51، وانظر السور التالية: الأنعام: الآية/102، مـريم: الآيـة/36 الزخرف: الآية/64 .

[4]- سورة يونس: الآية/3 .

ب ـ إحالات الضمائر.

ما يحيل إلى لفظ الجلالة:

(نا): ضمير المتكلّم بصيغة الجمع في قوله تعالى: أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ([1])، أي أوحينا نحن .

(هو): وقد ورد محذوفاً وورد مذكوراً، في مواضع كثيرة في هذه السورة، ومن ذلك قوله تعالى:" هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ "([2])، أحال الضمير (هو) المسند إليه، إحالة قبلية ذاتية متطابقة إلى لفظ الجلالة (ا)، ست مرات في الأفعال المسندة إليه وهي: خلق، استوى، يدبر، يبدأ، ليجزي، يعيده، جعل، قدره، يفصل)، وذلك ابتداءً من قوله تعالى:" إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ "([3]).

ضمير الغائب (الهاء): وورد مذكوراً؛ مضافاً إليه ومفعولاً به واسماً لـ (إن) في عدد من الكلمات، وقد أحال إحالة قبلية ذاتية متطابقة إلى لفظ الجلالة (ا)، وهذه الكلمات هي(إذنه، فاعبدوه،إليه، ّإنه).

ومن ضمير الغائب في قوله تعالى:" فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ"([4])، ومعظم المفسرين جعلوا ضمير (به) عائداً إلى (بعض ما يوحى إليك)، على أن ما يوحى إليه سبب لضيق صدره، أي لا يضيق له صدرك، وجعلوا (أن يقولوا) مجروراً بلام التعليل مقدرة، وعليه فالمضارع في قوله:(أن يقولوا) بمعنى المضي لأنهم قالوا ذلك، واللام متعلقة بـ (ضائق) وليس المعنى عليه بالمتين، وإنزاله: إتيانه من مكان عال أي من السماء .

---

[1] - سورة يونس: الآية/2 .

[2] - سورة يونس: الآية/3.

[3] - سورة يونس: انظر: الآيات ، 3-6.

[4] - سورة هود: الآية/12.

أنت: جاء هذا الضمير محذوفاً في عدد من الآيات وهو يحيل إحالة خارجية ذاتيـة منطابقة، إلى المخاطب المفهوم من سياق الآيات، والمخاطب هنا هو (الرسول عليه السلام) .

أنا: وورد كذلك محذوفاً في قوله تعالى:" قل لو شاء ا ما تلوته عليكم ولا أدراكـم به فقد لبثتُ فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون"([1])، إذ ورد مضمراً مسنداً إليـه فـي الفعلين (تلوته، لبثتّ).

ما يحيل إلى الكتاب (القرآن). تنوعت أسماء الإشارة والضمائر التي تحيل إلى لفظة الكتاب أو القرآن، فأحالت إليه أسماء الإشارة والضمائر ملفوظـة ومحذوفـة، ومن ذلك ما يلي:

هذا: جاء في قوله تعالى:" "ائتِ بقرآن غير هذا"، وقد أحال اسم الإشارة إحالة قبلية ذاتية متطابقة إلى الاسم (قرآن) المذكور قبله، وكذلك ضمير الغائب (الهـاء) فـي الأفعال (تلوته، به، قبله) ويحيل الضمير إحالة قبلية إلى القرآن في قوله تعالى:" ائت بقرآن غير هذا أو بدله".

الإحالة الخارجية: تعددت الضمائر التي تحيل إحالة ذاتية خارجية متطابقة، إلى غير مذكور في النص، كما جاء ذكر الاسم الموصول (التي) قبل هذه الـضمائر فأحـال إلى ما أحالت إليه الضمائر، وجاء هذا التعدد في الآيات التالية من سورة يوسـف، قال تعالى: وراودتْه الِتي هو ِفي بيْتِها عنْ نَفْسِهِ وغَلَّقَتِ الأَبواب وقَالَتْ هيْـتَ لَـك قَالَ معاذَ اللهِ ِإنه ربي َأحْسن مثْواي ِإنه لَا يفْلِح الظاِلمون*ولَقَدْ همتْ ِبِه وهم ِبها لَوْلَا َأنْ رأَى برْهان ربِهِ كَذَِلك ِلنَصْرِفَ عنْه السوء والْفَحْشَاء ِإنه ِمنْ ِعبادِنَا الْمخْلَـصِين *واسْتَبقَا الْباب وقَدتْ قَمِيصه ِمنْ دبرٍ وَأَلْفَيا سيدها لَدى الْبابِ قَالَتْ ما جـزاء مـنْ َأراد ِبَأهْلِك سوءًا ِإلا َأنْ يسْجن َأوْ عذَاب َأِليم * قَالَ هِي راودتْنِي عنْ نَفْسِي وشَـهد شَاهِد ِمنْ َأهْلِها ِإنْ كَان قَمِيصه قُد ِمنْ قُبلٍ فَصدقَتْ وهو ِمن الْكَـاذِبِين * وِإنْ كَـان قَمِيصه قُد ِمنْ دبرٍ فَكَذَبتْ وهو ِمن الصادِقِين ([2]).

---

[1] - سورة يونس: الآية/16.

[2] - سورة يوسف: الآيات (23-27) .

فالاسم الموصول (التي) والضمائر المذكورة والمحذوفة التي في الأسماء والأفعـال (بيتها، وغلّقت، وقالت، همت، بها، وقدت، سيدها، قالت، هي، أهلهـا، فـصدقت، فكذبت)، كلّها تحيل إحالة ذاتية خارجية إلى امرأة العزيز، التي لم يرد لهـا ذكـر صريح في النص، قال السامرائي:" قد يستغنى عن المفسر في اللفظ بما يدل عليـه حساً، واستشهد على ذلك بقوله تعالى:" قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي"، وقوله تعالى:" وشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا"، فالضمير يعود على امرأة العزيز ولم يتقدم لها ذكر صريح فهو مدلول عليه حساً"([1]).

إحالة الأسماء الموصولة:

ومن ذلك الاسم الموصول (الذي) الذي يحلي إلى خارج النص، إذ لـم يـرد للمحال إليه ذكر صريح ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى:"وقَالَ الَّذِي اشْتَرَاه مِـنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاه عسى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتخِذَه وَلَدًا وكَذَلِكَ مكنا لِيوسفَ فِـي الأَرْضِ ولِنُعلمه مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ والله غَالِب علَى أَمْرِهِ ولَكِن أَكْثَـر النـاسِ لا يعْلَمون"([2]) .

وذكر السيوطي إحالة الاسم الموصول إلى ذاك المذكور بقوله:" قال ابن عباس كان اسمه قطفير وقال ابن اسحاق اطفير"([3]).

كما أن الضمير (الهاء) في (لامرأته) يحيل إحالة ذاتية متطابقة خارجية إلـى الاسم الذي أحال إليه الاسم الموصول نفسه.

الاستبدال: لقد تعددت صور الاستبدال بين المفردات اللغوية على اخـتلاف بنيتهـا الصوتية وصيغتها الصرفية ومعانياها النحوية، ولمعرفة بعض صور هذا التعدد لهذا العنصر نمثّل على النحو التالي:

الاستبدال بين المشتقات التي صيغت من أفعال مجردة ومزيدة: ومما جاء منه استبدال اسم المفعول بالصفة المشبهة، ففي سورة يونس أكثر مـن موضـع لهـذا الاستبدال، إذ استبدل في الآية الأولى منها اسم المفعول المحْكَم من أحكـم بالـصفة

---

[1] - السامرائي: معاني النحو، 59/1.

[2] - سورة يونس: الآية/106 .

[3] - السيوطي: مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، 61.

المشبهة الحكيم من حكم، قال الطبري:" ومعنى (الحكـيم) ، فـي هـذا الموضـع، "المحكم"، صرف "مفْعل" إلى "فعيل"، كما قيل:(عذَاب أَلِيم)، بمعنى مؤلم"([1]).

ومنه الاستبدال بالفعل الدال على عموم الأحداث، ومنه ما جـاء فـي قولـه تعالى: ولا تَدْع مِنْ دون اللهِ ما لا ينْفَعك ولا يضرك فَإِنْ فَعلْـتَ فَإِنـك إِذًا مِـن الظالِمين ([2]).

إذ استبدل الفعل (تدع) في صيغة النهي بوزن الفعل نفسه، (فعلـت) المـسبق بأداة الشرط، ويلاحظ ظهور ضمير الخطاب (التاء) من (فعلت)، وقد اسـتتر مـع (تدع)؛ أي بتقدير (أنت)، مما يعزز مسألة الحروف التي قد تنبىء عـن كلمـة أو معنى عندما يقتطع منها حرف أو أكثر، (أنت) المستتر دلّت عليه (التـاء) ضـمير (فعلت) .

ومنه استبدال اسم المفعول بالصفة المشبهة بـصيغة (فعيـل) فـي قـول ا تعالى: إِلَيهِ مرْجِعكُمْ جمِيعًا وعْد اللهِ حقا إِنه يبْدأُ الْخَلْقَ ثُم يعِيده لِيجْزِي الَّذِين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ بِالْقِسْطِ والَّذِين كَفَروا لَهمْ شَراب مِنْ حمِيمٍ وعذَاب أَلِيم بِما كَـانُوا يكْفُرون ([3])، إذْ استبدل لفظة محموم وهي اللفظة الأصل على وزن مفعول، بلفظة حميم ووزنها فعيل، والحميم بمعنى المحموم ، قال الطبري:" و"الحميم" هو الحـار، في كلام العرب، وإنما هو"محموم" صرف إلى"فعيل"([4])، ويبدو مـن خـلال هـذا الاستبدال جعل صفة هذا الشراب وهو شدة الحرارة صفة ثابتة له، قـال الراغـب الأصفهاني :" الحميم: الماء الشديد الحرارة ...

ومنه استبدال الصفة المشبهة (ضيق) باسم فاعل (ضائق) ، نحو استبدال ضيق بـ (ضائق) اسم فاعل من ضاق، في قوله تعالى: فَلَعلَّك تَارِك بعْض مـا يـوحى

[1] - الطبري: جامع البيان: 12/15.

[2] - سورة يونس: الآية/3.

[3] - سورة يونس: الآية/ 4.

[4] - الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، 448/11 .

إِلَيْك وضائِقٌ بِهِ صدْرك أَنْ يقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عليْهِ كنْز أَوْ جاء معه ملَك إِنما أَنْـ تَ نَذِير والله علَى كُل شَيْءٍ وكِيلٌ ([1]) .

قال ابن عاشور:" وإنما عدل عن أن يقال (ضيق) هنا إلى (ضائق) لمراعـاة النظير مع قوله: (تارك)؛ لأن ذاك أحسن فصاحة، ولأن (ضائق) لا دلالة فيه على تمكّن وصف الضيْق من صدره بخلاف ضيق، إذ هو صفة مشبهة وهي دالة علـى تمكن الوصف من الموصوف، إيماء إلى أن أقْصى ما يتوهم توقعه في جانبه صلى ا عليه وسلم هو ضيْق قليل يعرض له، والضيق مستعمل مجازاً في الغم والأسف، كما استعمل ضده وهو الانشراح في الفرح والمسرة"([2]).

ومنه استبدال الاسم العلم بالاسم الموصول: نحو استبدال اسم امـرأة العزيـز بالاسم الموصول (التي)، في قوله تعالى: التي في بيتها .

ومنه الاستبدال بين(فاعل ومفعول): إذ استبدل اسم المفعول (معصوم) باسـم الفاعل (عاصم)، وجاء في قوله تعالى: قَالَ سآَوِي إِلَى جبلٍ يعْصِمنِي مِن الْماءِ قَالَ لا عاصِم الْيوْم مِنْ أَمْر اللهِ إِلا مـنْ رحِـم وحـالَ بيْنَهمـا الْمـوْج فَكَـان مِـن الْمغْرقِين ([3])، أي لا معصوماً من عذاب ا إلا نوحاً عليه السلام ومن معـه؛ لأن ا هو وحده العاصم، فلا (عاصم) يعصم أحداً عندما يأتي أمر ا ، ولا أحد يلاطف بأمره إلا هو سبحانه وتعالى، وفي الآية معنىً يؤكد على محور الوحدانية تعالى.

وجعل ابن جنّي مثل هذا الاستبدال، إنّما هو تفسير على المعنـى، قـال فـي الخصائص:" فأما تفسير أهل اللغة أن استاف القوم في معنى تسايفوا فتفسير علـى المعنى، كعادتهم في أمثال ذلك، ألا تراهم قالوا في قول ا عز وجل " من ماء دافق ": إنه بمعنى مدفوق، فهذا - لعمري - معناه، غير أن طريق الصنعة فيـه أنـه ذو دفق كما حكاه الأصمعي عنهم من قولهم: ناقة ضارب إذا ضربت، وتفـسيره أنهـا ذات ضرب أي ضربت"([4]) .

---

[1]- سورة هود: الآية/12 .

[2]- ابن عاشور: التحرير والتنوير: 7/ 103.

[3]- سورة هود:الآية/43 .

[4]- ابن جني: أبي الفتح عثمان، الخصائص،152/1، ت/ محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

علاقة الملابسة أو السببية: جملة (إنّما أَنْتَ نَذير) في موقع العلّة للتحذير من تركه بعض ما يوحى إليه وضيق صدره من مقالتهم، فكأنه قيل لا تترك إبلاغهم بعض ما يوحى إليك ولا يضق صدرك من مقالهم لأنك نذير لا وكيل على تحصيل إيمـانهم، حتى يترتب على يأسك من إيمانهم ترك دعوتهم"([1]).

العطف: ومنه عطف جملة على جملة بحرف الواو، ومنه قوله تعالى: والله علـى كُلّ شَيْء وكِيل ، قال ابن عاشور:"... معطوفة على جملة إنما أنـت نـذير ؛ لينتقل من ذلك العموم إلى تسلية النبي صلى ا عليه وسلم بأن ا مطلع على مكر أولئك، وأنه وكيل على جزائهم وأن ا عالم ببذل النبي جهده في التبليغ([2]) .

وكذلك العطف بـ (أم) وجاء في الآية بعدها:" أم يقولون افتراه ".

التفريع:وجاء هذا التفريع بواسطة حرف (الفاء)، قال ابن عاشور:" تفريـع علـى قوله: ولَئِنْ قُلْت إنّكُمْ مبْعوثُون مِنْ بعْد الْموْت إلى قوله يسْتَهْزئُون ([3])، من ذكـر تكذيبهم وعنادهم، يشير هذا التّفريع إلى أن مضمون الكلام المفـرع عليـه سـبب لتوجيه هذا التوقع لأن من شأن المفرع عليه اليأس من ارعوائهم لتكـرر التكـذيب والاستهزاء يأساً قد يبْعثُ على ترك دعائهم ، فذلك كله أفيد بفاء التفريع([4]) .

الأفعال الكلامية: من الأفعال الكلامية غير المباشرة التي تم انجازها بأفعال مباشرة، وشكلّت مع غيرها محتوى قضوياً، جملة (لعلك تارك)، وجاء هـذا الانجـاز عـن طريق أسلوب التمني الذي يفيد التحذير، قال ابن عاشور:"والتوقع المستفاد من (لعل) مستعمل في تحذير من شأنه التبليغ، ويجوز أن يقدر استفهام حذفت أداته، والتقدير: ألعلّك تارك، ويكون الاستفهام مستعملاً في النفي للتحذير، وذلك نظير قوله تعـالى: لَعلّك باخِع نفسك ألاّ يكونوا مؤمنين ([5]).

---

[1] - ابن عاشور: التحرير والتنوير: 7/ 65.

[2] - المرجع نفسه 7/ 73.

[3] - سورة هود:الآيتان/ 7،8

[4] - ابن عاشور: التحرير والتنوير: 7/ 81.

[5] - سورة الشعراء: الآية/ 3.

ويظهر من كلام ابن عاشور الآتي، صنف الأفعال الكلامية (التوجيهات) التي عدها (سيرل)، الأفعال المتضمنة الطلب من المستمع أن يفعل شيئاً، إذ إن جملة (التحريك من همة المخاطب وإلهاب همته لدفع الفتور عنه) هي بمعنى طلب فعل شيء من المستمع، قال ابن عاشور:"...والاستفهام كناية عن بلوغ الحالة حداً يوجب توقع الأمر المستفهم عنه حتى أن المتكلّم يستفهم عن حصوله، وهذا أسلوب يقصد به التحريك من همة المخاطب وإلهاب همته لدفع الفتور عنه، فليس في هذا تجويز ترك النّبي صلى ا عليه وسلم تبليغ بعض ما يوحى إليه، وذلك البعض هو ما فيه دعوتهم إلى الإيمان وإنذارهم بالعذاب وإعلامهم بالبعث كما يدل عليه قوله تعالى في آية أخرى: وإذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلاَ اجْتَبَيْتَها ([1])، والمعنى تحذيره من التأثّر بعنادهم وتكذيبهم واستهزائهم، ويستتبع ذلك تأييس المشركين من تركه ذكر البعث والإنذار بالعذاب ، فالخطاب مستعمل في حقيقته ومراد منه مع ذلك علم السامعين بمضمونه"([2]).

الجمل المفسرة:

ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: أن أنذر الناس تفسير لفعل (أوحينا)، "وإنما اقتصر على ذكر هذا الموحى به لأن ذلك هو الذي حملهم على التكذيب إذ صادف صرفهم عن ضلاله دينهم وسمعوا منه تفضيل المؤمنين عليهم، وأيضاً في ذكر المفسر إدماج لبشارة المؤمنين بهذه المزية "([3]).

الجمل المعترضة: ومن ذلك قوله تعالى: "ذلكم ا ربكم " جملة "معترضة بين تلك الجمل وبين الجملة المفرعة عليها، وهي جملة:(فاعبدوه)، وتأكيد لمضمون الجملة الأصلية وهي جملة:(إن ربكم ا) .

الجمل الاستئنافية: ومن ذلك قوله تعالى أَكان لِلناسِ عجبًا أَنْ أَوْحيْنَا إِلَى رجلٍ مِنْهمْ أَنْ أَنْذِرِ الناس وبشرِ الذِين آمنُوا أَن لَهمْ قَدم صِدْقٍ عِنْد ربهمْ قَالَ الْكَافِرون إِن

[1]- سورة الأعراف:الآية/ 203 .

[2]- ابن عاشور: التحرير والتنوير: 102/7.

[3]- المرجع نفسه: 6/ 420.

هذَا لَساحِر مِبِين ([1])، قال ابن عاشور:" الجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأن؛ جملة (تلك آيات الكتاب الحكيم)، بما فيها من إبهام الداعي إلى التوقف على آيات الكتاب الحكيم تثير سؤالاً عن ذلك الداعي فجاءت هذه الجملة تبين أن وجه ذلك هو استبعاد الناس الوحي إلى رجل من الناس استبعاد إحالة، وجاءت على هذا النظم الجامع بين بيان الداعي وبين إنكار السبب الذي دعا إليه وتجهيل المتسببين فيه، ولك أن تجعله استئنافاً ابتدائياً، لأنه مبدأ الغرض الذي جاءت له السورة ، وهو الاستدلال على صدق الرسول وإثبات البعث .

الزمن النحوي: ومنه صيغة الماضي للفعل (كان) المسبوق بهمزة الاستفهام التي أدت معنى غير مباشر وهو التعجب، قال ابن عاشور:" وصيغة المضي من الاستقرار تحقيقاً لوقوع الوحي المتعجب منه وتجدده وذلك ما يزيدهم كمداً ... فالهمزة للاستفهام المستعمل في الإنكار، أي كيف يتعجبون من ذلك تعجب إحالة، وفائدة إدخال الاستفهام الإنكاري على (كان) دون أن يقال: أعجِب الناس، هي الدلالة على التعجيب من تَعجبهم المراد به إحالة الوحي إلى بشر، والمعنى: أحدث وتقرر فيهم التعجب من وحينا؛ لأن فعل الكون يشعر بالاستقرار والتمكن فإذا عبر به أشعر بأن هذا غير متوقع حصوله"([2]).

الترتيب: وجاء من خلال الأفعال المسندة إلى لفظ الجلالة؛ لإقرار محور التوحيد، الإله الواحد الحق أولاً، بالمخلوقات التي أسند فعل الخلق إليه وحده، فلا خالق لها غيره كما أقر بذلك كلّ المتلقين، ثم إثبات أمر البعث والحشر ثانياً، وفي هذه الإثبات والترتيب يصرح الرازي في تفسيره لقوله تعالى:" "سورة يونس: الآيتان: 3،4. بقوله:" اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار أنهم تعجبوا من الوحي والبعثة والرسالة، ثم إنه تعالى أزال ذلك التعجب بأنّه لا يبعد ألبتة في أن يبعث خالق الخلق إليهم رسولاً يبشرهم على الأعمال الصالحة بالثواب، وعلى الأعمال الباطلة الفاسدة بالعقاب ، كان هذا الجواب إنما يتم ويكمل بإثبات أمرين: أحدهما: إثبات أن لهذا

---

[1] - سورة يونس: الآية/1.

[2] - ابن عاشور: التحرير والتنوير 6/ 423.

العالم إلهاً قاهراً قادراً نافذاً الحكم بالأمر والنهي والتكليف. والثاني: إثبات الحـشر والنشر والبعث والقيامة، حتى يحصل الثواب والعقاب اللذان أخبـر الأنبيـاء عـن حصولهما، فلا جرم أنه سبحانه ذكر في هذا الموضع ما يدل على تحقيـق هـذين المطلوبين. أما الأول: وهو إثبات الإلهية، فبقوله تعالى:{إِن ربكُم ا الـذى خَلَـقَ السموات والأرض}. وأما الثاني: وهو إثبات المعاد والحشر والنشر. فبقوله:{إِلَيْـهِ مرْجِعكُمْ جمِيعاً وعْد ا حقّا "، يونس: 4، فثبت أن هذا الترتيب في غاية الحـسن، ونهاية الكمال "([1]).

ومن أمثلة عنصر (الترتيب) قوله تعالى: والجآن خلقناه من قبـل مـن نـار السموم "(الحجر:27)، فسياق الآيات بقرينة (من قبل) تدلّ على الخلـق المبكـر للجآن قبل خلق الإنس.

التعريف والتنكير: قال ابن عاشور:"والكتاب: القرآن، فالتعريف فيه للعهد، ويجـوز جعل التعريف دالاً على معنى الكمال في الجنس، كما تقول: أنتَ الرجل "وقولـه:" واختيار وصف (الحكيم) من بين أوصاف الكمال الثابتة للقرآن؛ لأن لهذا الوصـف مزيد اختصاص بمقام إظهار الإعجاز من جهة المعنى بعد إظهار الإعجاز من جهة اللفظ بقوله: "الر تلك آيات الكتاب الحكيم"، ولما اشتملت عليه السورة من بـراهين التوحيد وإبطال الشرك، وإلى هذا المعنى يشير قوله بعد هذا: قل لو شاء ا مـا تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثتُ فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون ([2]) .

الحذف: وفي الكلام حذف، والتقدير: أتأمنون أن ينزل بكم العذاب ثم يقال لكـم إذا حل: الآن آمنتم به ؟ قيل: هو من قول الملائكة استهزاء بهم"([3]) .

ج - العناصر والعلاقات التداولية:

مما يتصل بهذا المستوى مخاطبة النص القرآني للمتلقين بمـا هـو معـروف عندهم، وقد جاء هذا الخطاب في قول ا تعالـى:" أُذكرني عنـد ربـك"، قـال

[1]- الرازي: مفاتيح الغيب:200/8 .

[2]- سورة يونس: الآية/16، وانظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير: 319،318/5.

[3]- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: 351/8.

القاسمي موضحاً للآية :" فإنّه خاطبه على المتعارف عندهم وعلى ما كانوا يسمونهم به"([1]).

قال الطبري([2]):" وأصل"الزعيم" ، في كلام العـرب: القـائم بـأمر القـوم ، وكذلك"الكفيل" و"الحميل"، ولذلك قيل: رئيس القوم زعيمهم ومدبرهم. يقال منه:"قـد زعم فلان زعامة وزعامًا"، (3) ومنه قول ليلى الأخيلية:

حتى إذَا برز اللواءُ رأيْتَهُ... تَحْتَ اللواءِ على الخَمِيسِ زعِيما

من قصيدة لها تعرض فيها بابن الزبير، وقبل البيت:

ومُخَرَق عنْهُ القَمِيصُ تَخَالُه ... وسْطَ البُيُوتِ مِن الحياء سقِيما

الوحـدة الموضوعية للسـور ذوات الحروف المقطّعة (الـر والمر).

سأذكر المحاور الرئيسة التي تحدثت عنها في هذه السور، وهي المحاور التي تتماس وتتعالق من خلال المحتوى القضوي، الذي يشكلّ به كل محور من المحاور قضية مركزية ذات موضوع واحد، إذْ يشكل كلّ محور ينجز من خلال المحتـوى القضوي، المتحقق بالحامل والمحمول والموضوع الجزئي، من خلال أداء وانجـاز آية أو آيات أو فقرات، تؤدي إلى تحقيق محتوىً قضوياً يشكل قضية معينة، فـذلك المحتوى وتلك القضية، ما كان لأحدهما أن يبرز ويتـشكل لـولا وجـود الـنص (الرسالة) الذي تم تأدية وإنجازها لفظاً وتركيباً ودلالة، ويراعي النص فـي أدائـه وانجازه لهذه المكونات أحوال المخاطب وظروفه وثقافته وأعرافه ومعارفه العامـة والمكتسبة، فيكون النص أكثر تداولية وبراغماتية مع المتلقي ليحقق الغـرض مـن رسالته ليقف المتلقي على قصدية المتكلّم أو النص، من خلال الإلمام بالقضية التـي يطرحها من خلال محتواها القضوي، بهدف التواصل والتفاعل مع تلـك القـضية لمعرفة قصدية النص .

---

[1]- القاسمي ، دلائل التوحيد، 70 .

[2]- الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن: 180/16

الموضوعات الرئيسة التي عالجتها هذه السور

الموضوع المحوري المركزي لمجموعة هذه السور

من خلال ما تقدم من تحليل للسور القرآنية التي ذكرت قبل هذه السور، فـإن محور (الوحدانية) هو المحور الذي يعد موضوعاً مركزياً لنصوص هـذه الـسور، ولقد أقر المشركون من العرب بالوحدانية والربوبية وحده لا شريك لأحـد فيهـا معه، وهذا المحور عبرت عنه آيات كثيرة من مجموعة هذه الـسور، فمـن هـذه الآيات قول ا تعالى في سورة يونس:" قُلْ منْ يرْزقُكُمْ مِن السماءِ والأَرْضِ أَمْ منْ يمْلِك السمْع والأَبصار ومنْ يخْرِج الْحي مِن الْميتِ ويخْرِج الْميتَ مِن الْحي ومـنْ يدبر الأَمْر فَسيقُولُون الله فَقُلْ أَفَلا تَتقُون(31) فَذَلِكُم الله ربكُم الْحق فَماذَا بعْد الْحق إِلا الضلَالُ فَأَنى تُصْرفُون" (32) .

والآية التالية للأولى فسرت ذلك بكلّ جلاء ووضوح، فصرحت بالإلوهية مـن خلال لفظ الجلالة (ا) الذي جاء مسنداً إلى اسم الإشارة (ذلك أي خبراً له)، وكذلك لفظ الجلالة (ربكم) مسنداً إليه ثانياً وصفته (الحق)، فقدم كلّ ما يسند إليـه تبـارك وتعالى من أفعال، أفعال؛ الرزق، الإخراج والتدبير، من غيـر أن يـصرح بهـذا الإسناد في اللفظ، ثم أسند فعل الإقرار بأن هذه الأفعال هي وحده عـز وجـلّ، أسنده لضمير الرفع (الواو) الذي يحيل إحالة خارجية للمتلقين المنكرين بالذي أقروا به بألسنتهم قولاً (فسيقولون)، وفي هذا السياق يقول القاسمي :" لهذا كانت شـؤون الربوبية كلّها من الخلق والرزق والملك والتدبير والتصريف، مختصة به سبحانه لا يشاركه فيها أحد من خلقه، وهذا أمر مركوز في الفطرة لا يكاد ينازع فيـه أحـد، حتّى إن المشركين الذين بعث فيهم رسول ا صلى ا عليه وسلّم كـانوا يقـرون بذلك ولا ينكرونه، ولا يجعلون أحداً من آلهتهم شريكاً في ربوبيته ... ويضيف: ـ معلقاً على الآيات السابقة ـ إلى آخر ما هنالك من الآيات التـي تفيـد لإقـرار المشركين من العرب بتوحيد الربوبية وانفراد ا عز وجلّ بجميع شؤونها من خلق ورزق وإحياء وإماتة وتدبير وتصريف، ولم يعرف أحد من طوائف العالم نازع في هذا إلا الدهرية الذين يجحدون الصانع، وهم الشيوعيون الآن والملاحدة ويزعمـون أن العالم يسير بنفسه ويقولون ما حكاه عنهم القرآن:" ما هِي إِلا حياتُنَا الدنْيا نَموتُ

ونَحْيا وما يهْلِكُنَا ِإلا الدهْر"، وكذلك التنويه من المجوس الذين يجعلون للعالم خالقين، خالقاً للخير وهو النّور، وخالقاً للشر وهو الظلمة، وأهل التثليث من النصارى الذين يجعلون الآلة ثلاثة: الآب، والابن والروح القدس"([1]).

والآيات التي جاءت فيها البراهين والأدلة وما اشتملت عليه من أفعال أسندت إلى لفظ الجلالة، كلّها كانت في سياق إثبات الوحدانية سبحانه وتعالى، فهو الخالق وهو الرازق وهو منزل الكتاب، وهو المحيي وهو المميت ومدبر الأمر.

وفي ضوء المحور الرئيس استدل الشهرستاني على ثبات محورية هذا الموضوع عند جميع الأنبياء والرسل، منذ الحنفية التي اتصف بها إبراهيم عليه السلام وأبناؤه من بعده، حتى خاتم الأنبياء والرسل محمد عليه الصلاة والسلام، قال:" ولما كان الخليل عليه السلام مكّلفاً بكسر المذهبين على الفرقتين، وتقرير الحنيفية السمحة السهلة: احتج على عبدة الأصنام: قولاً، وفعلاً: كسراً من حيث القول، وكسراً من حيث الفعل، فقال لأبيه آزر: يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً؟...حتى: جعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم، وذلك إلزام من حيث الفعل، وإفحام من حيث الكسر. ففرغ من ذلك كما قال ا تعالى: وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ، وابتدأ بإبطال مذاهب عبدة الكواكب على صيغة الموافقة: كما قال تعالى: وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ، أي كما آتيناه الحجة كذلك نريه المحجة؛ فساق الإلزام على أصحاب الهياكل مساق الموافقة في المبدأ، والمخالفة في النهاية؛ ليكون الإلزام أبلغ، والإفحام أقوى؛ وإلا فإبراهيم الخليل عليه السلام: لم يكن في قوله: هذا ربي: مشركاً، كما لم يكن في قوله: بل فعله كبيرهم هذا: كاذباً، وسوق الكلام من جهة الإلزام، غير سوقه على جهة الالتزام. فلما أظهر الحجة وبين المحجة: قرر الحنيفية التي هي الملة الكبرى، والشريعة العظمى، وذلك هو الدين القيم. وكان الأنبياء من أولاده كلهم يقررون الحنيفية؛ وبالخصوص صاحب شرعنا

---

[1] - القاسمي، دلائل التوحيد، 70،71 . والآية المذكورة من سورة الجاثية (24) وهي بتمامها :" وقَالُوا ما هِي ِإلا حياتُنَا الدنْيا نَموتُ ونَحْيا وما يهْلِكُنَا ِإلا الدهْر وما لَهمْ ِبذَلِك مِنْ عِلْمٍ ِإنْ همْ ِإلا يظُنون" .

محمد صلوات ا عليه: كان في تقريرها قد بلغ النهاية القصوى، وأصحاب المرمى وأصمى. ومن العجب! إن التوحيد من أخص أركان الحنيفية؛ ولهذا: نفـي الـشرك بكل موضع ذكر الحنيفية: حنيفاً وما كان من المشركين، حنفاء غيـر مـشركين به"([1]) .

ومن الآيات التي تدلّ على المعنى المتأول الثاني قول ا تعالى فـي سـورة يونس: ويعْبدون مِنْ دون اللهِ ما لا يضرهمْ ولا ينْفَعهمْ ويقُولُون هؤُلاءِ شُفَعاؤُنَا عِنْد اللهِ قُلْ أَتُنَبئُون الله بِما لا يعْلَم فِي السماواتِ ولا فِي الأَرْضِ سبْحانَه وتَعالَى عمـا يشْركُون*وما كان الناس إِلا أُمةً واحِدةً فَاخْتَلَفُوا ولَوْلا كَلِمةٌ سبقَتْ مِنْ ربك لَقُـضِي بيْنَهمْ فِيما فِيهِ يخْتَلِفُون* ويقُولُون لَوْلا أُنْزِلَ علَيْهِ آيةٌ مِنْ ربهِ فَقُلْ إِنما الْغَيْـب لِلَّـهِ فَانْتَظِروا إِني معكُمْ مِن الْمنْتَظِرِين ([2]) .

إن ارتباط هذه الآيات وتماسكها مع الآيات السابقة في السور السابقة بين وجلي لفظاً ومعنىً، ولا سيما ما أفاده المعنى النحوي الوظيفي من (ما النافية وإلا الملغاة) وهو دلالة الحصر، لترتبط بقوله تعالى: كان الناس أُمة واحدة فبعث ا النبيين ، الآية السابقة من سورة البقرة، فالمتلقي يلاحظ بكل جلاء من خلال ظاهر الألفـاظ بشكل مباشر، أو من خلال مسألة التفسير النسبي أو الدلالة النسبية، مدى الارتبـاط والتماسك بين المعاني التي يضمنها محور الخطاب لجميع الآيات التي استشهدنا بها على الموضوع المحوري المركزي في السور ذوات الحروف المقطّعة، فالألفـاظ: (الكتاب،القرآن)، وأمة، والصراط، ويتّبع الرسول، وتنزيه ا لنفسه عز وجل عـن أن يكون له شريك، ومسلمون، وغيرها، لبها يؤول في النهاية إلى إقرار (التوحيـد) تعالى، والوحدانية جاءت متقدمة في الآية الثانية من سورة هود قال ا تعـالى:" الر كِتَاب أُحْكِمتْ آياتُه ثُم فُصلَتْ مِنْ لَدنْ حكِيمٍ خَبِيرٍ* أَلا تَعْبدوا إِلا الله إِننِي لَكُـمْ مِنْه نَذِير وبشِير"([3]) .

---

[1] - الشهرستاني: الملل والنحل:232/1،233.

[2] - انظر: سورة يونس: الآيات:16-20 .

[3] - سورة هود: الآيتان،1،2..

ومن الآيات التي تدلّ على معنى اليوم الآخر وعلى اسم من أسماء ا الحسنى (العليم)، قوله تعالى: إلَى اللهِ مرْجِعكُمْ وهو علَى كُل شَيْءٍ قَدِير * أَلَا إِنهمْ يثْنُـون صدورهمْ لِيسْتَخْفُوا مِنْه أَلَا حِين يسْتَغْشُون ثِيابهمْ يعْلَم ما يسِرون وما يعْلِنُون إِنه علِيم بِذَاتِ الصدور ([1])، وظهرت دلالات الحروف أيضاً في قوله تعالى: وما مِنْ دابةٍ فِي الأَرْضِ إِلا علَى اللهِ رِزْقُها ويعْلَم مسْتَقَرها ومسْتَوْدعها كُل فِي كِتَابٍ مبِينٍ ([2])، وقوله تعالى:"أَمْ يقُولُون افْتَراه قُلْ فَأْتُوا بِعشْرِ سورٍ مِثْلِـهِ مفْتَريـاتٍ وادْعـوا مـن اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دون اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِين * فَإِنْ لَمْ يسْتَجِيبوا لَكُمْ فَاعْلَموا أَنمـا أُنْـزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وأَنْ لا إِلَه إِلا هو فَهلْ أَنْتُمْ مسْلِمون ([3]).

وكذلك في قول ا تعالى: فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ ومنْ تَاب معك ولا تَطْغَوْا إِنـه بِما تَعْملُون بصِير ([4]) .

ونجد هذه الدلالات في سورة يوسف عليه السلام، قال ا تعالى: واتبعْتُ مِلةَ آَبائِي إِبْراهِيم وإِسْحاقَ ويعْقُوب ما كَان لَنَا أَنْ نُشْرِك بِاللهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِك مِنْ فَـضْلِ اللهِ علَيْنَا وعلَى الناسِ ولَكِن أَكْثَر الناسِ لا يشْكُرون ([5]).

والمعاني التي تؤول إلى موضوع مركزي واحد نجدها في سورة الرعد أيضاً، قال ا تعالى: كَذَلِك أَرْسلْنَاك فِي أُمةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِها أُمم لِتَتْلُو علَـيْهِم الـذِي أَوْحيْنَا إِلَيْك وهمْ يكْفُرون بِالرحْمنِ قُلْ هو ربـي لَا إِلَه إِلا هو علَيْهِ تَوكلْـتُ وإِلَيْـهِ متَابِ ([6]) .

وفي سورة الحجر نجد ذكر للفظة أمة وقد قرنت بموضوع الوحدانية التي دعا إليها كلّ نبي قومه قبل محمد عليه الصلاة والسلام، قال ا تعالى: كَذَلِك أَرْسـلْنَاك فِي أُمةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِها أُمم لِتَتْلُو علَيْهِم الذِي أَوْحيْنَا إِلَيْك وهمْ يكْفُرون بِالرحْمنِ قُلْ

---

[1] - سورة هود: الآيتان/4،5.

[2] - سورة هود: انظر: الآيات: 4-8.

[3] - سورة هود: الآيتان، 13،14 .

[4] - سورة هود: الآيات،112،123 .

[5] - سورة يوسف: انظر: الآيات 38-40 .

[6] - سورة الرعد: الآيتان،30،13 .

هو ربي لا إِلَهَ إلا هو عليْهِ تَوكلْتُ وإِلَيْهِ متَابِ (1)، ويلاحظ كـذلك هنـا بعـض الدلالات اللفظية وغير اللفظية التي تحصلّت لنا من الحروف الاستهلالية في مطالع هذه السور، ويظهر بأن السور ذوات الحروف المقطّعة بشكل خاص والمكية بشكل عام، قد أولت الموضوعات المحورية مثل الغيب والبعث والقرآن والموت والحيـاة والخلق والرزق والملك والعلم المطلقين وغيرها من المواضيع المماثلة، التي تؤول إلى الموضوع المحوري المركزي الواحد وهو (التوحيد)، ومن السور التي يمكـن الاستشهاد ببعض آياتها أنموذجا دالاً على هذا الترابط والتماسك بين الـسور ذوات الحروف المقطّعة والسور المكية التي لم تستهل بحروف مقطّعة، آيات مـن سـور لأنعام والنحل والأنبياء والمؤمنون. قال ا تعالى في سورة الأنعام: إِن الله فَـالِقُ الْحب والنوى يخْرِج الْحي مِن الْميتِ ومخْرِج الْميتِ مِن الْحـي ذَلِكُـم اللـه فَـأَنى تُؤْفَكُون* (2).

وقال ا تعالى في سورة النحل: وقَالَ الَّذِين أَشْركُوا لَوْ شَاء الله ما عبدْنَا مِنْ دونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْن ولا آَباؤُنَا ولا حرمْنَا مِنْ دونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِك فَعلَ الَّذِين مِـنْ قَبْلِهِمْ فَهلْ علَى الرسلِ إِلا الْبلَاغُ الْمبِـين (3). وفـي سـورة الأنبيـاء قـول ا تعالى: إِن هذِهِ أُمتُكُمْ أُمةً واحِدةً وأَنَا ربكُمْ فَاعْبدون (4). وقول ا تعالى في سورة المؤمنون: وإِن هذِهِ أُمتُكُمْ أُمةً واحِدةً وأَنَا ربكُمْ فَاتقُون (5) .

كما يتصل بهذه الدلالات دلالات لفظة (إمام والإمام وما يدور فـي فلكهمـا)، ومن الآيات التي جاءت في السور ذوات الحروف المقطّعة وفيهـا هـذه الألفـاظ وأمثالها، التي تترابط مع غيرها في دلالتهـا علـى محـاور الـصراط والتوحيـد والربوبية، ما جاء به الأزهري وغيره، من معانٍ تعضد وتؤيـد ارتبـاط وتمـاس دلالات هذا البناء اللفظي المتعدد، ودلّ عليها السياق الذي وردت فيه هـذه اللفظـة

1- سورة الحجر: الآيتان/5،4.

2- سورة الأنعام:انظر: الآيات، 95-106 .

3- سورة النحل: انظر: الآيات: 38-35

4- سورة الأنبياء: الآية،95 .

5- سورة المؤمنون: الآية، 52 .

وسائر مشتقاتها، قال الأزهري:" والقرآن: إمام المسلمين.وقال ابن الأعرابي في قول ا تعالى: يوْم نَدْعوا كُل ُأنَاسٍ بِإِماَمِهِمْ ([1])، قالت مخائفة، بإمامهم. وقالت طائفة: دينهم وشرعهم.وقيل: بكتابهم الذي أحصى فيه عملهم. وقول ا تعـالى: فقـاتلوا أئمة الكفر ([2])؛ أي: قاتلوا رؤساء الكفار وقادتهم الذين ضعفاؤهم تبع لهم ... وقال الفراء في قوله تعالى: وإنّهما لبإمام مبين ([3])، يقول: في طريق لهم يمرون عليها في أسفارهم.فجعل الطريق إماماً، لأنه يؤم ويتبع ...ويكون الإمام رئيساً، كقولـك: إمام المسلمين...ويكون: الكتاب؛ قال ا تعالى:" يوم ندعو كـل أنـاس بإمـامهم، ويكون"الإمام":الطريق الواضح،قال تعالى: وأنهما لبإمام مبين ([4]).

التناص بين سور هذه المجموعة وسائر السور ذوات الحروف المقطعة

أولاً: التماسك في وحدة موضوع الخطاب: ويتحقق هذا التماسك من خلال المستوى الدلالي، الذي يثبت الوحدة الموضوعية بين السور، وهو الموضـوع الـذي شـكّل المحور الرئيس في مجموعة هذه السور.

ثانياً: التعالق التكراري:

التكرار اللفظي: ويشمل

أ- الاستهلال بالحروف المقطعة:

ب - تكرارالكلمات لفظاً ومعنىً: فمن ذلك تكرار الكلمات التالية: وهـب، أنجينـا، بشرناه، البشرى، إذ ترددت هذه الألفاظ في نـصوص كثيـر مـن الـسور ذوات الحروف المقطّعة، وكذلك تكرار الكلمات (شفيع، شفاعة، يشفع) وما يتخـرج مـن جذرها الثلاثي في كثير من هذه السور، ومن الأمثلة عل ذلك ورود لفظة (شـفيع) ثلاث مرات في ثلاث سور من السور ذوات الحروف المقطعة، قـال ا تعـالى: وَأَنْذِرْهمْ يوْم الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوب لَدى الْحنَاجِرِ كَاظِمِين ما لِلظالِمِين مِـنْ حمِـيمٍ ولا

---

[1]- سورة الإسراء، الآية،71 .

[2]- سورة التوبة: الآية،12.

[3]- سورة الحجر الآية، 79 .

[4]- الأزهري: تهذيب اللغة : (أم).

شَفِيعٍ يطَاع ، وقال ا تعالى: وَأَنْذِرْ بِهِ الَذِين يخَافُون أَنْ يحْشَروا إِلَى ربهِمْ لَـيْس لَهمْ مِنْ دونِهِ ولِي ولَا شَفِيع لَعلهمْ يتقُون ([1])، وقال ا تعالى: إِن ربكُم الله الـذِي خلَقَ السماواتِ والأَرْض فِي سِتةِ أَيامٍ ثُم اسْتَوى علَى الْعرْشِ يدبر الأَمْر مـا مِـنْ شَفِيعٍ إِلا مِنْ بعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُم الله ربكُمْ فَاعْبدوه أَفَلا تَذَكَرون ([2]).

نجد في سورة يونس الحديث عن البعث من خلال الصفة المشبهة(شفيع على فعيل)، بدلاً من الفعل (يشفع) الوارد في سورة البقرة وتضمنته آية الكرسي منها.
وباستقراء الآيات التي وردت فيها هذه الكلمات ومن خلال السياق الذي وردت فيـه أيضاً، نلاحظ أن هذه الكلمات قد انسجمت مع الزمان والمكان الذي يجب أنْ تكـون فيها الشفاعة، وهو اليوم الآخر وما فيه من الحساب والثواب والعقاب، لتـدلّ هـذه الآيات من جهة أخرى على موضوع من الموضوعات الرئيسية التي وظفتها هـذه السور للتأكيد على محور التوحيد، وهذا الموضوع هو موضوع غيبي وهو موضوع اليوم الآخر وما يتخلله أو يسبقه من بعث ونشور، ولعل الآية الرابعة التي تلت الآية السابقة من سورة (يونس)، خير من يعضد هذا الاستقراء والأمر بفعـل الإنـذار، وكذلك يعضده سياق الآيات، قال ا تعالى: إِلَيْهِ مرْجِعكُمْ جمِيعًا وعْد اللهِ حقا إِنه يبْدأُ الْخَلْقَ ثُم يعِيده لِيجْزِي الَذِين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ بِالْقِسْطِ والَذِين كَفَروا لَهمْ شَراب مِنْ حمِيمٍ ([3]).

التكرار بالمعنى: ومما جاء منه قوله تعالى في سورة هود:" فَلَعلَك تَارِك بعْض ما يوحى إِلَيْك وضائِقٌ بِهِ صدْرك أَنْ يقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ علَيْهِ كَنْز أَوْ جاء معه ملَـك إِنما أَنْتَ نَذِير والله علَى كُلِّ شَيْءٍ وكِيلٌ ([4])، وهو تكرار للآية الثانية من سـورة الأعراف:" كِتَاب أُنْزِلَ إِلَيْك فَلا يكُنْ فِي صدْرِك حرج مِنْـه لِتُنْـذِر بِـهِ وذِكْـرى لِلْمؤْمِنِين ([5]).

---

[1] - سورة غافر: الآيتان/18،51.
[2] - سورة يونس: الآية/3.
[3] - سورة يونس: الآية/4.
[4] - سورة هود: الآية/12.
[5] - سورة الأعراف: الآية/2.

ثالثاً: التماسك من خلال المناسبة بين أوائل سور هذه المجموعة وخواتيمها:

تماسكت أوائل هذه السور مع وخواتيم السور التي قبلها وبعدها، وقد مر هذا في دراسة موضوع المناسبة أول هذا الفصل .

رابعاً: التماسك بحسب مواقف الرسل:

يتضح التماسك بين هذه السور من خلال العقاب الذي لقيه من كفر من أقوام الرسل عليهم السلام بما جاء به المرسلون، كما تماسكت وتعالقت هذه السور من خلال توظيف القصص والأمثال وأخذ العبر .

الزمن النحوي في هذه السور:

للزمن النحوي دلالات متعددة منها ما جاء من الجمع بين الماضي والمضارع في قوله تعالى: وَمَنْ خَفَّتْ موازينُه فَأُولَئِكَ الَّذِين خَسِروا أَنْفُسهمْ بِما كانُوا بِآياتِنَا يظْلِمون ([1])، والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم في الدنيا أي فأولئك الموصوفون بخفة الموازين خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم المستمر بآياتنا ظالمون، والتّعبير عن المستقبل بلفظ الماضي للتّنبيه على تحقّق وقوعه، أي: وننزع ما في صدورهم من غِل، وهو تعبير معروف في القرآن كقوله تعالى: أتى أمر ا ([2])، وهذا القول يحتمل أن يكونوا يقولونه في خاصتهم ونفوسهم، على معنى التّقرب إلى ا بحمده، ويحتمل أن يكونوا يقولونه بينهم في مجامعهم([3]).

2.3 التحليل النصي لسورة مريم

1- دلالة الحروف المقطعة

استهلت سورة مريم بخمسة حروف مقطّعة هي (كهيعص)، وقد تفردت هذه السورة بعدد الحروف عن سائر السور التي شكلّت الآية الأولى من كلّ سورة،

---

[1] - سورة الأعراف: الآية/9.

[2] - سورة النحل: الآية/1.

[3] - أبو السعود: تفسير أبي السعود: 483/2.

وتماثلت معها سورة الشورى بعدد حروفها الخمسة، واختلفت عنهـا بـأن شـكلّت حروفها الخمسة الآيتين الأوليتين من السورة وهي : "حـم*عسـق".

الدلالة المعجمية:

الكاف: الكبير من الإبل الذي ذهبت أسنانه، (علامة على الكِبر)،([1])، وهذا المعنـى اللغوي المعجمي منسجم مع حالة الكِبر التي وصل إليها زكريا عليه السلام، وجـاء في بصائر ذوي التمييز أن:" الكاف في اللغة: الرجل المصلح بين القوم"([2])، وهـذا المعنى ربما يكون منسجماً مع دعوة زكريا عليه السلام؛ ليكون وريث النبوة رجـلاً صالحاً، والدعاء بالذرية الصالحة ورد كثير في كتاب ا على لسان الأنبياء والرسل والصالحين .

أسماء ا الحسنى:

تكاد قراءات المفسرين للحروف التي استهلت بها سورة مريم التي بدأت بهـا واحدة؛ وهذا التأويل لها كان أكثر تأويلات المفسرين لهذه الحروف بأنهـا حـروف مقتطّعة من أسماء ا الحسنى، إذ ذكروا بأن كل حرف منها مقتطع من اسـم مـن أسماء ا الحسنى، فمن أسماء ا الحسنى التي تأولهـا بعـض المفـسرين لهـذه الحروف (الكاف من/ الكبير، الكافي، الهاء من الهادي، والياء من الحكيم، والعـين من / عالم، عدل، والصاد من صادق. وهو التأويل الذي ارتضيناه باعتباره تـأويلاً تؤول إليه كلّ التأويلات الأخرى للحروف المقطّعة، إذ إن هذه الدلالات للحـروف المقطعة متعالقة ومنسجمة ومرتبطة مع الدلالات التي تضمنتها أبنية الـسورة فـي مستوى النص الأفقي والعمودي، وكذلك تعالق دلالة الكاف معجمياً بـدلالتها علـى معنى الكبير مع اسم ا عز وجل (الكبير)، وكذلك تعالق الدلالة المعجمية لحـرف الكاف مع حالة الكبر الذي لحق زكريا عليه السلام مع اسم ا تعالى، كمـا تعـالق صدق مريم وعيسى عليهما السلام مع اسم ا تعالى (الصادق)، وقال بعضهم الياء من (يمين) ومن (يا من يجير ولا يجار عليه) ([3]).

---

[1] - ابن منظور: لسان العرب، (كبر) .

[2] - االفيروزأبادي: بصائر ذوي التمييز، 319/4.

[3] - الطبري: جامع البيان، 139/18 .

أما المفسرون الشيعة فنجد أن منهم من جعلها تشير إلى أهل البيت، وقد غالى بعضهم في توظيف الحروف القطعة لمذهبه التشيع ([1]) .

دلالتها على أفعال الأمر:

جاءت أفعال كثيرة بصيغة الأمر، وقد تعدد المخاطبون المسندة إليهم هذه الأفعال في المعنى، فمن هذه الأفعال (واذكرْ؛ وقد تكرر خمسة عشر مرة في القرآن الكريم، منها خمس مرات في سورة مريم ، خذْ، وهزي، فكلي، واشربي، وقري، فقولي، فَاعْبدوه، فاتبعني...الخ) .

2- عناصر التماسك النصي في سورة مريم.

أ- العلاقات والعناصر الدلالية.

المناسبة بين عنوان السورة ومضمونها .

ورد اسم (مريم) عليها السلام في هذه السورة، بمعنى أنّها كانت من ضمن (الآل)، وأسماء زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام، قد وردت في سورة مريم، وجاء التفصيل في عيسى وأمه عليهما السلام في هذه السورة أكثر مما هو في سورة آل عمران، ومريم هي ابنة عمران وعيسى عليه السلام ابنها، فجاء التفصيل لهذه الذرية من خلال ذكر زكريا واستجابة دعائه بمولد ابنه يحيى، ثم ذكر قصة مريم وعيسى عليهما السلام، ثم ذكر الأنبياء والرسل وتقديم الفعل (واذكر) معطوفاً على المصدر (ذكر) رحمة ربك عبده زكريا، وقرئ ذكر على الأمر، قبل ذكر النبي، وختم بعد ذكرهم بآية تذكر هذه الذرية من آدم عليه السلام، قال ا تعالى:" أولئك الذين أنعم ا عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا "([2])، ولعل ما يشد من تماسك هاتين السورتين وذكر القصتين فيهما إجمالاً أو تفصيلاً، تماثل الأحداث والوقائع لفظاً ومعنى من حيث:

1- البشارة لزكريا ومريم بمولودين ذكرين جعلهما ا عز وجل من المرسلين.

[1] - انظر: مواقف المفسرين من الحروف المقطّعة/الفصل الأول من هذه الدراسة .

[2] - سورة مريم : الآية: 58.

2- المكان الذي بشرا فيه .

3- تماثل الموقف النفسي لزكريا ومريم في تعجبهم من تحقق البشارة، المتأتية من أن أمر وقوعها عرفاً يكون بين ذكر وأنثى قادرين على الإنجاب، إذ لا يقع بين ذكر معترف بعجزه عن ذلك بسبب كبره، وإقراره بذلك، بدلالة الفعل كان المستغرق في المضي الدال على صفتها تلك، ولا يقع من امرأة قادرة ليست عاقراً دون أن يواقعها ذكر .

4- وحدة موضوع الآية (العلامة) التي طلبها زكريا والتي ألهمها الله مريم: هي الصوم عن الكلام إلا بالإشارة، فكان أمر البشارة يتطلّب آية ليس لزكريا ومريم فهما مؤمنان بتحققها ، بل آية تنسخ عرفاً وتؤكد لعرف آخر، فالعرف المنسوخ هو عرف حدوث الإنجاب، والعرف المؤكد هم معرفة قوم زكريا به، فخلقه سوي قادر على الكلام، ليس به صم أو بكم، كما أن الإشارة على عدم وجود اسم يحيى لأحد قبله داخل في هذا العرف كما يبدو، والعرف المؤكد لمريم عليها السلام إقرار قومها بوجوب أن يكون خلقها حسناً كخلق أبيها وأمها، فأكد الصبي (عيسى عليه السلام) هذا الخلق، بآية أخرى وهو رده – قولاً – مجيباً بدلاً من أمه التي أشارت له وفاءً لنذرها.

إن الغاية التي ننشد الوصول إليها من تماثل هذه الأحداث والوقائع، هي أن مولدي يحيى وعيسى كانا آيتين كفيلتين وكافيتين لقومهما، ليؤمنوا بما دعا إليه عليهما السلام إلى عبادة الله إله واحد لا شريك له .

وتماسكت هذه السورة مع سورة آل عمران من خلال الآية التي تُخاطب أهل الكتاب، بإتباع دعوة الأنبياء الواحدة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وإتباع خاتم الأنبياء الذي يدعو بالدعوة نفسها التي دعا إليها إبراهيم عليه السلام الذي زعم اليهود والنصارى أنه منهم ، فأول نبي ذكر في سورة مريم بعد ذكر قصتي زكريا ومريم، إبراهيم عليه السلام.

المناسبة بين دلالة الحروف المقطّعة ومضمون السورة

يبدو أن المناسبة قد تحققت بين دلالة الحرف (الكاف) المعجمية أول حروف (كهيعص)، وبين هذه الكلمات لفظاً ومعنىً، قال في البصائر:" فالكاف في اللغة:

الرجل المصلح بين القوم"([1])، وهذا المعنى المعجمي ارتبط وتعالق مع تفسير أغلب المفسرين للآية الخامسة والسادسة من السورة قال تعالى: وإِني خِفْتُ الْموالِي مِـنْ ورائِي وكَانَتِ امْرأَتِي عاقِرًا فَهبْ لِي مِنْ لَدنْك ولِيا (5) يرِثُنِي ويرِثُ مِنْ آَلِ يعْقُوب واجْعلْه رب رضِيا ([2]) ، وخاصة لفظتي (الموالي و ورائي و آل) من الآيتين قال الرازي:" وأما الآل فهم خاصة الرجل الذين يؤول أمرهم إليه ثم قد يؤول أمرهم إليه للقرابة تارة وللصحبة أخرى كآل فرعون وللموافقة في الدين كآل النبي صـلى ا عليه وسلم، واعلم أن زكريا عليه السلام قدم على السؤال أموراً ثلاثة: أحدها: كونه ضعيفاً والثاني: أن ا تعالى ما رد دعاءه ألبتة. والثالث: كون المطلـوب بالـدعاء سبباً للمنفعة في الدين. والمختار أن المراد من الموالي الذين يخلفون بعده إما فـي السياسة أو في المال الذي كان له أو في القيام بأمر الدين فقد كانت العادة جارية أن كل من كان إلى صاحب الشرع أقرب فإنه كان متعيناً في الحياة"([3]) .

الحقول الدلالية (المصاحبات المعجمية): المسلم، المخلِص، الحنيف، المـؤمن، المتقي، قال ا تعالـى: واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ موسى إِنه كَان مخْلَصًا وكَان رسـولا نَبِيا ([4]) .

قال الزمخشري :"المخلِص ـ بالكسر ـ الذي أخلص العبـادة عـن الـشرك والرياء، أو أخلص نفسه وأسلم وجهه ، وبالفتح: الذي أخلصه ا ، الرسول: الذي معه كتاب من الأنبياء: والنبي الذي ينبىء عن ا عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيوشع"([5]).

الأفعال: ومن الأفعال ذات الحقل الدلالي الواحد الفعلان(يتفطرن، تنشق) .

---

[1]- الفيروزابادي: بصائر ذوي التمييز: 319/4 .

[2]- سورة مريم: الآيتان/6،5.

[3]- الرازي: مفاتيح الغيب، 265/10.

[4]- سورة مريم: الآية:51 .

[5]- الزمخشري: الكشاف 4 /92 .

الإحالات الضميرية والإشارية: وسأمثل لها من خلال ما يلي:

ما يحيل إلى لفظ الجلالة:

ضمير المتكلّم بصيغة الجمع: (فأرسلنا، روحنا، ولنجعله، الكاف (ربك)، قال تعالى:"فَأَرْسلْنَا إِلَيْها روحنَا" وقوله تعالى:"

الآيات التي تتحدث عن قصة عيسى وأمه عليهما السلام، قال تعالى: واذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مرْيم إِذِ انْتَبذَتْ مِنْ أَهْلِها مكَانًا شَرْقِيا *فَاتخَذَتْ مِنْ دونِهِمْ حِجابًا فَأَرْسلْنَا إِلَيْها روحنَا فَتَمثلَ لَها بشَرًا سوِيا * قَالَتْ إِني أَعوذُ بِالرحْمنِ مِنْك إِنْ كُنْتَ تَقِيا* قَالَ إِنما أَنَا رسولُ ربكِ لِأَهب لَكِ غُلَامًا زكِيا * قَالَتْ أَنى يكُون لِي غُلَام ولَمْ يمسسْنِي بشَر ولَمْ أَك بغِيا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ ربكِ هو علَي هين ولِنَجْعلَه آَيةً لِلناسِ ورحْمةً مِنا وكَان أَمْرًا مقْضِيا * فَحملَتْه فَانْتَبذَتْ بِهِ مكَانًا قَصِيا * فَأَجاءها الْمخَاض إِلَى جِذْعِ النخْلَةِ قَالَتْ يا لَيْتَنِي مِت قَبْلَ هذَا وكُنْتُ نَسْيا منْسِيا * فَنَاداها مِنْ تَحْتِها أَلا تَحْزنِي قَدْ جعلَ ربكِ تَحْتَكِ سرِيا * وهزي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النخْلَةِ تُساقِطْ علَيْكِ رطَبا جنِيا * فَكُلِي واشْربِي وقَري عيْنًا فَإِما تَرين مِن الْبشَرِ أَحدًا فَقُولِي إِني نَذَرْتُ لِلرحْمنِ صوْمًا فَلَنْ أُكَلم الْيوْم إِنْسِيا *فَأَتَتْ بِهِ قَوْمها تَحْمِلُه قَالُوا يا مرْيم لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيا * يا أُخْتَ هارون ما كَان أَبوكِ امْرأَ سوْءٍ وما كَانَتْ أُمكِ بغِيا * فَأَشَارتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلم منْ كَان فِي الْمهْدِ صبِيا*قَالَ إِني عبْد اللهِ آَتَانِي الْكِتَاب وجعلَنِي نَبِيا * وجعلَنِي مباركًا أَين ما كُنْتُ وأَوْصانِي بِالصلَاةِ والزكَاةِ ما دمْتُ حيا * وبرا بِوالِدتِي ولَمْ يجْعلْنِي جبارًا شَقِيا * والسلَام علَي يوْم ولِدْتُ ويوْم أَموتُ ويوْم أُبعثُ حيا (1).

أ- ما يحيل إلى عيسى عليه السلام :

كل الضمائر التي أحالت إلى عيسى عليه السلام جاءت محيلة إليه إحالة بعدية ذاتية متطابقة، من أول السورة حتى قوله تعالى: ذَلِك عِيسى ابْن مرْيم قَوْلَ الْحق الذِي فِيهِ يمْتَرون (2)، فأحال اسم الإشارة (ذلك) إلى عيسى عليه السلام إحالة بعدية ذاتية متطابقة.

---

1 - سورة مريم: الآيات(16-33).

2 - سورة مريم: الآية/34.

هو: قال: هو / الصبي الذي في المهد// ذلك عيسى ابن مريم، لا ابن غيرها، فهي المتهمة، كلمة من ا // قول الحق ...كن فيكون: فكان عيسى...

ضمير الغائب (الهاء): وجاء في الكلمات التالية (به، تحمله، إليه...)

ما يحيل إلى مريم عليها السلام:

أحال إلى مريم عليها السلام مجموعة من الضمائر الظاهرة والمحذوفة، وهي على النحو التالي:

هي: في الكلمات التالية (انتبذت، فاتخذت، قالت/وتكرر ثلاث مرات، فانتبذت، فحملته، تحمله، فأشارت) (الياء) الضمير المضاف : وجاء في الكلمات التالية (وهزي)،

الكاف: وجاء في الكلمات التالية (إليكِ، ضمير الغائب (الهاء): وجاء في الكلمات التالية (أهلها، إليها، لها، فأجاءها، فناداها، تحتها، قومها).

الإحالة الخارجية: أحال الضمير المستتر (هو) المسند إليه فعل القول (قال)، الذي تصدر الآية التي وقعت جملةً استئنافية تفسيرية للجملة التي قبلها، فأحال الضمير إلى مذكور خارج النص، وهو (جبريل) عليه السلام كما يفهم من سياق الآية، ومن القرائن اللفظية التي جاءت في جملة (فأرسلنا إليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً)، قرينة الفعل المسند إلى ضمير الجمع، الذي يحيل إلى لفظ الجلالة (فأرسلنا)، دلالة على أن المرسل هو ا عز وجل، وقرينة الاسم (روحنا) المسند إليه الفعل (فتمثل) دلالة على أن المرسل ليس بشراً بل ملَكاً، وفاعله ضمير مستتر (هو) أي (الملَك) .

أنا: كما أحال الضمير المستتر المسند إليه الفعل المسبوق بلام التعليل (لأهب)، إلى (جبريل) إحالة خارجية ذاتية متطابقة.

الواو: أحال ضمير الرفع في الفعل (سيكفرون) المسند إليه، أحال إحالة خارجية ذاتية متطابقة إلى الآلهة المتعددة التي يعبدونها من دون ا ، قال ابن عاشور:"

والضميران في قوله: سيكفرون ويكونون ([1])، يجوز أن يكونا عائدين إلى آلهـة، أي سينكر الآلهةُ عبادةَ المشركين إياهم"([2]).

ومن صور الإحالة الخارجية، الإحالة بالاسم الموصول، ومنه قولـه تعـالى: وَأَعْتَزِلُكُمْ وما تَدْعون ([3]) .

وجعله ابن عاشور من باب الاستبدل كما هو ظاهر كلامه، فقال:" وعبر عـن الأصنام بطريق الموصولية بقوله: ما تدعون من دون ا ، للإيماء إلى وجـه بنـاء الخبر وعلّة اعتزاله إياهم وأصنامهم: بأن تلك الأصنام تعبد من دون ا وأن القـوم يعبدونها ، فذلك وجه اعتزاله إياهم وأصنامهم"([4]).

إحالة أسماء الإشارة :

اسم الإشارة (ذلك) في جملة "وما بين ذلك"، فاسم الإشارة يحيل إحالة نـصية خارجية ذاتية متطابقة، إلى محذوف لم يذكر في النص، لكنّه مفهوم مـن الجملتـين اللتين وردت فيهما لفظتا (أيدينا وخلفنا)، الدالتان على جهتين من الجهات الأربعـة هما الأمام والخلف، فدلّ اسم الإشارة المفرد (ذلك) على مـا بقـي مـن الجهـات الأربعة، وهما اليمين والشمال، قال ابن عاشور موضحاً إحالة اسم الإشارة (ذلك):" والمراد ... بـ (وما بين ذلك) ما كان عن أيمانهم وعن شمائلهم، لأن ما كان عـن اليمين وعن الشمال هو بين الأمام والخلف، والمقصود استيعاب الجهات"([5]) .

المناسبة بين الكلمات في الآية الواحدة وفي الآيات التي في السياق نفسه: ومنه المناسبة بين الفعل (نادى) ومصدره (نداءً) في قول ا تعالى: إِذْ نَادى ربه نِـداءً خَفِيا ([6])، وكذلك المناسبة بين كلمة (خفياً) والكلمات التي وصفت حـال (زكريـا) عليه السلام وما أصابه من الوهن والضعف والكِبر، وهي قول ا تعالى:" قَالَ رب

---

[1] - سورة مريم: الآية:82.

[2] - ابن عاشور: التحرير والتنوير: 163/16.

[3] - سورة مريم: الآية:48.

[4] - ابن عاشور: التحرير والتنوير: 163/16.

[5] - المرجع نفسه: 497/8 .

[6] - سورة مريم: الآية/3.

إني وهن الْعظْم مِني واشْتَعلَ الرأْس شيْبا ولَمْ أَكُنْ بِدعائِك رب شَقِيا"([1])، المناسـبة بين كلمة (خفياً) والكلمات (وهن العظم، الشيب) وبين الدلالة غير اللفظيـة للفعـل (يرثني) بصيغة المضارع الدال بزمنه على قرب الأجل لزكريا عليه السلام ، فـي قوله تعالى:" يرِثُنِي ويرِثُ مِنْ آَلِ يعْقُوب واجْعلْه رب رضِيا (6)، وكذلك المناسـبة بين هذه الكلمات وبين لفظة (الكِبر) في قول ا تعالى: قَالَ رب أَنى يكُـون لِـي غُلام وكَانَتِ امْرأَتِي عاقِرا وقَدْ بلَغْتُ مِن الْكِبرِ عِتِيا ([2]).

الاستبدال:

استبدال: اسمي: ولداً / شريكاً، رداً يناسب قولهم اتخذ ا ولداً، إذ إن المفهوم من فعل الاتخاذ (اتخذ) المسند لفظاً إلى ا سبحانه وتعالى، هـو أن لـه شـريكاً، والجملة التي تصدرها الفعل (اتّخذ) هي جملة مقول القول من (قالوا) المـسند إلـى ضمير الرفع الذي يحيل إحالة ذاتية خارجية متطابقة إلـى الكـافرين، فارتبطـت الجملتان؛ القول ومقوله، بوقوع الثانية مقولة للأولى مفسرة لقولهم، قال ا تعـالى: وقَالُوا اتخَذَ الرحْمن ولَداً ([3])، فوقع الفعل (اتّخذ) مسنداً إلى الكافرين، هذا الاسـم الذي أُستبدِلَ باسم يدلّ على هول الفعل الجرمي الذي ارتكبوه، وهو قولهم: اتّخذ ا ولداً، فناسب وصفهم بـ (المجرمين) بدلاً من الكافرين في الآيتين 86و87، فـذكر في الأولى ظاهراً وفي الثانية مضمراً، وارتبطت الآيتان بالآية 85 قبلها من خـلال عنصر المقابلة أو التضاد، فقابل بعلاقة التضاد بين المتقين والمجرمين، وارتبطـت الآية 88 بالآيات التي تتحدث عن نسبة وادعاء الألوهية والعبادة إلى ملائكة وبـشر مع ا ، وا هو خالقهم، قال ا تعالى: ويقُولُ الإِنْسان أَئِذَا ما مِت لَسوْفَ أُخْـرج حيا * أَولا يذْكُر الإِنْسان أَنا خَلَقْنَاه مِنْ قَبْلُ ولَمْ يك شيْئًا ([4]) .

---

[1] - سورة مريم: الآية/4.

[2] - سورة مريم: الآية/8.

[3] - سورة مريم: الآية/88.

[4] - سورة مريم: الآية/67.

إن إنكار البعث هو أثر من آثار الشرك، فلما تضمن قوله: فاعبده واصـطبر لعبادتهِ هلْ تَعْلَمُ لَهُ سمِيا (1). إبطالَ عقيدة الإشراك به ناسب الانتقالُ إلى إبطال أثر من آثار الشرك، وهو نفي المشركين وقوع البعث بعد الموت حتـى يـتم انتقـاض أصلي الكفر، فالواو عاطفة قصة على قصة ، والإتيان بفعـل (يقـول) مـضارعاً لاستحضار حالة هذا القول للتعجيب من قائله تعجيب إنكار.

استبدال فعل: ومنه استبدال الفعل (سيجحدون) بالفعل (سيكفرون)، إذ إن سياق الآيات الموضوعي، يلائمه الفعل (سيكفرون)، كما أن دلالة الفعل (كَفَـر) اللفظيـة وهي يغطي، تتداخل مع دلالة الفعل (جحد) في الحقل الدلالي المشترك، فالتغطيـة تكون لما هو مكشوف واضح بين، وتغطية المكشوف إنّما هو جحود وإنكـار لـه، ودلالة الاسم منه (الكفر)، قال أبو هلال العسكري:" أما التأويل فإنه يستعمل تـارة عاما، وتارة خاصا نحو الكفر المستعمل في الجحود المطلق، وتـارة فـي جحـود الباري خاصة "(2)، فناسبت صيغة الفعل المضارع مسبوقاً بحرفّ التسويف الـسين الدال على زمن الفعل وهو المستقبل، على وقوع الفعل حقيقة في وقته المناسب الذي تحدث عنه سبحانه وتعالى، مع تجدده عندهم مطلقاً في كل زمن يعيشون منه، وأكد على وقوع الفعل (سيكفرون) كذلك، بقرائن متعددة، منها قرينة وقوع الآيـة وهـي قول ا تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنا أَرْسلْنَا الشياطِين علَى الْكَافِرِين تَـؤُزهمْ أَزا (3) بعـدها جملة معترضة، تضمنت حصول أفعال بحق الكافرين، وبقرينة الأفعال (فلا تعجـل عليهم، نحشرهم، ونسوق)، وبقرينة الأسماء (ويوم نحشرهم / اليوم الآخر/ إثبـات البعث والحساب، جهنم، العذاب..

ومن الاستبدال الفعلي، الفعل (دعا) المستبدل بالفعل (نادى)، في قوله تعـالى: إِذْ نَادى ربه نِداءً خَفِيا (4)، ويبين هذا الاستبدال قرينة الاسم المجرور (بدعائك)، وكذلك ما جاء في سورة آل عمران؛ إذ جاء التصريح بلفظ الفعل الدال على الدعاء

---

[1] - سورة مريم: الاية/65.

[2] - العسكري: الفروق اللغوية، 132.

[3] - سورة مريم: الآية/83.

[4] - سورة مريم: الآية/3.

وفي أحد أسماء ا الحسنى وهو السميع الذي أجاب الدعاء: إنّـك أنـت الـسميع العليم (1).

الاستبدال: ومن الاستبدال الفعلي: استبدال الفعل: قالوا بالفعل (دعوا)، فالقول المسند إليهم من قالوا ومقوله هو نسبة الشرك سبحانه، فكـان الفعـل (دعـوا) موضحاً لهذا القول المنسوب إليهم، قال ابن عاشور:" ومعنى(دعوا): نسبوا"(2).

استبدال ظرفي: وجاء في استبدال جملة ظرفية مكانية، بجملـة تفيـد معنـى الظرفية، وذلك بقرينة كلمة (بين) الدالة على الظرف، وهي جملة (له مـا أمامنـا) بجملة " له ما بين أيدينا"، وكذلك استبدال جملة ظرفية بجملة ظرفية أخرى، وهـي جملة:" وما خلفنا " بدلاً من (وما وراءنا)، وكذلك استبدال جملة (وما هو عن يميننا وشمالنا)، التي تمثل البنية العميقة لجملة (وما بين ذلك)، بهذه الجملة نفسها، وكـأن الاستبدال في هذه الجمل، هو استبدال جمل أولى أصلية، بجمل ثانية محولة، استناداً إلى قواعد النحو التحويلي التوليدي، الذي استثمرته نظرية نحو النص فـي تحليـل النص وفهمه.

الجمل التفسيرية:

جملة:(قَالَ رب إني وهن العظم مِني) مبنية لجملة: نادى ربه"(3) ، وهي وما بعدها تمهيد للمقصود من الدعاء وهو قوله: (فَهب لِي مِن لدنك ولِيـاً)(4)، وإنّمـا كان ذلك تمهيداً لما يتضمنه من اضطراره لسؤال الولد، وا يجيـب المـضطر إذا دعاه، فليس سؤاله الولد سؤال توسع لمجرد تمتع أو فخر، ووصف من حالـه مـا تشتد معه الحاجة إلى الولد حالاً ومآلاً، فكان وهن العظم وعموم الشيب حالاً مقتضياً للاستعانة بالولد مع ما يقتضيه من اقتراب إبان الموت عادة، فذلك مقـصود لنفـسه ووسيلة لغيره وهو الميراث بعد الموت، والخبران من قوله:(وهـن العظـم منـي

1- سورة آل عمران: الآية/35 .

2- ابن عاشور: التحرير والتنوير:17/9.

3- سورة مريم: الآية/3.

4- سورة مريم: الآية/5.

واشتعل الرأس شيباً)، مستعملان مجازاً في لازم الإخبار، وهو الاسترحام لحالـه؛ لأن المخبر بفتح الباء عالم بما تضمنه الخبران([1]) .

ويظهر الانزياح الاسنادي في جملة (وهن العظم)، إذ لم يسْنَدْ الفعل إلى الجسم الذي تظهر فيه حالة الضعف، وهو زمنه النحوي (والعظم هو عماد الجسم وقوته)، والوهن: الضعف، وإسناده إلى العظم دون غيره مما شمله الوهن في جـسده لأنـه أوجز في الدلالة على عموم الوهن جميع بدنه؛ لأن العظم هو قـوام البـدن وهـو أصاب شيء فيه، فلا يبلغه الوهن إلاّ وقد بلغ ما فوقه"([2]) .

التعريف والتنكير: والتعريف في (العظَم) تعريف الجـنس دال علـى عمـوم العظام منه ومن فوائد التعريف بالألف واللام لا بالإضافة، ما ذكره الجرجاني في تعريف (الرأس) من قوله تعالى:" واشتعل الرأس شيباً، واعلم أن في الآية الأولـى شيئاً آخر من جنس النظم، وهو تعريف الرأس بالألف اللام، وإفادة معنى الإضـافة من غير إضافة، وهو أحد ما أوجب المزية، ولو قيل: واشـتعل رأسـي. فـصرح بالإضافة لذهب بعض الحسن فاعرفه " .

التكرار بالمعنى: صراطاً مستقيما، صراطاً سوياً، وجاء في قوله تعالى: وإن الله ربي وربكُمْ فَاعْبدوه هذَا صِراطٌ مسْتَقِيم"([3])،
مع قوله تعالى: يا أَبتِ إِني قَدْ جاءنِي مِن الْعِلْمِ ما لَمْ يأْتِك فَاتبِعْنِي أَهْدِك صِراطًا سويا ([4])

الجمل المعترضة:

ويؤتى بها للبيان والتوضيح والتسلية والتأكيد علـى أن فعـلاً سـيحدث فـي المستقبل، وقع مثله وأشد منه قبله، ومنها قوله تعالى: ويقول الإنسان أإذا ما مِتّ لسوف أخرج حياً ([5])... وهي معترضة بين جملـة: واتخـذوا مـن دون ا

-[1] ابن عاشور: التحرير والتنوير: ،483/8.

-[2] المرجع نفسه:489/8.

-[3] سورة مريم: الآية/ 36.

-[4] سورة مريم: الآية/(43.

-[5] سورة مريم: الآية/66،

آلهةِليكُونُوا لَهمْ عِزا (1)وجملة" يوم نحشر المتقين"(2)، وأيضاً هي كالتـ ذييل لتلـ ك الآيات والتقرير لمضمونها؛ لأنها تَستخاص أحوالهم، وتتضمن تسلية الرسول صلى ا عليه وسلم عن إمهالهم وعدم تعجيل عقابه م(3) .

ب- العلاقات والعناصر النحوية

الحذف:حذف المبتدأ:

العطف: ومنه عطف جملة على جملة، قال ا تعالى: وَأَعْتَزِلُكُمْ وما تَدْعون مِنْ دون اللهِ وَأَدْعو ربي عسى أَلا أَكُون بِدعاءِ ربي شَقِيا (4)، جملة (وأعتـ زلكم) عطف على جملة (سأستغفر لك ربي)، أي يقع الاستغفار في المستقبل ويقع اعتزالي إياكم الآن، لأن المضارع غالب في الحال، قال ابن عاشور:"وأظهر حرصه علـ ى هداه فقال:"سأستغفر لك ربي"، أي أطلب منه لك المغفرة من هذا الكفر، بأن يهديـ ه ا إلى التوحيد فيغفر له الشرك الماضي، إذ لم يكن إبراهيم تلقى نهياً من ا عـ ن الاستغفار للمشرك، وهذا ظاهر ما في قوله تعالى: وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه (5)، واستغفاره له هو المحكي في قوله تعالى: واغفـ ر لأبي إنه كان من الضالين (6).

إحالة الضمير: وضمير جماعة المخاطبين عائد إلى أبي إبراهيم وقومه تنزيلاً لهم منزلة الحضور في ذلك المجلس، لأن أباه واحد منهم وأمرهم سواء ، أو كـ ان هذا المقال جرى بمحضر جماعة منهم، (وكأن هذه الآية فيها تـ سلية وإخبـ ار أو إعلام مسبق لنبينا عليه الصلاة والسلام باعتزاله أهله ووطنه لاحقاً) .

العطف: جاء العطف بالواو وقبل اسم الموصو (مـ ا)، قـ ال ابـ ن عاشـ ور:" وعطف على ضمير القوم أصنامهم؛ للإشارة إلى عداوته لتلك الأصنام إعلاناً بتغيير

1- سورة مريم: الآية/81،

2- سورة مريم: 85.

3- ابن عاشور: التحرير والتنوير:14/9.

4- سورة مريم: الآية/48.

5- سورة التوبة:/ 114،

6- سورة الشعراء: الآية/86.

المنكر....والدعاء: العبادة، لأنّها تستلزم دعاء المعبود، وزاد على الإعلان باعتزال أصنامهم الإعلان بأنه يدعو ا احتراساً من أن يحسبوا أنه نوى مجرد اعتزال عبادة أصنامهم، فربما اقتنعوا بإمساكه عنهم، ولذا بين لهم أنه بعكس ذلك يدعو ا الذي لا يعبدونه، وعبر عن ا بوصف الربوبية المضاف إلى ضمير نفسه؛ للإشارة إلى انفراده من بينهم بعبادة ا تعالى فهو ربه وحده من بينهم ، فالإضافة هنا تفيد معنى القصر الإضافي، مع ما تتضمنه الإضافة من الاعتزاز بربوبية ا إياه والتشريف لنفسه بذلك"([1]).

الجمل الحالية: جملة "عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً"([2]) في موضع الحال من ضمير (وادعوا) أي راجياً أن لا أكون بدعاء ربي شقياً...وفي إعلانه هذا الرجاء بين ظهرانيهم تعريض بأنهم أشقياء بدعاء آلهتهم"([3]) .

وقال تعالى: قَالَ أَراغِب أَنْتَ عنْ آَلِهتي يا إِبْراهِيم لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجمنك واهْجرْنِي ملِيا ([4])، قال الزمخشري:" لما أطلعه على سماجة صورة أمره، وهدم مذهبه بالحجج القاطعة، وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات، أقبل عليه الشيخ بفظاظة الكفر وغلاظة العناد، فناداه باسمه، ولم يقابل "يا أبت" ب (يا بني) ، وقدم الخبر على المبتدأ في قوله:"أراغِب أَنتَ عنْ آَلِهتي يا إبراهيم "؛ لأنه كان أهم عنده وهو عنده أعني، وفيه ضرب من التعجب والإنكار لرغبته عن آلهته، وأن آلهته، ما ينبغي أن يرغب عنها أحد. وفي هذا سلوان وثلج لصدر رسول ا صلى ا عليه وسلم عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه، (لأَرْجمنك) لأرمينك بلساني، يريد الشتم والذم، ومنه (الرجيم) المرمي باللعن، أو لأقتلنك، من رجم الزاني، أو لأطردنك رمياً بالحجارة. وأصل الرجم: الرمي بالرجام، (ملِياً) زماناً طويلاً من الملاوة: أو ملياً بالذهاب عني والهجران قبل أن أثخنك بالضرب ، حتى لا تقدر أن تبرح . يقال : فلان ملي بكذا ، إذا كان مطيقاً له مضطلعاً به، فإن قلت:

---

[1] - ابن عاشور: التحرير والتنوير:486/8.

[2] - سورة مريم: الآية/48 .

[3] - ابن عاشور: التحرير والتنوير: 487/8.

[4] - سورة مريم: الآية/46.

علام عطف (واهجرنى) ؟ قلت: على معطوف عليه محذوف يدل عليه (لأَرْجمنك) أي فاحذرني واهجرني، لأن(لأَرْجمنك) تهديد وتقريع "([1]).

الزمن النحوي في سورة مريم:

الفعل الماضي (وهن) في جملة (وهن العظم)، يبين دلالة الكبر الذي وصـل إليه زكريا عليه السلام، وجاء في زمنه الماضي خدمة لمعناه النحـوي الـوظيفي، وكذلك الفعل (اشتعل) في جملة (واشتعل الرأس شيباً)، فزمن الفعل النحوي بدلالتـه على الاشتعال، دال على الشيب لم يقع على نسبة من الشعر، بل شمل الرأس كلّـه، فكان سريانه في شعر الرأس سريان النار في الهشيم فتأتي عليه كلّه، ويوضح لنـا الجرجاني مزية النظم في اختيار الألفاظ ووضعها حيث تقتضي معاني النحو فيـه، وطبيعة بنيتها التي تأتي فيها؛ تعريفاً أو تنكيراً أو تقديماً أو تأخيراً، وكأنّـه يـشرح جوهر نظرية نحو النص وعناصر التماسك النصي، من خلال حديثه عـن تـرابط الألفاظ وتعالقها فيما بينها، فقال:" ومن دقيق ذلك وخفيه، أنك ترى الناس إذا ذكروا قوله تعالى: " واشتعل الرأس شيباً " لم يزيدوا فيه على ذكر الاستعارة، ولم ينـسبوا الشرف إلا إليها، ولم يروا للمزية موجباً سواها، هكذا ترى الأمر في ظاهر كلامهم، وليس الأمر على ذلك، ولا هذا الشرف العظيم، ولا هذه المزيـة الجليلـة، وهـذه الروعة التي تدخل على النفوس عند هذا الكلام لمجرد الاستعارة، ولكن لأن يـسلك بالكلام طريق ما يسند الفعل فيه إلى الشيء، وهو لما هو سببه فيرفع به مـا يـسند إليه، ويؤتى بالذي الفعل له في المعنى، منصوباً بعده مبيناً أن ذلك الإسـناد، وتلـك النسبة إلى ذلك الأول، إنّما كان من أجل هذا الثاني، ولما بينه وبينه من الاتـصال والملابسة، كقولهم: طاب زيد نفساً، وقر عمرو عيناً، وتصبب عرقاً، وكرم أصـلاً، وحسن وجهاً، وأشباه ذلك مما تجد الفعل فيه منقولاً من الشيء إلى ما ذلك الـشيء من سببه، وذلك أنا نعلم أن اشتعل للشيب في المعنى، وإن كان هو للرأس في اللفظ. كما أن طاب للنفس، وقر للعين، وتصبب للعرق، وإن أسند إلى ما أسند إليه، يبـين أن الشرف كان لأن سلك فيه هذا المسلك، وتوخي به هذا المذهب، أن تـدع هـذا

---

[1]- الزمخشر:ي الكشاف: 4/ 89 .

الطريق فيه، وتأخذ اللفظ فتسنده إلى الشيب صريحاً فتقول: اشتعل شـيب الـرأس والشيب في الرأس. ثم تنظر: هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة؟ وهل ترى الروعة التي كنت تراها؟ فإن قلت: فما السبب في أن كان اشتعل إذا استعير للشيب على هذا الوجه كان له الفضل؟ ولم بان بالمزية من الوجه الآخر هذه البينونة؟ فإن السبب أنه يفيد مع لمعان الشيب في الرأس الذي هو أصل المعنى الشمول، وأنه قد شاع فيـه، وأخذه من نواحيه، وأنه قد استغرقه، وعم جملته، حتى لم يبق من السواد شـيء، أو لم يبق منه إلا ما لا يعتد به. وهذا ما لا يكون إذا قيل: اشتعل شـيب الـرأس، أو الشيب في الرأس. بل لا يوجب اللفظ حينئذ أكثر من ظهوره فيـه علـى الجملـة، ووزان هذا أنك تقول: اشتعل البيت ناراً، فيكون المعنى أن النار قد وقعت فيه وقوع الشمول، وأنها قد استولت عليه، وأخذت في طرفيه ووسطه. وتقول: اشتعلت النـار في البيت. فلا يفيد ذلك، بل لا يقتضي أكثر من وقوعها فيه وإصابتها جانبـاً منـه. فأما الشمول، وأن تكون قد استولت على البيت، وابتزته فـلا يعقـل مـن اللفـظ البتة."([1]).

ج- العلاقات والعناصر التداولية

من العناصر التي أولاها التماسك النصي اهتماماً بارزاً في هـذا المـستوى، عنصر المقام الذي نزل فيه قسم كثير من الآيات، وهذا المقام متـضمن عنـصري الزمان والمكان والسياق التي قيلت فيه هذه الآيات، ونمثّل لهذا المستوى على النحو الآتي:

أ- أسباب النزول: تسهم مناسبة النزول في ترابط النص وتماسـكه، مـن خـلال تجاوب الوحي مع تساؤل عن موضوع ما أو مع موقف، سواء أكان التـساؤل أم الموقف من الرسول عليه الصلاة والسلام أو من الصحابة رضي ا عنهم، أو من المشركين، فمن تجاوب الوحي مع موقف الرسول عليه السلام عنـدما تأخر عنه الوحي، قول ا تعالى: وما نَتَنَزلُ إلا بِأَمْرِ ربك له ما بيْن أَيْـدِينَا

[1]- الجرجاني: دلائل الإعجاز ،100،101.

وما خَلْفَنَا وما بَيْن ذَلِك وما كان ربك نَسِيا ([1])، فقال جمهور المفـسرين: إن سبب نزولها أن جبريل عليه السلام أبطأ أياماً عن النزول إلى النبي صلى ا عليه وسلم وأن النبي ود أن تكون زيارة جبريل له أكثر مما هو يزوره فقـال لجبريل: " ألا تزورنا أكثر مما تزورنا " فنزلت: {وما نَتَنَزلُ إلا بِأمْرِ ربـك } إلى آخر الآية؛ أي إلى قوله (نَسِياً)، رواه البخاري والترمذي عن ابن عباس. وظاهره أنه رواية وهو أصح ما روي في سبب نزولها وأليقه بموقعها هنـا . ولا يلتفت إلى غيره من الأقوال في سبب نزولها "([2]).

ب ـ معرفة العوالم: قال:" وقد استعمل العد مجازاً في قصر المـدة لأن الـشيء القليل يعد ويحسب . وفي هذا إنذار باقتراب استئصالهم .

ج ـ استعمال كلمة (وفداً) بمعنى (وافدين) وقد دلّ المعنى النحوي الوظيفي الـذي أدته هذه الكلمة وهو (الحال)، على عرف استعمالي للكلمة عند العرب، قـال ابن عاشور:"ولذلك أتبع فعل (نحشر) بقيد (وفداً)؛ أي حشْر الوفود إلى الملوك، فإن الوفود يكونون مكرمين، وكانت لملوك العرب وكرمائهم وفود في أوقات ... وقد اتّبع العرب هذه السنّة فوفدوا على النبي صلى ا عليه وسـلم لأنّـه أشرف السادة، وسنةُ الوفود هي سنة تسع من الهجرة تلت فتح مكـة بعمـوم الإسلام بلاد العرب"([3]).

ويظهر أن الآية السابقة على الآية التي ورد فيها استعاذة مريم عليها الـسلام، أنها تنتمي إلى المعارف المشتركة والمكتسبة في ضوء الاستعمال اللغوي الاجتماعي لبعض المعتقدات التي تتأتي عن طريق الوحي، فالفعل أوحينا المـسند إلـى لفـظ (الجلالة) بإحالة ضمير الجمع له الدال بصيغته على التعظيم إليه عز وجـل، هـو حدث مؤثر في الحدث الذي سيقوم به الموحى إليه أصلاً، لكن هذا الحدث (أوحينا) يبدو أن فيه علامةً يعرف السائلون أن دالّها ومدلولها حقيقة واقعة؛ ترمز أو تـشير إلى معارف اكتسبتها مريم من حولها، وهي معارف لا تقبل الشك عند من يعتقدها،

---

[1]- سورة مريم:الآية/64 .

[2]- ابن عاشور: التحرير والتنوير: 497/8 .

[3]- المرجع نفسه:15/9 .

فكأن عدم الكلام علامة على أمر جال فيه خير قد عرفه كلّ قوم، فلا بد من سـائل سيسأل صائماً عن الكلام أو سيتوقع نتيجة من وراء هذا الحدث، لكن نتيجة الحدث المتأثرة به مريم، وحدث البشارة المتأثر بنتيجته زكريا، تطلبا علامة (آية)، فكانـت علامة الصمت عن الكلام واحدة لكليهما، فمريم صـامت عـن الكـلام، والـصوم الامتناع لغة، واصطلاحاً:" الامتناع عن الطعام والـشراب"، فأتتهـا الآيـة دون أن تطلبها، بدليل (فقولي) قال تعالى:" فَكُلِي واشْرِبِي وقَرِي عَيْنًا فَإِما تَرِيِن مِن الْبـشَرِ أَحدًا فَقُولِي إِني نَذَرْتُ لِلرحْمن صوْمًا فَلَنْ أُكَلم الْيَوْم إِنْسِيا"([1])، وزكريا امتنع عـن الكلام ثلاث ليالٍ سويا، فأجابت بالإشارة لا بالكلام، وكأن الإشارة هنا وحي أيضاً، لكن على تقدير محذوف أي فأوحينا إليها فأشارت، قال ابـن عاشـور:" والـوحي: الإشارة بالعين أو بغيرها "، وهو يفسر قوله تعالى:" فَخَرَج علَى قَوْمِهِ مِن الْمِحْرابِ فَأَوْحى إِلَيْهِمْ أَنْ سبحوا بكْرةً وعشِيا"([2]). وقال تعالى:" قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثاً سوياً"([3])، صمت، وتجاوبت مريم مع علامة الصمت بحدث غير لغوي أيضاً لكنّـه دالّ،:" فأشارت إليه"، فالإشارة رمز كما هو الصمت رمز، وكما هو الصوم رمـزاً للعبادة، وتجاوب ووجدت أن ابن عاشور قد نص على أن الصوم عن الكلام كـان عبادة في بعض الشرائع السالفة فقال:" وكان الانقطاع عن الكلام من ضروب العبادة في بعض الشرائع السالفة، وقد اقتبسه العرب في الجاهلية "([4]).

وفي الجانب التداولي يمكن القول: إن الحدث غير اللغوي الذي أنجـز بقولـه تعالى على لسان مريم عليها السلام: فاشارت إليه ، هو حدث مـن حيـث دوره وطبيعته الاتصالية، فأغنى عن حدثٍ لغوي هو كلام من مريم رداً على قولهم: فكأنّها بحدث الإشارة تقول لهم: هو يجيبكم أو اسألوه هو، إذا ما عددنا ذلك بنيـة عميقـة لحدث الإشارة، فهو حدث ينم عن قصدية من مريم عليها السلام، إلى اسـتحالة أن تقوم بحدث من شأنه أن يثبت عفّتها، بديلاً عن حدث الإشارة، فلربما لو كان كلاماً

---

[1] - سورة مريم: الآية/26.

[2] - سورة مريم: الآية/11.

[3] - سورة مريم: الآية/10.

[4] - ابن عاشور: التحرير والتنوير:464/8.

لرد عليها بكلام، فهي لا تريد أنْ تتكلّم فترد على سؤال السائل تسفهياً له، ولسرعة التجاوب من مريم عليها السلام حتى يدرك السائل (المتلقي)، أنها لا تريد الكلام أو أن تصدر الإجابة منها، فانجزت فعلاً غير لغوي، يناسب المقام، التي هـي ومـن حولها فيه، فكان الفعل الملائم مقاماً وإبلاغاً هو الفعل (فأشـارت)، فعـدم الكـلام (الصمت) هو علامة أو رمز، وهو حدث غير لفظي كما هو حـدث الإشـارة؛ لأن الإشارة لا تعني الكلام بل عدم الكلام، لكنّها تعني دلالة ما أو أكثـر، تـسهم فـي الإفصاح أو في التعبير ـ بنسب منها قد تتفاوت بين دلالة وأخرى ـ عن قـصدية المرسل، فما دام أن قصدية أراد فعلاً المرسل إرسالها من خلال نص تتباين أحداثه عن أحداث نص آخر، أو تتباين مواقع الحامل الذي يشارك غيـره مـن مكونـات المحتوى القضوي، في تأدية موضوع هذا المحتوى القضوي/ القضية، التي حمـل شعارها الحامل، وأنجزت بمؤازرة بمكونات هذا المحتوى التي ضـمها التركيـب الإسنادي (فأشارت إليه)، أي أشارت إليه ليتكلم مجيباً عنها.

فالقرآن خاطب العرب بما لديهم من معارف ومكتسبات سواء أكانت ثقافية أم اجتماعية أم عقائدية؛ تقريعاً وإلزاماً لهم بالحجة الداحضة، التي تؤكد علـى صـدق كتابه وصدق رسوله، رحمة بهم فيؤمنوا بما جاء به ودعا إليه، فكان الصمت رمزاً يقينياً، بفعل المعارف العقائدية؛ معرفة العوالم، عالم الوحي والإلهام، بدليل:" فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً"، أدركت مريم إنّه وحي، ويبدو أنّـه مـن بـاب المعقولات التي تدرك مريم أن الذي أشارت إليه، هو وحده من سينوب عنهـا فـي إجابة السائل الذي بدا مكذباً من استغرابه بالفعل الذي وقع من مريم، وقد أبانت أداة النداء:"يا" والنبر الصوتي الذي وقع على المقطع الصوتي الذي شكلّته، أبانت عـن هذا الاستغراب، فعرفها أولاً بأخيها؛ إذ لم يقل: يا مريم عندما استغربوا مما فعلـت مريم، فالإنكار على ما جاءت به مريم، كان بالتعريف بأخيها النبي هـارون التـي انتسبت إليه بالذرية؛ ذرية النبوة، إذ لم يكن لمريم عليها السلام أخ، وبأبيها (عمران) الذي لم يكن امرأ سوء، وبأمها، الموصوفة بالعفة، فدل على هذه الـصفة بـضدها المنفي، أي بنفي البغاء عنها، فعندما أجابهم المشار إليه (عيسى)، تحققـوا شـهادة

وسمعاً أن ما أضفوه على مريم من صفات أهلها، كان كافياً وكفيلاً ككفاية جـواب عيسى عليه السلام لهم بعفتها .

ونص ابن عاشور على أن الذي أوحي إلى مريم هو (عيسى) نفسه، قال:" هذا من بقية ما ناداها به عيسى، وهو وحي من ا إلى مريم أجراه على لسان الطفـل، تلقيناً من ا لمريم وإرشاداً لقطع المراجعة مع من يريد مجادلتها، فعلّمها أنْ تنـذر صوماً يقارنه انقطاع عن الكلام، فتكون في عبادة وتستريح مـن سـؤال الـسائلين ومجادلة الجهلة "([1]). كما أبان ابن عاشور عن معنى الإشارة وعن معنى الاستفهام وعن معنى كان الزائدة، فقال:" ... أو أشارت إلى أن يسمعوا منـه الجـواب عـن توبيخهم إياها وقد فهموا ذلك من إشارتها... والاستفهام: إنكار؛ أنكروا أن يكلمـوا من ليس من شأنه أن يتكلم، وأنكروا أن تحيلهم على مكالمته، أي كيف نترقب منـه الجواب أو كيف نلقي عليه السؤال؛ لأن الحالتين تقتضيان التكلم، وزيادة فعل الكون في (من كان في المهدِ) للدلالة على تمكن المظروفية في المهد من هذا الذي أحيلوا على مكالمته، وذلك مبالغة منهم في الإنكار، وتعجب من استخفافها بهم، ففعل (كان) زائد للتوكيد، ولذلك جاء بصيغة المضي؛ لأن (كان) الزائدة تكون بصيغة الماضـي غالباً "([2]).

فكما أن حدثاً كلامياً أنجز في مستواه اللغوي الـصوتي أو الكتـابي، فظهـر مسموعاً أو مكتوباً للمتلقي بتركيب ما، فإن أحداثاً غير لغوية تنجز فتؤدي المعنـى الذي أداه الحدث اللغوي، لكن تأدية المعنى جاءت بشكل غيـر لغـوي؛ (صـمت، فأشارت، ألا تكلّم)؛ ليكون أبلغ من تأديته بشكل لغوي، فالحدث تلازمه دلالـة كمـا تلازم الحدث اللغوي دلالة مطابقة أو تضمين أو التزام، والدلالة تأتي أبلـغ أيـضاً وهي تؤدى بحدث لغوي كذلك، أي بمعنى أن لا تفاضل بين حدث وحدث، عنـدما يؤدي كل واحد منهما دلالةً أكثر إبلاغاً، من بين دلالات بنـى الـنص سـطحية أو

---

[1] - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 471/8. .

[2] - المرجع نفسه:472/8.

عميقة، سواء أكان على مستواه الأفقي أو على مستواه العمودي، لكن مـنْ يحـدد الحدث الذي ينجز المهمة الدلالية، إنّما هو المبدع الذي يعرف مقام القول .

ومن ضروب المستوى التداولي، استعمال الألفاظ على سبيل العرف اللغـوي، نحو قوله تعالى:"ألم تر"، فالاستفهام تعجيبي، ومثل هذا الاستعمال قد ألفه العرب في عرفهم اللغوي التواصلي، قال: مثله شائع في كلام العرب يجعلون الاستفهام على نفي فعل، والمراد حصول ضده بحثّ المخاطب على الاهتمام بتحصيله، أي كيف لم تر ذلك ، ونزل إرسال الشياطين على الكافرين لاتضاح آثاره منزلة الشيء المرئي المشاهد، فوقع التعجيب من مرآه بقوله: ألم تر ذلك .

د- الوحدة الموضوعية في السورة

موضوع السورة المحوري الذي شكّل البنية الدلالية الكبرى لبنيتها هو محـور الوحدانية تعالى، وقد تضمنته أبنية السورة، سواء أكان هذا المحور مصرحاً بـه في بعض الآيات، أم مفهوم من خلال ذكر الأنبياء والرسل قبل عيسى عليه السلام، أو من خلال المحتوى القضوي لآية أو مجموعة آيات، تتحدث عن موقـف بعـض مخلوقات ا تعالى الغاضب ضد منْ ادعى أن عيسى عليه السلام هو ابـن ا ، أو أنه إله يعْبد مع ا سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيرا، أو من خلال الحديث عـن محاور تؤكد على محور الوحدانية نحو: إقرار هذا المحور من خلال تفرده سبحانه وتعالى باسمه (ا)، الذي لم يسم به أحد لا قبله ولا بعده، ومن ذكر علمه سـبحانه الذي وسع كلّ شىء، فهو عالم الغيب والشهادة، وذكر الخلـق والمـوت والبعـث والثواب والعقاب، فمن الآيات التي تناولت إثبات المحـاور الرئيـسة التـي تؤكـد للموضوع المحوري المركزي وهو (التوحيد)، قول ا تعالى: وما نَتَنَزلُ إلا بِأَمْر ربك لَه ما بيْن أَيدِينَا وما خَلْفَنَا وما بيْن ذَلِك وما كان ربك نَـسِيا*رب الـسماواتِ والأَرْضِ وما بيْنَهما فَاعْبدْه واصْطَبِرْ لِعِبادتِهِ هلْ تَعْلَم لَه سمِيا*ويقُولُ الإِنْسان أَئِـذَا ما مِت لَسوْفَ أُخْرج حيا*أَولا يذْكُر الإِنْسان أَنا خَلَقْنَاه مِنْ قَبلُ ولَمْ يك شيْئًا*فَوربك لَنَحْشُرنهمْ والشياطِين ثُم لَنُحْضِرنهمْ حوْلَ جهنم جِثِيا ([1])، فالآية الأولـى متـضمنة

---

[1]- سورة مريم: الآيات (64-68) .

محور الوحدانية، من خلال المحتوى القضوي الذي يمثل قضية أو موضوع التنزيل، وهذا المحتوى القضوي تحقق من خلال الفعل المضارع المسند لفظاً لضمير الجمع المحذوف (نحن)، الذي يحيل إحالة خارجية ذاتية متطابقة للملائكة، إذ الملائكة كلّهم داخل الأمر، فليس الأمر خاصاً بجبريل وحده عليه السلام، فجاء الفعل دال بإسناده إلى جميع الملائكة، لئلا يكون مدخلاً لأحد يدعي بأن أحداً من الملائكة أو كلّهـم إلا جبريل خارج مداول فعل الأمر، فينزل من غير أن يأمره ا عز وجل، فجاء نفـي فعل النزول عن الملائكة مباشرة بعد الفعل، بجملة الاستثناء التي أضيف فيها الاسم النكرة المجرور (بأمر)، إلى لفظ الجلالة (ربك)، فعرف الاسم بإضافته إلى صاحب الأمر ومالكه في الحقيقة، فدلّت الجملة من الآيـة علـى وحدانيـة ا بالألوهيـة والربوبية، ثم أكّدت الجمل بعدها: له ما بين أيدينا، وما خلفنا، وما بين ذلك، علـى هذا المحور، فتقديم الضمير على الحرف المصدري (ما/ له ما) الذي يحيل إحالـة خارجية ذاتية متطابقة إلى لفظ الجلالة قبله(ربك)، ومسبوقاً بحرف اللام الدال على الملكية (له)، اللذان ربطا الجملتين قبلهما وبعدهما، فهذا التقديم والاسـم الموصـول بعده(ما) بعده، دلّ على إحاطة علمه بكلّ شيء، وهذه الإحاطة دالّة علـى المحـور المركزي للسورة، وكذلك التقديم للرابطين (له) المحذوفين من بنية الجملتين سطحياً، المذكورين في بنيتهما العميقة أي: وله ما خلفنا، وله ما بين ذلـك، تفـصيل لهـذه الإحاطة التي شملت الغيب والشهادة، ولقد تكررت الإحاطة لفظاً ومعنىً في الـسور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة كثيراً، فمنها قول ا تعالى: الله لا إِلَـه إِلا هـو الْحي الْقَيوم لا تَأْخُذُه سِنَةٌ ولا نَوْم لَه ما فِي السماواتِ وما فِي الأَرْضِ منْ ذَا الـذِي يشْفَع عِنْده إِلا بِإِذْنِهِ يعْلَم ما بيْن أَيدِيهِمْ وما خَلْفَهمْ ولا يحِيطُون بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِـهِ إِلا بِما شَاء وسِع كُرْسِيه السماواتِ والأَرْض ولا يئُوده حِفْظُهما وهو الْعِلي الْعظِيم ([1])، فذكرت في أول سورة من هذه السور، ومنها ما ذُكِر بعد سورة مريم قال تعـالى: يعْلَم ما بيْن أَيدِيهِمْ وما خَلْفَهمْ ولا يحِيطُون بِهِ عِلْما ([2])، وهذا يدلّ على التماسك

[1] - سورة البقرة: الآية: 255 .

[2] - سورة طه: الآية: 110 .

النصي على مستوى الدلالات، سواء أكان التماسك متحققاً عن طريق التفسير الكّلي أم عن طريق فكرة التفسير النسبي .

فكلام الملائكة المنفي منهم (وما نتنزل)، والمعنى الإنجازي غير المباشر مـن جملة الاستفهام (هل تعلم)، الذي يفيد نفي الشرك عن ا سبحانه وتعالى، بنفـي أنْ يكون له شريك معه في الاسم (ا)، تدلّ على موضوع السورة المحـوري وهـو (التوحيد)، ولم يعتد الرازي بظاهر الآية بأنْ تفرده بالاسم علّة العبادة قال: "أما قوله تعالى: هلْ تَعْلَم لَه سِمِياً فالظاهر يدل على أنه تعالى جعل علة الأمر بالعبـادة والأمر بالمصابرة عليها أنه لا سمي له، والأقرب هو كونه منعماً بأصـول الـنعم وفروعها وهي خلق الأجسام والحياة والعقل وغيرها فإنه لا يقدر على ذلـك أحـد سواه سبحانه، فإذا كان هو قد أنعم عليك بغاية الإنعام وجب أن تعظمه بغاية التعظيم وهي العبادة "([1]) .

لم يجعل الرازي العبادة هي بسبب تفرده بالاسم، بل جعل أن المستحق للعبـادة هو منْ له صفة الربوبية حقاً، وهو ا عز وجل اسمه المتفرد بهـذا الاسـم؛ لفـظ الجلالة (ا)، وغاية التعظيم له سبحانه وتعالى هي العبادة، ويلاحظ معنى الإحاطة المفهوم من كلام الرازي، بإسناده أفعال القدرة؛ الخلق، الحياة، العقـل، سـبحانه وتعالى وحده .

واستصوب الرازي الرأي الأول في دلالة السؤال غير المباشرة، التي أفادتهـا جملة الاستفهام المنجزة، وهي إفادة النفي لا الاستفهام، فالجملة من الفعـل (تعلـم) وأداة الاستفهام قبله،(هل تعلم)، ليس القصد منها سؤال نبيه عليه السلام عن شيء قد سمي باسم (ا) يعلمه نبيه أو لا يعلمه، بل نفى أنْ يكون له شريك في اسم (ربـه) ا سبحانه وتعالى، فالسؤال أفاد معنىً إنجازياً غير مباشر وهو أنه: ليس له شريك في شيء ألبتة:" ليس كمثله شيء"، حتى في اسمه عز وجل، ولا في اسم من أسمائه ولا في صفة من صفاته في الحقيقة مطلقاً، ولا في بعـض أسـمائه إلا أنْ يكـون المقطع الأول دالاً على العبودية له عز شأنه، فسموا: عبد ا و عبد الرحمن وعبد

[1]- الرازي: مفاتيح الغيب، 148/10.

الصمد...الخ. ولم يسموا:ا ، ولا الرحمن، ولا الصمد...الخ. قال الـ رازي:"ومـ ن الناس من قال: المراد أنه سبحانه ليس له شريك في اسمه وبينوا ذلك من وجهـ ين: الأول: أنهم وإن كانوا يطلقون لفظ الإله على الوثن فما أطلقوا لفظ ا على شـ يء سواه وعن ابن عباس رضي ا عنهما لا يسمى بالرحمن غيره،الثاني: هل تعلم من سمى باسمه على الحق دون الباطل؟ لأن التسمية على الباطل في كونها غير معتـ د بها كلا تسمية، والقول الأول هو الصواب، وا أعلم"([1]) .

وأقسم ا تبارك وتعالى باسمه وقد أضاف إليه ضمير الخطـ اب (الكـ اف)، محالاً إحالة نصية خارجية ذاتية متطابقة إلى الرسول عليه السلام، أقسم على بعثهم أحياءً، رداً على استنكار واستبعاد الكافرين خروجهم أحياءً من الأرض بعد زوالهم منها وفنائهم فيها، فقد أثبت لهم ا هذا الإخراج بإخراج أقروا به، كان أولى بهـ م لأن يستنكروه ويستبعدوه وهو خلقهم من لا شيء، قال تعالى: فَوربك لَنَحْـ شُرنهمْ والشياطِين ثُم لَنُحْضِرنهمْ حوْلَ جهنم جِثِيا*ثُم لَنَنْزِعن مِنْ كُل شِيعةٍ أَيهمْ أَشَد علَـ ى الرحْمن عِتِيا ([2])، والإخراج يكون من شيء وهذا الشيء هم أنفسهم، فكأن الإخراج مسألة أهون وأسهل من مسألة الخلق، فكيف يقع التعجب علـ ى سـ بيل الاسـ تنكار والاستبعاد، من إخراجهم من شيء، ولم يقع هذا التعجب من خلقهم ولم يكونوا شيئاً، والخالق والمخرج إله واحد هو ا رب السموات والأرض، فجاءت الآيـ ات التـ ي تتحدث عن الخلق والبعث، لتؤكد على أمر العبادة لإله واحد لا شريك له التي جاءت في الآية قبل هذه الآيات قال ا تعالى:" رب السموات والأرض وما بينهما فاعبـ ده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ".

كما أن محور التوحيد قد دلّت عليه جملٌ من السورة دلالة سيميائية علامتيـ ة غير لفظية، ومن هذه الجمل (من دون ا) في قول ا تعالى: واتخَذُوا مِـ نْ دون اللهِ آَلِهةً لِيكُونُوا لَهمْ عِزا "([3]) قال ابن عاشور:"وفي قوله:" من دون ا "، إيمـ اء

---

[1] - الرازي: مفاتيح الغيب: 329/10 .

[2] - سورة مريم: الآيتان/69،68.

[3] - سورة مريم: الآية/81 .

إلى أن الحق يقتضي أن يتّخذوا ا إلهاً، إذ بذلك تقرر الاعتقاد الحـق مـن مبـدأ الخليقة، وعليه دلّت القول الراجحة"([1]) .

كما أن محور الوحدانية تعالى بالألوهية والربوبية، قد دلّت عليها الأفعـال المنجزة في الآيات التالية، وشكّلت في إسنادها إلى مخلوقات مـن مخلوقـات ا ، (انزياحاً إسنادياً)، لتدلّ بهذا الانزياح الإسنادي إلى لفت نظر المتلقين إلى تنزيهها وإقرارها بأن ا سبحانه وتعالى لا شريك له في الألوهية والربوبية، وهذا التنزيـه والإقرار منها، مثلّه وصوره الموقف الغاضب الـذي اتخذتـه هـذه المخلوقـات، ومصرحة بهذا الغضب وعدم الرضا من قول الشرك، فأوشكت السماوات والأرض أن تتشقق والجبال أن تسقط هداً، وفي هذا السياق يذكر ابن عاشور :" والكلام جار على المبالغة في التهويل من فظاعة هذا القول بحيث إنه يبلغ إلى الجمادات العظيمة فيغير كيانها .

والهد: هدم البناء، وانتصب (هداً) على المفعولية المطلقة لبيان نـوع الخـرور، أي سقوط الهدم، وهو أن يتساقط شظايا وقطعاً .

و"أن دعوا للرحمن ولداً " متعلّق بكل مِن "يتفطرن، وتنشق، وتخر، وهو على حذف لام الجر قبل (أنْ) المصدرية وهو حذف مطرد"([2]) .

ففي آخر سورة مريم نقرأ الآيات التي تؤكد على محور الوحدانية، التي تـدلّ على أن ا غني عن شريك له سبحانه، فهو خالق السماوات والأرض وما بينهمـا، فما ينبغي أن يكون شريكاً، فمخلوقاته عز وجلّ دالة على وحدانيته وهي صامته، قال ا تعالى: وقَالُوا اتخَذَ الرحْمن ولَدًا* لَقَدْ جِئْـتُمْ شَـيْئًا إِدا * تَكَـاد الـسمواتُ يتَفَطرْن مِنْه وتَنْشَق الأَرْض وتَخِر الْجِبالُ هدا *أَنْ دعوْا لِلرحْمن ولَدًا*وما ينْبغِـي لِلرحْمن أَنْ يتخِذَ ولَدًا ([3]) .

---

[1] - ابن عاشور: التحرير والتنوير"430/8 .

[2] - المرجع نفسه:47/4 .

[3] - سورة مريم: الآيات (88-92).

هـ _ الموضوع المحوري المركزي في سورة مريم

شكّل موضوع الوحدانية الموضوع المحوري المركزي الذي تناولتـه سـورة مريم، وقد جاء التركيز على هذا المحور من خلال كثير من الجمل التي توزعت في بنى النص الصغرى والكبرى، على مستوى النص الأفقي والعمودي، ومن ذلك قوله تعالى: ما كان لِلهِ أَنْ يتخِذَ مِنْ ولَدٍ سبْحانَه إِذَا قَضى أَمْرًا فَإِنما يقُـولُ لَـه كُـنْ فَيكُون* وإِن الله ربي وربكُمْ فَاعْبدوه هذَا صِراطٌ مسْتَقِيم ([1])، فالإقرار بالوحدانيـة والربوبية وحده، أقرتها هاتان الآيتان بشكل صريح، وجميع الجمل التي شـكّلها اللفظان الجليلان؛ لفظ الجلالة (ا)، ولفظ الجلالة (رب مضافاً إليه ضمير الجمـع نحو: ربكم، أو ضمير الإضافة المفرد نحو: ربي)، سواء أتقدم لفظ منها على الآخر أم لم تقدم، فهي جمل متعالقة فيما بينها على مستوى الدلالات، مع قوله تعالى فـي سورة الفاتحة:" الحمد رب العالمين"، ومع غيرها من الآيات التي تضمنت هـذه الجمل لفظاً أو معنىً، كما تضمنت الآية معنى التوحيد الذي تـضمنه فعـل الأمـر (فاعبدوه)، وهذه العبادة _ كما ذكرنا في أكثر من موضع _ أن معناهـا الإقـرار بالوحدانية سبحانه وتعالى بالإلوهية والربوبية، وهو التفسير الذي ذهب إليه ابـن عباس أين ما ورد اللفظ الذي يشير إلى العبادة كما ذكـر الطبـري وغيـره مـن المفسرين، وذلك عندما فسر قوله تعالى من سورة البقرة: (اعبدوا ربكم)، وهذا مما يعضد التماسك النصي، ليس على مستوى السورة الواحدة من السور ذوات الحروف المقطّعة فحسب، بل على مستوى هذه السور جميعها كذلك .

لقد جاء التركيز على هذا المحور من خلال ذكر الأنبياء والرسل في الـسورة، وقد رافق هذا الذكر مدح الأنبياء والرسل بشكل صريح في آيات هذه السورة، فكان من نتائج ما قاموا به من تنفيذ أمر ا سبحانه وتعالى، دعوتهم إلى عبادتـه إلهـاً واحداً ورباً واحداً، وكذّبهم كثير من أتباعهم حتّى أقرب الناس إلـيهم، وأوذوا فـي سبيل دعوتهم إلى عبادة ا وتبليغهم أوامره، فصبروا وتحملوا واعتزلـوا أهلـيهم وأقوامهم، الذين أصروا على الشرك با سبحانه وتعالى، فكان جزاؤهم من ا عز

[1] - سورة مريم: الآيتان/ 35،36.

وجل جزاءً حسناً وعاجلاً أولاً، إذ وهبهم ا خيراً كثيراً وفتح لهم فتحاً مبيناً، فعذّب سبحانه وتعالى من كفر وأنجى رسله ومن تبعهم وآمن لهم، وقد صـرحت آيـات كثيرة بهذا الجزاء الحسن في سورة مريم وفي غيرها من السور، وقد تنـوع هـذا الجزاء الحسن، فمنه الجزاء الذي مثّله الفعل (وهب)، وهو الفعل الذي تكرر كثيـراً في سورة مريم، محققاً بتكراره تماسكاً وتعالقاً دلالياً بينه وبين دلالة لفـظ الجلالـة (الوهاب) من جهة، وتماسكاً وتعالقاً دلالياً مع حرف الهاء الـذي جـاء ثانيـاً فـي الحروف المقطّعة (كهيعص) من جهة أخرى، وكان مجيء هذا الفعل فـي سـياق محور الوحدانية الذي تضمنته السورة، ولمعرفة هذا السياق من خلال هـذا الفعـل (وهب)، من المناسب أن أجعل الحديث عنه، محوراً رئيساً في التأكيد على موضوع السورة المحوري من جهة، ومحوراً رئيساً في إثبات التماسك النصي مـن خـلال عنصر التناص، بين سورة مريم وسائر السور ذوات الحروف المقطّعة، لذا جعلـت العنوان التالي متصلاً بموضوع هذه السورة المحوري وهو الإقرار بالوحدانيـة سبحانه وتعالى .

ونجد في سورة مريم آيات يمكن أن نحيل مبناها ومعناها إلى جميع المستويات اللغوية، التي تتعاضد وتتداخل عناصرها من أجل فهم نص السورة ودلالتـه علـى موضوعه المحوري (الوحدانية)، باعتبار هذه الآيات فقرة تشكل نـصاً، يثبـت أن الكفاية اللغوية تتحقق عبر إنتاج أكبر عدد من النصوص، كما هي الكفاية اللغويـة التي يعبر عنها بإنتاج أكبر عدد من الجمل، فنهاية قصة ولادة مريم لعيسى عليهما السلام، انتهت بجواب عيسى الذي أجلى كلّ شيء يشوبها، بقدرته على الكلام الذي أنكر وقوعه السائلون أولاً، ثم ما ما ذكره هو تعريفاً بنفسه، فهو ليس عيسى أولاً بل هو عبد ا بإضافة صفته البشرية إلى اسم ا ، (عبد)، قال ا تعالى على لسان عيسى عليه السلام: قَالَ إِني عَبْد اللهِ آتَانِي الْكِتَاب وجعلَنِـي نَبِيـا ([1])، وقولـه

---

[1] - سورة مريم: الآية/30.

تعالى: ما كَانَ لِلهِ أَنْ يتخِذَ مِنْ ولَدٍ سبْحانَه إِذَا قَضى أَمْرًا فَإِنمـا يقُـولُ لَـه كُـنْ فَيكُون*وإِن الله ربي وربكُمْ فَاعْبدوه هذَا صِراطٌ مسْتَقِيم (1) .

فلفظة عبدنا كررت في آيات كثيرة منها: مما أنزلنا على عبدنا ،:" واذكر عبدنا..."، كما كررت لفظاً ومعنى لفظة الصراط المستقيم، وهـو هـو الـصراط المستقيم نفسه المتقدم في أول النص القرآني، فطلب المتلقي أن يهدى إليه :" اهـدنا الصراط المستقيم"، وتتجاوب مع هذه اللفظة (عبدنا)، ألفاظ الأفعال المتنوعـة فـي أبنيتها المتفقة في صيغتها الأمرية نحو(اعبدوا، عبدنا، من عبادنا، العبد)، فـإذا مـا كانت هذه الألفاظ قد فسرت بانها تعني الوحدانية أو التوحيد، فـإن دلالـة شـهادة التوحيد ونفي الشرك وأسماء ا الحسنى التي له وحـده كمـا قـال تعـالى: و الأسماء الحسنى ، المتضمنة دلالتها على الوحدانية له في الألوهية والربوبية، فـإن هذه الكلماّت كلها تتعالق فيما بينها ضمن إطار البنية الكلية الكبرى التـي يـشكلّها النص .

و- التماسك النصي بين سـورة مريـم وسائر السور ذوات الحروف المقطّعة

لقد تقرر عند كثير من علماء النص أن التماسك النصي يتحقـق مـن خـلال التعالق على مستوى دلالات النص، لذا فإن النتائج المتحققة مـن تعـالق الأفعـال وإسنادها لفاعل واحد، من خلال المحتوى القضوي الذي تشكّله مـع غيرهـا مـن الألفاظ، يسهم في تحقيق تماسك النص، فمن الأفعال التي أدت هـذا الـدور الفعـل (وهب)، الذي تكرر في سورة مريم ، لذا سنجعله مثالاً لعنصر التناص الذي تتناص به سورة مريم مع غيرها من السور ذوات الحروف المقطّعة، بالإضافة إلى بعـض الأفعال التي تدخل مع الفعل (وهب) في حقل دلالي واحد نحـو: وأنعـم، وأنجـى، وبشّر .

من خلال استقراء هذا الفعل في نصوص هذه السور، ظهر كمـا يبـدو - أن الفعل (وهب)، كان أكثر مجيئه بعد موقف رسول من الرسل عليهم السلام مع قومه، أو مواجهة داخلية نفسية حرصاً على الدين والعبادة، ، فكان في اعتزال أحد الرسل

1- سورة مريم: الآيتان/35،36.

لقومه؛ لرفضهم دينه وعدم استجابتهم لما يدعوهم إليه ومحاربتهم لـه، كـان فـي اعتزاله لهم خيراً له ولمن اتّبعه، فإبراهيم عليه السلام وهبه ا سـبحانه وتعـالى ذرية صالحة، لما اعتزل أباه وقومه وما يعبدون، وموسى عليه السلام وهبه أخـاه هارون عليه السلام فشد عضده به... ومحمد عليه الصلاة والسلام خرج من مكـة وهو كاره لذلك، فمن المناسب الاستشهاد بالآيات التي تبين هذه المواقف وما وهـب الرسل بسببها.

فعلى لسان إبراهيم قال تعالى: وأَعْتَزِلُكُمْ وما تَدْعون مِنْ دون اللهِ وأَدْعـو ربي عسى أَلا أَكُون بِدعاءِ ربي شَقِيا * فَلَما اعْتَزلَهمْ وما يعْبدون مِنْ دون اللهِ وهبْنَا لَه إِسْحاقَ ويعْقُوب وكُلا جعلْنَا نَبِيا *ووهبْنَا لَهمْ مِنْ رحْمتِنَا وجعلْنَا لَهمْ لِسان صِدْقٍ علِيا [1]، فالفعل (وهب) جاء مسنداً إلى ضمير الجمع (نا)، الدال علـى التعظـيم، فأحال إلي اسم من أسمائه الحسنى، المتأولـة لحـرف (الهـاء) مـن (كهـيعص) وهو(الوهاب).

وفي شأن موسى وعزلته بخروجه من مصر، قال تعالى: ووهبْنَا لَـه مِـنْ رحْمتِنَا أَخَاه هارون نَبِيا [2]، وأجملت الآية الآتية من خلال لفظـة واحـدة هـي (أنعم)، أحالت إلى جميع الرسل والأنبياء الذي ورد ذكرهم والذين لم يرد لهم ذكـر ومعهم ممن هدى ا ، علامة على نعم ا لن تنفد ألبتة، سواء في حياتنـا أو عنـد مماتنا أو عند لقائه في اليوم الذي لا ريب فيه، قال تعالى: أُولَئِك الَذِين أَنْعم اللـه علَيهِمْ مِن النَبِيين مِنْ ذُريةِ آَدم ومِمنْ حملْنَا مع نُوحٍ ومِنْ ذُريةِ إِبْراهِيم وإِسْـرائِيلَ ومِمنْ هدَيْنَا واجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى علَيهِمْ آَياتُ الرحْمن خَروا سجدًا وبكِيا [3].

أما محمد عليه الصلاة والسلام، فأسس دولة الإسلام في المدينة، ثم فتح ا له فتحاً مبيناً، ففتح له مكة أحب أرض ا إلى ا عز وجلّ، جاء في مسند الإمام أحمد وغيره:" حدثَنَا أَبو الْيمان أَخْبرنَا شُعيْب عنْ الزهْرِي أَخْبرنَا أَبو سـلَمةَ بْـن عبْـدِ الرحْمن أَن عبْد اللهِ بْن عدِي بْن الْحمْراءِ الزهْرِي أَخْبره أَنه سمِع النَبِي صلى اللـه

---

[1] - سورة مريم: الآيات (48-50).

[2] - سورة مريم: الآية:53.

[3] - سورة مريم: الآية:58 .

عليهِ وسلم وهو واقِفٌ بِالحزْورةِ فِي سوقِ مكةَ واللهِ إنكِ لخيْر أَرْضِ الله وأحب أَرْضِ اللهِ إلى اللهِ عز وجل ولَوْلا أَني أُخْرِجْتُ مِنْكِ ما خَرجْتُ"([1])، وقد يكون الفتح رحمة وعذاباً، فالفتح الذي طلبه نوح عليه السلام كان رحمة به وبمن معه وعذاباً مهلكاً لمن كفر بما دعا إليه، قال تعالى: فَافْتَحْ بيْنِي وبيْنَهمْ فتْحًا ونَجنِي ومنْ معِي مِن الْمؤْمِنين (118) فأَنْجيْنَاه ومنْ معه فِي الْفُلْكِ الْمشْحون ([2]) .

وتبدو العلاقة منسجمة بين الفعل (وهب) والفعل (بشّر)، والفعل (أنجى)، قال تعالى: ولَقَدْ أَرْسلْنَا نُوحًا إلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سنَةٍ إلا خَمْسِين عامًا فَأَخَذَهم الطوفَان وهمْ ظَالِمون (14) فَأَنْجيْنَاه وأَصْحاب السفِينَةِ وجعلْنَاها آيةً لِلْعالَمِين ([3]).

وردالفعل (فوهب)، مسبوقاً بحرف الفاء مرة واحدة ، قال تعالى: قَالَ فَعلْتُها إذًا وأَنَا مِن الضالين (20) فَفَررْتُ مِنْكُمْ لَما خِفْتُكُمْ فَوهب لِي ربي حكْمًا وجعلَنِي مِن الْمرْسلِين ([4]).

الفعل (وهبنا)، قال تعالى: ووهبْنَا لِداوود سلَيمان نِعْم الْعبْد إنه أَواب ، وقال تعالى: ووهبْنَا له أَهْلَه ومِثْلَهمْ معهمْ رحْمةً مِنا وذِكْرى لأُولِي الأَلْبابِ ([5])، والسياق الذي وردت فيه هذه الأفعال، هو في سياق الموضوع المحوري المركزي هو (الوحدانية ونفي الشرك .

الفعل (وهب) قال تعالى: الْحمْد لِلهِ الذِي وهب لِي علَى الْكِبرِ إسْماعِيلَ وإسْحاقَ إن ربي لَسمِيع الدعاءِ ([6])، وقال تعالى: ربنَا لا تُزِغْ قُلُوبنَا بعْد إذْ هديْتَنَا وهبْ لَنَا مِنْ لَدنْك رحْمةً إنك أَنْتَ الْوهاب ([7])، وقال تعالى: رب هبْ لِي حكْمًا

[1] - ورد الحديث بنصه في: مسند الإمام أحمد:155/38، والسنن الكبرى للنسائي:479/2، وسنن الترمذي:434/12، وسنن ابن ماجه:235/9 وفي غيرها .

[2] - سورة الشعراء:الآية:119 .

[3] - سورة العنكبوت: الآيتان:14،15.

[4] - سورة الشعراء: الآيتان/20،21.

[5] - سورة ص الآيتان/30،43.

[6] - سورة إبراهيم: الآية/39.

[7] - سورة آل عمران: الآية.(9)

وَأَلْحِقْنِي بِالصالِحِين ([1])، وقال تعالى: قَالَ رب اغْفِرْ لِي وهبْ لِي ملْكًا لَا ينْبغِـي لِأَحدٍ مِنْ بعْدِي إِنك أَنْتَ الْوهاب ([2])، وقال تعالى: والذِين يقُولُون ربنَا هبْ لَنَا مِنْ أَزْواجِنَا وذُرياتِنَا قُرةَ أَعْينٍ واجْعلْنَا لِلْمتقِين إِمامًا ([3])، وقال تعـالى: وقَـالَ إِنـي ذَاهِب إِلَى ربي سيهْدِين* رب هبْ لِي مِن الصالِحِين* فَبشرْنَاه بِغُلَامٍ حلِيمٍ ([4]).

إن سياق توالي ذكر قصص الأنبياء مع أقوامهم، اقتضى عذاب الكفار أولاً ثـم نجاة نوح عليه السلام ومن معه، لكن قوله تعالى: وإِلَى ثَمود أَخَاهمْ صالِحًا قَالَ يا قَوْمِ اعْبدوا الله ما لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْره قَدْ جاءتْكُمْ بينَةٌ مِنْ ربكُمْ هذِهِ نَاقَةُ اللهِ لَكُمْ آَيـةً فَذَروها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ ولا تَمسوها بِسوءٍ فَيأْخُذَكُمْ عذَاب أَلِيم ([5]) ـ مع أنّـه في السياق نفسه، كما بدأت الآية بحرف الجر واسم قوم الرسول، في البنية المحولة لها (السطحية)، أو بحذف الفعل قبل حرف الجر في البنية العميقة كذلك (وأرسـلنا إلى) ـ لكنّه لم يذكر الفعل (فأنجيناه) ـ المقابل لفعل العذاب ـ بعده بنجاة للرسول، فجواب الطلب اقتضى جواباً للطلب، وهو فعل العذاب وما بعده، ليكون مقابلاً للفعل المسبوق بلا الناهية (ولا تمسوها)، تعقيباً وتأكيداً على دعوة وأمر الحق الذي جـاء به الرسل جميعاً، إلا أن الفع (فأنجاه) لم يرد في الآية كما هو الحال في آيات مـن هذه السورة وغيرها، ويبدو أن الفعل عندما وقع في زمن المستقبل (فيأخذكم)، كان جواباً مقتضياً لفعلي الطلب (الأمر والنهي): فذروها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ، فسياق الأفعال الطلبية بصيغة الأمر لم يذكر له جواباً مناقـضاً بعـدم إجابتها، فلو منعوا الناقة من الأكل أو أصابوها بسوء، لأخذهم العذاب أولاً، ثم ذكر عقيب هذا الجزاء جزاء الرسول (صالح) عليه السلام وهو النجاة :" فأنجينـاه، أي: فأخذهم العذاب فأنجيناه، في بنية الجملة العميقة، ولقد فسرت هذه الآية الآيات الآتية من سورة الشعراء، قال تعالى: قَالَ هذِهِ نَاقَةٌ لَها شِرْب ولَكُمْ شِرْب يوْمٍ معْلُومٍ* ولا

[1]- سورة الشعراء: الآية/ 83.

[2]- سورة ص: الآية/35 .

[3]- سورة الأنبياء: الآية/74.

[4]- سورة الصافات: الآيات (99-101).

[5]- سورة الأعراف: الآية/73.

تَمسوها بِسوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عذَاب يَوْمٍ عظِيمٍ*فَعقَروها فَأَصْبحوا نَادِمِين* فَأَخَذَهم الْعذَاب إِن فِي ذَلِك لَآيةً وما كَان أَكْثَرهمْ مؤْمِنِين*وإِن ربك لَهو الْعزِيز الرحِيم [1] .

وكذلك تعالق الآيات من سورة النمل معها، فزادت في تفسيرها، بأن ذكـرت الفعل (أنجينا) مسبوقاً بالواو، قال ا تعالى : فَانْظُرْ كَيْفَ كَان عاقِبةُ مكْرِهِمْ أَنـا دمرْنَاهمْ وقَومهمْ أَجْمعِين*فَتِلْك بيوتُهمْ خَاوِيةً بِما ظَلَموا إِن فِـي ذَلِـك لَآيـةً لِقَـوْمٍ يعْلَمون*وأَنْجيْنَا الَّذِين آمنُوا وكَانُوا يتقُون [2].

وجاءت آيات أخرى في هذه السور وغيرها دون ذكر المقابل لعـذاب الكفـار ونجاة الرسل ومن معهم ، لكنّها ذُكرت في آيات سور أخرى، ففسرتها بذكر كيفيـة العذاب للكفار، وذكر المقابل له وهي النجاة .

فقد ذكر المسند إليه واضمر المفعول به، بخلاف الآيات السابقة التي لم يـذكر فيها المسند إليه فمحذوف، وهو ضمير الغائب (هو)، الذي يحيل إلى لفـظ الجلالـة (ا)، فذكر مع الفعل (أنجاه) مسبوقاً بفاء التعقيب، ولعل مرد الذكر للمسند إليه هو طول الفصل بالآيات بين قصة إبراهيم عليه السلام وقومه، إذ موضـوع الخطـاب خاص بالوحدانية ونفي الشرك، وهذه الوحدانية فُسر بها فعل الأمر بلفـظ الجمـع وملحقاً به الضمير (فاعبدوه) الذي يحيل إحالة قبلية ذاتية متطابقة للفظ الجلالة (ا) الذي دلّت عليه الآية التي قبلها، قال ا تعالى: وإِبْراهِيم إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبدوا اللـه واتقُوه ذَلِكُمْ خَيْر لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمون* إِنما تَعْبدون مِنْ دون اللهِ أَوْثَانًا وتَخْلُقُون إِفْكًا إِن الَّذِين تَعْبدون مِنْ دون اللهِ لا يمْلِكُون لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْد اللهِ الرزْقَ واعْبـدوه واشْكُروا لَه إِلَيْهِ تُرْجعون [3].

كما تناصت سورة مريم مع سورة آل عمران في لفظة ذرية، وقد سـبق فـي سورة (آل عمران) دلالة (آل) على الذرية، ومريم عليها السلام، التي سمت السورة باسمها كما سميت سورة آل عمران، وكأنها خاصة بآل عمران، فمريم نفسها هـي ابنة عمران الذي أضيف اسمه إلى لفظة (آل).

---

[1] - سورة الشعراء: الآيات (155-159).

[2] - سورة النمل: الآيات(51-53).

[3] - سورة العنكبوت: الآيتان/16،17.

3.3 التحليل النصي لسورتي طه ويس .

سورتا طه ويس من السور التي استهلت بحرفين، وقد بلغ عدد السور المستهلة بحرفين مقَطعيْن تسع سور، وهي بحسب ترتيب التلاوة (طه، النمل ، يس، غافر، فصلت، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف)، وقد استثنينا من حيث العدد سـورة الشورى على الرغم من استهلالها في آيتها الأولى بحرفين؛ إذ الاعتبار كان لعـدد الحروف، بقطع النظر عن تشكيل حروف الاستهلال للآية الأولى أو للآيتين الأولى والثانية من السورة ، كما هو الحال في سورة الشورى التي استهلت بخمسة أحرف، لذا فإنني سأعتمد في تحليل هذه السور بتوجيه الاعتبار فيها إلى الأسماء التي ميزت كل مجموعة من هذه السور، أي بإضافة السور التي خالفتها في عدد الحروف التي استهلت بها واشتركت معها في التسمية، فدخلت بهذا الاعتبار سورة الشورى مـع مجموعة السور التي سميت بـ (الحواميم)، ودخلت سورة النمل مع الـسور التـي سميت باسم (الطواسين).

يتضح لنا بهذا التصنيف أن أول مجموعة من مجموع هـذه الـسور - مـع مراعاة موقع أول سورة من كل مجموعة في ترتيب القرآن تلاوة - هـي سـورتا (طــه و يــس) ولعل الجامع بينهما - استئناساً برأي بعض المفسرين - أنهما من أسماء النبي عليه السلام، وهو الرأي الذي لا أذهب إليه، أما المجموعة الثانيـة فتشمل السور التي عرفت باسم (الطواسين) وتشمل الـسور: الـشعراء، النمـل ، القصص، أما المجموعة الثالثة من هذه السور فتشمل السور التـي عرفـت باسـم (الحواميم) وتشمل السور: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الـدخان، الجاثيـة، الأحقاف) .

1.3.3 سورة طه.

1- الدلالات المتأوله للحرفين (الطاء والهاء):

دلالتهما على أفعال الأمر:

استهلت سورة طــه بهذين الحرفين (الطاء والهاء) لفظاً وتركيباً وعنوانـاً، وسميت السورة بهما، وشكّل الحرفان نفسهما الآية الأولى منها أيضاً، وقد تباينـت

قراءات المفسرين لهذين الحرفين منفصلين ومجتمعين ، فمنهم من جعل الطاء حرف مقتطع أول فعل الأمر (طأ) مأموراً به محمد عليه السلام أي: طأ الأرض بقـدمك؛ ويظهر هذا التأويل الاستئناس بأن الطاء قد وقعت حرفاً متقدماً في بنية فعل أمـر، ليتجاوب هذا التأويل مع دلالة حرف (الألف) من (الم)، أنّه مقتطع من أفعال أمـر كثيرة.

ومن الدلالات التي تأولها بعض المفسرين للحرفين اللذين استهلت بهما هـذه السورة، هي دلالتهما على فعل الأمر المخاطب به محمد عليه الـصلاة والـسلام، ويبدو أن الآية الثانية هي القرينة الي قادت من تأول لهما هذه الدلالة، وهـي قولـه تعالى: طه*ما أَنْزلْنَا علَيْك الْقُرْآن لِتَشْقَى ([1])، وأورد الألوسي رواية عن علي بن أبي طالب والربيع بن أنس رضي ا عنهما، وجزم بعدم وقوفه على الطعـن فـي روايتها، ولعل هذه الرواية تعضد دلالة فعل الأمر، باعتبارهـا إحـدى الـدلالات للحروف المقطّعة، قال الألوسي:"...وقد روي عن علي كـرم ا تعـالى وجهـه، والربيع بن أنس أنهما فسرا (طه) بطأ الأرض بقدميك يا محمد، ولم أقف على طعن في الرواية وا تعالى أعلم"([2]).

فعل أمر: طأ الأرض بقدمك، أطع طع: أمري، قال ا تعالى: ولَقَدْ قَالَ لَهمْ هارون مِنْ قَبلُ يا قَوْمِ إنما فُتِنْتُمْ بِهِ وإِن ربكُم الرحْمن فَاتبِعونِي وأَطِيعوا أَمْري ([3]) .

طال العهد:

قال ا تعالى: فَرجع موسى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبان أَسِفًا قَالَ يا قَوْمِ أَلَمْ يعِدْكُمْ ربكُمْ وعْدًا حسنًا أَفَطَالَ علَيْكُم الْعهْد أَمْ أَردْتُمْ أَنْ يحِلَّ علَيْكُمْ غَضب مِنْ ربكُـمْ فَـأَخْلَفْتُمْ موْعِدِي ([4])، ويتصل بمعناه أيضاً الفعل (طوى) الدال بنسبة منه على البعد، ليتعالق دلالياً مع دلالة جملة (طال العهد).

---

[1]- سورة طه: الآيتان/1،2 .

[2]- الألوسي: روح المعاني،87/12 .

[3]- سورة طه: الآية/90.

[4]- سورة طه: الآية/86 .

دلالتهما على الصراط المستقيم:

جاء هذا المعنى من خلال لفظة (السوي) صفة الصراط في آخر السورة، قـال تعالى: قُلْ كُلٌ متَربص فَتَربصوا فَستَعْلَمون منْ أَصْحاب الصراطِ الـسوِي ومـن اهْتَدى ([1])، وهذه الصفة اشتركت مع صفة المستقيم في حقل دلالي واحد.

طريق هداية واستقامة:

أنبأ عن هذا المعنى قوله تعالى: ما أَنْزلْنَا علَيْك الْقُرْآن لِتَـشْقَى ([2])، وأورد ابن عاشور بعض الأقوال التي قيلت في تأويل هذين الحرفين بقوله:"...وذهب بعض المفسرين إلى اعتبارهما كلمة لغة (عك) أو (عكل)، أو كلمة من الحبشية أو النبطية وأن معناها في لغة:(عك) يا إنسان، أو يا رجل، وفي ما عداها: يا حبيبي، وقيـل: هي اسم سمى ا به رسوله صلى ا عليه وسلم وأنّه على معنى النّداء، أو هو قسم به وقيل: هي اسم من أسماء ا تعالى على معنى القسم "([3]). واستناداً إلى اعتبـار الحروف المقطعة جملة نواة أو بؤرة رئيسة، فلا بد من تأويل لهذين الحـرفين فـي جملة تتعالق مع ما بعدها من جمل، ولما كان تأويل الحروف المقطّعة المتعدد يؤول إلى أسماء ا الحسنى، وأن هذه الحروف واقعة موقع المقسم به، فإن الجملة التـي يمكن تأويلها لهذين الحرفين باعتبار حرف الطاء من اللطيف والهاء مـن الهـادي، هي: وا اللطيف بك وبأمتك الهادي إليك ولأمتك ما أنزل هذا القرآن لتشقى به يـا محمد أنت وأمتك لكنه أنزله هداية ورحمة وتذكيراً بخشية ا سبحانه وتعالى فـي السر والعلن، وهو الهادي إلى الصراط المستقيم.

2- عناصر التماسك النصي في سورة (طه)

أ- العلاقات والعناصر النحوية.

الحذف: **حذف المبتد:**

---

[1]- سورة طه: الآية/135.

[2]- سورة طه: الآيتان/2،1 .

[3]- ابن عاشور: التحرير والتنوير، 13/9.

ومنه ما جاء في قوله ا تعالى: الله لا إِلَه إِلا هو لَه الأَسْماء الْحسْنَى ([1])، ابن عاشور:" تذييل لما قبله لأن ما قبله تضمن صفات من فعل ا تعالى ومن خَلْقه ومن عظمته فجاء هذا التذييل بما يجمع صفاته، واسم الجلالة خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هو ا ، جرياً على ما تقدم عند قوله تعالى: الرحمن على العرْشِ استوى ([2]) .

حذف المفعول به: ومنه حذف ضمير الجمع (هم) في قوله تعالى: وأَضل فِرْعوْن قوْمه وما هدى ([3])، فتقدير الضمير المحذوف (وما هداهم)، فقد جاء الحذف للاختصار ولغرض إبلاغي أيضاً، قال السامرائي:"...غير أن الحذف هنا له غرض لطيف علاوة على الإيجاز، وذلك أنّه أخرجه مخرج العموم؛ أي أن فرعون لم يتصف بصفة الهداية البتة، وذلك أنّه لو قال: (وما هداهم) لكان عدم الهداية مقيداً بقومه إذ يحتمل أنّه هدى غيرهم، لكنّه قال: (وما هدى) أي ما هدى أحداً، ومثله قوله تعالى: ثُم اجْتَباه ربه فَتَاب علَيْهِ وهدى ([4])،أي وهداه، غير أنّه أخرجه مخرج العموم، فلم يقصر الهداية على آدم عليه السلام "([5]) .

التقديم لإفادة التوكيد: ومنه تقديم الرابط (كذلك)، من قوله تعالى: وكَذَلِك سولَتْ لِي نَفْسِي ([6]) قال أبو السعود:" فقُدم على الفعل لإفادة القصر وعدت الكافُ مقحمةً لإفادة تأكيدِ ما أفاده اسم الإشارةِ من الفخامة فصار نفس المصدر المؤكِّدِ لا نعتاً له، أي ذلك التزيين البديع زينت لي نفسي ما فعلتُه، لا تزييناً أدنى منه ولذلك فعلتُه"([7]).

علاقة الحالية: وتمثلها جملة (لا إله إلا هو) فهي حال من اسم الجلالة، وكذلك جملة (له الأسماء الحسنى) والأسماء: الكلمات الدالة على الاتّصاف بحقائق وهي بالنسبة

---

[1] - سورة طه: الآية/8 .

[2] - سورة طه: الآية/5. وانظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير،9/ 28 .

[3] - سورة طه: الآية/ 79.

[4] - سورة طه: الآية/ 122.

[5] - السامرائي: معاني النحو، 2/ 81 .

[6] - سورة طه: الآية/96، وانظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير،9/ 28 .

[7] - أبو السعود: تفسير أبي السعود:381/4 .

إلى ا : إما علَم وهو اسم الجلالة خاصةً. وإما وصف مثل الرحمان والجبار وبقية الأسماء الحسنى .

ب- العلاقات والعناصر الدلالية:

الإحالة: إحالات الضمائر :

الهاء: من كلمة (نفسه)، وجاء في قوله تعالى: فَأَوْجس فِي نَفْسِهِ خِيفَةً موسى ([1])، فالهاء من (نفسه) ضمير يحيل إحالة بعدية ذاتية متطابقة إلى موسى عليه السلام، قال السامرائي:"... وقد يعود على متأخر في اللفظ متقدّم في الرتبة... فالضمير في الآية عاد على موسى، وهو متأخر لفظاً متقدم رتبةً"([2]) .

هو: يحيل إلى لفظ الجلالة (ا) إحالة ذاتية قبلية متطابقة، وهو في موقعه قد ربط بين موضوعين محوريين، قد أنبأت عنهما بعض دلالات (الم) سيميائياً، فاسم (ا) أوحى به صوتاً؛ نطق ألفه همزةً أولاً، وألمح إليه سيميائياً شكله المرسوم أيقونة واقفة معتدلة(|)، على الرغم من تفردها وحدها، بانعزالها قراءة وكتابة، لئلا يتصل بها صوت وخط من شأنهما أنْ يؤثرا في قصديتها المحورية، هذه المحورية التي أقرت بها دلالة الألف عدداً رياضياً (1) أيضاً، إن تحليل ما ألمح إليه ابن عاشور في تفسيره هذه الآية، تحليلاً نصياً يتّجه ليشهد للجملة النص، ولينشد نصاً متماسكاً دلالياً، تحقيقاً وتطبيقاً لتماسك النص على مستوى موضوع الخطاب، بفعل تعالق الدوال دلالياً لتدل على الموضوع المحوري الذي مثّل جوهر البنية الكلية الكبرى للنص .

قال ابن عاشور:" هذه الجملة من حكاية كلام موسى عليه السلام، فموقعها موقع التذييل لوعظه، وقد التفت من خطاب السامري إلى خطاب الأمة إعراضاً عن خطابه تحقيراً له، وقصداً لتنبيههم على خطئهم ، وتعليمهم صفات الإله الحق، واقتصر منها على الوحدانية وعموم العلم؛ لأن الوحدانية تجمع جميع الصفات، كما قرر في دلالة كلمة التوحيد عليها في كتب علم الكلام. وأما عموم العلم فهو إشارة

[1] - سورة طه: الآية/67.

[2] - السامرائي: معاني النحو، 1/ 59 .

إلى علم ا تعالى بجميع الكائنات الشاملة لأعمالهم ليرقبوه في خاصتهم. واستعير فعل :" وسِع" لمعنى الإحاطة التامة، لأن الإناء الواسع يحيط بأكثر أشياء مما هو دونه... وانتصب (عِلْماً) على أنّه تمييز نسبة السعةِ إلى ا تعالى، فيؤول المعنى: وسع علمه كل شيء بحيث لا يضيق علمه عن شيء، أي لا يقصر عن الاطلاع على أخفى الأشياء، كما أفاده لفظ (كل) المفيد للعموم، وتقدم قريب منه عند قوله: وسع كرسيه السموات والأرض ([1]).

إحالات أسماء الإشارة:

ذلك: من:"وكذلك سولَتْ لِي نَفْسِي"، يحيل اسم الإشارة (ذلك) إحالتين قبلية وبعدية، وهو بهذه الإحالتين قد ربط بين الجملتين قبله وبعده، فأحال في الأولى إلى الفعلين المسندين إلى السامري: فقبضتُ، فنبذتُ، المذكورين في الجملة قبله، وأحال في الثانية إحالة ذاتية متطابقة إلى الاسم المصدر المحذوف (التسويل) المتضمن حدوث الفعلين قبضتُ ونبذت، قال أبو السعود في قوله تعالى:" وكذلك سولَتْ لِي نَفْسِي " :" أي ما فعلتُه من القبض والنبذ فقوله تعالى :" ذلك " إشارةٌ إلى مصدر الفعل المذكور بعده ، ومحل كذلك في الأصل النصب على أنه مصدر تشبيهي أي نعتٌ لمصدر محذوف والتقدير سولت لي نفسي تسويلاً كائناً مثلَ ذلك التسويل"([2]) .

التخصيص: يعد هذا العنصر عنصراً دلالياً إذ أفاد معنى التخصيص، وقد تأتى هذا المعنى بفعل التركيب الذي تقدم في الجار والمجرور (له)، ويبدو أن هذا الاختصاص يضارع الحصر في الإفادة، وبالعودة إلى أحد التأويلات لحرف اللام من (الم) في البقرة وغيرها، وهو دلالة الملك وحده .

وتقديم المجرور في قوله:"له الأسماء الحسْنى " للاختصاص، أي لا لغيره لأن غيره إما أن يكون اسمه مجرداً من المعاني المداولة للأسماء مثل الأصنام ، وإما أن تكون حقائقها فيه غير بالغة منتهى كمال حقيقتها كاتصاف البشر بالرحمة والمِلك ،

---

[1]- وانظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير،9/ 33.

[2]- أبو السعود: تفسير أبي السعود:381/4 .

وإما أن يكون الاتّصاف بها كذباً لا حقيقة، كاتصاف البشر بالكِبْر، إذ لـيس أهـلاً للكبر والجبروت والعزة .

ووصْف الأسماء بالحسنى؛ لأنّها دالة على حقائق كاملة بالنسبة إلى المـسمى بها تعالى وتقدس، وذلك ظاهر في غير اسم الجلالة، وأما في اسم الجلالة الذي هو الاسم العلَم فلأنه مخالف للأعلام من حيث إنّه في الأصل وصف دال على الانفراد بالإلهية؛ لأنّه دال على الإله، وعرف باللام الدالة على انحصار الحقيقة عنده، فكان جامعاً لمعنى وجوب الوجود، واستحق العبادة لوجود أسباب استحقاقها عنده . وقـد تقدم شيء من هذا عند قوله تعالى: و الأسماء الحسنى فادعوه بها ([1]).

المصاحبات المعجمية ومفاتيح النص: بصرْتُ من البصيرة، قـال الطبـري:" وقوله:"بصرْتُ بِما لَمْ يبْصروا بِهِ" يقول: قال السامري: علمت ما لم يعلموه، وهـو فعلت من البصيرة: أي صرت بما عملت بصيراً عالما" الطبري:. ومـن البـصر: أبصر: أي رأى، ذكر الطبري بعض الروايات له فقال :" عن قتادة (قَالَ بصرْتُ بِما لَمْ يبْصروا بِهِ) يعني فرس جبرائيل عليه السلام" الطبري .

ويظهر أن بنية الفعل (بـصـر) على وزن (فَـعـل)، منسجمة ومتطابقة مع دلالة الصفة المشبهة (بصير)، التي اكتسبها السامري بما علِم به كما ذكر الطبري، فبنية (فعل) تدل على الثبات، ولم يتعد فعلٌ على وزن فعل ألبتة إلى مفعول بـه، إلا في فعل واحد تعدى إلى مفعوله المضمر، بعد أنْ ضمن معنى فعل آخر علـى وزن (فَعِلَ)، الدال أيضاً على اللزوم والثبات في الأصل، وهو قولهم: رحبـتْكُم الـدار، بمعنى وسِعـتْكُم، فدلالة الثبوت واللزوم في الصفة الثابتة متطابقة مع دلالة الثبوت واللزوم لبنية فعل، وليست صفة (بصير) صفة ثابتة على الإطلاق للـسامري كمـا توحي به دلالة فعيل وفعل، لكنها صفة ثَبتت مؤقتاً للسامري وحده، كما يبدو، وهي بمعنى عالم لا عليم، إذْ إن صفة بصير وعليم وغيرهما من الصفات الثابتة، ليـست إلا سبحانه وتعالى على الإطلاق، ومعنى الإبصار عند أبي عبيده هو العلم، وهو

---

[1]- سورة الأعراف: الآية/180، ابن عاشور: التحرير والتنوير:163/16.

قول نسبه الرازي إلى ابن عباس، وبمعنى بصير عالم عند الزجاج أيـضاً، وذكـر الرازي القولين في الإبصار فقال:" في الإبصار قولان : قال أبو عبيدة : علمت بما لم يعلموا به ومنه قولهم : رجل بصير أي عالم وهذا قول ابن عبـاس رضـي ا عنهما وقال الزجاج في تقريره: أبصرته بمعنى رأيته وبصرت به بمعنى صرت به بصيراً عالماً، وقال آخرون: رأيت ما لم يروه فقوله بصرت به بمعنـى أبـصرته وأراد أنه رأى دابة جبريل عليه السلام فأخذ من موضع حافر دابته قبضة من تراب ثم قال:"فَقَبَضْتُ قَبْضةً منْ أَثَرِ الرسول فَنَبَذْتُها (1) .

ج- العلاقات والعناصر التداولية:

يبدو أن السياق العام لقصة موسى عليه السلام مع قومه، كان لها سياق خاص بقرينة المكان والزمان، فالسياق العام كان سياق ترقب وانتظار من قوم موسى لـه، في ضوء سياق ميقات موسى مع ربه، وقوم موسى في أثره لكنّـه تعجـل قـبلهم مرضاة سبحانه وتعالى كما بدا لموسى عليه السلام، بمعنى أن تزامناً لحادثتين قد وقعتا فيه، الأول ميقات موسى مع ا سبحانه وتعالى، والثاني ما أحدثه الـسامري عند رؤيته فرس الرسول (جبريل)، بعد أنْ قبض قبضة من أثـره، فكـان إبـصار السامري لما هو متعلق بجبريل (فرسه أو أثرها أو أثر جبريل عليه السلام نفسه كما في بعض التفاسير)، دوراً في مخالفة السامري لأمر موسى عليـه الـسلام، فعـذر السامري لموسى بما بصر به قبل أن تسول نفس السامري له فعل ما فعلـه؛ كـان كافياً لأن يصفح عنه موسى، وكأنّه يوافق قوم موسى على ما طلبوه وهو آلهة تشبه الأصنام التي رأوها وتزينوا لها القوم الذين مر بهم موسى وأخوه والسامري ومـنْ معهم من بني إسرائيل، لكن السؤال الذي يتبدأ في ضوء ما بصر به السامري، وفي ضوء إسناد فعل إخراج العجل للسامري، هل استوحى شكل العجل الـذي أخرجـه السامري لمن عنده، من خلال الأصنام التي رآها السامري عند القوم الذين مـروا بهم، أم استوحى شكل العجل من خلال الصورة الذهنية، التي علقـت بـه لحظـة الإبصار التي لم تكتمل عنده، فما كان له تأكيد ما أبصره إلا القبضة التي قبضها من

(1) - الرازي: مفاتيح الغيب: 462/10 .

أثر الرسول، فنبذها في العجل الذي استخرجه لمن عنده من بني إسرائيل، ثم أسـند الألوهية له كما هو ظاهر قوله تعالى:" هذا إلهكم وإله موسى".

ولعل هذا السياق الذي يجعلنا نتأول: أن السامري فعل ما فعل، كان بعد الحدث الخاص بالسامري نفسه، وهو حدث البصيرة الواضح من ظاهر الآية:" بصرت بما لم يبصروا به"، وفي هذا السياق التأويلي وفي ضوء سياق القصة ومـا فيهـا مـن ترقب وانتظار، يقرر ابن العربي شيئاً يعضد هذا التأويل في أحد جانبيه، بقولـه : "...كما جعلَ السامِري ما اطلَع علَيْهِ مِنْ أَثَرِ فَرسِ جِبْرِيلَ سببًا لِاتخَاذِ الْعِجْلِ إلَهًـا مِنْ دون اللهِ"([1])، ويفهم من كلام ابن العربي أن ما بصر به السامري كان سبباً لدى السامري قد حمله على الشرك، فاتخذ العجل إلهً دون ا سبحانه وتعالى، فانتهزهـا علماً له، كما انتهز القبضة بنبذها في العجل - علماً له - علّها بنبذها فيه، تجعلـه عجلاً حياً له خوار لا عجلاً جسداً له خوار.

ولعل ما جاء عند الطبري في (تاريخ الرسل والملوك)، ما يعضد التأويل،:"... عن ابن عباس قال كان السامري رجلا من أهل باجرما، وكان من قوم يعبدون البقر فكان حب عبادة البقر في نفسه وكان قد أظهر الإسلام في بنى إسرائيل، فلما فصل هارون في بنى إسرائيل وفصل موسى عنهم إلى ربه تبارك وتعـالى، قـال لهـم هارون: إنكم قد حملتم أوزارا من زينة القوم آل فرعون وأمتعة وحليا فتطهروا منها فانا نجس وأوقد لهم ناراً وقال: اقذفوا ما كان معكم من ذلك فيها قالوا: نعم فجعلـوا يأتون بما كان فيهم من تلك الحلي وتلك الأمتعة فيقذفون به فيها حتى إذا انكـسرت الحلي فيها رأى السامري أثر فرس جبرائيل، فاخذ ترابا من أثر حافره ثم أقبل إلى الحفرة فقال لهارون يا نبى ا ألقى ما في يدى قال نعم ولا يظن هـارون إلا أنـه كبعض ما جاء به غيره من تلك الأمتعة والحلي فقذفه فيها وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان للبلاء والفتنة فقال هذا إلهكم وإله موسى فعكفوا عليه وأحبوه حبـا لـم

[1]- ابن العربي: أحكام القرآن،52/1.

يحبوا مثله شيئا قط فقال ا عز وجل فنسى أي ترك ما كان عليه من الإسلام يعنى السامري ..." ([1]).

د- التماسك النصي بين سورة (طه) وسائر السور ذوات الحروف المقطّعة

إن كثير من الكلمات التي وردت في سورة (طه)، قد تكررت لفظاً في الـسور ذوات الحروف المقطّعة، ولئلا تكثر الآيات التي نستشهد بها لإثبات هـذا الـرابط (التكرار) النحوي والدلالي، فإنني أقتصر على ذكـر آيـات مـن سـورتي طـه والأعراف، تؤكد على تعالق نصوص السور جميعها، ونمثّل لهذا العنصر من خلال العناصر الآتية:

التكرار اللفظي: ومن أمثلة هذا العنصر الذي يسهم في ترابط وتعالق سورة طه مـع غيرها من هذه السور، الكلمات (هدى، الصراط المستقيم، شهادة التوحيد (الله لا إله إلا هو له)، ومنه ما جاء مطابقاً لفظاً في سورة الأعراف وهي تتحدث عـن قـصة موسى مع قومه، ولا سيما بعد رجوعه إليهم من الميقات الموعـود، قـال تعـالى: فَرجع موسى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبان أَسِفًا قَالَ يا قَوْمِ أَلَمْ يعِدْكُمْ ربكُمْ وعْدًا حسنًا أَفَطَالَ علَيْكُم الْعهْد أَمْ أَردْتُمْ أَنْ يحِل علَيْكُمْ غَضب مِنْ ربكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ موْعِدِي وقال تعالى: إِنما إِلَهكُم الله الَّذِي لا إِلَه إِلا هو وسِع كُل شَيْءٍ عِلْمًا ([2])، وقال تعالى في سورة الأعراف: ولَما رجع موسى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبان أَسِفًا قَالَ بِئْسما خَلَفْتُموني مِنْ بعْدِي أَعجِلْتُمْ أَمْر ربكُمْ وأَلْقَى الأَلْواح وأَخَذَ بِرأْسِ أَخِيهِ يجره إِلَيْهِ قَالَ ابـن أُم إِن الْقَـوْم اسْتَضْعفُونِي وكَادوا يقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِـي الأَعْـداء ولا تَجْعلْنِـي مـع الْقَـوْمِ الظَّالِمِين ([3]).

التكرار بالمعنى: وتمثّله الأسماء الحسنى بحك علاقة التضمن والالتزام، التي توجب أن يكون في إطارها جميع أسماء ا الحسنى، أو بما هو في معناها من الجمل، التي

[1] - انظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف- القاهرة، 1963م،299/1، 298، 297، 296.

[2] - سورة طه: الآيتان/86،98.

[3] - سورة الأعراف: الآية/150.

تتحدث عن الخلق والقدرة والعلم والشمول والإحاطة والتوبة والرحمة والهداية ...الخ).

قال البقاعي مستدلاً من الأسلوب ومن القصص القرآني على دلالة علامتية، تدلّ دلالة التزامية على موضوع السورة المحوري، من خلال جملة (الذي لا إله إلا هو) الواردة في الآية السابقة، فقال:" ولما تمت هذه القصة على هذا الأسلوب الأعظم ، والسبيل الأقوم ، متكفلة بالدلالة على القدرة على ما وقعت إليه الإشارة من البشارة أول السورة بتكثير هذه الأمة ورد العرب عن غيهم بعد طول التمادي في العناد، والتنكب عن سبيل الرشاد ، إلى ما تخللها من التسلية بأحوال السلف الصالح والتأسية، مفصلة من أدلة التوحيد والبعث، وغير ذلك من الحكم "([1]).

ولعل تلوين الخطاب عند أبي السعود يقابل الأسلوب والقصص عند البقاعي، وكلاهما استقرأ دلالة علامتية (غير لفظية) تدل على موضوع السورة المحوري وهو الوحدانية، قال في تفسيره لقوله تعالى:"إنما إلهكم ا " استئناف مسوقٌ لتحقيق الحق إثر إبطال الباطل بتلوين الخطابِ وتوجيهه إلى الكل، أي إنّما معبودكم المستحق للعبادة ا (الذى لا إله) في الوجود لشيء من الأشياء (إلا هو) وحده من غير أن يشاركه شيء من الأشياء بوجه من الوجوه التي من جملتها أحكام الألوهية، وقرىء ا لا إله إلا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى: وسِع كُل شَىْء عِلْماً أي وسع علمه كل ما من شأنه أن يعلم بدلٌ من الصلة ، كأنه قيل : إنما إلهكم ا الذي وسع كل شيءٍ علماً لا غيره كائناً ما كان فيدخل فيه العِجْلُ دخولاً أولياً، وقرئ وسع بالتشديد فيكون انتصاب عِلْماً على المفعولية؛ لأنّه على القراءة الأولى فاعلٌ حقيقةً، وبنقل الفعل إلى التعدية إلى المفعولين صار الفاعل مفعولاً أولاً ، كأنه قيل: وسِع علمه كل شيء وبه تم حديثُ موسى عليه السلام المذكور لتقرير أمر التوحيدِ حسبما نطقت به خاتمتُه "([2]) .

---

[1] - البقاعي: نظم الدر137/13 .

[2] - أبو السعود: تفسير أبي السعود:385/4 .

2.3.3 سورة يس

دلالة الحروف المقطّعة في سورة (يس):

استهلت سورة (يس) بحرفي الياء والسين، وسميت السورة بهـذين الحـرفين المركبين، وشكلا الآية الأولى من السورة، وقد تعددت دلالات هذين الحرفين كثيراً عند المفسرين شأنهما شأن سائر الحروف المقطّعة الأخرى في فواتح السور، وقـد انفرد تأويل فواتح سورتي طـه و يـس، عن بقية الحروف الأخرى، عند بعـض المفسرين، وهذا التفرد جاء بتأويلين يقضي بأنّهما (طه و يس) من أسـماء النبـي صلى ا عليه وسلّم، والتأويل الآخر على أن (طه) معناه: يا رجـل، و(يـس) يـا إنسان، وهما معنيان تأتيا لمنْ تأولهما من خلال دلالتهما في اللغة السريانية.

إذا ما استقرأنا الكلمات التي في سورة (يس) إحصاءً، فإننا نجد أن أكثر حرفين تكررا فيها هما الياء والسين، كما أن إمكانية تأويل كلمة أو أكثـر معنـىً لهـذين الحرفين هو احتمال وارد، إذا ما كان أي معنىً هو تأويل منطقي ومقبول، يعـضده ويقر بمنطقيته وقبوله في نص السورة من جهة، وانسجامه مع الدلالات الأخرى في تشكيل المعنى العام للسورة، دون تعارض مع غيره، يؤدي إلى الإخلال به من جهة أخـرى.

من المعاني التي يمكن تأولها للحرفين معاً(يس)، وينتمي هذا التأويل إلى الجانب العرفي أو الاجتماعي للغة، هو لفظنا للحرفين نطقاً كاملاً (ياسـين)، يـدلّ علـى استحضارنا لأمر بعيد نتأمل عكسه، فالراحل عنّا عندما نتأمل عودتـه أو رجوعـه إلينا ليحقق هو لنا شيئاً، صعب المنال حصوله وقد أصبح من الماضي الـذي لـنْ يعود، إنّه الماضي الذي يستحضر بالوجد ، ولا أدلّ على هذا الاستحضار إلا بلفـظ هذين الحرفين (يـ ـا سـ ـيـ ن)، وهذان اللفظان لم نزل نـسمعهما فـي واقعنـا اللغوي الاجتماعي، ولا سيما منْ قبل من هم متقدمون في السن، وغالباً مـا يـأتي لفظهما في تذكر عزيز قد رحل ورحل معه، ما فقده اللافظ لهمـا وهـو يـسترجع ذكرياته ومواقفه، لكن هيهات أنْ يعود إليه، وهما يفيدان ويدلان على الحسرة والألم لذاك الماضي، وهذا المعنى المتحقق على المستوى التداولي، قد جاء مصرحاً به في نص السورة نفسها، وهو قول ا تعالى :" يا حسرة على العباد ما يأتيهم منْ رسول

إلا كانوا به يستهزئون"([1])، وجاءت آيات من السورة تفصح لنا عـن ذاك الـزمن وعدم رجوع منْ انقضوا ورحلوا فيه، وان رجوعهم إلى ا في يوم يعلمه وحـده، قال ا تعالى:" ألمْ يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنّهم إليهم لا يرجعون* وإن كل لّما جميع لدينا محضرون"([2]). وقد جاء الحديث عن هذه القرون الخالية في أوائـل السورة قال ا تعالى: لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون ([3]) .

إن السياق العام لسورة يس، ينسجم ودلالات الحرفين (الياء والسين)، إذ نجـد الحديث عن مسائل وقصص قديمة بصيغة الماضي، ودلالة الزمن الماضي تضمنتها دلالة (ياسين) في عرف اللغة الاستعمالي الاجتماعي، والحديث عـن المخلوقـات وتدبير الكون واستمرار نظامه كما هو، والإخبار بخلق الإنسان وموته وبعثه حيـاً من جديد، عن طريق فعل الإحياء :" قل يحييها الذي أنشأها أول مرة "، :" وهو بكل خلق عليم".

عناصر التماسك النصي في سورة يس

العلاقات والعناصر النحوية

التكرار: القرآن الحكيم ، تنزيل العزيز الرحيم.

أسماء ا الحسنى: العليم، الصراط المستقيم، صيحة ، محضرون، يرجعون، الوعد؛ وعد، توعدون، ونفخ في الصور.

التقديم: ومن ذلك تقديم جملة (وجاء من أقصى المدينة) على لفظة (رجل) للاهتمـام بالمقدم على المؤخر، قال ابن عاشور:" وفائدة ذكر أنه جاء مـن أقـصى المدينـة الإشارة إلى أن الإيمان با ظهر في أهل ربض المدينة قبـل ظهـوره فـي قلـب المدينة؛ لأن قلب المدينة هو مسكن حكامها وأحبار اليهود، وهم أبعد عن الإنصاف والنظر في صحة ما يدعوهم إليه الرسل، وعامة سكانها تبع لعظمائها لتعلقهم بهـم وخشيتهم بأسهم بخلاف سكان أطراف المدينة، فهم أقرب إلى الاستقلال بالنظر وقلة اكتراثٍ بالآخرين؛ لأن سكان الأطراف غالبهم عملة أنفسهم لقربهم من البدو، وبهذا

1- سورة يس: الآية/30.

2- سورة يس: الآيتان/31،32.

3- سورة يس: الآيتان/31،32.

يظهر وجه تقديم (من أقصا المدينة) على (رجل) للاهتمام بالثناء على أهل أقـصى المدينة، وأنه قد يوجد الخير في الأطراف ما لا يوجد في الوسط، وأن الإيمان يسبق إليه الضعفاء؛ لأنّهم لا يصدهم عن الحق ما فيه أهل السيادة من تـرف وعظمـة إذ المعتاد أنهم يسكنون وسط المدينة ، قال أبو تمام:

كانت هي الوسطَ المحمي فاتصلت بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

وأما قوله تعالى في سورة القصص: وجـاء رجـل مـن أقـصى المدينـة يسعى ([1])، فجاء النظم على الترتيب الأصلي إذ لا داعي إلى التقديم إذ كان ذلـك الرجل ناصحاً ولم يكن داعياً للإيمان" ([2]).

العلاقات والعناصر الدلالية

إحالات الضمائر: جاء في أوائل سورة يس عدد من الضمائر الملفوظة والمحذوفـة فمنها:

الضمائر التي تحيل إلى لفظ الجلالة: جاء الضمير (نحن) في الآية الثانية عـشرة، بلفظ الجمع الذي يفيد التعظيم، غير مطابق للفظ الجلالة لفظاً، وورد مـرة واحـدة ملفوظاً :" إنا نحن " وثلاث مرات محذوفاً في الأفعال (نحيي، ونكتب، أحصيناه). وقد ورد الضمير في قوله تعالى:" إنّا جعلنا ".

ومن الضمائر التي إحالة خارجية إلى مذكور خارج النص، ضـمير الغائـب (هو) الذي يحيل إحالة ذاتية متطابقة إلى لفظـة (رجـل) الـوارد فـي قـول ا تعالى: وجاء مِنْ أَقْصى الْمدِينَةِ رجلٌ يسْعى قَالَ يا قَوْمِ اتبِعوا الْمرْسلِين ([3]). كما جاء هذا الضمير محذوفاً ومذكوراً في الكلمات التالية (يسعى، قال، قومه، بعده). الضميران (أنا، أنت): أحال هذان الضميران إحالة خارجية إلى ما أحال إليه ضمير الغائب (هو) السابق، وقد جاء هذان الضميران في الكلمات التالية من السورة (أعبد، أأتخذ، آمنتُ، ادخل)،

2- سورة القصص: الآية/20.

2- ابن عاشور: التحرير والتنوير.239/16.

[3]- سورة يس: الآية20 .

ضمير (الياء): في (وما لي، فطرني، يردن، عنّي، إنّـي، قـومي، لـي، ربـي، وجعلني). وهو ضمير يحيل إلى ما أحالت إليه الضمائر السابقة.

وقد أحالت إلى الرسول علية السلام، وهذه الضمائر هي:

الكاف من (إنّك)، وهو يحيل إحالة خارجية ذاتية متطابقة إلى الرسول عليه السلام، وهو غير مذكور في نص السورة، لكن السياق قد دلّ عليه.

أنت: وقد جاء محذوفاً في موقع المسند إليه في الأفعال (لتنذر، أأنذرتهم، تنـذرهم، تنذر، فبشره)، وقد أحال إحالة نصية خارجية ذاتية متطابقة إلـى الرسـول عليـه السلام.

ضمير الرفع (الواو): أحال هذا الضمير إحالة خارجية ذاتية متطابقة إلى الكافرين، وقد وقع في موقع الفاعلية من الجهة النحوية البحتة، وقد برز في الأفعـال التاليـة (غافلون، لا يؤمنون، مقمحون، لا يبصرون، لا يؤمنون)، وقد توافق بإحالتـه مـع الضمير (هم) المذكور تالياً.

ومن الإحالات الضميرية التي جاءت بكثرة في أوائل السورة، وقد أحالت إلى قوم من الكافرين، كما يدلّ سياق السورة ونفي الإيمان عن هؤلاء القوم الكافرين كما تنص الآية "لَقَدْ حق الْقَوْلُ على أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يؤْمِنُون "([1])، الضمير (هـم)، فـي الكلمات التالية: " آباؤهم، فهم، أكثرهم، فهـم، أعنـاقهم، فهـم، أيـديهم، خلفهـم، فأغشيناهم، فهم، عليهم، أأنذرتهم، تنذرهم)، فضمير الجمع هذا يحيل إحالـة نـصية خارجية إلى الكافرين، وهو عنصر غير مذكور في النص بلفظ الكافرين فـي هـذه الآيات، وقد أحال هذا الضمير إلى لفظة قوم الواردة في قول ا تعالى:" لِتُنْذِر قَوْمًا ما أُنْذِر آباؤُهمْ فَهمْ غَافِلُون "([2])، ولفظة (قوماً) الواردة في الآية، هي استبدال اسمي بدلاً من لفظة الكافرين .

التعريف والتنكير: جاء لفظة (رجل) في قوله تعالى:" وجاء مِنْ أَقْصى الْمدِينَةِ رجلٌ يسْعى قَالَ يا قَوْمِ اتبِعوا الْمرْسلِين"([3])، فكلمة (رجل) نكـرة تفيـد الواحـد، قـال

---

[1] - سورة يس: الآية7 .

[2] - سورة يس: الآية6 .

[3] - سورة يس: الاية/20.

السامرائي:" إذا أطلقت النكرة دلّـت علـى أحـد أمـرين: إرادة الوحـدة أو إرادة الجنس"([1]).

الاستبدال:أكثرهم (قوماً)، اثنين: (رسولين)، ثالث (رسـول)، فطرنـي (خلقنـي)، القرون (كل): الشمس والقمر (كل).

الآيات المفسرة: ومنه قول ا تعالى: وأن اعبدوني ، فهذه الجملة تفسير وتبيـين للآية التي قبلها التي تتحدث عن موضوع العبادة .

مراعاة النظير: إن تحقق وقوع النظير بين آية وآية سواء أكان في السورة الواحدة أم في أكثر من سورة، يعد من أهم العناصر التي تسهم في تماسك النص، وجـوهر هذا التماسك هو تعالق النظيرين دلالياً؛ ولب هذا هوالتعالق من خلال تعالق دلالات أبنية السورة في موضوع الخطاب نفسه، فمن المواضيع التي تناولتها السورة وآلت إلى الموضوع المحوري المركزي لها، موضوع ثبات نظام الكون ونظام المخلوقات التي فيه، فمن ذلك ثبات تعاقب الليل والنهار والشمس والقمر، قال الرازي:" واعلـم أنه سبحانه وصف هذه الحركة بالسرعة والشدة ، وذلك هو الحق؛ لأن تعاقب الليل والنهار إنما يحصل بحركة الفلك الأعظم ، وتلك الحركة أشد الحركـات سـرعة ، وأكملها شدة ، حتى أن الباحثين عن أحوال الموجودات، قالوا: الإنسان إذا كان فـي العدو الشديد الكامل، فإلى أن يرفع رجله ويضعها يتحرك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل ، وإذا كان الأمر كذلك كانت تلك الحركة في غاية الـشدة والـسرعة ، فلهـذا السبب قال تعالى: يطْلُبه حثِيثًا ، ونظير هذه الآية قوله سبحانه: لاَ الشمس ينبغِى لَها أَن تدْرِك القمر ولاَ اليل سابِقُ النهار وكُل فِى فَلَكٍ يسْبحون ([2]).

الموضوع المحوري المركزي في سورتي (طه ويس)

تشكل الآيات التي تحدثت عن فتنة قوم موسى نصاً؛ إذ السياق سياق الوحدانية كما جاء على لسان موسى عليه السلام، قال تعالى: إنما إِلَهكُم الله الذِي لا إِلَه إِلا

---

[1]- السامرائي: فاضل صالح السامرائي: معـاني النحـو، 38/1، دار الفكـر- عمـان، ط3، 2008م-1429هـ..

2- الرازي: مفاتيح الغيب. 32/11،31.

هو وسِع كُل شَيْءٍ عِلْمًا ([1])، كما إن السياق الموضوعي الذي تتحدث عنـه آيـات السورتين التي ذكرناهما، إنما هو في سياق إثبات الإلوهية لإله واحد لا شريك لـه، وينبأ ذكر اسم من أسماء ا الحسنى في هذه آيات السورتين وهو (الـرحمن) بعـد ذكر لفظة (ربكم)، على اختلاف الدلالة عليه بالبناء الاسمي أو الفعلـي مفـرداً أو جملة، ينبأ عن قصدية أخرى إلى جانب القصدية المحورية التـي تمثـل الوحـدة لموضوعية للسورة، وهو قصدية الرحمة الثابتة عند ربنا عز وجل، قال ا تعالى:

ولَقَدْ قَالَ لَهمْ هارون مِنْ قَبْلُ يا قَوْمِ إنما فُتِنْتُمْ بِهِ وإِن ربكُم الـرحْمن فَـاتبِعوني وَأَطِيعوا أَمْري ([2]) .

ويربط ابن عاشور بين سورتي البقرة وطه موضوعياً، من خـلال المحتـوى القضوي للآية السابقة، وهو محور الوحدانية، الذي شـكلّه محمـول الآيـة الأول، وموضوع الإحاطة دلالياً؛ محمول الآية الثاني، كما عضد هذا المحور تقديم لفـظ الجلالة الدال على الألوهية في جملة (نما إلهكُم الله)، فحصر الخبر في المبتدأ فـي البنية العميقة، فأفاد التقديم الاهتمام بصاحب الخبر أولاً، فلّما قدم الخبر فـي البنيـة السطحية (المحولة الأولى): إلهكم ا : لم يفد التقديم معنى الحـصر أو التوكيـد ، فاحتاج ذلك إلى تحويلها ثانية لتفيد في بنيتها السطحية، فائدة ودلالة تنسجم وتتعـالق مع سياق الآيات قبلها، وهو سياق تقرير الألوهية (العبودية) سـبحانه وتعـالى، ويعززه قوله تعالى على لسان السامري، مخاطباً ظالاً منْ ظلّ من قوم موسى عليه السلام: فَأَخْرج لَهمْ عِجْلًا جسدًا له خُوار فَقَالُوا هذَا إِلَهكُمْ وإِله موسى فَنَسِي ([3])، فاحتاج لفظ (إلهكم) إلى جانب تقديمه، إلى توكيد الإلوهية له ونفيها عن غيره، فكان الجمع بين التوكيد والنفي في لفظة واحدة مركبة، محققة هذا المعنى، فمعنى الحصر الذي أفادة التقديم من خلال معناه النحوي الوظيفي في جملة: ا إلهكم، أفاده تقـديم أداة الحصر التي انضمت مع المسند والمسند إليه في جملة واحدة (إنما إلهكـم ا). ومن ثم أثبت الوحدانية التي هي جوهر الإلوهية المثبتة المقررة أولاً، أثبتهـا بـأن

[1]- سورة طه: الآية/98.

[2]- سورة طه: الآية/90.

[3]- سورة طه: الآية/88.

جاءت دالة على نفسها بلفظها في جملة (الله لا إله إلا هو)، صلة لاسم الموصول (الذي) الذي ارتبط بلفظ الجلالة قبله بعلاقة التبعية، فوقع صفة له، ثم احتج إلى رابط ليربط به موضوعاً متصلاً يدل على أن المتفرد بالوحدانية هو المحيط بعلمه كلّ شيء إذن، فكان الرابط الإشاري (هو) بديلاً لفظاً دالاً على خبر محذوف قرينة، هو المقدم على غيره من أدوات الربط النحوي نظماً والربط الدلالي إحالة ومجاورة، فأحال دلالياً وربط نحوياً وهو مذكور، وأحال وربط وهو محذوف :أي وسِع هو، فالوحدانية المطلقة والعلم المطلق هما حقاً، لإلهه دلّ خلق الكون وتدبيره على معنى الإلوهية الحقة لواحد أحد، له ما في السماوات وما الأرض، أحاط علمه بكلّ شيء، ولم يحط ولن يحط بشيء من علمه أحد إلا بمشيئته، تعاليت سبحانك عما يقول الظالمون علواً كبيرا .

إن الموضوع الذي يمكن وضعه بشكل مجمل لسورة يس أيضاً، هو الدعوة إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له، وهذا التوحيد الذي جعلناها جوهر الصراط المستقيم، الذي دعا المتلقون المؤمنون الحامدون ربهم أن يهديهم إليهم، وقد تضمنت آيات من سورة (يس) هذا الموضوع المحوري المركزي، من خلال تنوع تراكيب الاستفهام الإنكاري التعجبي، والاستفهام التقريري، والتراكيب الانشائية الطلبية من أمر أو نهي، متضمنة دلالة التوحيد لفظاً ومعنىً، فدلّت الآية التالية على الوحدانية من خلال نفي الشرك عن الإله المعبود الحق، وهي قول الله تعالى :" أأتخذ من دونه آلهةً إنْ يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا هم ينقذون"، كما دلّ على معنى الوحدانية لفظتا العبادة اللتان تضمنهما نسبياً الفعلان اللذان شكّلا جملتين إنشائتين طلبيتين؛ الأولى بصيغة النهي والثانية بصيغة الأمر، ومثّلت كلّ جملة قضية ذات محتوى قضوي بحسب نظرية الأفعال الكلامية، ولقد ذكرنا تفسير ابن عباس للفعل (اعبدوا)، بأن العبادة هي التوحيد أو الوحدانية، قال تعالى: ألم أعهد إليكم يا بني آدم أنْ لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين* وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ([1])، وقد تناولت السورة لتحقيق هذا الهدف المتمثّل بهذا الموضوع، محاور

[1]- سورة يس: الآية/61.

عدة هي المحاور نفسها التي تناولتها الـسور ذوات الحـروف المقطّعـة، فمنهـا: الاحتجاج للقرآن الكريم وللموحى إليه به، وقد تحقق هذا المحور في أول آيتين بعد الحرفين المقطّعين (يس) من السورة، والحديث عن الصراط المستقيم وهـو تـابع للمحور الأول، لكن التصريح به يحمل علامة تدل على الصراط المستقيم، وهي أن الصراط المستقيم هي عبادة ا وحده، التي جاء بها القرآن الكريم وعليها الرسـول عليه السلام ويدعو لها، قال تعالى: إني آمنت بربكم فاسمعون ، وقولـه تعـالى: ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون ([1]) .

وقد تحدثت السورة عن موضوع إثبات البعـث فـي أول الـسورة ووسـطها وخاتمتها، قال تعالى: فسبحان الذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه يرجعون ، قـل يحييها الذي أنشاها أول مرة وهو بكل خاق عليم ([2])، والحديث عن الأمم الماضية، وضرب الأمثال، والمصير الكافرين ومصير المؤمنين، قال تعالى: اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلُهم بما كانوا يكسبون ([3])، وخلق الإنسان وخلـق السماوات والأرض: أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر علـى أنْ يخلـق مثلهم بلى وهو الخلاّق العليم ([4])، وكذلك الآية التي أخبرت بوحدانية ا سـبحانه وتعالى عن طريق تضمنها هذا المعنى، وهي: قل يحييها الذي أنـشأها أول مـرة وهو بكل خلق عليم ([5])، فا عز وجل هو المنشيء وهو الخـالق، العلـيم (بكـل خلق)، وكذلك دلالة لفظة العموم (كلّ) التي اُضيف إليه المصدر (خلق) نكرة، لدليل على معنى الإحاطة والشمول والعلم والمعرفة بأي مخلوق، صغيراً و كبيراً عـاقلاً وغير عاقل، والآية منسجمة مع تأويل الحروف المقطّعة عند بعض المفسرين كذلك، وهي الإشارة إلى أول الخلق. تعالى: والشمْس تَجْري لِمسْتَقَر لَها ذَلِـك تَقْـدِير

---

[1] - سورة يس: الآية/22 .

[2] - سورة يس: الآية/83 .

[3] - سورة يس: الآية/65 .

[4] - سورة يس: الآية/81 .

[5] - سورة يس: الآية/79 .

الْعزيز الْعِلِيمِ *والْقَمر قَدرْنَاه منَازِلَ حتى عاد كَالْعرْجون الْقَدِيمِ* لا الشمْس ينْبغِـي لَها أَنْ تُدرِك الْقَمر ولا اللَّيْلُ سابِقُ النهارِ وكُلٌّ فِي فَلَكٍ يسْبحون ([1]) .

[1]- سورة طه: الآيات/38،39، 39،40.

الفصل الرابع
السور القرآنية ذوات الحروف
(طسم، طس، حـــم،ص،ق،ن)

1.4 السور القرآنية ذوات الحروف (طسم، طس).

استهلت سورتا الشعراء والقصص بالحروف المقطّعة الثلاثة (طسم)، وشـكلّت هذه الحروف الثلاث في السورتين الآية الأولى منها، وكما تماثل الاسـتهلال بـين السورتين كماً وكيفاً وتشكيلاً (فاصلة)، فقد حصل التماثل كذلك في الآية الثانية مـن السورتين بشكل متطابق، وهي قول ا تعـالى: طـسم* تلـك آيـات الكتـاب المبين ([1]). أما سورة النمل فقد استهلت بالحرفين طس ولم يشكّل هذان الحرفان الآية الأولى من السورة؛ إذ تشكلّت الآية الأولى بإلحاق اسم الإشارة وما بعده مـن كلمات إلى هذين الحرفين، والملاحظة التي يمكن أنْ نسجلها؛ لتتماسك الآية الأولى من سورة النمل مع الآيتين في سورتي الشعراء والقصص، استئناسـاً بتماثـل أول حرفين في السور الثلاث، هي تكرار اسم الإشارة نفسه (تلك) بعد الحرفين، وتكرار لفظتي الكتاب وصفته المبين، معطوفاً على خبر اسم الإشارة النكرة (آيات)، وعرفه المضاف إليه (القرآن)، وقد وقعت سورة النمل برزخاً بـين الـسورتين؛ الـشعراء والقصص، بحسب ترتب التلاوة في القرآن الكريم، ولعل موقعها علامـة تماسـكية وترابطية للسور الثلاث، تضاف إلى تماسك وترابط سورة النمل بسورتي الـشعراء القصص، بفعل تماثل حرفيها الأولين (طس) مع (طس في الـسورتين)، وتماثـل الألفاظ في الآية الأولى منها مع الآيتين الأولى والثانية في السورتين، وكأن موقعها بين السورتين قد أضفى عليها تماثلاً تاماً معهما كما أضفت الحروف المقطّعة فيهـا كلّها وحدة الاسم لها (الطواسين).

---
[1]- سورتا: الشعراء، القصص، الآيتين:1،2 .

دلالات الحروف المقطّعة في هذه السور

أ - دلالتها على أسماء ا الحسنى: إن مرد هذه الدلالة للحروف المقطّعة هو تأويل تلك الحروف بأنّها الحروف الأوائل المقتطعة من أسماء ا الحسنى، فمن ذلـك ما روي عن ابن عباس أن: طس مقتضب من طَاءِ اسمه تعالى اللطيف، ومـن سين اسمه تعالى السميع. وأن المقصود القَسم بهاذين الاسـمين، أي واللطيـفِ والسميعِ تلك آيات القرآن المبين"ابن عاشور .

ب ـ الدلالات الأخرى: وذلك بقبول تأويل كلمات بدأت بحرف الحاء أو المـيم أو كلاهما، أو وقع أحدهما أو كلاهما أصلاً من أصولها، أي أكثر من غيرها مـن سائر الألفاظ الأخرى التي تضمنتها بنية السورة، وذلك باعتبار قاعدة مهمة وهي قيام بنية نص السورة على الحرف أو الحروف التي استهلت بها.

وقد جاء عند الفخر الرازي ما يتصل بطريقة تفاسير الصوفية لهذه الحروف، بعض الكلمات، التي اقتطعت الحروف منها، من حيث المصطلحات التي جاءت في تفسيره للحروف المقطّعة الثلاثة التي استهلت بها سورة الشعراء(طـسـم)، قـال:" الطـاء إشارة إلى طـرب قلوب العارفين، والسين سرور المحبين، والميم مناجـاة المريدين"([1])، وكذلك الحال عند البقاعي في تأويله لـ (طسـم) قـال:" طـسـم " مشيراً بالطاء المليحة بالطهر والطيب إلى خلاص بني إسرائيل بعد طول ابـتلائهم المطهر لهم عظيم، وبالسين الرامزة إلى السمو والسنا والسيادة، إلى أن ذلك يكـون بمسموع من الوحي في ذي طوى من طور سيناء قديم، وبـالميم المهيئـة للملـك والنعمة إلى قضاء من الملك الأعلى بذلك كلّه تام عميم"([2]).

عناصر التماسك النصي في هذه السور

العلاقات والعناصر الدلالية

1-المناسبة بين عناوين السور ومضامينها.

---

[1] - الرازي: مفاتيح الغيب،460/11 .

[2] - البقاعي: نظم الدرر، 460/5.

جاءت بعض المواد اللغوية في معاجم اللغة تتصل دلالتها مع الحروف المقطّعة في مجموعة هذه السور، فمن الألفاظ التي جاء في بنيتها حرفان أصليان هما الطاء والسين لفظة (الطيس)، وهما الحرفان اللذان استهلت بهما السور الثلاث (الشعراء، النّمل القصص)، قال ابن منظور:"... وقال بعضهم بل هو كل خَلْقٍ كثير النسْل نحو النمل والذباب والهوام، وقيل يعني الكثير من الرمْل وحِنْطة طيْس كثيرة...والطيْس ما على الأرض من التراب والغَمام وقيل ما عليها من النمل والذباب وجميع الأنام"([1]) .

ومما يتصل بالمناسبة بين أسماء السور ومضمونها ولا سيما اتصالها بدلالات الحروف المقطعة، مجيء بعض الألفاظ ذات الحقل الدلالي الواحد في السور الثلاث، فمن هذه الألفاظ لفظتي (الهيام، والوادي) وغيرهما من الألفاظ التي تؤدي معنى البعد نحو: الضياع والتيه وما يمكن أن يعد - بحكم دلالة التضمن أو الالتزام - ضمن الحقل الدلالي لهذه الألفاظ، جاء في اللسان:...والهيام الموسْوسون ورجل هائم وهيوم والهيوم أن يذهب على وجْهه وقد هام يهيم هياماً ... والهيْم هيمان العاشق والشاعر إذا خلال في الصحراء وقوله عز وجلّ: "في كل وادٍ يهيمون"، قال بعضهم هو وادِي الصحراء يخْلو فيه العاشقُ والشاعر ويقال هو وادي الكلام وا أعلم"([2]).

والتكرار للفظة الوادي تردد في مجموعة هذه السور ففي سورة الشعراء: (في كلّ وادي يهيمون، وفي سورة النّمل: (وادي النّمل) وفي سورة القصص (إنّك بالواد المقدس طوى)، ومفهوم البعد والهيام متكرر إما لفظاً أو معنى في نصوص هذه السور أيضاً، ويتصل به وقت المجيء بعرش سبأ (الزمن المستغرق)، بالرغم من بعده، وادي النمل، قال تعالى: أنا آتيك به قبل أنْ يرتد إليك طرفُك ، ومما يتصل بعنوان السورة (النّمل) المكان الذي مر به سليمان، وهو مكان بعيد منسجم مع البعد المفهوم من سياق الآيات: قال تعالى: حتى إذا أتوا على واد النّمل .

---

[1] - ابن منظور: اللسان (طيس) .

[2] - ابن منظور: اللسان (طيس) .

2ـ الإحالة:

أ ـ الضمائر التي تحيل إلى لفظ الجلالة :

وتشمل: أنا، نحن، هو، أنت، للغائب والحاضر، مذكورة ومحذوفة، وغالباً ما تقترن مع الأفعال التي تأتلف في تأكيد الربوبية والوحدانية تعالى، وفي استجابة ا عز وجل لأقوام طلبوا من رسلهم آيات تأكيداً لدعوتهم، وفي العذاب الذي حلّ بالأقوام السابقين، وحقيقة هذه الأفعال وانجازها وصدق مصدرها، اقتضى كلّ ذلك تطابق الضمائر تطابقاً ذاتياً في إحالتها إلى لفظ الجلالة، وتنوع التطابق فيها إفراداً وجمعاً كلما اقتضى مقامهما وتركيبها وانسجامهما، فقد يقتضي التطابق إفراداً؛ لأجل غرض منها، أو يقتضي الجمع لإفادة التعظيم. ومن الآيات التي وردت في هذه السور الثلاث وأحيلت فيها الضمائر إلى لفظ الجلالة ما يلي:

الإحالة الداخلية:

هو: أحال هذا الضمير إلى لفظ الجلالة "ربك" إحالة قبلية ذاتية متطابقة، في قول ا تعالى: وإن ربك لهو العزيز الرحيم .

هو : الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين،وإذا مرضت فهو يشفين، والذي يميتني ثم يحيين، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين .

وفي سورة النمل نجد وحدة إحالة الضمائر إلى لفظ الجلالة : مفرداً وجمعاً، تكلّم، خطاب، غيبه، وتمثلت في مجموعة من الضمائر نحو: هو، ونحن، وأنا، والكاف ، وضمير الجمع (نا)، ونمثّل لها على النحو التالي:

هو:قال تعالى: يا موسى إنه أنا ا العزيز الحكيم سورة النمل: الآية/9. أحال الضمير (هو) إحالة بعدية وقبلية في آن واحد، قبلية: المنادي: المتكلم : مناديك أو مكلمك .

وكذلك ضمير الكاف في قوله تعالى: أن أشكر نعمتك ، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ، وكذلك الضمير (الياء) من الكلمات التالي:(إني، لدي، فإني غفور رحيم) .

نحن ، نا : زينّا لهم أعمالهم ، فلما جاءتهم آياتنا ، وما كنّا

أنا: أنا ا العزيز الحكيم ، والضمير (أنا)، أحال الضمير (أنا) إلـى لفـظ الجلالة بعده إحالة بعدية ذاتية متطابقة، وكذلك في قوله تعالى: يا موسى إنه أنا ا العزيز الحكيم .

وفي سورة القصص إحالات بالضمائر وبأسماء الإشارة إلى لفـظ الجلالـة: جمعاً وإفراداً وخطاباً غياباً وحضوراً، وهي على الشكل التـالي، معـززة بـبعض الآيات من هذه السورة، فمنها:

هو: وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولاً يتلوا عليهم آيتنا وما كنّا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون ([1])، والضمير غير مذكور لكنّه مقدر في اسم الفاعل (مهلك) و(يبعث)، وهو يحيل إحال قبلية إلى لفظ الجلالة (ربك) المذكور قبله.

الإحالة الخارجية: وهي الإحالة المقامية: تعددت الضمائر التي تحيـل إلـى لفـظ الجلالة (ا) في سور هذه المجموعة مفردة وجمعاً غائبة وحاضـرة، ومـن هـذه الضمائر:

نحن: في سورة الشعراء قال تعالى: إن نشأ ننزل و أولـم يـروا إلـى الأرض كم أنبتنا ، أفبعذابنا يستعجلون ، أفريت إن متعناهم سنين ، (نتلو، ونريد، أن نمن، ونجعلهم، ونمكّن، ونُري)

نا (نحن) (وأوحينا، إنّا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين، ربطّنا، وحرمنـا، فرددناه، آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين)، " فأخذناه، فنبذناهم، ما أهلكنا،

أنت: " رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين، واجعل لي لسان صـدق فـي الأخرين، واجعلني من ورثة جنة النعيم ، ولا تخزني يوم يبعثون ".

ما يحيل إلى لفظ الجلالة من ضمائر، وأسندت إليها الأفعال الخاصة به دلالـة على الوحدانية تعالى بإسنادها: وجاءت الآيات التي أكدت ذلك تفـسيراً للآيـات المستفهم بها، بعدم وجود إله غير ا يقلب ويتصرف ويغير النظام في آيتـين مـن آياته هما، الليل والنهار.

[1]- سورة القصص: الآية 59 .

ومن الإحالة الخارجية

أ- وتحيل إلى قوم محمد عليه الصلاة والسلام: فمنها: الضمير (هم) المستتر في عدد من الأفعال نحو: في (ألا يكونوا مـؤمنين)، (ألا كـانوا)، (فقـد كـذبوا)، (يستهزئون)، (أولم يروا)، والهاء في (ننزل عليهم) و(أعناقهم)، (وما يـأتيهم)، (إلا كانوا عنه معرضين)، (سيأتيهم)، (أكثرهم).

وفي سورة النّمل جاء الضمير (هم) ليحيل إحالة نصية خارجية ذاتية متطابقة، إلى الكافرين المعروفين من خلال الوصف لهم، قال تعالى:" أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سـوءُ الْعَذَابِ وهُمْ فِي الْآخِرَةِ هم الْأَخْسرون "([1])، قال ابن عاشور:" فالضمائر فـي قولـه لهم} وقوله : { وهم في الآخرة هم } عائدة إلى { الذين لا يؤمنون بالآخرة } [النمل: 4] بمراعاة ذلك العنوان الذي أفادته الصلة فلا دلالة في الضمير علـى أشـخاص معينين ولكن على موصوفين بمضمون الصلة فمن تنقشع عنه الضلالة ويثوب إلـى الإيمان يبرأ من هذا الحكم، وصيغ الخبر عنهم بالخسران في صيغة الجملة الاسمية وقرن بضمير الفصل للدلالة على ثبات مضمون الجملة وعلى انحصار مـضمونها فيهم كما تقدم في قوله : { وهم بالآخرة هم يوقنون } [النمل : 3، وجاء المسند اسم تفضيل للدلالة على أنهم أوحدون في الخسران لا يـشبهه خـسران غيـرهم ، لأن الخسران في الآخرة متفاوت المقدار والمدة وأعظمه فيهما خسران المشركين " ابـن عاشور.

ب ـ **الإحالات الإشارية:** وتشمل أسماء الإشارة المذكورة فـي الـنص، وأسـماء الإشارة المحذوفة، فمن أسماء الإشارة المذكورة التي تحيل إلى لفظ الجلالة ما يلي:

وسأكتفي ببعض الإحالات؛ الضميرية والإشارية، التي تحيل إلى ثلاثـة مـن الرسل إحالة داخلية أو خارجية، وأول منْ تحدثت عنه السور سيدنا موسـى عليـه السلام، ويمكن ذكر بعض ما أحيل إليه بأحد الضمائر أو أسماء الإشارة، من خلال بعض آيات السور الثلاث على النحو التالي:

---

[1]- سورة النمل : الآية/5.

ما يحيل إلى محمد عليه الصلاة السلام:

فمن الضمائر التي تحيل إحالة خارجية إلى محمد عليه السلام، الكاف من لعل و(أنت) المقدر في باخع، في قول ا تعالى في سورة الشعراء :" لعلك باخع نفسك"، وكذلك ضمير (الكاف) المضمر المضاف إلى لفظ الجلالة قال تعالى:" وإن ربك لهو العزيز الرحيم "، و: وإذ نادى ربك موسى أن ائت القـوم الظـالمين ، إذ أحـال الضمير (الكاف) إحالة نصية خارجية ذايتة متطابقة، إلـى محمـد عليـه الـصلاة والسلام، فسياق الآيات دلّنا على أن المخاطب هو الرسول عليه السلام، كما في أول سورة نزلت قال تعالى:" اقرأ باسم ربك" .

ما يحيل إلى موسى عليه السلام:

أنا: ضمير الفعل (أشكر) المستتر في قوله تعالى : أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني ، فأحال إلى موسى عليه الـسلام إحالة ذاتية متطابقة.

ومن الإحالات في سورة القصص :

ضمير الغائب الهاء: ورد هذا الضمير خمسة مرات في آية واحدة من سـورة القصص، وجاء في أربعة منها متصلاً بأربعة أفعال متعدية، فوقع مفعولاً به ، ومرة واحدة منفصلاً عن الفعل، فاتصل بحرف الجر الذي تعدى به الفعـل ليـرتبط بـه المسند إليه بعلاقة المفعولية، وهذا الضمير جاء في قول ا تعالى: وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ موسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ علَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيم ولَا تَخَافِي ولَا تَحْزنِـي إِنـا رادوه إِلَيْكِ وجاعِلُوه مِن الْمرْسلِين [1] .

وضمير الغائب يحيل إحالة قبلية ذاتية متطابقة إلى سيدنا موسى عليه السلام، وقد ورد مصرحاً به مرتين قبل ذكر ضميره الذي أحال إليه، الأولى في الثانية:" من نبأ موسى وفرعون "، والثانية بذكره ابناً لأمه نسبة إليها، فكان الوحي لأم موسـى، بلفظ الأم واسم ابنها بدلاً من اسم أمه:" وأوحينا إلى أم موسى "، شهرة له ولأمه بهذا اللفظ، أكثر مما هو تصريحاً بذكر اسم أمه واسم موسى أو (ابنـك)، أو مولـودك،

---

[1]- سورة القصص : الآية 7 .

فكان هذا التركيب من (أم موسى) كان أكثر تخصيصاً وتوضيحاً وإيجازاً، مـن أي تركيب ثانٍ تخاطب به أم موسى وحياً ، أي بدلاً من (وأوحينا إلـى أمـه)، إذ لـم يصرح باسم موسى عليه السلام منفرداً قبل هذه الآية، فلو كان الخطاب لأمـه دون إضافة موسى إليها، لأختلط الأمر عند المتلقي الذي لم يسمع أو يعرف بقصة موسى عليه السلام مع فرعون، فيذهب إلى أن الضمير من لفظة (أمه) يحيل إلى فرعـون أو إلى هامان .

ما يحيل إلى غير العاقل:

وقد جاءت ضمائر متعددة في مجموعة سور (الطواسين)، وقد أحالـت هـذه الضمائر إلى أسماء غير عاقلة، وهذه الإحالات تؤدي إلى تماسك هذه السور فيمـا بينها من جهة وفيما بينها وبين سائر السور ذوات الحروف المقطّعة الأخرى، وهذا التماسك ينتمي إلى التماسك في مستوى تماسك النص على مستوى الـدلالات فـي نسب متعددة منها، فذكر معجزات الرسل وقصصهم، هي من هذه النسب التي تؤدي إلى تماسك النص دلالياً، إذ تؤدي إلى التـرابط والتماسـك بـين الـسـور ذوات الحروف المقطّعة من خلال مسألة التفسير النسبي، فمن الضمائر التـي أدت هـذا الدور التماسكي في نصوص هذه السور، بإحالتها إلى الأسماء غير العاقلة ما يلي:

النار: (من في النار ومن حولها) : فالضمير (الهاء) في (حولها)، يحيل إحالة نصية قبلية ذاتية إلى (النار) المذكورة قبل الظرف،

النملة: وأحال إليه الضمير المذكور في (قولها) قال تعالى:" فتبـسم ضـاحكاً مـن قولها"، فأحال إلى الاسم غير العاقل (النّملة) إحالة قبلية ذاتية متطابقة .

الطير (الهدهد): الضمائر المذكورة والمحذوفة في الآيات التالية في قوله تعـالى:

لَأُعذبنه عذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبحنه أَوْ لَيأْتِينيي بِسلْطَانٍ مبِينٍ*فَمكَثَ غَيْر بعِيـدٍ فَقَـالَ أَحطتُ بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وجِئْتُك مِنْ سبإٍ بِنَبإٍ يقِينٍ*إِني وجدْتُ امْرأَةً تَمْلِكُهمْ وأُوتِيتْ مِنْ كُل شَيْءٍ ولَها عرْشٌ عظِيم (1).

1- سورة النّمل: الآيات/21،22،23، وانظر: الآيات بعدها (24-37).

ولو أحصينا الضمائر التي تحيل إلى طائر (الهدهد) في هذه الآيات، لوجـدنا أنها قد كثُرت تنوعاً وعدداً وإعراباً، وكلّها تحيل إلى الاسم (الهدد)، إحالـة نـصية داخلية قبلية ذاتية متطابقة، فجاء متصلاً (الهاء) مفعولاً به في (لَأُعذبنه و لَأذْبحنه)، وفاعلاً (هو) محذوفاً في (فَمكثَ وقَال و ليَأْتِيني)، وفاعلاً متكلّمـاً (التـاء) فـي (أحطتُ) و (وجِئْتُك) و (وجدْتُ)و (وجدْتُها)، وفاعلاً في المعنى مفعولاً به مخاطبـاً في اللفظ، بضمير (التاء) في (أَصدقْتَ أَمْ كُنْتَ)، ومفعولاً به في اللفظ وفاعلاً فـي المعنى أيضاً، فجاء ضميراً محذوفاً مخاطباً في (اذْهبْ و (فَأَلْقِهِ) و(تَول)و(فَـانْظُرْ) و(ارْجِعْ)، إذ التقدير لهذا الضمير المحذوف فيها هو(أنت)، الذي يحيل إلى الهدهـد إحالة نصية ذاتية متطابقة .

عصا موسى: فمن الضمائر التي أحالت إليها إحالة قبليـة ذاتيـة متطابقـة، الضمير الظاهر المتصل بالفعل (رآها) في قوله تعالى:" فلّما رآها تهتـز"، وكـذلك الضمير المستتر من (تهتز).

مكة: (أم القرى): ومن ذلك إحالة الضمير (الهاء) فـي (أمهـا) فـي قولـه تعالى: وما كان ربك مهْلِك الْقُرى حتى يبْعثَ فِي أُمها رسولا يتْلُو علَيهِمْ آياتِنَا وما كُنا مهْلِكِي الْقُرى إِلا وأَهْلُها ظَالِمون ([1])، قال الطبري: يقول تعالى ذكره:(وما كان ربك) يا محمد(مهْلِك الْقُرى) التي حوالي مكة في زمانك وعصرك(حتى يبْعـثَ فِي أُمها رسولا) يقول: حتى يبعث في مكة رسولا وهي أم القرى، يتلو عليهم آيات كتابنا، والرسول: محمد صلى ا عليه وسلم "([2]).

3 ـ **المناسبة بين الآيات**: من خلال المناسبة بين الآيات، يظهر وجه ارتباط الآية بالآية التي قبلها وبعدها، إذ يظهر التماسك والترابط بين الآيـة الـسابقة واللاحقـة والمكلمة والمستقلة، ومن ذلك ذكر قصة سيدنا موسى عليه السلام لما ذكر في الآية السابقة لها، تكذيب قريش لسيدنا محمد عليه السلام، فبين في الآيات التـي تحـدثت عن قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه، العـذاب الـذي لحقهـم بكفـرهم

[1] - سورة النّمل: الآية/59.

[2] - الطبري: جامع البيان 603/19.

واستهزائهم، فكأن ما أتى فرعون وقومه من عذاب من ا تعالى، لما كذبوا الرسل فكفروا بما دعوهم إليه، سيأتي ا بعذاب الكافرين من قوم محمـد عليـه الـصلاة والسلام، فما سيأتي به ا تعالى من عذاب، إنّما هو في حكم المأتي، فكأن ما أوتي فرعون وقومه، هو مفّسِر لقوله ا تعالى: فَقَدْ كَذبوا فَسيأْتِيهِمْ أَنْباء ما كَـانُوا بِـهِ يسْتَهْزِئُون (6)"، وقد جاء استدلال النص القرآني بالأرض وما ُأنبـت فيهـا كمـاً ونوعاً، آية أولى لمنْ آمنْ من قوم محمد عليه السلام، وا عليم بهم، قال تعـالى:" أَولَمْ يروْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبتْنَا فِيها مِنْ كُل زَوْجٍ كَرِيمٍ (7) إِن فِي ذَلِك لَآيةً وما كَان أَكْثَرهمْ مؤْمِنِين (8) وإِن ربك لَهو الْعزِيز الرحِيم (9) " ثم ذكر العذاب الذي حاق بفرعون وقومه مجملاً، بقوله تعالى: وأَنْجيْنَا موسى ومنْ معه أَجْمعِـين (65) ثُـم أَغْرقْنَا الْآخَرِين (66) إِن فِي ذَلِك لَآيةً وما كَان أَكْثَرهمْ مؤْمِنِين (67) وإِن ربك لَهو الْعزِيز الرحِيم (68)" فجاء ذكر النجاة لموسى عليه السلام وعذاب فرعون وقومه، آية أخرى للمخاطبين المؤمنين بالدين الجديد الذي أمر ا محمداً بإبلاغه للناس، فما عليه إلا البلاغ؛ إذ هو منذر للناس كافة من عذاب ا إنْ لم يؤمنوا بـه وحـده لا شريك له، ويؤمنوا بما جاء به القرآن الكريم، من حديث عـن البعـث والحـساب والثواب والعقاب، فناسب قوله تعالى: لَعلك باخِع نَفْسك أَلا يكُونُوا مؤْمِنِين (3) إِنْ نَشأْ نُنَزلْ علَيْهِمْ مِن السماءِ آيةً فَظَلَتْ أَعْنَاقُهمْ لَها خَاضِعِين*وما يأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِن الرحْمن محْدثٍ إِلا كَانُوا عنْه معْرِضِين (5)" ذكر قصة موسى عليه الـسلام مـع فرعون، فلم يضر كفره ا تبارك وتعالى، ولم يجعله ا تعالى كفر أقوامهم سـبباً في قتل وهلاك الرسل لأنفسهم، فهم مبلغون منذرون داعون دعـوة واحـدة، هـي الإيمان با تعالى وحده، واتباع ما جاءوا به من ربهم.

وناسب استعمال الاسم(العزيز)، الدال من سياق الآيات على القـوة والقـدرة المطلقتين، اللتان لا تكونان إلا صفة سبحانه وتعالى، قال الطبـري:(وإِن ربـك لَهو الْعزِيز) في انتقامه ممن كفر به وكذّب رسله من أعدائه،(الرحِيم) بمن أنجـى من رسله، وأتباعهم من الغرق والعذاب الذي عذب به الكفرة... وعن ابـن جـريج قال: كلّ شيء في الشعراء من قوله(الْعزِيز الرحِيم) فهو ما أهلك ممن مضى من

الأمم، يقول عزيز، حين انتقم من أعدائه، رحيم بالمؤمنين، حين أنجاهم مما أهلك به أعداءه"([1]).

ومن المناسبة بين الآيات الحذف بدليل مذكور أو بقرينة: قوله تعالى: ولَوْلا أَنْ تُصِيبهمْ مصِيبةٌ بِما قَدمتْ أَيْدِيهِمْ فَيقُولُوا ربنَا لَوْلا أَرْسلْتَ إِلَيْنَا رسولاً فَنَتَبِع آَياتِك ونَكُون مِن الْمؤْمِنِين"([2])، قال ابن عاشور:"هذا متصل بقوله: لتنذر قوماً ما أتـاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ([3])، لأن الإنذار يكون بين يدي عذاب .

3ـ الآيات المفسرة: ومنه قول ا تعالى: وإذ نادى ربك موسى أن إئـت القـوم الظالمين ، فسره بقوله تعالى : قوم فرعون ألا يتقون ، والعلاقة الرابطة لهاتين الآيتين هي علاقة التبعية، إذ أدى التركيب من المـضاف والمـضاف إليـه (قـوم فرعون) دوراً نحوياً وظيفياً أفاد عطف البيان أو التفسير على رأي منْ يجعل عطف البيان تفسيراً من النحاة .

وفي سورة النّمل قال تعالى: فَمكَثَ غَيْر بعِيدٍ فَقَالَ أَحطتُ بِما لَمْ تُحِـطْ بِـهِ وجِئْتُك مِنْ سبإٍ بِنَبإٍ يقِينٍ (22) إِني وجدْتُ امْرأَةً تَمْلِكُهمْ وأُوتِيتْ مِنْ كُلِ شَيْءٍ ولَهـا عرْشٌ عظِيم (23) وجدْتُها وقَوْمها يسْجدون لِلشَمْسِ مِنْ دون اللهِ وزين لَهم الشَيْطَان أَعْمالَهمْ فَصدهمْ عن السبِيلِ فَهمْ لَا يهْتَدون (24)، فالآية الأولى (الإحاطة) أبانـت عنها الآية بعدها التي بينت الذي أحاط به الهدهد، وكأن الهدهد قد أنكر مـا وجـده واستعظم أمره، فكيف يحكم غير سليمان وقد قال تعالى في حقّه وحقّ أخيه: ولَقَدْ آَتَيْنَا داوود وسلَيْمان عِلْمًا وقَالَا الْحمْد لِلهِ الَذِي فَضلَنَا علَى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمؤْمِنِين (15) وورِثَ سلَيْمان داوود وقَالَ يا أَيها الناس علِمْنَا منْطِقَ الطَيْرِ وأُوتِينَا مِنْ كُـلِ شَيْءٍ إِن هذَا لَهو الْفَضْلُ الْمبِين (16)، وقال تعالى في حقّ نبيه سـليمان:" وحـشِر لِسلَيْمان جنُوده مِن الْجِن والْإِنْسِ والطَيْرِ فَهمْ يوزعون (17) وشعر بنزوة (نفـسية) تمثلت ببلوغ إحاطته، بأكثر من الذي أعطي لسليمان من العلم، وجاء لأجله رسـول ا سليمان، وهو الدعوة إلى عبادة ا ، لكنّه يعلم بأن ما أخبر سليمان عليه الـسلام

---

[1]- الطبري: جامع البيان: 19/ 336،361 .

[2]- سورة القصص: الآية/47.

[3]- سورة القصص: الآية/46 .

به، فسليمان عليه السلام هو مَنْ أوتي وأخوه داوود علماً، وسليمان هو مَـنْ علـم منطق الطير وهو مَنْ أُوتي من كل شيء، فكيف يكون هذا؟!وما أخبر بـه الهدهـد يناقض ما ذكره سليمان نفسه، فالمرأة: تملك قومها، وأُتيت من كلّ شـيء، لكنّهـا تسجد هي وقومها لمخلوقات ا من دون ا ، والآية الأخيرة منها تفسير للآية قبلها التي صدرت بجملة (إني وجدت).

والآيتان(71،72) من سورة القصص، توحي بإشراك قوم موسى لإله وأكثـر مع ا ، إذ فسر بعد أن أثبت عز وجل وحدانيته، ادعاء هذا الـشرك مـنهم بقولـه تعالى: ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون*ونزعنا من كل أمـة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم فعلموا أن الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون ([1]) .

4- الاستبدال:

الاستبدال بين الاسمين: المصدر واسم المفعول، في قوله: وإنه لتنزيـل رب العالمين نزل به الروح الأمين ([2])، إذ أفاد هذا الاستبدال لاسـم المفعـول وهـو (منزل)، بالمصدر الدال على المبالغة (تنزيل)، تأكيداً على أنّه منزل من عند ا عز وجلّ.

الاستبدال الفعلي: ومنه استبدال الفعل (أمر) بالفعل (نادى)، إذْ إن سياق الآيـة ينبأ عن هذ الاستبدال، وهذا السياق هو سياق خطاب لموسى عليه السلام، والفعـل (نادى) أناب عن أداة النداء، وأسلوب النداء طلبي كما هو أسلوب الأمر، وصـيغة الفعل (إئت) صيغة أمر، كما أن جملة (أنْ إئت القوم الظالمين)، جاءت مفسرة لجملة (وإذْ نَادى ربك موسى)، كما أن بنية النداء قد تكون وحياً أو صـوتاً؛ بلفـظ اسـم الشخص المنادى، أو بلفظ صوت أو أكثر ، بحيث يعلم أنه هو المقـصود بالنـداء، فناسب استعمال الفعل (نادى)؛ لأن كيفية النداء ليست معلومـة إلا لموسـى عليـه السلام، أو لأن النداء نوع من القول على رأي الزمخشري، ولعـل رأي المعتزلـة الذي أورده الرازي في نوع النداء مقدم على غيره فقال:"أما المعتزلة فقد اتفقوا على

[1] - سورة القصص: الآيتان:74،75 .

[2] - سورة الشعراء: الآيتان/192،193 .

أن ذلك المسموع ما كان إلا حروفاً وأصواتاً ، فعند هذا قالوا إن ذلك النـداء وقـع على وجه علم به موسى عليه السلام أنه من قبل ا تعالى ، فصار معجزاً علم بـه أن ا مخاطب له فلم يحتج مع ذلك إلى واسطة، وكفى في الوقت أن يحمله الرسالة التي هي (أن ائت القوم الظالمين)؛ لأن في بدء البعثة يجب أن يأمره بالدعاء إلـى التوحيد، ثم بعده يأمره بالأحكام ، ولا يجوز أن يأمره تعالى بذلك إلا وقد عرفه أنه ستظهر عليه المعجزات إذا طولب بذلك"([1])، وذهب ابن عاشور إلى ما أجمع عليـه المعتزلة بقوله:"ونداء ا موسى الوحي إليه بكلام سمعه من غير واسطة ملَك"([2]).

وهذه الآية (العاشرة) من سورة الشعراء، التي شـكّلتها الجملتـان المفَـسرة والمفَسرة، متضمنتان الموضوع المحوري المركزي للسورة، وهو محور التوحيـد الذي ينسجم وبدء البعثة لأي نبي ورسول .

ومن الاستبدال الفعلي: استبدال الفعل يعبدون بالفعل (يفعلون)، وهو فعـل لا يدل على استبدال الفعل يعبدون وحده فقط ، بل استبدال يتضمن كلّ الأفعـال التـي تدخل ضمن حدث فعل العبادة .

قَالُوا بلْ وجدْنَا آَباءنَا كَذَلِك يفْعلُون (74)، وهو اسـتبدال عـام بالأفعـال الواردة في الآيات التي قبل هذه الآية، وهذه الأفعـال هـي (تعبـدون، عـاكفين، يسمعون، تدعون، ينفعون، يضرون)، كما أن الزمن النحوي الذي أفادتـه صـيغة الفعل وأداة الربط قبله (كَذَلِك يفْعلُون)، دال على التجدد والاسـتمرارية فـي هـذه الأفعال .

ومن ضروب الاستبدال: الاستبدال بين الاسم والضمير، إذ اسـتبدل ضـمير الجمع(الواو): الذي وقع اسماً للفعل الناسخ ظل، في قول ا تعالى :" إن نشأ ننـزل عليهم من السماء آية فظلّت أعناقهم لها خاضعين "، بالاسم (الأعنـاق)، إذ أصـل الكلام: فظلوا لها خاضعين، فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع، وترك الكـلام على أصله، كقولهم: ذهب أهل اليمامة، كان الأهل غير مـذكور"([3])، ويظهـر أن

---

[1] - الرازي: مفاتيح الغيب:463/11 .

[2] - ابن عاشور: الحرير والتنوير:140/10 .

[3] - أبو حيان : البحر المحيط : 140/8.

تأويل الزمخشري لمعنى خاضعين بأنهم:"رؤساؤهم ومقدموهم، شبهوا بالأعناق كما قيل لهم: هم الرؤوس والنواصي والصدور([1])، فيه تكلّف إذ الخطاب لعامة القـوم، فقد آمن له من رؤوس القوم ولم يؤمن له من عامتهم، كما أن الدعوة لعامة النـاس وشريفهم، وحمل النص على الظاهر أولى من حمله تكلّفاً، إذ لم يظهر فـي نـص السورة ولا في سياقها، ما يدلّ على حمل هذه الدلالة للأعناق، إلا من جهة واحـدة يمكن عدها قرينة لها، وهو ما ذكره أبو حيان عن ابن عباس في مناسبة نزول هذه الآية، الذي يمكن أن يحمل تأويله وتأويل الزمخشري عليها، (انظر أسباب النـزول لها في مظانه).

ولعل قرينة أخرى تدل على هذا المعنى المتأول لها وهي قرينة ذكر فرعـون (سيد قومه)، وهي بعيدة كما يظهر، إذ جاء ذكر قوم فرعون في الآية (11) بيـان للقوم الظالمين في الآية (10)، والأعناق هي أهم جزء في التكوين العـضوي لمـن يعقل، فهي العضو الوسط بين الجسم والرأس، والحاملة له المتحكمة بحركته، وقتل الإنسان فعلاً يتوجه إلى قطع العنق منه؛ فقطعه موت له حقيقة على سبيل التأكيـد، بخلاف قطع غيرة من الأعضاء مع عدم التأكيد، فكان التوجه في الآية إلـى أهـم عضو في الإنسان، في عضو حياته ومماته، وفي موضع رفعته وشموخه (ناصيته).

ولم تحصل المطابقة في النوع والجنس والعدد بين الاسم البـديل وخبـره، إذ الأصل خاضعة للمطابقة، حملاً على لفظ تأنيث غير العاقل(الآية)، وقيل على حذف المضاف: أي أصحاب الأعناق، قال أبو حيان:" وروعي هذا المحذوف في قولـه: (خاضعين)، حيث جاء جمعاً للمذكر العاقل، أولاً حذف، ولكنّه اكتسى من إضـافته للمذكر العاقل وصفه، فأخبر عنه إخباره... أولاً حذف، ولكنه لما وضعت لفعـل لا يكون إلا مقصوداً للعاقل وهو الخضوع، جمعت جمعه كما جاء:" أتينا طائعين"([2]) .

---

[1] - أبو حيان، البحر المحيط: 141،140/8.

[2] - سورة فصلت: الآية/ 11، أبو حيان: البحر المحيط: 141،140/8.

ومن استبدال الاسم بالاسم: النبي بالشهيد، قوله تعالى: ونزعنا من كـل أمـة شهيدا ([1])، قال أبو حيان:" (شهيداً): وهو نبي تلك الأمة، لأنّه هو الـشهيد عليهـا، كما قال: فكيف إذا جئنا من كلّ أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ([2]) .

ومن الاستبدال الاسمي استبدال لفظة (ملكة) باسم نكرة (امرأة):" إني وجـدْتُ امْرَأةً تَمْلِكُهُمْ وأُوتِيتْ مِنْ كُل شَيْءٍ ولَها عرْشٌ عظِيم (23)، ودلّنا على اللفظ (الاسم المستبدل) هو (ملكة) بقرينتين مذكورتين في الآيات التـي تتحـدث عنهـا وهـي: الأولى؛ قرينة الفعل (تملكهم)، والثانية قرينة ذكر العرش في ثلاث آيات قال تعالى:" قَالَ يا أَيها الْملأُ أَيكُمْ يأْتِينِي بِعرْشِها قَبْلَ أَنْ يأْتُونِي مسْلِمِين "([3]) فأحـال الـضمير (الهاء) في (ولها عرش عظيم) وفي (عرشها) والكاف في (عرشك) إلـى الاسـم النكرة (امرأة) التي أسند إليها الفعل (تَمْلِكُهمْ)، ويظهر أن ذكر لفظة (امرأة) نكـرة بدلاً من (ملكة) لغرض إبلاغي، يفيد أن الملك الحق هو (ا) تعالى، وإنّمـا جـاء إسناد الفعل (تَمْلِكُهمْ) إليها توسعاً بمعنى (تحكمهم) .

ولعل من العلاقات التي يمكن أنْ نضيفها إلى علاقات الربط النحـوي وإلـى عناصر المستوى الدلالي، التي تؤدي إلى تماسك النصي هو عنصر (العـدول)، إذ يتم العدول في تراكيب النص ومكوناته، عن حذف لفظ بدلاً من ذكره، أو عن ذكره بدلاً من حذفه، أو عدولاً عن إضماره بدلاً من إظهاره أو عن إظهاره بـدلاً مـن إضماره، ومن ذلك العدول عن إضمار لفظ الجلالة (ربي) مـضافاً إليـه الـضمير (الياء) الذي يحيل إلى سليمان عليه السلام، قال تعالى: قَالَ الَّذِي عِنْده عِلْـم مِـن الْكِتَابِ أَنَا آَتِيك بِهِ قَبْلَ أَنْ يرْتَد إِلَيك طَرْفُك فَلَما رآَه مسْتَقِرا عِنْده قَالَ هذَا مِنْ فَضْلِ ربي لِيبلُونِي أَأَشْكُر أَمْ أَكْفُر ومنْ شَكَر فَإِنما يشْكُر لِنَفْسِهِ ومنْ كَفَر فَإِن ربي غَنِـي كَرِيم ([4]) .

---

[1] - سورة القصص: الآية/75، أبو حيان: البحر المحيط :176،173.

[2] - سورة النساء: الآية/41، وانظر سورة النحل: الآية/ 89.

[3] - سورة النّمل الآية/38، وانظر: الآيتين/41،42 .

[4] - سورة النّمل: الآية/40 .

فأظهر لفظ الجلالة في أول الآية (هذا من فضل ربي)، ثم أظهره مرة أخرى بعد أن سبقته أداة التوكيد وفاء الجواب، وكان إضماره مع أداة التوكيد فـي بنيـة الجملـة العميقة، هو الغالب في مثل هذا التركيب، إلا أن الإضمار يحدث لبساً أو مدخلاً إليه عند متلقٍ جاحد كافر، عندما يتأول أن الضمير عند الإضمار في قوله: (فإنّه غنـي كريم)، بدلاً من: (فإن ربي غني كريم)، عائد إلى أحد المخاطبين قبله وهما: الشاكر والكافر من قوله: ومنْ شكر و منْ كفر.

ويظهر أن الإظهار هو توكيد بعد توكيد، فالتوكيد الأول بالأداة (فإن)، والثاني باللفظ الظاهر (ربي)، مما يوحي بأن التوكيد بالاسم أقوى من التوكيد بالضمير فـي هذه الآية، ومما يعضد هذا التوكيد، ما ذكره ابن عاشور وهو يتحدث عـن مـسألة العدول في تفسيره لهذه الآية بقوله:" والعدول عن الإضمار إلى الإظهار في قولـه: (فإن ربي غني كريم) دون أن يقول: فإنه غني كريم، تأكيد للاعتـراف بـتمحض الفضل المستفاد من قوله:" فضل ربي "([1]) .

الترتيب: تقديم صفة العزة على الرحمة، في قوله تعـالى: وإن ربـك لهـو العزيز الرحيم ([2])، إذ إن المقام مقام بيان القدرة، قدم صفة العزة علـى الرحمـة، فالرحمة إذا كانت عن قدرة كانت أعظم وقعاً، والمعنى: أنّه عز في نقمته من الكفار ورحم مؤمني كلّ أمة"([3]) .

المقابلة والترتيب: الليل والنهار: الليل قبل النهار: (الآيات: 71-73القصص):" ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون القصص(73). فلما ذكر الليل قبل النهار ذكر الفعل (لتسكنوا الخاص بالليـل، ثـم عطف الفعل ولتبتغوا ومتعلقه من فضله، الخاص بالنهار)، وأبانت إحالة الـضمير بعد الفعل (فيه) عن إحالته إلى الليل، وكذلك قرينة الفعل (لتـسكنوا) واختـصاصها بالليل، كما أبانت الآية قبلها " بليل تسكنون فيه" .

---

[1]- ابن عاشور: التحرير والتنوير،147/10.

[2]- سورة الشعراء: الآيات:9، 68، 104، 122، 140، 159، 175، 191 .

[3]- أبو حيان: البحر المحيط: 142/8.

التعريف والتنكير: قال ابن عاشور فالتعريف باللام في (القوي الأمين) للجنس مراد به العموم...وفي المعرف باللام هنا العموم في كليهما ، فأوثر بالتقديم فـي جـزأي الجملة ما هو أهم وأولى بالعناية وهو خير أجير؛ لأن الجملة سيقت مساق التعليـل لجملة (استأجره)، فوصف الأجير أهم في مقام تعليلها ونفس الـسامع أشـد ترقبـاً لحاله.

ومجيء هذا العموم عقب الحديث عن شخص معين يؤذن بأن المتحدث عنـه ممن يشمله ذلك العموم فكان ذلك مصادفاً المحز من البلاغة إذ صار إثبات الأمانـة والقوة لهذا المتحدث عنه إثباتاً للحكم بدليل . فتقدير معنى الكلام: استأجره فهو قوي أمين وإن خير من استأجر مستأجر القوي الأمين . فكانت الجملـة مـشتملة علـى خصوصية تقديم الأهم وعلى إيجاز الحذف وعلى المذهب الكلامي، وبذلك استوفت غاية مقتضى الحال فكانت بالغة حد الإعجاز "،ومنه التعريف أيضاً التعريـف فـي لفظة (القصص)، وهو عوض عن المـضاف إليـه، أي قصـصه، أو للعهـد، أي القصص المذكور آنفاً" ([1]).

التضاد: أفلا تسمعون: استدلال بالتضاد؛ بحدوث السمع عنـدهم باعتبـار أن النائم حقيقة لا يسمع، بدليل قوله(أفلا تبصرون)، وهي من نعم ا تعالى لذا أوجب مقابل هذه النعم الشكر.

الإجمال والتفصيل: ذكر الطير ثم فصلّه وبينه بنوع واحد منها وهو (الهدهد)، فـي الآية نفسها، قال تعالى:"وتَفَقَد الطيْر فَقَالَ ما لِـي لَـا أَرى الْهدْهـد أَمْ كَـان مِـن الْغَائِبِين"(20)

حسن التخاص: ومن عناصر الربط الدلالي (حسن التخاص)، وهو من وسائل الربط التي أولاها علماء المعاني أهمية عند التحول من موضوع إلى موضوع آخر، ولقد اهتم به المحدثون في دراسة موضوع حبك النص، أحد المحدثين بعنوان خصه لهذا العنصر، باعتباره أحد عناصر (الحبك) .

[1] - ابن عاشور: التحرير والتنوير،153/10.

ومما جاء من هذا الضرب في نصوص السور ذوات الحروف المقطّعـة مـا ذكره الزركشي بقوله:" وقوله تعالى: قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وإباءكم عمر الأقدمون فإنهم عدو لى إلا رب العالمين الذى خلقني فهو يهدين ، وذلك أنـه لما أراد الانتقال من أحوال أصنامهم إلى ذكر صفات ا   قال إن أولئك لى أعداء إلا ا   فانتقل بطريق الاستثناء المنفصل"([1]) .

المناسبة الجامعة بينها من حيث: أسباب نزول بعض الآيات فيها؛ الجو العـام أو السياق الذي يمكن أنْ يعد قاسماً مشتركاً بينها، فكان سبباً في نـوع الاسـتهلال وكميته ومحاور السور الرئيسة الواحدة، فمن الألفاظ التي اشتركت بين سور هـذه المجموعة ممثلة بسورتي الشعراء والقصص، وأدت إلى الترابط الدلالي فيما بينهـا لفظتا (ثعبان وجان)، وجاءت اللفظتان في موضع الخبر، قال تعـالى فـي سـورة الشعراء: فإذا هي ثعبان ([2]) والكلام عن عصا موسى عليه السلام، وقال تعـالى في سورة القصص:" تهتز كأنها جان الآية:31، والكلام أيضاً عن عـصا موسـى عليه السلام، قال السيوطي:" والجان الصغير من الحيات، والثعبان الكبيـر منهـا؛ وذلك لأن خَلْقَهما خلْقُ الثعبان، واهتزازهما وحركتهـا وخفتهـا كـاهتزاز الجـان وحركته وخفته"([3]).

الزمان والمكان: إن أهم ما يمكن تسجيله من هذين العنـصرين، هـو تعـالي النص القرآني على الزمان والمكان، بعد أم قرب .

ويمكن أن نضيف إلى هذا المستوى (التداولي)، التنـوع فـي طريقـة سـرد القصص؛ تركيباً؛ ألفاظاً ومعاني تنداح في إطار المعنى الواحد الكلّي للقصة نفـسها التي الكلام عنها، إيجازاً أو تفصيلاً، وذلك تعالياً وتفاضلاً وتميـزاً للـنص، الـذي يطوع اللغة لنظامه الخاص؛ تركيباً ودلالة وتداولاً، ترفاً علمياً ولغوياً، لا ترفاً لذاته بل ترفاً هادفاً ومقصوداً، حقّق الكفاية اللغوية بإنتاجه أكبر عدد من النصوص .

---

[1]- الزركشي: البرهان في علوم القرآن: 44/1 .

[2]- سورة الشعراء: الآية/32.

[3]- السيوطي: معترك الأقران،101/1.

وقالت نملة: هذا الإسناد يشكل انحرافاً إسنادياً بحكم عدم سماع قـول مـنْ لا يعقل، فإن مصدر الخلق لمنْ يعقل ولمنْ لا يعقل واحد، وكمـا أن الإنـس والجـن مخلوقان للعبادة، فكل المخلوقات تشترك بهذه العبادة بطريقتها التـي أفهمـت لـه وتعلمتها، وقد نص القرآن الكريم على عبادة ا مـن قبـل مـنْ لا يعقـل، قـال تعالى: ولكن لا تفقهون تسبيحهم .

العلاقات والعناصر النحوية.

1 ـ الحذف: تعددت ضروب الحذف في هذه السورة ومن هذه الضروب ما يلي:

حذف المبتدأ: قال ا تعالى: قَالَ إِني أُرِيد أَنْ أُنْكِحك إِحْدى ابْنَتَي هاتَيْن علَـى أَنْ تأْجرني ثَمانِي حِججٍ فَإِنْ أَتْممْتَ عشْرًا فَمِنْ عِنْدِك وما أُرِيد أَنْ أَشُق علَيْك سـتَجِدنِي إِنْ شَاء الله مِن الصالِحِين ([1]).

قال ابن عاشور:"وقوله:(فإن أتممت عشراً فمن عندك)... و(مـن) ابتدائيـة و(عند) مستعملة في الذات والنفس مجازاً، والمجرور خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: فإتمام العشر من نفسك، أي لا مني، يعني: أن الإتمام ليس داخلاً في العقدة التي هي من الجانبين فكان مفهوم الظرف معتبراً هنا"([2]) .

حذف الفعل: ومن المواضع التي حذِفَ فيها الفعل الماضي، قوله تعالى علـى لسان الهدهد: إِني وجدْتُ امْرأَةً تَمْلِكُهمْ وأُوتِيتْ مِـنْ كُـل شَـيْءٍ ولَهـا عـرْشٌ عظِيم ([3])، قال: إنّي وجدت، بقرينة ذكر الفعل نفسه في صيغة الماضي في الآيـة قبلها:"فقال أحطت بما لم تحط به".

حذف الجمل: ومنه ما جاء في قوله تعالى: قَالَ الذِي عِنْده عِلْم مِن الْكِتَابِ أَنَا آَتِيك بِهِ قَبْلَ أَنْ يرْتَد إِلَيْك طَرْفُك فَلَما رآَه مسْتَقِرا عِنْده قَالَ هذَا مِـنْ فَـضْل ربـي لِيبْلُونِي أَأَشْكُر أَمْ أَكْفُر ومنْ شَكَر فَإِنما يشْكُر لِنَفْسِهِ ومنْ كَفَـر فَـإِن ربـي غَنِـي كَرِيم ([4]).

---

[1] - سورة القصص: الآية 27 .

[2] - ابن عاشور : التحرير والتنوير:380/10. .

[3] - سورة النمل: الآية/ 23 .

[4] - سورة النمل: الآية/40 .

فأتاه به قبل أن يرتد طرفه، فحذت الجملة بدلالة ما بعدها: فلما رآه، وكـذلك حذف جملة جواب الشرط (ومن كفر)، إذ التقدير: فإنما يكفر على نفسه، أو فكفـره على نفسه، بدليل: فإنّما يشكر لنفسه .

حذف المصدر ونعته مذكور: ومنه ما جاء في قوله تعالى: قَالُوا بَلْ وجـدْنَا آباءنَا كَذَلِك يفْعلُون ([1])، فقوله:"كذلك يفعلون " تشبيه فعل الآباء بفعلهم، وهو نعـت لمصدر محذوف، والتقدير: يفعلون فعلاً كذلك الفعل، وقدم الجار والمجرور علـى " يفعلون" للاهتمام بمدلول اسم الإشارة .

حذف جواب لولا: ومنه حذف جواب لولا: في قول تعالى: ولَوْلا أَنْ تُصِيبهمْ مصِيبةٌ بِما قَدمتْ أَيْدِيهِمْ فَيقُولُوا ربنَا لَوْلا أَرْسلْتَ إِلَيْنَا رسولا فَنَتبِع آياتِك ونَكُون مِن الْمؤْمِنِين ([2])، قال البغوي (ت/ 516 هـ) :" وجـواب "لـولا" محـذوف، أي: لعاجلناهم بالعقوبة، يعني: لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم. وقيل: معناه لما بعثناك إليهم رسولا ولكن بعثناك إليهم لئلا يكـون للنـاس على ا حجة بعد الرسل"([3]) .

2ـ العطف: ذكر الزركشي فائدة العطف في ربط الآي بالآي بقوله:" فائدة العطف جعلهما كالنظيرين والشريكين وقد تكون العلاقة بينهما المضادة، وهذا كمناسبة ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة، وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكامـا ذكر بعدها وعدا ووعيدا؛ ليكون ذلك باعثا على العمل بما سبق، ثـم يـذكر آيـات التوحيد والتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهي"([4]) .

ومن ضروب العطف عطف جملة على جملة، فقد تحقق العطف بينهما علـى الرغم من وجود أكثر من آية بين الجملتين المتعاطفتين، ومنه قوله تعالى: وإِنـك

---

[1] - سورة الشعراء: الآية/74 .

[2] - سورة القصص: الآية/47.

[3] - البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود: معالم التنزيل،212/6، ت: محمد عبد ا النمـر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشـر: دار طيبـة للنـشر والتوزيـع، ط/1417 هـ - 1997م .

[4] - الزركشي: البرهان في علوم القرآن،40/1 .

لَتُلَقى الْقُرْآن مِنْ لَدنْ حكِيمٍ عِلِيمٍ (1)، عطف على جملة: تلك آيات القـرآن (2)، قال ابن عاشور:" انتقال من التنويه بالقرآن إلى التنويه بالذي أنزل عليه بأن القرآن آيات دالة على أنه كتاب مبين، وذلك آية أنه من عند ا ، ثم بأنه آية على صدق من أنزل عليه إذْ أنبأه بأخبار الأنبياء والأمم الماضين التي ما كان يعلمها هو ولا قومـه قبل القرآن، وما كان يعلم خاصة أهل الكتاب إلا قليلاً منها أكثره محرف "(3).

ومن ذلك ارتباط الآيتين العاشرة والحادية عشر بعلاقة التبعية (العطف)، على الرغم من عدم وجود روابط لفظية نحوية شكلية، وهذه العلاقة تحصلّت من خـلال المعنى النحوي الوظيفي الذي أدته الجملة الثانية، عندما اشتملت على تكرار لفظـة (قوم) التي عرفت بالاسم بعدها (فرعون)، فاستبدلت جملة (القوم الظالمين) المعرفة أصلاً، بجملة أكثر بياناً منها، وهي جملة (قوم فرعون)، فجاء الخاص مبيناً للعـام على الرغم من تعريف الذيل أو التكملة (المفعول به وصفته؛ القوم الظالمين)، الذي ارتبط بعلاقة المفعولية مع المسند وهو الفعل(إئت) والمسند إليه(موسى)،

قال ا تعالى: وإِذْ نَادى ربك موسى أَن ائْتِ الْقَـوْم الظـالِمِين (10) قَـوْم فِرْعوْن أَلَا يتقُون (11)، قال الرازي:" أما قوله: (قَوْمِ فِرْعون) فقد عطـف (قـوم فرعون) على (القوم الظالمين) عطف بيان ، كأن القوم الظـالمين وقـوم فرعـون لفظان يدلان على معنى واحد" (4).

قال ا تعالى:" إِن الذِي فَرض علَيْك الْقُرْآن لَرادك إِلَى معادٍ قُلْ ربي أَعْلَم منْ جاء بِالْهدى ومنْ هو فِي ضلالٍ مبِينٍ" (85)

قال في المغني:" ويجوز أن يكون بين متعاطفيها تقارب أو تراخٍ، نحـو (إنـا رادوه إليكِ وجاعلوه من المرسلين) فإن الرد بعيد إلقائه في اليم والإرسـال علـى رأس أربعين سنة، وقولُ بعضهم إن معناها الجمع المطلق غير سديدٍ، لتقييد الجمـع بقيد الإطلاق، وإنما هي للجمع لا بقيد، وقولُ الـسيرافي إن النحـويين واللغـويين

1- سورة النّمل: الآية/6 .

2- سورة النّمل: الآية/1 .

3- ابن عاشور: التحرير والتنوير، 43/11. .

4- الرازي: مفاتيح الغيب: 463/11 .

أجمعوا على أنها لا تفيد الترتيب، مردود، بل قال بإفادتها إيـاه قُطـرب والربعـي والفراء وثعلب وأبو عمر الزاهد وهشام والشافعي، ونقل الإمام في البرهـان عـن بعض الحنفية أنها للمعية.

وتنفرد عن سائر أحرف العطف بخمسة عشر حكماً: أحدها: احتمالُ معطوفها للمعاني الثلاثة السابقة "([1]).

3ـ التكرار: ولعل أبرز مظاهر التكرار هو تكرار قصة سيدنا موسى في الـسور الثلاث، ففي سورة الشعراء تحدث قسم من الآيات عنها، وفي سورة النمل كانت أقل منها في سورة الشعراء، أما التفصيل فيها فكان أكثر في سورة القصص.

كما جاء في هذه السور ذكر لعدد من الرسل بأسمائهم، وكررت هذه الأسـماء نفسها في هذه السور، بقطع النظر عن عدد الآيات التي شغلت كلّ قصة، إذ مجـرد تكرار اسم النبي يؤدي تحقق هذا العنصر بين هذه السور، إذ إن دلالـة الاقتـضاء والتلازم بين الرسول المذكور وقصته تدلّ عليها .

وفي سياق تحقق التماسك النصي من خلال عنصر التكرار؛ أي بذكر الرسول عليه السلام وقصته، يذكر الفقي قوته بقوله:" فالتماسك القائم بين مواقـف القـصة المذكورة في أكثر من سورة، يعد سبباً قوياً في تحقيق ذلك التماسك بين هذه السور؛ إذ كيف تكون هذه القصة متماسكة فيما بينها، ولا تكون السور التي تشتمل على هذه القصة متماسكة؟!"([2]) .

ومنه تكرار لفظتي الكتاب وصفته المبين، اللتان جاءتا متتاليتين فـي هـذه السور الثلاث، ومن صور التكرار اللفظي المتطابق لفظاً، ما جاء في سورة الشعراء من تكرار لأربع آيات، وهي قوله تعالى: إن فِي ذَلِك لَآيةً وما كان أَكْثَرهمْ مؤْمِنِين *وإِن ربك لَهو الْعزِيز الرحِيم ، وقال تعالى: إن فِي ذَلِك لَآيةً وما كان أَكْثَـرهمْ مؤْمِنِين * وإِن ربك لَهو الْعزِيز الرحِيم ([3]).

---

[1] - ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (باب الواوالمفردة،17/1، منـشورات محمـد بيضون، بيروت-لبنان، دار الكتب العلمية.

[2] - الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: 177/2.

[3] - سورة الشعراء: الآيتان: 68،9.

وحدة الإسناد: تحققت وحدة الإسناد، أي إسناد الأفعال إلى مسند واحـد فـي هـذه السور، وجاءت في الآيات التي شكلّت أبنية نصية صغرى وكبرى، وموضـوعاتها اشتملت على: التأكيد على موضوع الخلق، البعـث، الاحتجـاج للقـرآن الكـريم وللرسول عليه السلام، وهذه الموضوعات جاء إسناد الأفعال فيها إلى لفظ الجلالـة، سواء أكان إسنادها بشكل مباشر من ا تعالى، أم جاء إسنادها على لسان الرسـل عليهم السلام، ويمكن هنا تسجيل ملاحظة عامة ألا وهي مجيء الإسناد واحداً فـي موقف قوم كل رسول من الرسل، كما أن هذه الوحدة في الإسناد تماست وتطابقـت في كل السور، لفظاً وتركيباً وتصديراً، نحو: " كذبت قوم "، وكذلك ذكـر العـذاب نفسه لبعض الأمم :" الصيحة " "الخسف ".

العلاقات والعناصر التداولية

الأفعال الكلامية: من الأفعال الكلامية التي شكلّت بتضامها مع الألفـاظ قـضية أو قضايا مشتركة (المحتوى القضوي) لها، وسأكتفي بنماذج من آيات هذه السور تمثّل لأصناف الأفعال الكلامية لمعرفة أغراضها الإنجازية وهي على الشكل التالي:

1 ـ **الإخباريات:** وغرضها نقل الواقع نقلاً أميناً ، ليتحقق شرط الإخلاص بـصفة هذا النقل، ومن ثم يتحقق إنجاز هذه الصنف من الأفعال، واتجاه المطابقة فيها مـن الكلمات إلى العالم، ففي سورة الشعراء نقرأ قول ا تعالى: أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم*إن في ذلك لأية وما كان أكثـرهم مـؤمنين ([1])، فلنقف عند الفعل (أنبتنا) ومتعلقه الظرف (فيها)، الذي أدى معنى نحوياً وظيفياً يفيد أماكن متعددة داخلة في مكان يحيط بها كلّها وهو الأرض، وهذا المكـان دلّ عليـه معمول الظرف؛ أي ضمير الأرض المجرور، فالمتكلّم انطلق في لفظ الفعل (أنبت) المسند إلى ضميره اللاصق بالفعل ، هذا الفعل الذي يعرفه المخاطب ويعـرف أن المزارع عليه أن يمارس أفعالاً تؤدي إليه ؛ ليجني من الأرض ثمرة تعبه؛ حراثـة الأرض وزراعتها ببذرة النبات الذي يريد وسقايتها، لتخرج الأرض النبات أو الثمر الذي وضع المزارع بذرته ، فهذا لم يكن ليتحقق لو لم يفعل المزارع ما يجب فعله

[1]- سورة الشعراء: الآيتان/7،8.

لقطف ثمر النبات الذي أراده، فدلت نتيجة الأفعال إلى رؤية النتيجة التـي أرادهـا المزارع، ولما كان شرط هذه النتيجة هذه الأفعال ، فإن إنجازها لا يمكـن إلا فـي عالم مكاني وهو عالم الأرض، وبحكم العلاقة المعرفية الخاصة بحقل (الزراعـة) بين المتكلم والمخاطب؛ فعل الإنبات وما يتطلب من أفعال قبله لإحداثـه، ومعرفـة مكان حدوث الفعل والأفعال قبله، فقد تم النقل لهذا الواقع نقلاً أميناً، ولما كان سياق الآيات سياق دعوة للإيمان بما جاء به النبي والأنبياء عليه السلام قبله وعدم تكذيبه، دعا المتكلّم المخاطب المنكر المكذب، إلى النظر إلى العالم الذي يعيش عليه ويعتاش منه، وإلى ما فيه من أصناف متعددة من النباتات(من كل زوج كريم)، التي تطلبـت فعلاً واحداً كافياً للمخاطب، أن يستدل به على كل ما يدور في حقلـه مـن أفعـال وأسماء، تؤدي إليه، كل ذلك بحكم معرفة المخاطب لعوالم هذا الحقـل (النبـاتي أو الزراعي)، وهي المعارف والخبرات التي تعلمها في منظومته الاجتماعية والثقافية، ولما كانت الأرض وما فيها من أصناف ماثلة للمخاطب، بفعـل المـتكلّم الـذي لا يستطيع المخاطب أن ينكره له (إنزال الغيث، إحياء الأرض بعـد موتهـا، ظهـور النباتات على اختلاف أصنافها)، فتأتى شرط الإخلاص من شرط النقل بأمانة، فأدى كل ذلك إلى النجاح التام في إنجاز الأفعال والمحتوى القضوي الذي تشكله، ولم يكن هذا الإنجاز مقصوداً لذاته في المقام الأول، إنما كان إنجازه بكل أمانة وإخـلاص، تمهيداً للمخاطب المنكر لأن يعدل عن تكذيبه لما جاء به هذا القـرآن ودعـا إليـه الرسل جميعاً، فهذه القضية المشتركة (المحتوى القضوي) الذي تحدث عنه الآيـة، هو آية لا تقل قوتها عن قوة سائر الآيات والمعجزات الإلهية الأخرى، تأثيراً فـي المخاطب بحمله على التصديق بالكتاب وما جاء فيه والنبي الموحى إليه به والداعي لما فيه، (عبادة ا وحده وعدم الشرك به)، فهو منـزل الغيـث ومحيـي الأرض ومخرج نباتها بأصنافه المتعددة، فجاءت الآية بعدها وهـي تحيـل بمجملهـا إلـى الغرض الإنجازي المتحقق، وتحقيق شروط إنجازه من أمانة في النقل والإخلاص، لتؤكد على هذا الإخلاص في إنجازها، بعده آية من آيات ا ، ودليلاً على الإيمـان، لأن يؤمن المخاطَب: إن في ذلك لأية وما كان أكثرهم مؤمنين .

وفي هذا السياق يقول ابن عاشور:" فالمذكور في هذه الآية أنواع النبات الدالة على وحدانية ا ؛ لأن هذا الصنع الحكيم لا يصدر إلاّ عن واحد لا شريك له، وهذا دليل من طريق العقل، ودليل أيضاً على إمكان البعث لأن الإنبات بعد الجفاف مثيل لإحياء الأموات بعد رفاتهم كما قال تعالى: وآية لهم الأرض الميتة أحيْيناهـا ([1])، وهذا دليل تقريبي للإمكان فكان في آية الإنبات تنبيه على إبطال أصلي عدم إيمانهم وهما: أصل الإشراك با ، وأصل إنكار البعث "([2]) .

ونجد ما يماثل هذا المحتوى القضوي (القضية التي يشكلّها الفعل ومقام إنجازه وشروطه)، متحققاً في آيات سور هذه المجموعة (الطواسين)، بل نجده متحققاً فـي سائر السور ذوات الحروف المقطعة، بقطع النظر عن الاختلاف في أبنية الأفعـال وصيغها وزمانها ومكانها، ما دام أنها تشكل المحتوى القضوي الواحد، ذا المقـصد الدلالي الواحد، المترابط المتماسك مع دلالات النص المتعددة، وإنْ اختلفت الأفعـال الإنجازية ومحتوياتها القضوية من خلال تنـوع القـضايا التـي تـشكلّها الأفعـال الإنجازية، نحو: مسألة البعث، الخلق ، القصص، الأمثال ...الخ)، إذ أنجزتها أفعال متباينة في أبنيتها وأصنافها ... الخ .

وما يماثل المحتوى القضوي لهذه الآية (إنبات الأرض) ما جاء من آيات فـي سورتي النمل والقصص ، ففي سورة النمل نقرأ قـول ا تعـالى: أمـن خلـق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كـان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع ا بل هم قوم يعدلون ([3]).

ومن الأفعال الكلامية (الإخبارية) التي أنجزت ووظفت؛ للتأكيد علـى محـور الوحدانية الرئيس، الذي تحدثت عنه السور ذوات الحروف المقطّعة، الانجاز غيـر المباشر لمعنى النفي غير المباشر، المنجز من معنى الاستفهام المباشر، وذلك مـن خلال اسم الاستفهام (أين)، الذي ظاهره الاستفهام :"عن المكان الـذي يوجـد فيـه

[1] - سورة يس: الآية/33.

[2] - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 138/10 .

[3] - سورة النمل: الآية/60 .

الشركاء ولكنه مستعمل كناية عن انتفـاء وجـود الـشركاء المزعـومين يومئـذ، فالاستفهام مستعمل في الانتفاء"([1]).

2 ـ **التوجيهات:** الطلبيات: وهي الأفعال الدالة على الطلـب بقطـع النظـر عـن صيغتها، وغرضها الإنجازي:" محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء مـا، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات"([2]) .

معرفة العوالم: ومن هذه المعارف ما جاء في قوله تعالى: فَسيأْتِيهِمْ أنباء ما كَانُواْ به يستهزئون ، قال الرازي مبيناً معرفتهم لما سيأتيهم :"... وذلك إما عند نـزول العذاب عليهم في الدنيا أو عند المعاينة أو في الآخرة ، فهو كقوله تعالى: ولَتَعْلَمن نَبَأه بعْد حِين ([3])، وقد جرت العادة فيمن يسيء أن يقال له سترى حالك من بعـد على وجه الوعيد"([4]).

ومنها المعارف التي آمن بها فرعون وهامان وجنودهما، والمتمثلة في خوفهما وحذرهما من تحقق أقوال المنجمين التي آمنوا بها فصدقوها، وهـي ولادة مولـود سيكون سبباً في ذهاب ملك فرعون، فكانت ولادة موسى عليـه الـسلام أول هـذه العلامات والنتائج، فكانت تلك المعارف التي اكتسبها فرعون هي التي أخبرت بهـا الآية السادسة من سورة القصص، قال ا تعالى: ونُمكن لَهمْ فِي الأَرْضِ ونُـري فِرْعوْن وهامان وجنُودهما مِنْهمْ ما كَانُوا يحْذَرون ([5]).

بعد الكلام السابق عن أصناف الأفعال الكلامية وأمثلتها، فتبدو إمكانية الـربط بين المستويين النحوي والتداولي، من خلال أصناف الأفعال الكلامية، إذ إن اشتراط أداء الفعل عند إسناده، أو عند إسناد الخبر للمبتدأ، ليشكل الإسناد المحتوى القضوي من خلال هذه العلاقة، وعلاقة الإسناد بين الركنين (المسند والمسند إليه)، أخبر بها سيبويه مبكراً بقوله:"وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منـه

---

[1] - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 143/10.

[2] - نحلة: نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية: 177 .

[3] - سورة ص: الآية/88 .

[4] - الرازي: مفاتيح الغيب:120/23.

[5] - سورة القصص: الآية/6 .

بدأً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه، وهو قولك عبد ا أخوك، وهذا أخـوك، ومثل ذلك يذهب عبد ا ، فلا بد للفعل من الاسم كما لم يكن للاسم الأول بـد مـن الآخر في الابتداء، ومما يكون بمنزلة الابتداء قولك: كان عبد ا منطلقاً، وليت زيداً منطلق؛ لأن هذا يحتاج إلى ما بعده كاحتياج المبتدأ إلى مـا بعـده"([1])، فـالمحتوى القضوي يتحقق بين ركني الجملة وحدهما، وقـد ينـضم معهمـا مـن المكمـلات (الفضلات) التي تتمم الإفادة، لكن جوهر نظرية الأفعال الكلامية، تشترط أن يكون الفعل المنجز في الجملة، من ضمن الرصيد اللغوي المشترك (العرف الاستعمالي)، فهذا الجوهر يهدف إلى تحقيق المعنى القضوي من خلال معناه الإنجازي المتـصل بأي وسيلة لغوية في إطار مقامي يراعي المخاطب؛ ثقافته، حضور وغياب فكـره، إنكاره، بمعنى أن إنجاز المحتوى القضوي مقيد بمدى طبيعة العلاقة بـين ركنـي العملية التواصلية (المتكلّم والمخاطب)، فيظهر لنا النص (الركن الثالـث)، بأبنيتـه وسياقه ومعرفة ركنيه لعوالم النص عن طبيعة هذه العلاقة، وتؤكد لهـذه العلاقـة الدلالة الكلية للنص، من خلال النظر إليه بكونه ذا بنيـة كليـة كبـرى، تتـضمن المحتوى القضوي الكلي، وتتضمن أبنيته الصغرى والكبرى، معاني قضوية متعددة، خادمة للمعنى القضوي الكلي، الذي يشكل الإطار الذي يشمل بنى النص الـصغرى والكبرى .

الوحدة الموضوعية في هذه مجموعة سور (الطواسين)

وحدة السياق: السياق العام لهذه السور واحد؛ وهو الحديث عن الكفـر وعـدم الإيمان وعبادة غير ا تعالى وتكذيب الرسل، ومقام هـذا الحـديث عـن الكفـر والتكذيب والشرك يتسق مع مقام دعوته عليه الصلاة والسلام لعبادة إله واحد، وهي دعوة جميع الأنبياء والرسل قبله، ولقد وضفت قصة سيدنا موسى مع فرعون فـي السور الثلاث، حتى أنها تماثلت بها ابتداءً قبل غيرها من القـصص، ثـم توالـت قصص الأنبياء في هذه السور، وختمت بالمآل الذي آلت إليه قوم كل رسول، ففـي سورة الشعراء ذكرت قصص الأنبياء على الترتيب (إبراهيم، نوح، هود، صـالح،

[1] - سيبويه: الكتاب: 23/1.

لوط، شعيب)، ثم جاء بالتنويه بالقرآن الكريم والاحتجاج له وللرسول عليه الـسلام، قبل تكرار التأكيد على الإنذار بإرسال الرسل قبل محمد عليه السلام، والعذاب الذي لحق قومهم، فجاء الكلام في آخر السورة مختصراً بتكراره للمعنى المقصود الـذي فهم من سرد تلك القصص ونتائجها لفظاً، وكأنه إجمال بعد تفصيل؛ ليبقـى ذهـن المتلقي متعلقاً بمقصد واحد، هو تأكيد العبادة لإله واحد بإتباع الرسول عليه السلام، الداعي والمنذر للدعوة نفسها التي دعا إليها الرسل من قبله، والمنذر الإنذار نفـسه الذي أنذره كلّ رسول منهم أيضاً ، فجاء الخطاب في آخر السورة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، لإبلاغ دعوة التوحيد والتزامه هو بها أولاً ، وإنذار قومه؛ عشيرته ثانياً وعامة الناس ثالثاً .

وفي سورة النمل وردت قصص الأنبياء على الترتيب (موسى، داوود، سليمان، صالح، لوط)، وجاءت هذه القصص موجزة، اكتفاءً بذكر اسم الرسول فقط (داوود)، أو ذكر أحداثها مجملة بحدث واحد يدل على سائر أحداثها، وذكر نتيجتها أو حـدثاً يدل على نتيجتها؛ العذاب الذي لحق منْ كفر بما أرسل به الرسل، ثم انتقلت آيـات السورة تؤكد على موضوع الوحدانية، من خلال الأدلة والبراهين، التي جـاء بهـا القرآن الكريم، ودعا إليها الرسول عليه الصلاة والسلام ، فكـان الاحتجـاج لهمـا ملازماً لموضوع الوحدانية، ولسائر المواضيع التي تؤكد لموضوع الوحدانية .

وفي سورة القصص لم تذكر إلا قصة سيدنا موسـى عليـه الـسلام، وجـاء التفصيل فيها أكثر وأدق لما في السور السابقة، إذ جاء فيها ذكر لقصة قارون، ولم تختلف السورة؛ سياقاً وموضوعاً وترتيباً عن سور المجموعة، إذ بدأت بذكر الإيمان (يؤمنون) الذي سببه القرآن فتقدم ذكره، وأشير إليه ببعض من حروف (المقطّعـة)، ثم ذكر قصة موسى بالتفصيل، ثم التأكيد على موضوع الوحدانية، بخطاب الرسول عليه السلام بما يكرس لهذا الموضوع ، بإخبار قومه عن فضل ا عليهم، ومساءلة قومه منْ هو صاحب هذا الفضل ، فجاء الإخبار بالالتفات إلى ذكر قارون والخيـر الذي أوتيه، لما أسند الفضل والنعيم الذي هو فيه لنفسه، وجعل مصدر هذا الفضل، العلم بأسباب وأساليب جمع هذا الفضل، ثم ذكر ما آل إليه من العذاب (خـسفاً لـه وداره في الأرض)؛ لتوافق طريقة العذاب بهـذا الخـسف، الـدال علـى إذلالـه

وانهزامه، وعدم إتباع نصح قومه له ، بالرغم من اتكاله على قوته ونصرة قومه له من دون ا ، (وما كان من المنتصرين) :" فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون ا وما كان من المنتصرين"()، فكان الإخبار عن الهزيمـة بنفي الانتصار استبدالاً به عن لفظها، فكأن السياق والقرائن دوال على وجود حذف للفظ الانتصار أو النصر، وهو العلو الذي أراده قارون كما يشير سياق الآيات، قـد صرح به قارون في الآية التي أسند القول له فيها وهي قول ا تعالى:" قـال إنمـا أُوتيته على علم عندي أولم يعلم أن ا قد أهلك من قبله من القرون منْ هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون "، فكأن الحذف قد جاء بعد لفظـة عندي: أي وسأنتصر، أو والنصر لي، وقرينة الإخبار التي تصدرت بلفظ الاستفهام التقريري وإفادة التعجب وإسناد فعل العلم (المعرفة بأحوال من قبله)، وفعل الهلاك كلّها تفيد بأن قارون قد صرح بالنصر وضامن لحدوثه، كما أن سياق الآيات قبـل هذه الآية وبعدها، ليؤكد على وجود موضوع الانتصار والهزيمة، وذلك بنصح قومه له:" لا تفرح، وابتغ فيما آتاك ا الدار الآخرة، وأحسن كما أحسن ا إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض "، والمقابلة بين منْ تمنوا أن يأتيهم مـا أوتـي قـارون، وبـين (العلماء حقاً) الذين يردون ثواب ا ، هو الثواب الذي دعي إليه قـارون لامتثالـه والسعي إليه، فكان عذاب قارون عبرة للمتمنيين لمثل ما أوتي قارون .

إن ذكر القصص وظف كما وظفت القضايا المحوريـة: الخلـق، الظـواهر الكونية، البعث، خدمة لمقصد الإيمان، فالقصص عِبر تضاف إلـى سـائر العبـر والآيات، التي تحمل المتلقي على الإيمان، وقد صرح النص القرآني بذلك في أكثـر من موضع، وجاء هذا التصريح بعد الآيات التي تحدثت عن قصة قوم لـوط عليـه السلام، والعذاب الذي نالهم، ومن ذلك الآيات التي وردت فـي سـورة الـشعراء (103،66، 120-121، 139، 189،190،158)، قـال ا تعـالى: وقـال ا تعالى: رب نجني وأهلي مما يعملون*فنجـيـناه وأهله أجمعين*إلا عجـوزاً فـي الغابرين*ثم دمرنا الآخرين* وأمطرنا عليهم مطر المنذرين*إن في ذلك لأيةً ومـا

كان أكثرهم مؤمنين [1]. إذ تماثلت الآية الأخيرة مع الآية التي تدعو المتلقي إلى أخذ العبرة من مخلوقات الله الماثلة أمامه، وهي الآيات التي تتحدث عن الأزواج المتعددة التي أنبتها الله في الأرض، قال الله تعالى: أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم * إن في ذلك لآيةً وما كان أكثرهم مؤمنين [2]، ويلاحظ التطابق لفظاً ومعنىً في الآية التي تلي آية العبرة، في كل الآيات التي تتحدث عن العذاب للأقوام المكذبة للرسل، وفي آية الإنبات للأزواج، قال الله تعالى: وإن ربك لهو العزيز الرحيم [3] .

ولعل الاكتفاء بقصة سيدنا موسى وحدها، وتفصيل أحداثها في هذه السورة بشكل خاص ـ بالإضافة إلى تماسكها مع السور قبلها، وتضمنها كافة المواضيع التي تؤول إلى الموضوع الرئيس (الوحدانية)، التي أكدت عليه السور السابقة ـ ووقوعها آخر سورة في (الطواسين)، لتتماسك مع السور التي قبلها بشكل عام من جهة ، ولتتماسك مع السورة التي بعدها وهي سورة (العنكبوت) وما فيها من الأحداث والمواقف التي تعرض لها محمد عليه الصلاة والسلام بشكل خاص من جهة أخرى، وبيان ذلك التماسك؛ استهلالاً، ومحاور متعددة، وأحداثاً متطابقة تعرض لهما موسى ومحمد علهما السلام؛ أذى ونجاة ونصرة ووعداً، وموضوعاً كلياً واحداً في كلا السورتين.

الموضوع المحوري المركزي في سور (الطواسن).

إن الموضوع المحوري الذي تتمركز حوله المواضيع التي تحدثت عنها هذه السور، هو محور(الوحدانية لله عز وجل)، وقد تحقق هذا المحور من خلال الحديث الذي شكّلته الأبنية النصية الصغرى والكبرى التالية:

العلم (الغيب والشهادة).

---

[1] - سورة الشعراء: الآيات:169ـ174.

[2] - سورة الشعراء: الآيتين 7،8.

[3] -انظر: سورة الشعراء: الآيات:(9،67، 104، 122، 140، 159، 175، 191) .

البعث: وجاء مضمناً في قوله تعالى من سورة الشعراء: ﴿إن فِي ذَلِكَ لآيةً وما كان أَكْثَرهمْ مؤْمِنِين﴾ ([1])، وفسره الطبري بقوله:"يقول تعالى ذكره: إن في إنباتنا في الأرض من كلّ زوج كريم لآية. يقول: لدلالة لهؤلاء المشركين المكذّبين بالبعث، على حقيقته، وأن القدرة التي بها أنبت ا في الأرض ذلك النبات بعد جدوبتها، لن يعجزه يقول: وما كان أكثر هؤلاء المكذبين بالبعث، الجاحدين نبوتك يا محمد، بمصدقيك على ما تأتيهم به من عند ا من الذكر"([2]).

ويبرز الموضوع المحوري من خلال الآية التالية، التي تتحدث عن اسمه تعالى العزيز (الولي) الحق، القادر وحده على أن يحي ويميت، فأسند فيها اسمه العزيز (الولي)، للضمير الذي يحيل إحالتين: إحالة قبلية على لفظ الجلالة (ا)، وإحالة بعدية على المسند (الخبر)، وأحال الضمير (هو) إلى لفظ الجلالة إحالة قبلية مرتين، عندما جاء بواو العطف التي أغنت عن تكرار لفظ الجلالة مرتين؛ أي: وهو يحيي ... وهو على كل شيء قدير، فأثبت الوحدانية والعبادة وحده، بحقيقة الوالي الحق والمحي الحق والمييت الحق، والقدير الحق على كلّ شيء ، فانتفى أن يشركه أو يشبهه شيء، قال تعالى: ﴿أَمِ اتخَذُوا مِنْ دونِهِ أَوْلِياء فَالله هو الْولي وهو يحْيِي الْموْتَى وهو علَى كُل شَيْءٍ قَدِير﴾ ([3]). وفي سياق الإحاطة والقدرة ونفي الشرك ، يقول البقاعي:" ولما كان ما فعلوه عظيم البشاعة، اشتد التشوق إلى جزائهم عليه فأخبر عنه سبحانه بقوله معبراً بالاسم الأعظم، إشارة إلى وضوح ضلالهم وعظم تهديدهم معرياً له عن الفاء؛ لئلا يتوهم أن الحفظ مسبب عن الاتخاذ المذكور عادلاً إلى التعبير بالجلالة تعظيماً لما في الشرك من الظلم وتغليظاً لما يستحق فاعله من الزجر:(ا) أي المحيط بصفات الكمال(حفيظ عليهم) أي رقيب وراع وشهيد على اعمالهم، لا يغيب عنه شيء من أحوالهم ، فهو إن شاء أبقاهم على كفرهم وجازاهم عليه بما أعده للكافرين ، وإن شاء تاب عليهم ومحا ذلك عيناً وأثراً ، فلم

[1]- سورة الشعراء: الآية/8 .

[2]- الطبري: جامع البيان، 336/19 .

[3]- سورة الشورى: الآية/9.

يعاقبهم ولم يعاتبهم ، وإن شاء محاه عيناً وأبقى الأثر حتى يعاتبهم {وما أنت عليهم بوكيل "([1]).

دلالة الزمن في مجموعة هذه السور (الطواسين)

الأفعال الماضية الناقصة المغرقة في زمن الماضي:

(كنّا): وهي تدلّ دلالة غير لفظية على اسمين من أسماء الله الحسنى وهما (الرحمن والرحيم)، وهي أسماء تتجاوب فيها صفة الرحمة التي اتّصف عز وجل بها وكتبها على نفسه، وهي دلالة تتجاوب كذلك من خلال التصور المفهومي الذهني، مع جملة الدلالات التي تأولناها للحروف المقطعة في سورة البقرة، وهي أن الله تبارك وتعالى العليم بما هو خير لعباده، فلم يعذّب أمة من الأمم، قبل أن يبعث إليهم نذيراً يبشّرهم بإتباع ما يدعو إليه وينذرهم بتكذيب وعدم إتباع ما أمر الله به، وجاء به المرسلون من الله عز وجل، فرحمة الله بعباده حاصلة قبل أن يخلق الله خلقه، فالله سبحانه وتعالى رحمن رحيم قبل أنْ يخبر بأسمائه وصفاته أنه رحمن رحيم، وعليم وخبير ورازق قبل أي اسم من أسمائه وصفة من صفاته أيضاً .

التناص بين سور الطواسن والسور القرآنية الأخرى.

منْ مظاهر هذا المعيار النصي وصوره الفعلية الممثلة له، التناص المتحقق من خلال وحدة موضوع القصة، وهو ما تحقق في سورتي القصص والعنكبوت، إذْ تناصت سورة العنكبوت مع سورة القصص، من خلال ذكر السورة الأولى لما تعرض مع سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، عندما عزم المشركون من العرب في مكة على قتله، فأخرجه الله منها سالماً، ووعده بأن يرده إليها بموعد يكون أفضل من زمن خروجه منها عليه السلام، وهذه القصة ذكرت في سورة القصص مرتين، وهي تتحدث عن خروج سيدنا موسى عليه السلام مرتين؛ الأولى بفقدان أمه له وهو وليد عندما أمرت وحياً بإلقائه في البحر خوفاً عليه، ووعدت تأكيداً منه سبحانه وتعالى بأن يرده إليها، والثانية عندما خرج من مصر لئلا يقتله فرعون وجنوده، ووعد بالرجوع إلى مصر، فعاد بعدها رسولاً من الله ليتحقق بهذه العودة الوعدان:

---

[1] - البقاعي: نظم الدرر،9،8/7.

وعد ا لأمه بأنه جاعله من المرسلين ووعده موسى بالرجوع إلى مصر ففي طريق عودته أوحى إليه من ربه، فعاد إلى مصر رسولاً نبياً ...الخ .

قال تعالى: ويوْم ينَادِيهِمْ فَيقُولُ أَيْن شُركَائِي الَذِين كُنْتُمْ تَزْعمون (62) قَالَ الَذِين حق علَيْهم الْقَوْلُ ربنَا هؤُلَاءِ الَذِين أَغْويْنَا أَغْويْنَاهمْ كَما غَويْنَا تَبرأْنَا إِلَيْك ما كَانُوا إِيانَا يعْبدون (63).

2.4 السور ذوات الحرفين (حم/الحواميم)

بلغ عدد هذه المجموعة سبع سور، وكلّها استهلت بحرفين هما الحاء والميم(حم)، وشكّل الحرفان الآية الأولى في كلّ سورة منها، وتفردت سورة الشورى عن سور الحواميم، على الرغم من دخولها معها في التسمية، وتماثلها معها في استهلالها بـ (حم)، وتفردها عن سائر سور القرآن الكريم، بأن شكلّت حروفها المقطّعة الآيتين ستهلت الآية الأولى بحرفين واستهلت الثانية بثلاثة حروف قال تعالى: حم*عسق ([1])، مشكلّة بهذه الحروف آيتين منفصلتين، كما ضارعت سورة مريم في عدد حروفها المقطّعة، لكن حروفها (كهيعص)، شكلّت مجتمعة الآية الأولى.

دلالات الحروف المقطّعة في هذه السور.

أ- دلالتها على أسماء ا الحسنى:

من أسماء ا الحسنى التي جاءت باللفظ في هذه السورة هي (الحي، العليم، العزيز، الحكيم، الحميد، الرحمن، الرحيم، الغفور، ذي الطول، الولي...الخ)، أما أسماء ا الحسنى التي جاءت بالمعنى في آيات هذه السور فمنها: الواحد، الخالق، المصور، الرازق، المستجيب): ومن الآيات التالية قد دلّت عليها، قال تعالى: اللـه الَذِي جعلَ لَكُم الْأَرْض قَرارًا والسماء بِنَاءً وصوركُمْ فَأَحْسن صوركُمْ ورزقَكُمْ مِن

[1]- سورة الشورى: الايتان/2،1.

الطيباتِ ذَلِكُم الله ربكُمْ فَتَبارك الله رب الْعالَمِين*هو الْحي لا إِلَه إِلا هـو فَـادْعوه مخْلِصِين لَه الدين الْحمْد لِلهِ رب الْعالَمِين ([1]) .

فقوله تعالى:(هو الحي لا إله إلا هو) الذي تصدره الضمير (هو)، ينسجم مـع كون الألف واللام من لفظ الجلالة (ا)، فلو استبدلنا الألف واللام بالضمير (هـو)، فإن التركيب سيصير (هو لـاـه)، والألف تسقط في درج الكلام حتّى لو كانـت مرسومة، فالضمير يحيل إحالة نصية قبلية ذاتية متطابقة إلى لفـظ الجلالـة (ا)، الذي تصدر الآية التي قبل هذه الآية([2]) .

وبناءً على تأويل الحروف المقطّعة بأنّها مقتطعة من أسماء ا الحسنى، فـإن الجملة التي ستكون جملة نواة أو بؤرة، ستكون مبدوءة بلفظ الجلالة (ا) ومتبوعـاً بأكثر من اسم من أسمائه تعالى، باعتبار هذه الجملة هي تأويل لهذين الحرفين مـن جملة التأويلات التي قيلت فيها، ويمكن أن تكون هذه الجملة على النحو التالي: وا الحي القيوم العزيز الحكيم الحميد المجيد، أن هذا القرآن المجيد هو الحـق مـن ا وحده، أنزله على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ليبشركم برحمتـه ومغفرتـه إن اتبعتموه، وينذركم ويحذركم من عقابه إن كفرتم به، ففيه الحكمـة والهدايـة إلـى الصراط المستقيم فاتبعوه تهتدوا .

ب- الدلالات الأخرى للحروف المقطّعة.

وذلك بقبول تأويل كلمات بدأت بحرف الحاء أو المـيم أو بكلاهمـا، أو وقـع أحدهما أو كلاهما أصلاً في بنيتها، أي كثرة الكلمات التي تضمنها نـص الـسور، وذلك باعتبار قيام نص السورة على الحرف أو الحروف التي استهلت بها، كما ذكر جلّ المفسرين وعلماء النص المحدثين، فمن الدلالات التي يمكـن قبولهـا دون أن تتعارض مع دلالة أخرى، سواء أكانت مباشرة أو غير مباشرة ما يلي:

إن حرف الحاء مع نطق صوت الألف (حا)، يدل على فعل أمـر مخـتص بزجر الماشية، فتعالق المعنى اللغوي المعجمي لحرف الحاء وهـو الزجـر، مـع

---

[1]- سورة غافر: الآيات (64-65) .

[2]- انظر: ابن منظور: لسان العرب (اله).

المعنى المفهوم من استمرار جدال الكفار وكفرهم بما أنزل على محمد عليه الصلاة والسلام تطلّب زجرهم، وقد ألمح البقاعي إلى التعالق بين المعنيين من خلال ذكـر لفظ الجلالة (ا) بشكل خاص، في تفسيره لقوله تعالى: أَمِ اتخَذُوا مِنْ دونِهِ أَوْلِيـاء فَالله هو الْولِي وهو يحْيِي الْموْتَى وهو علَى كُل شَيْءٍ قَدِير ([1])، قال البقاعي:"ولما كان ما فعلوه عظيم البشاعة، اشتد التشوف إلى جزائهم عليه، فأخبر عنـه سـبحانه بقوله معبراً بالاسم الأعظم، إشارة إلى وضوح ضلالهم وعظم تهديدهم"([2]).

وهذا المعنى ينسجم مع رأي عائشة عبد الرحمن وهي تعلل نزول قسم كبيـر من السور ذوات الحروف المقطّعة بشكل متتابع، وهذه السور (الحـواميم) الأكثـر عدداً من بين سور القرآن الكريم، من حيث استهلالها بـالحروف المقطّعـة، كمـا جاءت هذه السور متتابعة في ترتيب النـزول والمـصحف، قالـت عائـشة عبـد الرحمن:"...ثم نزلت الحواميم السبع متتالية في ترتيب نزولها، متتالية كـذلك فـي ترتيب المصحف...وفيها جميعاً احتجاج للقرآن رداً على جدل المكذبين، فهي تستهل بعد الأحرف المقطّعة، بتقرير نزوله من العزيز الحكيم، كتاباً عربياً مبينـاً فُـصلت آياته لقوم يعلمون، وتنذر من جادلوا فيه بالباطل، بمثل ما حاق بالذين كـذبوا مـن قبلهم بآيات ا وجادلوا فيها فأخذهم، وترد عن المصطفى تهمة الافتـراء ودعـوى السحر، فما كان عليه الصلاة والسلام بِدْعاً من الرسل، وإنّما يتبع ما أوحـى إليـه فليصبر على عنت المجادلين وتكذيب الضالين"([3]). 2-**(الحميم):** ومـن الكلمـات المتأولة للحرفين (حم)، باعتبارهما حرفين مقتطعين من كلمة، كلمة (الحميم)، الدال على طبيعة العذاب الذي أعـده ا للكافرين، فطابق لفظ الحرفين بنية الكلمة رسماً، فالحرفان (الحاء والميم) وما تبعهما من حركات وحروف، طابقتهما الكلمات (حاميم، حميم، الحميم)، فدخل المعنى مع الكلمة الدالة على العذاب وهي (النار)، في حقـل دلالي واحد، وقد وصفت النار بأنّها (حامية)، والعـذاب بـالحميم، قـال الراغـب

---

[1]- الشورى:الآية/ 9.

[2]- البقاعي: نظم الدرر، 8/7.

[3]- بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، الإعجاز البياني للقرآن ومـسائل ابـن الأزرق/دراسة قرآنية لغوية وبيانية:1/ 171،172، دار المعارف ـ القاهرة، ط3-2004م.

الأصفهاني:" الحميم: الماء الشديد الحرارة...وقيل للماء الحار في خروجه من منبعه: حمة "([1]).

3- **حكمة محمد**: وتأول البقاعي دلالتين بكلمتين للحرفين، فاقتطع حرف الحاء من أول الكلمة الأولى وهي (حكمة)، والميم من الثانية من اسم الرسول (محمد صلى ا عليه وسلم)، فقال:"(حم) أي هذه حكمة محمد صلى ا عليه وسلم، التي خصه بها الرحمن الرحيم الحميد المجيد، مما له من صفة الكمال"([2]).

فمن خلال ما قيل من معاني لـ (حم) فإن التعالقت مع بعضها بعضا بين في إطار حقلها الدلالي الواحد، نحو: (الدخان، الظلام، الحميم، الماء الحار...) تعالقاً دلالياً نسبياً فيما بينها.

4- **العلم والإحاطة والشمول:** ومن الدلالات التي يمكن تأولّها للحروف المقطّعة في مجموعة الحواميم، باعتبار هذه الحروف داخلة ضمن إطار (الـم)، دلالتها على الملكية، ودلالتها على العلم، ودلالتها على الإحاطة والشمول، وهي بهذه المعاني تعالقت مع دلالات الحروف في سائر السور ذات الحروف المقطّعة، قال تعالى: ولِلهِ مُلْكُ السماواتِ والأَرْضِ ويوْم تَقُوم الساعةُ يوْمئِذٍ يخْسر الْمبْطِلُون*وتَرى كُل أُمةٍ جاثِيةً كُل أُمةٍ تُدْعى إِلَى كِتَابِها الْيوْم تُجْزوْن ما كُنْتُمْ تَعْملُون*هذَا كِتَابنَا ينْطِقُ علَيْكُمْ بِالْحق إِنا كُنا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْملُون ([3]).

5- دلالة الحروف المقطّعة على أفعال الأمر:

تعالقت دلالة بعض أفعال الأمر المتأولة للحروف المقطّعة، مع دلالات لكلمات تنتمي إلى حقل دلالي واحد، فمن هذه الأفعال (ادع، استقم، أمرت، قلْ، أُمرت،)، وجاءت هذه الأفعال في قوله تعالى: فَلِذَلِك فَادْع واسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ ولا تَتبِعْ أَهْواءهمْ وقُلْ آمنْتُ بِما أَنْزلَ الله مِنْ كِتَابٍ وأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بيْنَكُم الله ربنَا وربكُمْ لَنَا أَعْمالُنَا ولَكُمْ أَعْمالُكُمْ لا حجةَ بيْنَنَا وبيْنَكُم الله يجْمع بيْنَنَا وإِلَيْهِ الْمصِير ([4]).

---

[1]- الراغب: مفردات ألفاظ القرآن:255،254.

[2]- البقاعي: نظم الدرر، 7/ 89.

[3]- سورة الجاثية: الايات (27-29).

[4]- سورة الشورى: الآية/15.

6- ومن حيث دلالة حرف (الحاء) السيميائية عند اللغويين المحدثين ، فنجد أن منهم مَنْ يعطي الحرف دلالة سيميائية مبنية على شكله بقولهم:" أن معنى هذا الحرف هو السياج ، وجعل البعلبكي كلمة (حيط) التي في السريانية هي داخلة في حقل ما تدل عليه لفظة السياج، ولفظة (حيط) هي عربية أيضاً"([1])، وقد رسم الحرف على شكل سياج كذلك.

عناصر التماسك النصي في سور (الحواميم)

العلاقات والعناصر الدلالية.

1- المناسبة بين عنوانات السور ومضامينها.

يبدو أن السياق الدلالي العام لمضمون هذه السور، هو الحديث عن موضوع العذاب، فسورة (غافر) التي تصدرت هذه السور، تبين أن المغفرة والرحمة هما المقدمتان على العذاب، وهو ما جاء ظاهراً في الآية الثالثة من سورة غافر، قال تعالى: غَافِرِ الذنْبِ وقَابِلِ التوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطوْلِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِير ([2])، قال:"...هذه الآية مشعرة بترجيح جانب الرحمة والفضل؛ لأنّه تعالى لما أراد أن يصف نفسه بأنه شديد العقاب ذكر قبله أمرين كل واحد منهما يقتضي زوال العقاب، وهو كونه غافر الذنب وقابل التوب، وذكر بعده ما يدل على حصول الرحمة العظيمة، وهو قوله:"ذِى الطول"، فكونه شديد العقاب لما كان مسبوقاً بتينك الصفتين وملحوقاً بهذه الصفة، دل ذلك على أن جانب الرحمة والكرم أرجح"([3]) .

وبينت سورة (فصلت) موقف الكفار من النبي عليه السلام، وموقفهم من القرآن الكريم ومصدر نزوله، وجاء ذلك في أكثر من موضع من السورة ومنها قوله تعالى: إِن الذِين كفَروا بِالذكْرِ لَما جاءهمْ وإِنه لَكِتَاب عزِيز*لا يأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بيْنِ يديْهِ ولا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حكِيمٍ حمِيدٍ*ما يقَالُ لَك إِلا ما قَدْ قِيلَ لِلرسلِ مِنْ قَبلِك إِن ربك لَذُو مغْفِرةٍ وذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ*ولَوْ جعلْنَاه قُرآنًا أَعْجمِيا لَقَالُوا لَولا

---

[1]- انظر : البعلبكي: (الحاء) حيط.

[2]- سورة غافر: الآية/3.

[3]- البقاعي: نظم الدرر : 11/7 .

فُصلَتْ آياتُه أأعْجمِي وعربِي قُلْ هو لِلذِين آمنُوا هدًى وشِفَاء والذِين لا يؤْمِنُون فِـي آذَانِهمْ وقْر وهو علَيْهِمْ عمًى أُولَئِك ينَادوْن مِنْ مكَانٍ بعِيدٍ ([1]).

وفي سورة الشورى نجد في قول البقاعي ما يمكن أن نعده تعالقاً بين عنـوان السورة ومضمونها، قال:" ولما كان الإيحاء السابق أول الـسورة للبـشرى؛ لأنّهـا المقصود بالذات وكانت البشرى مقتضية تلويحاً ورمزاً بالأحرف المقطعة؛ لاجتماع أهل الدين وغلبتهم على سائر الأديان، وأن دينهم يعم سائر الأمم ويحـيط بجميـع الخلق، ولا يريد أحد بأهله سوءاً، إلا كان له فيه رفعة...وكانت رمزاً؛ لأن المقـام للانذار بما تشهد به السورة الماضية، وكان المراد بها التكرار حتى لا تزال لذاذتها في أذن المبشر وحلاوتها في قلبه"([2]).

ويظهر معنى العذاب المتضاد مع معنى الرحمة، التـي حلّـت محـل النبـوة والتكريم، من قوله تعالى في سورة الزخرف: أَهمْ يقْسِمون رحْمةَ ربك نَحْن قَسمْنَا بيْنَهمْ معِيشَتَهمْ فِي الْحياةِ الدنْيا ورفَعْنَا بعْضهمْ فَوْقَ بعْضٍ درجاتٍ لِيتخِـذَ بعْـضهمْ بعْضًا سخْريا ورحْمةُ ربك خَيْر مِما يجْمعون ([3])، إذ أشار الطبري والبغـوي([4])، إلى الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه الكلمات (النبوة والتكـريم والرحمـة)، ولفظـة الرحمة في دلالتها على النبوة جاءت في قوله تعالى: ومـا أَرْسـلْنَاك إِلا رحْمـةً لِلْعالَمِين ([5]) .

وذكر الخليل الفراهيدي لـ (حم) دلالة لغوية معجمية تعالقت مع عنوان السورة تعالقاً تكرارياً لفظياً، إذ أعطى لفظة (يحموم) في قوله تعالى: وظِل من يحْموم ، هو الدخان، والحمام: حمى الإبل والدواب وتقـول: حـم هـذا لـذاك أي قُـضِي وقُدر ([6])، وفسر الرازي كلمة الدخان في قوله تعالى: ثُم اسْتَوى إِلَى السماءِ وهِي

---

[1]- سورة فصلت: الآيات (41-44).

[2]- البقاعي: نظم الدرر: 23/7 .

[3]- سورة الزخرف: الآية/32.

[4]- انظر: الطبري، جامع البيان، 595/21، البغوي: معالم التنزيل،211/7.

[5]- سورة الأنبياء: الآية/107.

[6]- الفراهيدي: معجم (العين)، (حم).

دخَان فَقَالَ لَها وِللأَرْضِ ِائْتِيا طَوْعًا َأوْ كَرْهًا قَالَتَا َأتَيْنَا طَائِعِين ([1])، فسـره بمعنى الظلام، فقال:"فا سبحانه وتعالى لما خلق الأجزاء التي لا تتجزأ ، فقبل أن خلـق فيها كيفية الضوء كانت مظلمة عديمة النور، ثم لما ركبها وجعلها سموات وكواكب وشمساً وقمراً، وأحدث صفة الضوء فيها فحينئذ صارت مستنيرة، فثبـت أن تلـك الأجزاء حين قصد ا تعالى أن يخلق منها السموات والشمس والقمر كانت مظلمة، فصح تسميتها بالدخان؛ لأنّه لا معنى للدخان إلا أجزاء متفرقة غير متواصلة عديمة النور، فهذا ما خطر بالبال في تفسير الدخان، وا أعلم بحقيقة الحال"([2]) .

وكذلك دلالة الفعل (جثى) من عنوان السورة (الجاثية)، ووقته ومكان حدوثـه وحالة فاعله، والحال التي يصير إليها الكون وما فيـه، قـال الطبـري:" مجتمعـة مستوفزة على ركبها من هول ذلك اليوم"([3]) .

كما تضمن عنوان السورة (الأحقاف) معنى العذاب، فعنونت باسم المكان الذي سكنه قوم هود عليه السلام، وجاء ذكر اسم السورة في قول ا تعالى: واذْكُرْ َأخَا عادٍ ِإذْ َأنْذَر قَوْمه ِبالأَحْقَافِ وقَدْ خَلَتِ النذُر ِمنْ بيْن يدْيهِ ومِنْ خَلْفِهِ َألا تَعْبدوا ِإلا الله ِإني َأخَافُ علَيْكُمْ عذَاب يوْمٍ عظِيمٍ ([4])، فعنوان السورة يشير إلى نوع العذاب الذي حلّ بقوم عاد، فأنبأت عنه منازلهم وهي (الأحقاف)، وإنذاراً بـه كفـار مكـة، إنْ صاروا على ما صار عليه الكفار من قبلهم، قال البقاعي:" ولما كان الظاهر في هذه السورة الإنذار كما يشهد به مطلعها، قال ذاكراً بعض ما يبكت به المجرمون يـوم البعث، الذي كانوا به يكذبون ويكون فيه توفية جزاء الأعمال، عاطفـاً علـى مـا تقديره: اذكر لهم هذا لعلهم يأنفون أن يكونوا المسيئين فيكونوا من المحسنين"([5]).

وذكر صاحب القاموس دلالات لكلمة الأحقاف والحقف وغيرهما ممن اشتركت في مادة (حقف)، تعالقت بالتضاد مع لفظة المستقيم، وتعالقت بالتضام مـع دلالـة

---

[1]- سورة فصلت: الآية/ 11.

[2]- الرازي: مفاتيح الغيب: 27/ 138 .

[3]- الطبري: جامع البيان82/22.

[4]- سورة الزخرف: الآية/21.

[5]- البقاعي: نظم الدرر، 127/7.

الفعل (مال)، الذي تحـصل بتقليـب الحـروف المقطّعـة الـثلاث (الـم)، قـال الفيروزأبادي:" الحِقْفُ، بالكسر المعْوج من الرمْل، ج أحْقافٌ وحِقـافٌ وحقـوفٌ، واحْقَوْقَفَ الرمْلُ، والظهْر، والهلالُ: طالَ واعْوج "([1])، ودلالة الاستقامة فـي هـذه السورة نص عليها قوله تعالى من السورة نفسها، قال تعالى: إِن الذِين قالُوا ربنَـا الله ثُم اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ علَيْهِمْ ولا هُمْ يحْزنُون ([2]).

فبهذه الدلالات تتضح المناسبة بين عنوان السورة ومضمونها، ويظهر التعالق بين عنوان السورة، ودلالة الحروف المقطّعة في سـائر الـسور ذوات الحـروف المقطّعة، بعد الحروف الثلاثة (الم) إطاراً تضم حدوده الحـروف المقطّعـة التـي استهلت بها هذه السور، فالكافرون مالوا وانعوجوا عن الحق وطريق الهداية، فظلّوا الصراط المستقيم، فناسب العنوان (الأحقاف)، الموضوع المحوري وهو (التوحيد)، من خلال دلالته على الاستقامة أوالعدل، بدلالة التضاد وهـي الميـل والإعوجـاج والانحناء وغيرها من المعاني الدالّة، من خلال النسبة التي تشير إلى محور السورة المركزي .

ويبدو أن ما جاء عند عائشة عبد الرحمن من تفسير لتـوالي الـسور المكيـة (الحواميم) متتابعة في النزول دون فصل بينها بسور لم تستهل بحروف مقطعة، هو بسبب زيادة الكفر والعناد والإفراط فيهما من جانب الكفار والمشركين، ليتفـق مـع دلالة كلمة (الحمى)، وسبب تسميتها بذلك، وقد شكلّ الحرفان (الحاء والمـيم) بنيـة الكلمة، وهذه الدلالة المفرطة ذكرها الراغب في مفردات ألفاظ القرآن، سبباً متقـدماً على غيره من أسباب التسمية للحمى بقوله:" والحمى سميت بذلك إما لما فيها مـن الحرارة المفرطة، وعلى ذلك قوله صلى ا عليه وسلم:"الحمى من فيح جهنم"، وإما لما يعرض فيها من الحميم، أي العرق، وإما لكونها من أمـارات الحِمـام لقـولهم: الحمى بريد الموت، وقيل باب الموت"([3]).

---

[1] - الفيروزأبادي: القاموس المحيط، (الحقف) .

[2] - سورة الأحقاف: الآية/13.

[3] - الأصفهاني: مفردات ألفاظ القرآن:255،254.

فكلّ هذه الدلالات كما يبدو لا تناقض بينها بحكم دلالة التضمن والالتزام، فهي ضمن الحقل الدلالي الواحد الذي يفضي إلى ألوان من عذاب الكافرين يوم القيامـة، وذلك من خلال المعنى التركيبي للآية وسياقها، ومن خلال السياق العـام للـسورة، كما أن علاقة اللون وعلامته التي تضمنها اسم السورة (الدخان)، متعالق مع الاسـم الحميم وأصله، وهو الدخان الشديد السواد .

2- الإحالات الضميرية والإشارية: وسنمثل لنوعيها الإحالة الداخلية والخارجيـة، بشواهد من آيات سور هذه المجموعة .

إحالة الضمائر:

وردت بعض الضمائر التي تحيل إلى عنصر غير مذكور في الـنص، سـواء أكان ذلك العنصر قبل الضمير الذي يحيل إليه أو بعده، ولم يدلنا على العنـصر أو الاسم الذي أحال إليه الضمير، إلا بتقدير هذا الاسم المفهوم من سياق الآيـة، فهـذا الضمير قد ورد في قوله تعالى: فَلَما رَأَوْه عارِضاً فالـضمير المنـصوب فـي (رأوه) لم يحل إلى اسم ظاهر بين في السورة، لكن مجيء لفظة (عارضـاً)، دلّـت بمعناها النحوي الوظيفي على وجود صاحب للذي حاله (عارضاً)، فأنبأ هذا الحـال عن صاحب الضمير، وهو راجع إلى (ما) في قوله: بِما تَعِدنَا ، وقـال المبـرد، والزجاج:"الضمير في (رَأَوْه) يعود إلى غير مذكور، وبينه قوله:(عارضاً)، فالضمير يعود إلى السحاب، أي: فلما رأوا السحاب عارضاً، فـ (عارضـاً) نـصب علـى التكرير، يعني: التفسير وسمي السحاب عارضاً لأنه يبدو في عرض السماء، قـال الجوهري: العارض: السحاب يعترض في الأفق، وذكر الـشّوكاني أن (عارضـاً) انتصب على الحال أو التمييز([1]).

إظهار الاسم دون الضمير: في قوله تعالى من سورة غافر: ما يجادل فـي آيات ا .

---

[1]- الشوكاني: فتح القدير،28/5 .

وإظهار اسم الجلالة في قوله: ما يجادل في آيات ا دون أن يقـول: فـي آياته، لتفظيع أمرها بالصريح لأن ذكر اسم الجلالة مؤذن بتفظيع جدالهم وكفـرهم وللتصريح بزيادة التنويه بالقرآن .

التعريف والتنكير:

يؤدي التعريف والتنكير دوراً مهماً في تماسك النص وترابطه، من خلال مـا تنبىء عنه أدوات التعريف، وما يفيده التنكير كذلك بحسب المقام الذي يؤدى فيـه، فمن دلالات التنكير للفظة (تنزيل)، التي استهلت بها الآية الثانية في بعـض سـور (الحواميم) الدلالة لإفادة التعظيم، وجاء التنكير في سورة (فصلت)، وقد تنبـه ابـن عاشور إلى أهمية دلالة هذا المصدر وهو نكرة فقال:" افتتح الكلام باسم نكرة لما في التنكير من التعظيم، والوجه أن يكون" تَنزِيلٌ "مبتدأ سوغ الابتداء به، لما في التنكير من معنى التعظيم، فكانت بذلك كالموصوفة وقوله: مِن الرحمن الـرحِيم "خبـر عنه، وقوله:" (كتاب) بدل من تنزيل، فحصل من المعنى: أن التنزيل من ا كتاب، وأن صفته فُصلت آياته، موسوماً بكونه قرآناً عربياً، فحصل من هذا الأسـلوب، أن القرآن منزل من الرحمان الرحيم مفصلاً عربياً".

الصفة: جاءت الصفتان (الرحمن الرحيم) متتاليتين في قوله تعالى: مِن الـرحمن الرحِيم ([1])، وإيثار الصفتين (الرحمن الرحِيم)، على غيرهما من الصفات العليـة، للإيماء إلى أن هذا التنزيل رحمة من ا بعباده ليخرجهم من الظلمات إلى النـور، كقوله تعالى: فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ([2])، وقوله تعـالى: ومـا أرسلناك إلا رحمة للعالمين ([3])، وقوله: أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلـى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ([4]) .

المناسبة: تبدو المناسبة بين ذكر (أخا عاد) آخر المنذِرين ومحمد عليه السلام آخر الرسل (المنذِر الأخير من حيث كونه آخر الرسل)... مناسبة رابطة بين إنذار الكفار

---

[1] - سورة فصلت: الآية/ 2.

[2] - سورة الأنعام : 157 .

[3] - سورة الأنبياء: 107.

[4] - سورة العنكبوت: الآية/51. وانظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير،22: 225.

في مكة من خلال ذكر عذاب قوم عاد، فتمت المقابلة: بين موقف كفار مكة وموقف قوم هود منه، ثم ذكر الحال التي آل إليها قومه؛ لتكون عبرة لمشركي مكة، قال ابن عاشور:" سيقت قصة هود وقومه مساق الموعظة للمشركين الذين كذبوا بالقرآن كما أخبر ا عنهم من أول هذه السورة في قوله: والذين كفروا عما أنذروا معرضون ([1])، مع ما أعقبت به من الحجج المتقدمة من قوله: قل أرأيتم ما تدعون من دون ا ([2])، الذي يقابله قول هود: أن لا تعبدوا إلا ا ([3])، ثم قوله: قل ما كنت بِدْعا من الرسل ([4])، الذي يقابله قوله: وقد خَلَت النذُر من بين يديه ومن خلفه ([5])، ذلك كله بالموعظة بحال هود مع قومه، وسيقت أيضاً مساق الحجة على رسالة محمد صلى ا عليه وسلم وعلى عناد قومه بذكر مثال لحالهم مع رسولهم بحال عاد مع رسولهم، ولها أيضاً موقع التسلية للرسول صلى ا عليه وسلم على ما تلقاه به قومه من العناد والبهتان لتكون موعظة وتسلية معا يأخذ كل منها ما يليق به وقال أيضاً:" ولا تجد كلمة أجمع للمعنيين مع كلمة (اذكر)؛ لأنّها تصلح لمعنى الذكر اللساني بأن يراد أن يذكر ذلك لقومه، ولمعنى الذُكر بالضم بأن يتذكر تلك الحالة في نفسه وإن كانت تقدمت له وأمثالها؛ لأن في التذكر مسلاة وإسوة. كقوله تعالى: اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد ([6])، وكلا المعنيين ناظر إلى قوله آنفاً قل ما كنت بدعاً من الرسل } فإنه إذا قال لهم ذلك تذكروا ما يعرفون من قصص الرسل مما قصه عليهم القرآن من قبل وتذكر هو لا محالة أحوال رسل كثيرين ثم جاءت قصة هود مثالاً لذلك، ومشركو مكة إذا تذكروا في حالهم وحال عاد وجدوا الحالين متماثلين فيجدر بهم أن يخافوا من أن يصيبهم مثل ما أصابهم...والاقتصار على ذكر عاد لأنهم أول الأمم العربية الذين جاءهم

---

[1] - سورة الأحقاف: الآية/3.

[2] - سورة الأحقاف: الآية/4.

[3] - سورة هود: الآية/26.

[4] - سورة الأحقاف: الآية/9.

[5] - سورة الأحقاف: الآية/3.

[6] - في سورة ص: الآية/17 .

رسول بعد رسالة نوح العامة وقد كانت رسالة هود ورسالة صـالح قبـل رسـالة إبراهيم عليهم السلام ، وتأتي بعد ذكر قصتهم إشارة إجمالية إلى أمم أخـرى مـن العرب كذبوا الرسل في قوله تعالى: ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى ([1]).

التضاد:

وجاء هذا العنصر لربط فقرتين متناقضتين من حيث محمول كلّ فقرة منهما، على الرغم من أن الفقرتين موضوعهما واحد، وهو اليوم الآخر (يوم الفصل)؛ لأن الإيمان با لا يتحقق إلا بالإيمان به، فالفقرة الأولى تتحدث عـن مـآل الكـافرين (الممترين)، وهي قوله تعالى: إِن يوْم الْفَصْلِ مِيقَاتُهمْ أَجْمعِين ، إلى قوله تعـالى: إِن هذَا ما كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرون ([2])، وقوله تعالى في الفرة التي بعدها،: إِن الْمتقِين فِي مقَامٍ أَمِينٍ ، إلى قوله تعالى: فَضْلا مِنْ ربك ذَلِك هو الْفَـوْز الْعظِـيم ([3])، فقابل بـ (بالتضاد) بين مقام الكافرين الذي مثّله لفظ الاسم؛(الأثيم)، والعذاب الـذي سيلقونه في يوم الفصل، ومقام المتقين وما سيلقونه من نعيم في ذلك اليوم أيضاً.

وجاء الربط بهذا العنصر عند الرازي وهو يفسر ذكر حرف العطف (الـواو) وعدم ذكره، على الرغم من أن المتعاطفات هي من أسماء ا الحسنى، فقال:" لقائل أن يقول ذكر الواو في قوله: غَافِرِ الذنب وقَابِلِ التوب ،ولم يذكرها فـي قولـه:" شَدِيد العقاب " فما الفرق؟ قلنا إنه لو لم يذكر الواو في قوله:" غَافِرِ الـذنب وقَابِـل التوب" لاحتمل أن يقع في خاطر إنسان، أنّه لا معنى لكونه غافر الـذنب إلا كونـه قابل التوب، أما لما ذكر الواو زال هذا الاحتمال؛ لأن عطف الشيء علـى نفـسه محال، أما كونه شديد العقاب فمعلوم أنه مغاير لكونه غَافِرِ الذنب وقَابِلِ التـوب) فاستغنى به عن ذكر الواو"([4]) .

---

[1]- سورة الأحقاف: الآية/27، وانظر: البقاعي، نظم الدرر: 138/7.

[2]- سورة الدخان: الآيتان/40،50 وانظر الآيات (41-50).

[3]- سورة الدخان: الآيتان/57،51 .

[4]- الرازي: مفاتيح الغيب:13/ 394-396.

التقديم: ومنه تقديم لفظ الجلالة (ربي) على لفظ الجلالة (ا)، فأدى هذا التقديم إلى تخصيص وحصر الربوبية الحقة با وحده عز وجل، وسياق الآيات سياق إقـرار الوحدانية في قوله تعالى: ربي ا .

الترتيب: وجاء في قوله تعالى: َقَضاهن سبْع سمواتٍ فِي يوْميْن وَأَوْحى فِـي كُـل سماءٍ أَمْرها وزينا السماء الدنْيا بِمصابِيح وحِفْظًا ذَلِك تَقْدِير الْعزِيز الْعلِـيمِ (12)، على أن الترتيب: هو للإيجاد، قال أبو السعود:"... فعلى ما قُرر مـن التفـصيل لا دِلالةَ في الآية الكريمةِ على الترتيب بين إيجادِ الأرضِ وإيجـادِ الـسماءِ، وإنمـا الترتيب بين التقدير والإيجادِ، وإما على تقدير كون الخلق وما عطـفَ عليـهِ مـن الأفعال الثلاثةِ على معانيها الظاهرة، فهي وما في سورةِ البقرةِ من قولـه تعـالى: هو الذى خَلَقَ لَكُم ما فِى الأرض جمِيعاً ثُم استوى إِلَى الـسماء فَـسواهن سـبْع سموات ، تدلان على تقدم خلقِ الأرضِ وما فيها على خلق السماءِ وما فيها "([1]).

التعليل: لِيجْزِى قَوْماً بِما كَانُواْ يكْسِبون ، اللام السابقة للفعل الذي تصدر الآيـة، هي تعليلٌ للأمر بالمغفرةِ .

والمراد بالقومِ المؤمنون، والتنكير لمدحِهم والثناءِ علـيهم، أي أُمـروا بـذلك ليجزي يوم القيامةِ قوماً أيما قومٍ قوماً مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الحسنةِ التي من جملتها الصبر على أذيةِ الكفار والإغـضاء عـنهم بكظـمِ الغـيظِ واحتمال المكروهِ ما يقصر عنه البيان من الثوابِ العظيمِ، هذا وقد جوز أنْ يـراد بالقومِ الكفرةُ وبما كانُوا يكسبون سيئاتُهم التي من جملتها ما حكِي من الكلمةِ الخبيثةِ، والتنكير للتحقير، وفيهِ أن مطلقَ الجزاءِ لا يصلح تعليلاً للأمر بالمغفرةِ لتحققِه على تقديريْ المغفرةِ وعدمِها فلا بد من تخصيصِه بالكل بأنْ لا يتحققَ بعض منـه فـي الدنيا أو بما يصدر عنه تعالى بالذاتِ وفي ذلك من التكلفِ ما لا يخفِى وأنْ يراد كلا الفريقين وهو أكثر تكلفاً وأشد تمحلاً، وقُرىء ليجْزى قوم وليجْزى قوماً أي ليجْزى الجزاء قوماً ، وقُرىء لنَجْزي بنون العظمةِ"([2]) .

---

[1] - أبو السعود: تفسير أبي السعود52/6.

[2] - المرجع نفسه، 125/6.

الاستبدال: ومنه استبدال الاسم المفرد باللقب (الصفة): ومن ذلك استبدال الاسم (هود) عليه السلام، بـ (أخا عاد)، وذكر الصفة عرف استعمالي معروف عند العرب .

زمن نزول السورة وترتبها في المصحف: حاصلة بين ترتيب هذه السورة نزولاً وتلاوة، وبين مجيء الإنذار بالعذاب فيها، وكأنها الإنذار الأخير كما يبدو؛ إذ لم يأت بعدها سورة بدأت بـ (حم).

وجاء استبدال الاسم مركب باسم مركب آخر أيضاً: قال تعالى: وإنه في أُم الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعلِي حكِيم الزخرف(4)، قال أبو السعود مبيناً (أم الكتاب):" أي في اللوح المحفوظِ ، فإنه أصلُ الكتبِ السماويةِ"([1]).

الجمل المعترضة: جاء الجمل المعترضة للتأكيد على أمر قد تقدمها، مما يدل على الاهتمام بهذا الأمر من قبل المتكلّم ودعوته المتلقي للإهتمام به أيضاً، فمنها جملة (وقد خلت من قبله النذر)، في قوله تعالى: واذْكُرْ أَخَا عادٍ إِذْ أَنْذَر قَوْمه بِالأَحْقَافِ وقَدْ خَلَتِ النذُر مِنْ بيْن يديْهِ ومِنْ خَلْفِهِ أَلا تَعْبدوا إِلا الله إِني أَخَافُ علَيْكُمْ عذَاب يوْمٍ عظِيمٍ ([2])، قال أبو السعود:" (ومِنْ خَلْفِهِ)؛ أي منْ بعدِهِ، والجملةُ اعتراض مقرر لما قبلَه مؤكد لوجوبِ العمل بموجبِ الإنذار، وسط بين أنذر قومه وبين قولِه: (أن لا تَعْبدواْ إِلا ا)، مسارعةً إلى ما ذُكِر من التقرير والتأكيدِ وإيذاناً باشتراكِهم في العبارةِ المحكيةِ، والمعْنى واذكُرْ لقومِك إنذار هودٍ قومه عاقبةَ الشركِ والعذابِ العظيمِ ، وقد أندر منْ تقدمه من الرسل ، ومن تأخر عنْه قومهم مثلَ ذلك فاذكُرهم"([3]).

الاقتضاء: أن الكتاب المنزل يقضي بمنزل له ومنزل عليه، وهي ما عبرت عنها الآيات التي تحدثت عن الكلمات؛ مصادر، أفعال، مشتقات، ومن ذلك جملة (مِن اللهِ)، من قوله تعالى: تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِن اللهِ الْعزِيزِ الْعلِيمِ ([4])، ومن قوله تعالى:

---

[1] - أبو السعود: تفسير أبي السعود، 90/6.

[2] - سورة الأحقاف: الآية/21.

[3] - أبو السعود: تفسير أبي السعود، 75/6.

[4] - سورة غافر: الآية/2138.

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1)، قال:" فاعلم أنه لما ذكـر أن حـم* تَنزِيلُ الكتاب ، وجب بيان أن المنزل من هو؟ فقال:(مِن ا)، ثم بين أن ا تعالى موصوف بصفات الجلال وسمات العظمة ليصير ذلك حاملاً على التشمير عن ساق الجد عند الاستماع وزجره عن التهاون والتواني فيه، فبـين أن المنـزل هـو "ا العزيز العليم"(2) .

العلاقات والعناصر النحوية

الحذف:

حذف الفعل: ومنه ما جاء في قوله تعـالى: ولبيـوتهم أبوابـاً وسـرراً عليهـا يتكئون*وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين (3)، قوله تعالى: " ولبيوتهم أبواباً " أي ولجعلنا لبيوتهم، وانتصب "زخرفا " على معنـى وجعلنا لهم مع ذلك زخرفا، وقيل: بنزع الخافض، والمعنى فجعلنا لهم سقفا وأبوابـا وسررا من فضة ومن ذهب، فلما حذف " من " قال " وزخرفاً فنصب"(4) .

حذف مقول القول: وجاء هذا الحذف في قول ا تعالى: قُلْ لِلـذِين آمنُـوا يغْفِروا لِلذِين لا يرْجون أَيام اللهِ لِيجْزِي قَوْمًا بِما كَانُوا يكْسِبون (5)، فحذفَ المقولُ وهو: قل لهم اغفروا، ودلّ عليه قرينة فعلية هي الفعل (يغفروا)، وجعل أبو السعود هذه القرينة جواباً "للأمر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقطْ "(6).

حذف العامل: ومنه حذف حرف الجر، ومن ما جاء في سورة الجاثية في قول ا تعالى: واخْتِلافِ اللّيْل والنهارِ وما أَنْزلَ الله مِن السماءِ مِـنْ رِزْقٍ فَأَحْيـا بِـهِ الأَرْض بعْد موْتِها وتَصْرِيفِ الرياحِ آَياتٌ لِقَوْمٍ يعْقِلُون (7) .

---

1 - سورة الجاثية وسورة الأحقاف: الآية/2.

2 - الرازي: مفاتيح الغيب، 17: 354.

3 - سورة الزخرف: الآيتان: 34،35.

4 - القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، 87/16.

5 - سورة الجاثية: الآية/14.

6 - أبو السعود: تفسير أبي السعود، 125/6.

7 - سورة الجاثية: الآية/5.

حذف حرف الجر: ومنه حـذف حـرف الجـر (فـي) فـي تعـالى فـي الآيـة السابقة: واختلاف اليل والنهـار ؛ أي: فـي الليـل وفـي النهـار، قـال أبـو السعود:"...بالجر على إضمار الجار المذكور في الآيتين قبله، وقد قُرئ بـذكره، والمراد باختلافِهما إما تعاقُبهما أو تفاوتُهما طولاً وقِصراً"([1])، وقد دلّ على حـذف (حرف الجر في) قرينة ذكره في الآيتين قبلها، وهما قـول ا تعـالى: إن فِـي السماواتِ والأَرْضِ لآياتٍ لِلْمؤْمِنِين*وفِي خَلْقِكُمْ وما يبث مِـنْ دابـةٍ آيـاتٌ لِقَـوْمٍ يوقِنُون ([2]).

حذف المفعولين: في قوله تعالى:"واذكر أخا عاد" أيْ لكُفار مكةَ. تفسير أبي السعود 142/6، فالذكر واقع في اللفظ على أخا عاد وعلى إنذار هود لقومه بالعذاب.

وتقديرهما (المحذوفين)بحسب البنية العميقة قد جعله هو المعنى أبو السعود في تفسيره فقال:" والمعْنى واذكُرْ لقومِك إنذار هودٍ قومه عاقبةَ الشركِ والعذابِ العظيمِ، وقد أنذر منْ تقدمه من الرسل ، ومن تأخر عنْه قومهم مثلَ ذلـك فـاذكُرهم "([3])، وظاهر الآية يدل على أنها جملة محوله عن جملة هي محولة أيضاً، مما يعنـي أن النحو التوليدي التحويلي، يشير إلى الكفاية اللغوية في انتاج أكبر عدد من الجمل كما نص على ذلك علماء اللغة المحدثين.

الصفة: وما جاء مثالاً لهذا المعنى النحوي، صفتا ا سبحانه وتعالى المجتمعتان في تركيب واحد دون فصل بينهما، والجمع بين صفتي: " الرحمن الرحِيم "؛ للإيماء إلى أن الرحمة صفة ذاتية تعالى، وأن متعلقها منتشر في المخلوقات كما تقدم في أول سورة الفاتحة والبسملة، وفي ذلك إيماء إلى استحماق الذين أعرضوا عن الاهتـداء بهذا الكتاب بأنهم أعرضوا عن رحمة، وأن الذين اهتدوا به هم أهل المرحمة لقولـه بعد ذلك: قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهـو عليهم عمى ([4])، ومعنى:" فُصلَتْ آياته" بينت، والتفصيل: التبيين والإخـلاء مـن

---

[1] - أبو السعود، تفسير أبي السعود: 56/6.

[2] - سورة الجاثية: الآيتان/4،3.

[3] - أبو السعود، تفسير أبي السعود 142/6.

[4] - سورة فصلت: الآية/44.

الالتباس. والمراد : أن آيات القرآن واضحة الأغراض لا تلتبس إلا على مكابر في دلالة كل آية على المقصود منها ، وفي مواقعها وتمييز بعضها عن بعض في المعنى باختلاف فنون المعاني التي تشتمل عليها"([1]) .

التوكيد: من العلاقات والعناصر النحوية التي تؤدي إلى ارتباط الكلام بالكلام علاقة التوكيد، ومن ضروب هذه العلاقة التوكيد المعنوي، فمنه ما جاء في قوله تعالى: وسخر لَكُمْ ما فِي السماواتِ وما فِي الأَرْضِ جمِيعًا مِنْه إن فِي ذَلِك لآياتٍ لِقَوْمٍ يتَفَكرون ([2])، إذ جاء لفظ (جميعاً) توكيداً لجملة (ما في السماوات)، وهو توكيد أيضاً لجملة (ما في الأرض) التي ارتبطت بالجملة قبلها بواسطة حرف العطف بين الجملتين.

العطف: جاء العطف بالواو بين الأفعال الثلاثة، في قوله تعالى: قُلْ أَئِنكُمْ لَتَكْفُرون بِالذِي خَلَقَ الأَرْض فِي يومْين وتَجْعلُون لَه أَنْدادًا ذَلِك رب الْعالَمِين*وجعل فِيها رواسِي مِنْ فَوْقِها وبارك فِيها وقَدر فِيها أَقْواتَها فِي أَرْبعةِ أَيامٍ سواءً لِلسائِلِين ([3]).

ومن ضروب العطف، العطف بـ (ثمّ) ودلالته: وجاء في قوله تعالى: ثُم جعلْنَاك علَى شَرِيعةٍ مِن الأَمْرِ فَاتبِعْها ولا تَتبِعْ أَهْواء الذِين لا يعْلَمون ([4])، فالبينات من الأمر تشمل (شريعة موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام)، فالأصل أن الدين الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام من عند ربه، أن يعطف بالواو لإفادة التشريك في الحكم، لكن بكونه الدين المقبول دون سواه عند الله سبحانه وتعالى، فضل عليها كلّها، بدلالة حرف العطف (ثم)، الذي أدى معنىً نحوياً وظيفياً، يفيد التراخي عن إشتراكه في كافة أحكام ما في الشرائع التي شرعت في الكتب التي نزلت قبل القرآن، وبدلالة حرف الجر (على) الدال على الاستعلاء، قال ابن عاشور:" وهذا التراخي يفيد أن مضمون الجملة المعطوفة بحرف (ثم)، أهم من مضمون الجملة المعطوفة عليها، أهمية الغرض على المقدمة والنتيجةِ على الدليل،

---

[1] - ابن عاشور: التحرير والتنوير، 229/22،230، 231.

[2] - سورة الجاثية: الآية/13.

[3] - سورة فصلت: الآية/10.

[4] - سورة الجاثية: الآية/18.

و(على) للاستعلاء المجازي، أي التمكن والثبات على حد قوله تعالى: أولئك على هدى من ربهم (1) .. ويظهر من كلامي ابن عاشور السالف والآتي، دلالة سيميائية تأولها بقوله:"وفي هذا التراخي تنويه بهذا الجعل وإشارة إلى أنه أفضل من إيتاء بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوءة والبيناتِ من الأمر، فنبوءة محمد صلى ا عليه وسلم وكتابه وحكمه وبيناته أفضل وأهدى مما أوتيه بنو إسرائيل من مثل ذلك"(2).

ويعضد هذا أيضاً كما يبدو، وصفُ الدين الذي هو من الشريعة، بالقيم، والأمة: مسلمة، والدين: الحنيف، حنيفاً مسلما، وسطا، العدل، السوي...الخ، بمعنى أنها متعالقة في المحتوى القضوي الذي وردت فيه هذه الكلمات ذات الحقل الدلالي الواحد في سائر السور ذوات الحروف المقطّعة.

وتأول ابن عاشور - كما يبدو - دلالة سيميائية من تنوين كلمة (شريعةٍ)، مستدلاً لها بحرف العطف نفسه ومعناه النحوي الوظيفي، فقال:"وتنوين (شريعةٍ) للتعظيم بقرينة حرف التراخي الرتبي(3).

العلاقات والعناصر التداولية:

1- السياق:

من العناصر التداولية التي تعضد المحور الرئيس، الذي يمثل القضية الكبرى لنصوص هذه السور، السياق العام الذي دارت في فلكه نصوص هذه السور، وحقّقه له فضاء النص بأبنيته الصغرى والكبرى أفقياً ورأسياً، وتضمنته بنية النص الكلية الكبرى.

فسياق نصوص هذه السور هو إثبات الوحدانية تعالى، فقد جاءهم من الآيات التي تحملهم إلى علم اليقين، ولا سيما في إثبات الوحدانية تعالى، ودعوة الرسل أقوامهم عدم الشرك با ، والتأكيد على وقوعه حقيقة أمام المتلقي قد جاء مبثوثاً بشكل مباشر للمتلقين المؤمنين، وللمتلقين المنكرين، بأسلوب قرآني تعالى في نقله حقيقة الأحداث للمتلقين في الزمن الذي سيقول فيه المتلقون المنكرون: أنهم موقنون،

---

[1] - سورة البقرة: الآية/ 5.

[2] - ابن عاشور: التحرير والتنوير:27/1.

[3] - المرجع نفسه:235/24.

فطلبوا أن يعود الزمن بهم ليفعلوا ما أمروا به، وقد أنكروه دون ما سبب يبرر لهـم كفرهم، وقد تفضل سبحانه وتعالى على بني إسرائيل دون سواهم مـن العـالمين، فضلاً عن تفضيلهم بالرسل الذين أرسلوا إليهم مبشرين لهم ومنذرين، فقـد أحيـا سبحانه وتعالى الميت أمامهم، ثم كفروا كفراً، صورته قسوة قلوبهم التي أشد قـسوة من الحجارة التي تتفجر منها الأنهار .

2- الأفعال الكلامية:

مما ينتمي إلى المستوى التداولي في الجانب الاستعمالي للغة، ما سمي بنظرية الأفعال الكلامية، ومن أقسامها الأفعال الإنجازية غير المباشرة، فالمتكلّم ينجز فعلاً مباشراً لكنّه لا يريده في الحقيقة بل يريد إنجاز فعلاً آخر غيره، وللتمثيل على ذلك من نصوص هذه السور، وعلى تناص هذه المجموعـة مـع سـائر الـسور ذوات الحروف المقطّعة كذلك، نستشهد بقوله تعالى: ذُقْ إِنكَ أَنْتَ الْعزِيز الْكَـرِيم [1]، ويبدو أن انجاز هذه الجملة (الآية) من مجموع الآيات (الفقرة) من سورة الـدخان، التي تتحدث عن مصير الممترين المكـذبين يـوم الحـساب، ومـصير المـؤمنين المتقين... فظاهر الجملة الإنجازي يدلّ بحسب "سبب نزول الآية وسـياق الآيـات (الفقرة)، التي تتحدث عن الكافرين، والفقرة التي بعدها في حديثها عن المتقين، فهذه الجملة تدلنا على إنجاز معنى غير مباشر، فليس القصد من الجملة الظاهرة الإخبار بأنه (الأثيم) هو العزيز الكريم، إذ لا يستقيم معنى الآية مع سياق الآيات التي قبلهـا والتي بعدها، فالمعنى الإنجازي غير المباشر المقـصود مـن (محتـوى الجملـة القضوي)، إنّما هو السخرية من الأثيم وعزتّه وكرمه اللذين كان يدعيهما وهو بـين قومه، وكان منهم منْ يقر له بهما، فكانوا تبعاً له، وهذا المعنى الدلالي غير المباشر، ينسجم مع الآيات التي جاءت في سورة البقرة ومنها قوله تعالى: إِذْ تَبـرأَ الـذِين اتبِعوا مِن الذِين اتبعوا ورأَوا الْعذَاب وتَقَطعتْ بِهِم الأَسْباب [2]، فالزمان الذي يتبرأ

[1] - سورة الدخان: الآية/ 49.

[2] - سورة البقرة: الآيات (165-167) البقاعي: نظم الدرر، 138/7.

فيه المتَبعون من المتّبعِين، هو: يوم الفصل، وهذا اليوم لم يكفر به إبليس أو ينكره، قال تعالى: قَالَ رب فَأَنْظِرْني إِلَى يوْمِ يبْعثُون ([1]).

تماسكت نصوص هذه السور فيما بينها من جهة، وتعالقت كلّها مع نـصوص سائر السور ذوات الحروف المقطعة، وقد جاء هذا التماسك؛ نحوياً ودلالياً وتداولياً، في مستويي النص؛ الأفقي والعمودي، فمن سور هذا التماسك، تماسكها وتعالقها مع عدد من الآيات من سورة إبراهيم(21)، وغافر(47)، وفي سـورة الجاثيـة قـال تعالى: ثُم جعلْنَاك علَى شَرِيعةٍ مِن الْأَمْرِ فَاتَبِعْها ولَا تَتَبِعْ أَهْواء الَذِين لا يعْلَمون * إِنهمْ لَنْ يغْنُوا عنْك مِن اللهِ شَيْئًا وإِن الظَالِمِين بعْضهمْ أَوْلِياء بعْـضٍ واللـه ولِـي الْمتَقِين ([2])، وقوله تعالى: وبدا لَهمْ سيئَاتُ ما عمِلُوا وحاقَ بِهِمْ مـا كَـانُوا بِـهِ يسْتَهْزِئُون* ويوْم يعْرض الَذِين كَفَروا علَى النارِ أَلَيْس هذَا بِالْحق قَالُوا بلَى وربنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعذَاب بِما كُنْتُمْ تَكْفُرون * فَاصْبِرْ كَما صبر أُولُو الْعـزْمِ مِـن الرسـل ولا تَسْتَعْجِلْ لَهمْ كَأَنهمْ يوْم يروْن ما يوعدون لَمْ يلْبثُوا إِلا ساعةً مِنْ نَهارٍ بلاغٌ فَهلْ يهْلَك إِلا الْقَوْم الْفَاسِقُون ([3])، وقوله تعالى في سورة الشورى: وكَذَلِك أَوْحيْنَا إِلَيْك قُرْآنًا عربِيا لِتُنْذِر أُم الْقُرى ومنْ حوْلَها وتُنْذِر يوْم الْجمْعِ لا ريْب فِيهِ فَرِيقٌ فِـي الْجنـةِ وفَرِيقٌ فِي السعِيرِ ([4]).

الموضوعات الرئيسة والموضوع المحوري المركزي في سور (الحواميم)

يمكن أن نوجز الموضوعات تناولت سور (الحواميم)، بعد دراسـة عناصـر التماسك النصي في نصوصها على النحو الآتي:

1 ـ الغيب: موضوع الغيب من الموضوعات التي تعد بنى نصية كبـرى؛ إذ لـم تفوت سورة من هذه السور الحديث عن محاور تتصل بالغيب، نحو:

2ـ العلم: علم ا :" إنا كنّا نستنسخ " لاية.

3 ـ البعث واليوم الآخر.

[1] - سورة ص: الآية:36.

[2] - سورة الجاثية: الآيتان:18،19.

[3] - سورة الأحقاف: الآيات(33-35) .

[4] - سورة الشورى: الآية:7.

4 ـ الخلق: السماوات والأرض وما بينهما، الإنسان،
5 ـ القرآن الكريم والاحتجاج له والتحدي به.

وقد مضى الاستدلال على هذه الموضوعات، من خـلال عناصـر التماسـك النصي.

لقد أولت مجموعة السور (الحواميم) محور الوحدانيـة الأهميـة الكبـرى فـي نصوصها، وذلك من خلال الحديث عن محاور رئيـسة تؤكـد علـى الموضـوع المحوري المركزي، فمن المحاور التي اهتمت بها هذه السور هو محور (البعـث)، إذ إن وقوع حدث من الأحداث التي تتصل بهذا المحور، فقـد تفـّرد ا سـبحانه وتعالى وحده بقدرته على البعث، فلم يشركه ولن يشركه أحد فيه ، فجاءت إحـدى علامات هذا الحدث عنواناً أو اسماً للسورة، وهي سورة (الدخان)، فسياق نصوص هذه السور كلّها، هو الدعوة إلى الإيمان با وحده لا شريك له، فلم يكن كـل مـن العقاب والثواب واقعين بالفريقين، إلا نتيجة للكفر أو للإيمان با وحده لا شريك له، هو الذي يحيي ويميت ويغفر ويرحم ويعذب، فلما كان إنكار أمر البعث مـن قبـل الكافرين، من نتائج الكفر، كان تأكيد السور على صدق وقوعه، محوراً رئيسياً فـي هذه السور، فأكدت له بالأدلة والبراهين، وبذكر العذاب الذي لحق بالأقوام الـسابقة؛ ليتفكر ويعتبر كل منْ يكفر، ليقر أن البعث حق لا ريب فيه، فسورة غـافر ـ أول سور هذه المجموعة ـ تضمنت الموضوعات الرئيسية التي تؤول إلى الموضـوع المحوري المركزي وهو موضوع (الوحدانية)، وقد جاءت تراكيب في السورة تبين الوحدانية المطلقة سبحانه وتعالى، ومن ذلك قول ا تعالى في سـورة غـافر:

غَافِرِ الذنْبِ وقَابِلِ التوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطوْلِ لا إِلَه إِلا هو إِلَيْهِ الْمصِير (1).

إن محور الوحدانية قد جاء من خلال بعض الجمل التي وقعت في بنيـة آيـة بعينها، وليس طبيعة اللفظ أو اللفظين وحدهما دالّة على هذا المحور ـ على الرغم من كفاية أحدهما في الدلالة على محور الوحدانية في الوقت نفسه ـ بل إن للسياق الذي قيلت فيه جملة ما، وعدد ورودها على نحو خاص من التركيب، قـد عـضدا

1- سورة غافر: الآية: 3، وانظر: الآية/28.

محور الوحدانية الذي ينبىء عنها اللفظ أو اللفظان منفردين أو مركبين، ويبـدو أن جملة (ربي ا) من قوله تعالى: وقَالَ رجلٌ مؤْمِن مِنْ آَل فِرْعوْن يكْـتُم إِيمانَـه أَتَقْتُلُون رجلا أَنْ يقُولَ ربي الله وقَدْ جاءكُمْ بِالْبينَاتِ مِنْ ربكُمْ وإِنْ يك كَاذِبا فَعلَيـهِ كَذِبه وإِنْ يك صادِقًا يصِبْكُمْ بعْض الذِي يعِدكُمْ إِن الله لا يهْدِي مـنْ هـو مـسْرِفٌ كَذاب ([1])، أنّها دلّت على هذا الموضوع المحوري المركزي، سـواء فـي نـص السورة نفسها أم بتعالقه مع الدلالة نفسها، في نـصوص الـسور ذوات الحـروف المقطّعة كلّها، فسياق الآيات سياق إثبات الربوبية وحده، ويعضد دلالتهـا تلـك، تقدم لفظ (ربي) أولاً، ثم إنها لم ترد إلا مرة واحدة في النص القرآني؛ إذ المقام مقام الدعوة إلى عبادة رب واحد، وتتعالق مع هذه الدلالـة المحوريـة، دلالات الجمـل الواردة في قسم كبير من الآيات، التي ضمت في بنيتها جملاً من لفظـة واحـدة أو أكثر، سواء أكانت هذه الجمل فيها لفظة بصيغة الجمع أو الإفراد مثبتة أم منفيـة أم مؤكدة([2])، وقد جعل الرازي دلالة التوحيد، الوجه الأول لجملتي (جـاءكم بالبينـات وربي ا) فقال:"...قوله:" ربى ا " إشارة إلى التوحيـد، وقولـه:" وقَـدْ جـاءكُمْ بالبينات" إشارة إلى الدلائل الدالة على التوحيد"([3]).

وفي ضوء السياق الموضوعي المحوري لنصوص سـور (الحـواميم)، قـال البقاعي:"ولما كان الثبات على التوحيد ومصححاته إلى الممات أمراً في علو رتبته لا يرام إلا بتوفيق ذي الجلال والإكرام، أشار إليه بـأداة التراخـي فقـال: ثـم استقاموا ، طلبوا وأوجدوا القوام بالإيمان بجميع الرسل وجميع الكتب ولم يـشركوا به صنماً ولا ثناً ولا آدمياً ولا ملكاً ولا كوكباً ولا غير بعبادة ولا رياء، وعملوا بما يرضيه وتجنبوا كل ما يسخطه وإن طال الزمان، امتثالاً لما أمر به أول السورة في قوله: إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه ([4])، فمن كان له أصل الاسـتقامة فـي

---

[1] - سورة غافر: الآية/28 .

[2] - انظر: المنهج الإحصائي/ الفصل الأخير من الدراسة .

[3] - الرازي: مفاتيح الغيب: 327/13.

[4] - سورة فصلت: الآية/6.

التوحيد، أمِن من النار بالخلود، ومن كان له كمال الاستقامة في الأصول والفـروع أمن الوعيد "([1]).

وجاء في نصوص هذه السور ما يدلّ على الموضوع المحوري المركزي لفظاً ومعنىً، فمن ذلك آية الوحدانية: استبدلاً لصفته (أحد)، الذي لم يأت ذكره بـ (أحـد أو واحد) إلا خبراً أو صفة لاسم ذكر قبله، فورد على هذين الوصـفين النحـويين والبنيتين الصوتيين أحد، واحد، جاء عند إخوان الصفا:" فالواحد يقال على الوجهين إما بالحقيقة وإما بالمجاز، فالواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له ألبتـة ولا ينقسم، وكلّ ما لا ينقسم فهو واحد من تلك الجهة التي بها لا ينقسم، وإنْ شئت قلـت الواحد ما ليس غيره، بما هو واحد"([2]) .

التناص بين نصوص هذه السور والسور المستهلّة بالحروف المقطّعة

لقد اتضح هذا العنصر بشكل صريح بالموضـوعات الرئيـسة والموضـوع المحوري لنصوص هذه السور، ومثّلت له آيات كثيـرة تحـت عنـوان (عناصـر التماسك النصي) فيها، كما جاءت كلمات وآيات تحمل دلالات لفظية وغير لفظيـة، كانت قواسم مشتركة بين نصوص هذه الـسور وسـائر نـصوص الـسور ذوات الحروف المقطّعة، لذا نوجز هذا العنصر النصي بالنقاط الآتية:

أ- التكرار باللفظ: ومنه تماثل دلالة اسم الفاعل (قابل) مع دلالـة الفعـل بـصيغة المضارع (يقبل)، فكلاهما دال على التجدد.

ب- التكرار بالمعنى: وهو الذِي يقْبلُ التوْبةَ عنْ عِبادِهِ ويعْفُو عن السيئَاتِ ويعْلَم ما تَفْعلُون ([3]).

ج - ومما يتعالق مع دلالة هذه الجمل دلالة الجمل التي وردت ألفاظ (لفظ الجلالـة (ا) إله، إلهكم، البينات، بينات، بينة...الخ)، وقد تنوعت آليات الـنظم فـي وضع هذه الكلمات حيث تقتضيها معاني النحو، كما تنوعت الأساليب؛ إخباراً

---

[1] - البقاعي، نظم الدرر، 547/6.

[2] - رسائل إخوان الصفا وخلاّن الوفاء، مج/1ص:4،ط/1، 1412هـ-1992م، الدار الإسلامية بيروت.

[3] - سورة الشورى: الآية/52.

ونفياً وإثباتاً وحصراً ...الخ، بحسب السياق الملائم الذي يلائمه أسلوب منهـا:
المقالي، المقامي، النفسي، العقائدي، الاجتماعي، الثقافي، نحو:"وإلهكـم إلـه
واحد" :" وما من إله إلا ا " :" ما لكم من إله غيره"، :" إنّما إلهكم ا ".
كلها، وكذا القشيري وقال: العالم محدق بالكعبة ومكة لأنها سرة الأرض"([1]) .

3.4 السور ذوات الحرف الواحد (ص،ق،ن).

السور القرآنية التي استهلت بحرف واحد هي ثلاث سور، وهي بحسب ترتيب المصحف (ص، ق، القلم/ن)، لكنّها في ترتيب النزول بدأت بـالعكس أي؛ (ن، ق، ص)، ولمعرفة مدى تحقق عناصر التماسك النصي في هذه السور، وتسجيل القواسم المشتركة بينها، وإثبات تعالق موضوعاتها، ضمن المستوى الدلالي فيما بينها أولاً، وكذلك تعالقها مع السور الأخرى التي استلت بحروف مقطّعـة ثانيـاً، فـسندرس نصوصها من خلال العنونات الآتية:

1- دلالات الحروف المقطّعة في هذه السور.

إن القول الذي ارتضيناه لدلالة الحروف المقطّعة كلّها، هو أنّها مقتطعـة مـن أسماء ا الحسنى، ولا تتضاد هذه الدلالة المتأولة مع الدلالات الأخرى المتأولة لها، إذ إنّها تؤول جميعها إلى تلك الدلالة، استناداً إلى دلالتي التضمن والإلتزام، فالكلمات كلّها كلمات ا سبحانه وتعالى، كما جاء في أول سورة استهلت بالحروف الثلاثـة (الم) نزولاً وهي سورة (لقمان)، ونصت الآية السابعة والعشرون منها على ذلـك، كما أن موقع السورة وسطاً بين السور القرآنية ذوات الحروف المقطّعـة، لعلامـة على اشتمال (الم) على كلّ الكلمات المتأولة دلالة لجميع الحـروف المقطّعـة، أي بمعنى أنّها شاملة محيطة للكلمات ولمعانيها، كما أن قرينة أخرى تعضد ذلك، وهي أن سورة البقرة أول سورة بحسب ترتيب المصحف، وهي أول سورة نزلت بالمدنية استهلت بالحروف الثلاثة (الم).

---
[1]- البقاعي: نظم الدرر، 548/6.

ويمن أن نضيف إلى القرائن السابقة قرينتين أيضاً، القرينـةالأولى: هـي أن آخر سورتين نزلتا في مكة، قد استهلتها بـ (الم) أيـضاً، وهمـا سـورتا الـروم والعنكبوت، مما يشير إلى ترابط النص القرآني الذي نزل في العهـدين، ويعـضده استهلال أول سورتين في القرآن الكريم نزولاً وترتيباً، بذكر اسم (ا) جلّ جلالـة، وكذلك موقع حرف العطف (الواو) المشعر بالقسم، بعد ثلاثة حروف مقطّعة استهلت بها السور الثلاثة (ص، ق ، ن/ القلم).

ويمكن توضيح دلالات هذه الحروف على النحو الآتي:

أ- دلالتها على أسماء ا الحسنى:

من أسماء ا الحسنى التي يمكن تأولها من هذه الحروف ودلّت عليها آيـات من السورة، ما يلي: فم سورة ص: نجد اسمه تبارك وتعالى: الصادق، الـصبور، ومعناه متسق مع سياق سورة (ص)، ومع ذكر (أيوب) عليه السلام الموصوف بهذه الصفة، ومنها أسماؤه(العليم، القدير، الحق، العدل، القوي، المحيي، المييـت، فمـن الآيات التي دلّت على هذه الأسماء، قوله تعالى: أَفَعِيينَا بِالْخَلْقِ الأول بلْ همْ فِـي لْبسٍ مِنْ خَلْقٍ جدِيدٍ *ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، وقوله تعالى: وكَمْ أَهْلَكْنَا قَبلَهمْ مِنْ قَرْنٍ همْ أَشَد مِنْهمْ بطْشًا فَنَقبوا فِي الْبِلادِ هلْ مِنْ محِـيصٍ ، وقوله تعالى: ولَقَدْ خَلَقْنَا السماواتِ والأَرْض وما بيْنَهما فِي سِتةِ أَيامٍ وما مسنَا مِنْ لُغُوبٍ ، وقوله تعالى: إِنا نَحْن نُحْيِي ونُمِيتُ وإِلَيْنَا الْمصِير * يوْم تَشَققُ الأَرْض عنْهمْ سِراعًا ذَلِك حشْر علَيْنَا يسِير * نَحْن أَعْلَم بِما يقُولُون وما أَنْتَ علَيْهمْ بِجبـارٍ فَذَكرْ بِالْقُرْآن منْ يخَافُ وعِيدِ ([1]) .

وكذلك دلالة حرف النون على أسماء ا الحسنى: المعطي الوهـاب، المـنعم (نعمة)، المانع. وأسماء ا الحسنى: لا يقتصر الحرف في دلالته على واحد منهـا فقط، بل إن آيات كثيرة جاءت تشير إليها وتؤكد على أكثر من اسم منهـا، فخالـقُ السماوات والأرض وما بينهما، وخلق الإنسان، وغيرها من الأفعال التـي المـسندة إلى لفظ الجلالة (ا) أو إلى اسم من أسماءه الحسنى، نحـو: الخـالق، المـصور،

---

[1]- سورة ق/ الآيات على الترتيب: 15،16، 36، 38، 43، 44، 45.

المحيي، المميت، العدل، العزيز، الحكيم ...الخ، تدلّ علـى أسـماء ا الحـسنى وصفاته الذاتية، فأسماءه تبارك وتعالى وصفاته، هي ثابتة له قبل أن نعلمها وغيـر قابلة للتجدد والتحول، فا سبحانه وتعالى عليم قبل أن يكون عليم، وسميع قبـل أن يكون سميع، ورحيم قبل أن يكون رحيم ... فهو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء، وهو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية، وهو عز مـن قائـل: لَيس كَمِثْلِهِ شَيْء وهو السمِيع الْبصِير ([1]) .

ومن الدلالات المعجمية لهذه الحروف، نذكر دلالة حرف (القاف)، إذ تظهـر من خلال تقليب اللفظ له كما ننطقه (قاف)، بعض الكلمات التي ينسجم معناها مـع المعنى الكلّي لنص السورة، فمن هذه الكلمات ما يلي:

اسم الفاعل من قاف، (القائف) متتبع الأثر، ويدخل في حقله الـدلالي الاسـم (الوسواس)، وهو ما توسوس به نفس الإنسان، ويعضد هذا المعنى قولـه تعـالى: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ويدخل معه أيضاً (فعيل)، بلفـظ (قرين: قال قرينه، ويتصل به: ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .

ومما يؤكد على اهتمام هذه السور بالقرآن الكريم بعـده أحـد الموضـوعات المحورية في نصوصها، والاحتجاج له وبنزوله من عند ا عز وجلّ، دلالة الفعـل المتحصل من تقليب عنوان السورة (ق)، وهو (فاق)، ودلالة الاسم (الأفـق) مـن (قاف)، وما يدخل في حقله الدلالي من لفاظ نحو: (السمو والعلو)، إذ يمكن تأويـل هذا الفعل بجملة (فاق الكتاب/ القرآن، فاق كل الكتب، فذكر القرآن/ ن يخاف وعيد، ودين الإسلام فاق ما سواه من الديانات، أفق: الأفق: العلو، السمو، وهـو متـصل بمعنى الفعل (فاق)، ليتعالق مع صفته المذكورة في أول سورة البقرة وفي غيرهـا من السور، وهي المذكورة بجملة (لا ريب فيه)، فصفات هذا الكتاب المتحصلة من هذه الأفعال، ساهمت في تعالق سورة (ق).

---

[1]- سورة الشورى: الاية/11.

ب- الدلالات الأخرى للحروف المقطّعة

أ- أفعال الأمر: جاءت في سورة (ص)، أفعال أمر متعددة منها: اصبر، واصبروا، قال تعالى: اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد في سورة ص (17)، قال الألوسي فيما يرويه للحسن:"...أنه أمر من صادي أي عارض ، وقيل هو أمر من صادى أي حادث([1]).

ويمكن أن نجد في سورة (ق): فعل الأمر (قِ): إذ ورد هذا الفعل الحرف نفسه من أوقي...فذكر بالقرآن ...ألقيا في جهنم، فالقيا، وتعالقت هذه الآية مع قوله تعالى: قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين .

ب- ومن الكلمات التي يمكن تأولها لهذه الحروف، وقد ظهر تعالقها مع دلالاتها الأخرى ما يلي:

الخصام: بين آدم وإبليس، بقطع النظر عن الوسيلة التي نهجها إبليس في إظهار خصومته من آدم عليه السلام، (وفي سورة (ص) ورد معنى الخصام للحرف نفسه عند كثير من المفسرين والدارسين، وبينّت قوله تعالى هذا المعنى المتأول: وهلْ أَتَاك نَبَؤُا الخصم إِذْ تَسوروا المحراب

منّاع: منسجم مع اسمه تعالى (المانع) في (ن: القلم)، ومنسجم مع المعنى المتضاد للاسم (المانع) وهو (الوهاب)، وهو الاسم الذي يقع في الحقل الدلالي للاسم المتأول من حرف (ن)، وهو (المعطي) المتضاد مع الاسم (المانع)، وهذه الأسماء متعالقة مع قصة أصحاب (الجنّة/ البستان)، عندما منعوا المساكين من الزكاة والصدقة، التي كان بهما البستان جنّة قبل أمر الدخول والمنع، قال تعالى: إِنا بلَوْنَاهمْ كما بلَوْنَا أَصْحاب الْجنةِ إِذْ أَقْسموا لَيصْرِمنها مصْبِحِين*ولا يسْتَثْنُون*فَطَافَ علَيْها طَائِفٌ مِنْ ربك وهمْ نَائِمون* فَأَصْبحتْ كَالصرِيمِ*فَتَنَادوْا مصْبِحِين*أَن اغْدوا علَى حرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صارِمِين*فَانْطَلَقُوا وهمْ يتَخَافَتُون * أَنْ لا يدْخُلَنها الْيوْم علَيْكُمْ مِسْكِين ([2]).

---

[1]- الألوسي: روح المعاني:282/17 .

[2]- سور القلم: الآيات (17-24) .

ج- دلالتها على الصراط المستقيم:

إن تكرار هذا المعنى وما يقع في حقله الدلالي من ألفاظ نحو: العدل، السوي، المستقيم، يؤدي إلى تماسك نصوص هذه السور مع بعضها بعضاً من ناحية، وتماسكها مع سائر السور ذوات الحروف المقطّعة الأخرى، وقد جاء هذا المعنى من خلال اللفظ والمعنى، فمن الأول قوله تعالى: فاحكم بيْنَنَا بالحق ولا تُشْطِطْ واهدنآ إلى سوآءِ الصراط ، ومن الثاني لفظة (الوسط) من جملة (قال أوسطهم) أي أفضلهم، ومنه " أمة وسطاً"، ويتصل به أيضاً دلالة السطر المفضية إلى الاستقامة، من خلال جملة (وما يسطرون)، وقد فسرتها كلمة (بنعمة)، وهي إحدى لكلمات المتأولة للقرآن الكريم، والتعالق بين هذه الألفاظ كلّها هو تأويل القرآن الكريم بالصراط المستقيم، ومن ذلك قوله تعالى: فَاسْتَمْسِكْ بِالذِي أُوحِي إِلَيْك إنك على صِراطٍ مسْتَقِيمٍ ،([1])، وقوله تعالى: إن الذِين قَالُوا ربنَا الله ثُم اسْتَقَاموا فَلَا خَوْفٌ علَيهِمْ ولَا هُمْ يحْزنُون ([2]).

د- دلالتها على (العلم)والإحاطة والشمول.

لمكانة العلم الرفيعة التي رمز لها بالقلم ، فهو أداة التعليم :" علّم بالقلم "، جاءت تسمية السورة باسمه، وثنّى ذكره في الآية الأولى من السورة مقسماً به وبما يسطر به، ولم تغب مكانة القلم عن العرب القدماء، بل وسائر أدوات ووسائل العلم والمعرفة، إذ مدح الجاحظ شتى سبل ووسائل المعرفة والبيان فقال: "... فلذلك وضع اللّه عز وجلّ القلم في المكان الرفيع، ونوه بِذِكره في المنْصِب الشريف حين قال " ن والْقَلَمِ وما يسْطُرون " فأقسم بالقَلَم كما أقسم بما يخَط بالقلم؛ إذ كان اللسان لا يتعاطى شأوه، ولا يشُق غباره ولا يجري في حلبته، ولا يتكلف بعْد غايته، لكنْ لما أنْ كانت حاجات الناسِ بالحضْرة أكثر مِنْ حاجاتهم في سائِر الأماكن، وكانت الحاجةُ إلى بيان اللسان حاجةً دائِمة واكدة، وراهِنةً ثابِتة، وكانت الحاجةُ إلى بيان

---

[1] - سورة : الزخرف: الآية/ 43، الأحقاف: الآية/

[2] - سورة: الأحقاف: الآية/13.

القلم أمراً يكون في الغَيبة وعند النائبة، إلا ما خُصت به الدواوين؛ فإن لسان القلم هناك أبسطُ، وأثره أعم، فلذلك قدموا اللسان على القلم "([1]).

ويربط (أرسطاطاليس) بين الدلالة السيميائية للرقم (1) الذي ذكرناها (للألف) من "الم"، وبين الدلالات الالتزامية والسيميائية (للقلم وللمداد وللخط وللمخطوط) بقوله:" القلم العلّة الفاعلة، والمداد العلّة الهيولانية، والخط العلة الصورية، والبلاغة العلّة المتممة "([2]) .

وقال البقاعي:" لما ختم سبحانه الحجرات بإحاطة العلم قال أول هذه:(ق) إشارة إلى أنه هو سبحانه وحده المحيط علماً وقدرة بما له من العلو والشدة والقوة القيومية والقهر ونافذ القضاء والفتح لما أراد من المغلقات ، بما أشارت إليه القاف بصفاتها وأظهرته بمخرجها المحيط بما جمعه مسماها من المخارج الثلاث : الحلق واللسان والشفاه" .

2- عناصر التماسك النصي في هذه السور

العلاقات والعناصر الدلالية

أ- المناسبة بين أسماء السور ومضامينها.

سميت سورة (ص) باسم الحرف الذي استهلت به وهو الصاد ، فشكّل مع الاسم (القرآن) المعطوف عليه، وصفته (ذي الذكر)، شكّل الآية الأولى من السورة.

وتأول الحسن جملة لحرف (الصاد) ذكرها الألوسي بقوله:"...والمعنى عارض القرآن بعملك أي إعمل بأوامره ونواهيه....وقوله أيضاً: والمعنى حادث القرآن، الألوسي: روح المعاني:282/17 .

وسميت سورة (ق) باسم الحرف الذي استهلت به، وشكّل مع لفظ القرآن وصفته المجيد الآية الأولى من السورة، والمستقرئ لكلمات السورة يجد أن أكثر الكلمات التي تضمنتها بنية السورة، كلمات وقع حرف (القاف) أصلاً في بنيتها، ولا أقصد بهذه الكثرة إلى مسألة نسبية في تكرر كلمات فيها حرف القاف أكثر من

---

[1]- الجاحظ : الحيوان ، 16/1 .

[2]- ابن النديم: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق النديم المعروف اسحاق بأبي يعقوب الوراق، كتاب الفهرست، 12، ت/ رضا تجدد، د.ط .

غيرها بالرغم من تحققها فعلاً، بل قصدت إلى أن المعاني التي ينبئ عنهـا حـرف القاف باعتباره مفتاح النص، هي وجود حرف القاف في بنية بعض الكلمات التـي تحمل المعاني المتأولة لحرف القاف، وأجد من المناسب أنْ أحصي تلـك الكلمـات ليتبين لنا مدى التماسك بين اسم السورة ومضمونها لفظاً ومعنىً ، وليتأكد لنا تحقق هذا التماسك بفعل عنصره (التكرار) للحرف نفسه قبل أي تكرار لمنطوق آخر فـي النص.

(ق، القرآن، فقال، قد تنقص،بالحق، فوقهم، وألقينا، باسقات، رزقـا، قـبلهم، قوم2، بالخلق، خلق، ولقد، خلقنا، أقرب، يتلقى، المتلقيان، قعيـد، قـول، رقيـب، بالحق، سائق، لقد، وقال، قرينه، ألقيا، فألقياه، قال، قرينه، قال، وقد، قدمت، القول، نقول، وتقول، للمتقين، بقلب، قبلهم، قرن، فنقبوا، قلب، ألقى، خلقنا، يقولون، قبـل، وقبل، قريب، بالحق، تشقق، يقولون، بالقرآن.

ليس كما ذكرنا سابقاً دلالة معينة للحرف من حيث هو حـرف مبنـى ولـيس حرف معنى، فإمكانية التأويل لهذه الحرف باعتباره حرف مقتطـع مـن كلمـة أو كلمات واردة وبشكل منطقي ومقبول، وهو ما ذهب إليه الطبري، فليس هنا ما يمنع من أنْ يكون حرف القاف مقتطعاً من أي كلمة في السورة، وبقطع النظر عن موقعه من بنيتها، على أن يكون المعنى المتأول منسجم مع المعنى الكلّي للسورة ومنـسجم مع السياق العام لها.

ق/ وا الحق الخالق القدير الرزاق العليم والقرآن المجيد الذي أوحي إليك، أن ما جئت به قومك وأخبرتهم به من رجوعهم أحياءً بعد موتهم هو الحق والـصدق، فلم يتعجبوا من قدرة ا عز وجل الذي خلقهم من العدم وقدرته على إماتتهم، وهـم يعرفون أن ما أخبرتهم به هو الصدق، بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم يقول لهم كذا وكذا بعد الموت، لم يتعجبوا من محمد عيه السلام؛ لأنّهم أقروا له بالصدق والأمانة قبل أن يبعث عليه الصلاة والسلام، فتعجبوا من حقيقة البعث بعـد المـوت، ولـم يتعجبوا من حقيقة ماثلة أما أعينهم، تنسخ كفرهم بالبعث، وهـي خلـق الـسماوات والأرض، وإحياء الأرض بعد موتها.

أما سور (القلم) فقد انفردت هذه السورة عن سورتي (ص و ق)، بأنها لم تـسم باسم الحرف الذي استهلت به أول آية منها كما في السورتين السابقتين، إذْ سـميت باسم الاسم الذي عطف على حرف النون قبله، وهو (القلم) علـى الـرغم مـن أن العطف لاسم القرآن جاء في السورتين السابقتين بعـد حرفـي (ص و ق) ، إلا أن السورتين لم تسميا باسم القرآن، بل جاءت التسمية لهما باسم الحرف الذي اسـتهلت كلّ واحدة منهما به ، وماز الحرفان اسم كلّ سورة ، كما ماز حرفا (طه و يـس) اسم كلّ سورة منهما، ولم يمز الحرفان (حم) الذي تكرر في مستهل الـسور التـي سميت بالحواميم ، وذلك بخلاف كلّ السور ذوات الحروف المقطعة التي اسـتهلت بالحروف المقطّعة الأخرى، إذ جاءت أسماء السور بأسماء عاقلة وغير عاقلة، ومن خلال استقراء تلك السور جميعها، كان القاسم المشترك فيها، هو ذكر القرآن الكريم في الآية الأولى أو في الثانية، وإن خلا من اثنتين منها، فإنّه ذكر فـي أكثـر مـن موضع منهما ، لكن ذكر القرآن أو الكتاب في سورة القلم، لم يرد مصرحاً به فـي الآية الثانية من هذه السورة ، ويظهر أن الذكر له جاء بلفظ أنبأ عنه بالمعنى، وهو لفظ عرف بالإضافة إلى لفظ الجلالة (رب)، مضافاً إليه ضمير الكاف (ربك) ليحيل إحالة خارجية إلى - الذي أنزل عليه القرآن الكريم - محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا اللفظ الدال على القرآن هو لفظ (نعمة)، وقد ورد مسبوقاً بحرف الجر (البـاء) في قول ا تعالى: ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وورد لفظ الجلالة مضافاً إليـه الضمير نفسه في السورة التي سبقت سورة القلم نزولاً وهي سورة العلق، قـال ا تعالى: اقرأ باسم ربك الذي خلق ، وهذه النعمة هي إكرام من ا عز وجل لنبيـه عليه السلام وللأمة التي بعث فيها، وهذه النعمة هي من المنعم الأكرم تفضل علينـا بها، فكان اسم التفضيل الذي جاء نعتاً للفظه الجليل سبحانه (ربك)، متطابقـاً مـع تفضله بالإنعام علينا، قال ا تعالى:" اقرأ وربك الأكرم"، ويظهر لنا من خلال هذا الربط بين السورتين المتتاليتين نزولاً، مدى التعالق والترابط لفظاً ومعنىً بينهمـا، فسياق السورتين في أول ثلاث آيات فيهما واحد، هو الحديث عن القـراءة والقلـم والنعمة والإكرام ، ويتبين - كما يظهر لي - أن ارتباطاً وتعالقاً بين تسمية سـورة القلم بهذا الاسم والآيات التي وردت في أوائل سورة العلق، وهذه العلاقة مرجعهـا،

تعالق وترابط الألفاظ الواردة بين أوائل السورتين، إذ نجد فعل الأمـر للمخاطـب بالقراءة المكرر مرتين، ولا سيما أنه ورد في أول سورة، وارتبط ضمير الخطـاب بعلاقة الإضافة بلفظ الجلالة (ربك) فوقع مضافاً إليه، وكرر في أول الآيـة الثالثـة وتبعه اسم الجلالة وضمير الخطاب أيضاً واسم التفضيل، ومن مستلزمات القـراءة القلم، ومن علامات تعلمها وتعلم الكتابة التهجي وقراءة المكتوب وكتابة الخط، وهذه المستلزمات نجدها في أوائل سورة القلم، فحرف (النون) يشير إلى حرف تهجٍ، فهو علامة على بدء تعلّم القراءة والقلم من مستلزمات القراءة والكتابة معاً، مـن نتـائج التعلم للقراءة والكتابة هي كتابة الخط، ويشير إليه الفعل (يسطرون)، وهـذا العلـم (القراءة) هو نعمة من ا ، وجاءت الآية الثالثة من سورة القلم لتؤكـد علـى هـذه النعمة، التي أنعم ا بها على نبيه عليه السلام، وهذه النعمة هي قراءة القرآن مـن النبي عليه السلام ولم يكن يعرف القراءة ولا الكتابة، وعدم معرفته لهما مقر له بها الكافرون، وكلّ من يعرفه في بيئته وخارجها، وقد حسد عليها بـدليل الآيـة قبـل الأخيرة من السورة، وهذه النعمة هي القرآن الكريم، وقد تأولّ بعـض المفـسرين واللغويين، أن الصراط المستقيم هو القرآن الكريم، قال النحاس:" حدثنا محمـد بـن جعفر الأنباري ...عن علي قال: سمعت رسول ا صلى ا عليه وسـلم يقـول: الصراط المستقيم كتاب ا ، وروى مسعر عن منصور عن أبي وائل عن عبـد ا في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال كتاب ا وروى عبد ا بن محمـد بـن عقيل عن جابر قال هو الإسلام، والصراط في اللغة الطريق الواضـح وكتـاب ا بمنزلة الطريق الواضح وكذلك الإسلام"([1]) .

وقد وردت لفظة النعمة مفسرة بنص السورة نفسها في آخر آيتين منها، وجاء اسم القرآن فيهما بأحد أسمائه المتعددة التي وردت في النص القرآني نفسه، وهـذا الاسم هو الذكر ، قال ا تعالى: وإنْ يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبـصارهم لمـا سمعوا الذكر ويقولون إنّه لمجنون*وما هو إلا ذكر للعالمين ([2])، وبـذكر أسـماء

[1] - النحاس : معاني القرآن: 1 / 67 .

[2] - سورة القلم : الآيتان/51،52.

القرآن في نهاية السورة، هو تكرار في المعنى لأول آيات السورة وهو قوله تعالى:" ن والقلم وما يسطرون*ما أنت بنعمة ربك بمجنون، فأدى عنصر التكرار المشترك في المستويين النحوي والدلالي، إلى ربط آخر السورة بأولها، مما يعد إسهاماً فـي شد أزر نص السورة وترابطها في تتابعها الخطي الأفقي على المستوى التركيبـي، وتحقيق التماسك النصي لها في تتابعها الرأسي على المستوى الدلالي، ولقد أفـردت عنوانات لأسماء القرآن الكريم في كتب كثير من العلماء الذين ألفـوا فـي علـوم القرآن، فأوصلوا أسماءه إلى أكثر من مائة اسم([1]).

وتبدو المناسبة منسجمة بين عنوان سورة القلم ومضمونها، ويمثل هذا الانسجام العلاقة التي بين الاسم (القلم) والحرف (ن)، على الرغم من عدم تسمية السورة به، فبين النون والقلم علاقة ورابط، إذ لم تسم السورة باسم (نون) ، قياساً على اسـمي السورتين (ص و ق)، والتعالق بين حرف النون والقلم، متحقق من دلالة الحـرف (ن) الأيقونية المرسومة على شكل دواة للحبر، وقد قال كثير من المفسرين واللغوين بأن النون هي (الدواة)، فلربما قد تأتّى لهم هذا المعنى من الصورة التـي يحكيهـا حرف (ن) لغة، وربما تحكي النقطة التي في صحن الدواة صورة أخرى تؤكد على هذا التعالق والانسجام بين الحرف وعنوان السورة القلم، ولعلّ ما يعضد هذا التعالق من باب نحوي وظيفي ينسجم مع تعالق النون والقلم، وهي الوظيفة المشتركة بـين الدواة والقلم، إذ لا يسطر بالقلم دون أن يكون فيه مداد، ولا يسطر بالدواة دون توفر ناقل لمدادها وهو القلم، والمسطور بهما هو نعمة من ا لخلقه أجمعين، :" صـراط الذين أنعمت عليهم"، :" أنعم عليهم"، وقد مدح سبحانه وتعالى العلماء في أكثر مـن موضع من كتابه العزيز، وأشرك أولو العلم منهم في أداء شهادة التوحيد، كما جـاء في الآية الثامنة عشر من سورة آل عمران.

إن المعنى الذي يمكن تأولّه لحرف النون وترتبط وتتعالق معها معاني أغلـب الألفاظ التي تضمنتها بنية السورة، وكما يدلّ عليه السياق العام السورة أيضاً، هـو اسم ا جل جلالة الذي بمعنى المنعم نحو: الأكرم والكريم والوهـاب والمعطـي،

[1]- انظر : الزركشي: البرهان: 273/1.

وبناءً على هذا التأويل فلا بد من تأويل جملة (نواة)، تعطي معنىً يرتبط ويتعـالق ويتماسك مع ما بعد حرف النون الذي استهلت به السورة، وهي (وا الأكرم الذي أنعم عليك يا محمد صلى ا عليه وسلّم بنعمة القراءة لما يتنزل عليك به جبريل مما يكتبه الملائكة من علمنا، لهو نعمة من ا ما أنت بها بمجنون كما يقـول الكفـار الذين يريدون مداهنتك لتكفر بما يوحى إليك فستعلم أنهم هم المفتونون بها .

ب- الإحالة:

وتشمل إحالة الضمائر وإحالة أسماء الإشارة، سواء أكانت الإحالة داخليـة أو خارجية، قبلية أو بعدية، ويمكن الوقوف على بعض النماذج من سورة القلـم التـي تحقق فيها وجود هذا العنصر الهام من عناصر التماسك النصي:

إحالات الضمائر:

ما يحيل إلى الكافرين:

ضمير الجمع (هم): وجاء هذا الضمير في عدة كلمات في هذه السور (ص،ق، ن)، وهي ضمائر تحيل إحالة نصية خارجية ذاتية متطابقة إلى الذين كفروا، الـذين أنبأ عنهم وصفهم بـ(الكافرين) الوارد في مواضع متعددة في هذه الـسورة، وقـد أحال الضمير (هم) إليهم إحالتين قبلية وبعدية، يكمن توضيحهما على النحو الآتي:

أحال ضمير الجمع (هم) في الكلمات (قبلهم، جاءهم، منهم)، في قوله تعـالى: كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا ولَاتَ حِين منَاصٍ وعجِبوا أَنْ جـاءهمْ منْـذِر مِنْهمْ وقَالَ الْكَافِرون هذَا ساحِر كَذاب [1]، إحالة خارجية قبلية ذاتية متطابقة، إلـى من كفر، المفهوم من الاسم الموصول وصلته في الآية الثانية من سورة (ص)، قال تعالى: ص والْقُرآن ذِي الذكْر* بل الَذِين كَفَروا فِي عِزةٍ وشِقَاقٍ [2]، كما تعـالق مع الضمير (هم) في سورة (ق) في الكلمات (جاءهم، منهم، فوقهم)، في قوله تعالى بلْ كَذبوا بِالْحق لَما جاءهمْ فَهمْ فِي أَمْرٍ مرِيجٍ * أَفَلَمْ ينْظُروا إِلَى الـسماءِ فَـوْقَهمْ كَيْفَ بنَيْنَاها وزيناها وما لَها مِنْ فُروجٍ [3]، مع الضمير (هم) نفـسه فـي سـورة

[1] - سورة ص: الآيتان:3،4.

[2] - سورة ص: الآيتان:1،2..

[3] - سورة ق: الآيتان:5،6.

(ص) من حيث إحالته إلى من كفر أيضاً، ويمكن أن نعد الإحالة التي أحـال إليهـا الضمير (هم) في في الكلمات (قبلهم، جاءهم، منهم)، من سورة (ص)، نعدها إحالة بعدية إلى الاسم (الكافرون)، وكذلك الحال للضمير نفسه في الكلمات (جاءهم، منهم) من سورة (ق).

الواو: أحال ضمير الرفع (الواو) في الكلمات (كفروا، فنـادوا، وعجبـوا)، التـي جاءت في سورة (ص) ، إحالة بعدية إلى الاسم (الكافرين)، وكذلك الحال في إحالة ضمير الرفع (الواو) في سورة (ق) في قوله تعالى: " بَلْ عَجِبوا أَنْ جاءهُمْ منْـذِر مِنْهمْ فَقَالَ الْكَافِرون هذَا شَيْء عجِيب ([1])، إذ تعالق الضميران في الـسورتين فـي إحالتهما إلى المسند إليه نفسه (الكافرين)، ه إحالة بعدية ذاتية متطابقة.

وكذلك الحال في تعالق ضمير الرفع (الوو) في الكلمات (ويبْصِرون، فيدهنون، ودوا) من سورة القلم، في قوله تعالى: فَستُبْصِر ويبْصِرون * بِأَييكُم الْمفْتُـون * إِن ربك هو أَعْلَم بِمنْ ضل عنْ سبِيلِهِ وهو أَعْلَم بِالْمهْتَدِين * فَلَا تُطِـعِ الْمكَـذِبِين * ودوا لَوْ تُدْهِن فَيدْهِنُون ([2])، إذ تعالق هذا الضمير مع الـضميرين (الـواو) فـي سورتي (ص وق).

إحالة أسماء الإشارة:

هذا: إحالة بعدية في سورة (ق) إلى الاسم الوعد المفهوم من سياق الآيات قبل وبعد هذه الآية، وهو دخول الجنة، من قوله تعالى:" هذا ما توعدون"، الذي فـسره قوله تعالى بعده :" ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود".

1- الضمائر: وتشمل الإحالة الخارجية: ويمثّله ضمير الرفع المسند إليـه (الـواو): وهو أول ضمير يطالعنا من الضمائر التي تحيل إحالة خارجية إلى مرجـع غيـر مذكور في النص، وأسند إلى هذا الـضمير فعـلٌ بـصيغة المـضارع المـستمر (يسطرون)، وفي هذه العلامة من الفعل ببنيته ودلالته، وفاعله الذي يحيل إلى مرجع

[1]- سورة ق: الآية:2.

[2]- سورة القلم: الآيات (5-9).

أو إلى شخص أو أكثر في العالم الخارجي، يتأكد للمتلقي أن موضوعاً سيتحدث عنه المتكلّم .

إن إحالة ضمير الجمع (الواو) المسند إليه الفعل يسطرون، يدلّ بقرينة وسيلة الكتابة (القلم)، وبقرينة الشيء الذي يسْطر، دون تحديد للزمن الذي بدأ بتسطيره أو تحديد الزمن الذي سينتهي به، بقرينتي تغييب الفاعل والإحالة إليه بضمير يدلّ على أنه خارج النص، وقرينة التعميم للمفعول به وهو الحرف المصدري (ما) على الإطلاق، وكأن الحامل والمحمول (المسند والمسند إليه) والمكمل لهما (الذيل) الذي قدم عليهما، هي في الحقيقة مسألة مسندة للمتكلّم وواقعة تحت سلطته، فهو الآمر لمن يسطرون بالقلم ومتى، وما يسطرون به ولماذا، فهو الأكرم الذي علّم بالقلم، وهو الذي أمر منْ يسطر بالقلم، أن يسطر نعمةً للعالمين، حسد عليها المرسل بها والمكلّف بتبليغها وبثها، من أناس أصيبوا هم بالجنون، لما سمعوا هذه النعمة وهي تلقى ذكراً للعالمين .

أنت: ورد هذا الضمير في مواضع كثيرة من السورة، وأكثر ما ورد مقدراً غير ملفوظ به، وورد مصرحاً به مرة واحدة في الآية الثانية: ما أنت بنعمة ربك بمجنون ، وهو يحيل إحالة خارجية(مقامية) إلى الرسول صلى ا عليه وسلّم، إذْ لم يصرح بلفظه داخل النص، وإنما يفيد سياق السورة أو مقامها الإحالة إليه، ويفيد هذا النوع من الإحالة في ربط النص بالمقام الذي قيل فيه، وهذا الربط تحقق بفضل المستوى التداولي، الذي مثّله المقام ومعرفة العوالم المشتركة، التي يعلمها المتكلّم ويعرفها المتلقي ونقلها النص، وهذه المعرفة التي نقلت إلى المتلقي لا سبيل له لئن يتجاهلها، فهو مؤمن بحقيقة معرفتها من خلال المقام المقالي والمكاني والزمني المشترك للمتكلّم وللمتلقي، وهذا المقام تحقق في الضمير والصفة المنفية عنه، وهي الصفة التي ادعاها المتلقي الثاني (المنكر)على المتلقي الأول (الباث الأول) (أنت)، لذلك اتّجه النص إلى تسلية وتثبيت المتلقي الأول بالتصريح بالصفة التي وصفه به المتلقي الثاني (الكافرون) المتلقي الأول للنص، وذلك عن طريق مخاطبته مباشرة تعالياً من النص القرآني على المسافة والزمن، فكان الخطاب بـ (أنت)، وفي نفي الصفة عنه، وتكرارها مقولة للمتلقي المنكر في آخر السورة ، تأكيداً علي أنها نتيجة

عجزهم أمام ما يلقيه المتلقي الأول (المرسل الأول) الذي فاقهم علماً وهو أمي لم يعرف القراءة والكتابة، وهذه الأمية مقر بها المتلقي المنكر، فكان قولهم له بالجنون إفرازاً لما وقع في نفوسهم من الذي سمعوه من المتكّلم، وهذه الصفة هي الصفة الوحيدة التي كان يملكها المتلقي المنكر، للتنفيس عن نفسه وما يعتريها من حسد وتكبر وأنفة، (سنسمه على الخرطوم) وخوف على معتقده الذي تربى عليه، وحرصاً منه على مكانته الاجتماعية وتبعية منْ يتبعونه، لئلا يتبعوا ديناً جديداً بكل تعاليمه، لذلك لم يصفوه بصفة (الكذب) مثلاً،إذْ لا تسعفهم هذه الصفة التي أقر بعكسها المتلقي المنكر نفسه وغيره من المتلقين الذي عرفوه بالصادق الأمين، وإنما كان الوصف لهم بهذه الصفة، إذ أرادوا منه عليه الصلاة والسلام أن يطيعهم ، قال ا تعالى: " فلا تطع المكذبين "، وذكر الزمخشري في تفسيرها ما نصه :" تهيج وإلهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد أرادوه على أنْ يعبد ا مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم" وفي مقابل هذا كان الاتجاه في الخطاب القرآني اتّجاه يهدف إلى تثبيت نفس المتلقي وتصديقه ، وتصديق لما يوحى إليه من جهة، وإظهاراً للقلق والاضطراب لذي يختلج نفس المتلقي المنكر من جهة أخرى .

أما الضمير (أنت)، الذي لم يرد مصرحاً به، فقد جاء مستتراً في مواضع متعددة من السورة، وهو يحيل إلى ما أحال إليه الضمير في الآية الأولى، ومن أمثلته (فَستُبْصِر، تدهن، ولا تطع، سلهم أيهم، فاصبر، ولا تكن...)، وكلّها تحيل إحالة خارجية متطابقة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.

ضمير الخطاب (الكاف): وقد تكرر في مواضع متعددة من السورة، وهو يحيل إلى ما يحيل الضمير أنت الملفوظ به المحذوف، إذ تحيل الضمائر الثلاثة إلى محال إليه واحد، إحالة خارجية مقامية ، ويمكن ذكر هذه الإحالات على النحو الآتي(ربك، لك لأجراً، ليزلقونك)، وهو يحيل إحالة خارجية متطابقة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام أيضاً.

ضمير الغائب (هو) المحيل إحالة خارج النص(مقامية)، إلى يونس عليه السلام، وقد ورد تسع مرات مذكوراً ومستتراً في ثلاث آيات متتاليات:(إذْ نادى، وهو مكظوم، تداركه، ربه، لنبذ بالعراء، وهو مذموم، فاجتباه ربه فجعله من

الصالحين([1])، فمقام الضمير الذي يحيل إلى سيدنا يونس عليه السلام، المفهوم مـن خلال عنصر الاستبدال الذي مثّلته جملة (كصاحب الحوت)، تذكيراً للنبـي عليـه الصلاة والسلام بأن لا ييأس من صد قومه عنه في زمنه الحاضر وزمنه المستقبل، وهذا تلميح من النص القرآني، بأن من قومه عليه الصلاة والـسلام لـن يـستجيب لدعوته، فعليه الاستمرار بها والدعوة لهم وإنذارهم، والإشارة إلى صاحب الحـوت لفت إلى أن سيدنا يونس قد تسرب إلى نفسه اليأس من استجابة قومه له، فتركهم ولم يصبر على حكم رب العالمين بهم.

الاستبدال:

الاستبدال الاسمي: ومنه استبدال الاسم الذات (رسول) باسـم الفاعـل مفْعِـل (منذِر)، قال ابن عاشور:"وعبر عن الرسول صلى ا عليه وسلم بوصف المنذر : ووصف بأنّه منهم؛ للإشارة إلى سوء نظرهم من عجبهم لأن شأن النذير أن يكـون من القوم ممن ينصح لهم، فكونه منهم أولى من أن يكون من غيرهم"([2]).

استبدال فعيل بـ فُعال: ومنه استبدال(عجيب) بـ (عجاب)، ابن عاشور:"و { عجاب }: وصف الشيء الذي يتعجب منه كثيراً؛ لأن وزن فُعال بضم أوله يدل على تمكن الوصف مثل: طُوال، بمعنى المفرط في الطول، وكُرام بمعنى الكثير الكـرم، فهو أبلغ من كريم"([3]).

الجمل الاستئنافية: ومن الجمل الاستئنافية ما جاء في قوله تعالى مـن سـورة (ص) :" أجعل الآلهةَ إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب "، قال ابن عاشور:" استئناف ابتدائي للاستدلال على تفرد ا تعالى بالإلهية. وإنما أوقع هنا لأن أقوى شيء بعثَ المشركين على ادعاء أن ما جاء به النبي سحر هو أنه أبطل الشركاء في الإلهية ونفاها عن آلهتهم التي أشركوا بها، فلا جرم أن أعقب إنكار إحالتهم ذلـك بإقامـة

---

[1] - انظر: سورة القلم: الآيات:48 ، 49،50 .

[2] - ابن عاشور: التحرير والتنوير: 191/12.

[3] - المرجع نفسه: 193/12،

الدليل على ثبوته"([1])، قال تعالى: كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا ولاتَ حِـين مَنَاصٍ .

الجمل التفسيرية: جملة: (أجعلَ الآلهة إلهاً واحداً)، بيان لجملة (هـذا سـاحِر كذاب) ، أي حيث عدوه مباهتاً لهم بقلب الحقائق والأخبار بخلاف الواقع"([2]).

ومن الآيات المفسرة: قوله تعالى: ما أنت بنعمة ربك بمجنون ،فسياق الآية يفضي إليه القلم والتسطير، هو معرفته القراءة والكتابة، وهي نعمة وكرم مـن ا عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام ، ويعضد هذا ما جاء في الآيـة الثالثـة مـن السورة التي نزلت قبل هذه السورة، وهي قوله تعالى: اقرأ وربك الأكرم الـذي علّم بالقلم ، وفي هذا السياق يذكر السيوطي لقوله تعالى:" علّم بالقلم" أنه:" تفـسير للأكرم المذكر قبله، فدلَ بهذا على أن نعمة التعليم أكبر نعمة، وخص من التعليمات الكتابة بالقلم، لما فيها من تخليد العلوم، ومصالح الدنيا والدين، وقرأ ابن الزبير علّم الخط بالقلم"([3]).

التعليل: ومنه ما جاء في جملة (إن هذا لشيء يراد)، قال ابن عاشور:" تعليل للأمر بالصبر على آلهتهم لقصد تقوية شكّهم في صحة دعوة النبي صلى ا عليه وسـلم بأنها شيء أراده لغرض أي ليس صادقاً ولكنه مصنوع مراد منه مقصد كما يقـال: هذا أمر دبر بليل، فالإشارة بـ (هذا) إلى ما كانوا يسمعونه في المجلس من دعـوة النبي صلى ا عليه وسلم إياهم أن يقولوا: لا إله إلا ا "([4]) .

التعريف والتنكير: ومنه تنكير لفظة الاسم (كتاب)، في قوله تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاه إِلَيْك مبارك لِيدبروا آياتِهِ وليتَذَكر أُولُو الأَلْبابِ ([5])، لكنّه عرف بعلاقة الإسناد بـين المسند إليه وهو الضمير من (نزلناه)، الدال على المنزل له، و(التكملة) وهو ضمير الغائب الذي يحيل إحالة قبلية إلى الاسم كتاب، المتقدم نكرة في موقع البؤرة، قـال

---

[1] - ابن عاشور: التحريروالتنوير، 191/12،

[2] - المرجع نفسه، 191/12،

[3] - السيوطي: معترك الأقران:657/2.

[4] - ابن عاشور: التحريروالتنوير، 192/12.

[5] - سورة: ص، الآية/29.

ابن عاشور في تنكيره:"وتنكير كِتاب للتعظيم؛ لأن الكتاب معلوم فما كان تنكيره إلا لتعظيم شأنه، وهو مبتدأ سوغ الابتداء به وصفه بجملة (أنزلناه) و(مبـارك) هـو الخبر، ولك أن تجعل ما في التنكير من معنى التعظيم مسوغاً للابتداء وتجعل جملة (أنزلناه) خبراً أول و(مبارك) خبراً ثانياً و(ليدبروا) متعلق بـ (أنزلناه)، ولكـن لا يجعل (كِتاب) خبر مبتدأ محذوف وتقدره: هذا كتاب، إذ ليس هذا بمحز كبيـر مـن البلاغة"([1]).

الاقتضاء: ويتصل بموضوع الإحالة في إطار المـستوى التـداولي مـا يعـرف بالاقتضاء، فإحالة العبارات؛ ضمائر وموضوعات ومحمولات ومكملات، كلّها تشير إلى اقتضاء وجود مرجع تحال إليه تلك العبارات، وهذه العبارات لا بد لها مـن أن تحتوي على مجموعة من المعلومات الإخبارية، سواء أكانت معلومات معروفة بين طرفي العملية التواصلية أو معلومات جديدة للمتلقي، وهي التي يتحدث عنها المتكلّم من خلال الرسالة التي سيتلقاها السامع أو القارئ، ويستطيع المتلقي بحكم مراعاتـه للموقف الاتصالي؛ مقالياً أو مقامياً، من معرفة غرض الرسالة والوقوف على قصد المتكلّم أو مغرى كلامه.

المصاحبات المعجمية: وهي تخص الجانب الدلالي من حيث تعدد المعـاني، ومـن ذلك كلمة (حرد) من قوله تعالى: وغَدَوْا علَى حـرْدٍ قَـادِرِين ([2])، قـال أبـو عبيدة:"ومن مجاز ما جاءت له معانٍ غير واحد، مختلفة فتأولتـه الأئمـة بلغاتهـا فجاءت معانيه على وجهين أو أكثر من ذلك، ففسروه على ثلاثة أوجه؛ قال بعضهم: على قَصْدٍ، وقال بعضهم: على منْع، وقال آخرون: على غضبٍ وحِقْد"([3]).

علاقة الجزء والكل: ونمثّل الهذه العلاقة من خلال أوائل سورتي (العلق) وسـورة (القلم)، ليتبين مدى تعالق وتماسك السورتان معاً، إذْ هي بسب ما هو المسبب لهـا، وذلك بحكم دلالات التضمن والالتزام وعلاقة الجزء والكـل والـسبب والمـسبب

[1] - ابن عاشور: التحرير والتنوير/ 221/12.

[2] - سورة القلم: الآية/ 25.

[3] - التيمي: أبو عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن:265/2، علّق عليه محمد فؤاد سـزكين، مكتبة الخانجي- القاهرة .

والنتيجة، فالنعمة هي من اسم الفاعل (المنعِم)، ويدخل في حقله الدلالي اسم الفاعل (الأكرم، الكريم، المغني)، وضد هذين الاسمين اسم الفاعل(المانع)، فالمنعم والمانع من ثلاثة أحرف شكلّت بنيوياً لفظة (نعمة) الواردة في الآية الثانية، وهذه النعمة هي التي تجلّت في الفعل (أنعمت)، ووضع في فاتحة الكتاب، فمن خلال هذا التكرار لهذا للفعل ومشتقاته، في السور القرآنية بحسب ترتيب النزول كما في سورتي (العلق والقلم) وترتيب التلاوة كما في سورة (الفاتحة) وغيرها من السور التي جاء بها هذا اللفظ أو مشتق من مشتقاته أو ما هو في حقله الدلالي ، لدليل على التماسك بين آيات القرآن وسوره، بقطع النظر عن ترتيب النزول وترتيب التلاوة، من جهة وعلامة على أن الهداية للصراط المستقيم، هي في هذا القرآن الذي أنعم ا علينا به، ففيه العلم والهداية والرحمة والشفاء، هذا العلم الذي أكرمنا ا به، ونص عليه بقرائن تنتمي إلى حقله المعرفي والدلالي:ن والقلم وما يسطرون، علّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، فمنْ هدي ويطلب أنْ يهتدي إلى الصراط المستقيم، كان بسبب العلم، وسبب هذا العلم هو هذا القرآن الكريم، فمن هدي إليه دخل حقّاً مع الذين أنعم ا عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً، ولا أدل على أن هذه النعمة هي العلم الذي تضمنه هذا القرآن، ما جاء من آيات تذكر الرسول صلى ا عليه وسلّم بهذا العلم، نحو:" من بعد ما جاءك من العلم"، وقد كثر تكرارها في سورة البقرة وغيرها من السور ذوات الحروف المقطّعة، وهذا العلم الذي يفهم من ذكره معرفاً، وما دلّ عليه من ألفاظ في سائر سور القرآن الكريم، والتذكير بعدم العمل بضد ما أوجب هذا العلم، أو اتخاذ هذا العلم بغياً بين المتلقين، قد تضمنه عنوان أول سورة بعد الفاتحة في ترتيب التلاوة، وأول سورة نزلت في المدينة بحسب ترتيب النزول، وهذا العنوان هو البقرة، إذْ وقفنا في موضع متقدم من هذه الدراسة على دلالة الفعل (بقر) وهي التوسع في العلم، وجاء الذكر لهذا العلم في نص سورة البقرة بشكل متكرر لفظاً ومعنىً .

المناسبة بين الضمائر المضافة والمخاطب

وحدة الإضافة: الاسم والضمير: ربك، ربه، ربنا، ما أنت بنعمة ربك، ربهم، آياتنا، فالضمائر المضافة إلى لفظ الجلالة (رب) بكثرة في سورة القلم، تبدو دلالتها تقرير

وحدانية الربوبية وحده عز وجلّ، رباً واحداً، فالخطاب له عليه السلام بالمقام الأول، وهو يتناسب وبدء الوحي، بقصد تثبيته، بذكر صفاته، جزاؤه، إخباره بالقصص الهادفة وبما قاله الكافرون، الأحداث التي رافقت القصص من عذاب: نحو طائف من ربك ، صاحب الحوت: نعمة من ربه.

العلاقات والعناصر النحوية

الحذف: حذف المبتدأ: قال تعالى: كِتَاب أَنْزَلْنَاه إِلَيْك مبارك لِيدبروا آياتِهِ ولِيتَذَكر أُولُو الْأَلْبابِ ([1]).قال ابن عاشور:" فقوله: (كِتاب) يجوز أن يكون خبر مبتدأ محذوف، والتقدير: هذا كتاب ، وجملة(أنزلناه) صفة (كِتاب)"([2]).

حذف المبتدأ أو الخبر: قال الألوسي:" { قَالَ } أي ا عز وجل { فالحق والحق أَقُولُ } برفع الأول على أنه مبتدأ محذوف الخبر أو خبر محذوف المبتدأ ونصب الثاني على أنه مفعول لما بعده قدم عليه للقصر أي لا أقول إلا الحق ، والفاء لترتيب مضمون ما بعدها على ما قبلها أي فالحق قسمي"([3]) الألوسي، روح المعاني، 405/17.

حذف المصدر (المفعول المطلق):

قال تعالى: قَالُوا ربنَا أَمتنَا اثْنَتَيْن وأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْن فَاعْتَرفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهلْ إِلَى خُروجٍ مِنْ سبِيلٍ ([4]) .

قال ابن عاشور:"وانتصب (اثنتين) في الموضعين على الصفة لمفعول مطلق محذوف والتقدير : موتتين اثنتين وإحياءتّين اثنتين فيجيء في تقدير موتتين تغليب الاسم الحقيقي على الاسم المجازي عند من يقيد معنى الموت"([5]).

حذف الظرف: قال ا تعالى: وأُزْلِفَتِ الْجنةُ لِلْمتقِين غَيْر بعِيدٍ ([6]) .

1- سورة ص الآية (29)،

2- ابن عاشور، التحرير والتنوير:221/12.

3- المرجع نفسه 221/12.

4- سورة ص الآية(11).

5- ابن عاشور: التحرير والتنوير:406/12 .

6- سورة ق: الآية : 31.

قال ابن عاشور :"وانتصب (غير بعيد) على الظرفية باعتبار أنه وصـف لظـرف مكان محذوف . والتقدير : مكاناً غير بعيد ، أي عن المتقين" ([1]).

الجمل المعترضة: قوله تعالى: "هذا ما توعدون" معترضة ، فلك أن تجعلها وحـدها معترضة وما بعدها متصلاً بما قبلها فتكون معترضة بين البدل والمبدل منه وهما " للمتقين" و "لكل أواب" وتجعل "لكل أواب" بدلاً من { للمتقين } وتكرير الحرف الذي جر به المبدل منه لقصد التأكيد"([2]) .

العطف: ومنه قوله تعالى: واذكر عبدنا داوود ، قال ابن عاشور:"... يجـوز أن يكون عطفاً على قوله: اصبر على ما يقولون ، بأن أُتبع أمره بالصبر وبالائتـساء ببعض الأنبياء السابقين فيما لقُوه من الناس ثم كانت لهم عاقبـة النـصر وكـشف الكرب . ويجوز أن يكون عطفاً على مجموع ما تقدم عطْفَ القصة علـى القـصة والغرض هو هو . وابتدىء بذكر داود لأن ا أعطاه ملْكاً وسلطاناً لم يكن لآبائـه ففي ذكره إيماء إلى أن شأن محمد صلى ا عليـه وسـلم سيـصير إلـى العـزة والسلطان، ولم يكن له سلف ولا جند فقد كان حال النبي صلى ا عليه وسلم أشـبه بحال داود عليه السلام"([3]).

العطف: ومنه عطف جملة على جملة: ومنه قوله تعالى: وهلْ أَتَاك نَبؤُا الخصم إِذْ تَسوروا المحراب * إِذْ دخَلُوا على داوود فَفَزِع مِنْهمْ قَالُوا لاَ تَخَفْ خَـصْمان بغـى بعْضنَا على بعْضٍ فاحكم بيْنَنَا بالحق ولاَ تُشْطِطْ واهدنآ إلى سوآءِ الصراط * إِن هذَآ أَخِى له تِسْع وتِسْعون نَعْجةً ولِى نَعْجةٌ واحدة فَقَالَ أَكْفِلْنِيها وعزنِى فِى الخطـاب * قَالَ لَقَدْ ظَلَمك بِسؤَال نَعْجتِك إلى ، إلى آخرها معطوفة على جملـة (إنـا سـخرنا الجبال معه)([4]).والإنشاء هنا في معنى الخبر، فإن هذه الجملة قصت شأناً من شـأن داود مع ربه تعالى فهي نظير ما قبلها([5]).

---

[1]- ابن عاشور: التحرير والتنوير / 221/12.

[2]- المرجع نفسه:73/14 .

[3]- المرجع نفسه: 204/12.

[4]- سورة:ص:الآية/18 .

[5]- ابن عاشور: التحرير والتنوير: 207/12.

العلاقات والعناصر التداولية:

ونمثّل لهذا المستوى من خلال حرف (النون/ ن)، في سورة القلم، السياق العام للسورة: وهو التأكيد على صدق الرسالة وعدم اليأس في تبليغها مهما حاول الكفـار الوقوف في طريقها، الاحتجاج للرسالة، وتذكيرهم بقصة أصحاب الجنة تعالياً على الزمن، وعبرة لهم، ويسهم هذا المستوى في دلالة نص السورة من خلال ما يقدمـه من معارف هي من ضمن ما سمي بـ (معرفة العوالم)، فمن هذه العوالم المشتركة التي خاطبهم بها النص القرآني حرف (ن)، إذ ذكرت أغلب المعاجم وكتب التفاسير واللغة، أن النون هي (الدواة)، ومما يعضد هذا ما ذكرته (آن ماري شـيمل) فـي بحثها المعنون بـ (التورية بالكتب في الآداب الإسلامية*)، دلالة شكل الحرف عند الصوفية، وهي تتحدث عن الأهمية الدينية للكتب بقولها:" وتتضح الأهمية الدينية في إشارات الصوفية ومن تابعهم، فنبي الإسلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ولـذا لـم يعتمد في معرفته على الكتب، وتلقى معارف لم تكتب قط، مما أغرى الصوفية بأن يحاولوا فهم كتاب الخلق وأن يتدبروا آياته ودلالاته، ألم يقل ا سبحانه: سَـنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُـلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [1]؟ لذا نجد شيخ الصوفية (ابن عربي الأندلسي) ينظر إلى الكون كلّه على أنّه كتاب مفتوح ليقرأه البشر، وهذا التشبيه معاصره القريب في إيران (عزيز الدين النسفي) وكثيرون غيره من المفكرين والشعراء، كما أننا نجد سورة القلم (رقم 68) تبدأ بقول الحق سبحانه: ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَـسْطُرُونَ [2]، ممـا دفـع بعـض الصوفية الذين تابعوا ابن عربي إلى القول بأن الحرف "ن" بشكله المرسوم به يمكن

---

*- هو بحث من ضمن الأبحاث التي حررها (جورج عطية) وترجمها (عبد الستار الحلوجي) ونشرها في العدد رقم (297) في شهر اكتوبر سنة/2003م من سلسلة عالم المعرفة .

[1] - سورة فصلت: الآية/53.

[2] - سورة القلم : الآية/1.

أن يفسر على أنّه المحبرة الأولى التي استخدمها القلم الأول في كتابة كل ما يحدث في اللوح المحفوظ "([1]) .

ومما يؤكد التماثل بين شكل حرف (ن) وشكل الدواة، ما نـص عليـه عبـد العزيز الدالي رسماً لشكل الدواة في كتابة (الكتابة العربية)، إذْ خصص فـي آخـر كتابة صفحة لأشكال الأدوات الكتابية عند العرب"([2]).

ذكر كلمة (سنسمه): العلامة (الوسم) المفهوم من الفعل ومكانه (الخرطوم)، من قوله تعالى:" سنسمه على الخرطوم"؛ فهو المكان البارز الملائم للعلامة، فالوسم ومكانة كعلامتين ـ هما من الرصيد الثقافي العرفي المعروف عند العرب.

السياق:

إن السياق العام لهذه السور يتحدث عن أموضوع الوحدانية من خلال بعـض الموضوعات الأخرى، وأكثر ما تحدثت عنه هذه السور هو إقرار أمر البعث بعـد الموت، وتحقيقاً لهذا القصد توالت الآيات التي تدعو الكفار لأن يتفكروا فـي أمـر، الأصل فيه أنْ يكون هو محطّ الإعجاب ، فوقهم السماوات وتحتهم الأرض الحيـة بعدما ماتت، وقبلهم الأقوام الذين يعرفون ما صاروا إليه بكفرهم، قال تعالى: وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقّبوا بالبلاد هل من محيص ([3])، وأكثـر من ذلك خلقهم ومعرفة ما يسرون وما يعلنون، وما توسوس به شياطينهم وأقرانهم، وا سبحانه وتعالى له ملائكة مكلفون باقتفاء أثر كل ما يلفظ به الإنسان وما يوحي به قرينه إليه، حتى أن هذا القرين يتبرأ مما فعله صاحبه، لأنه عـرف أن ا عـز وجل يعلمه، بقرينة إسناد فعل البراءة (طغى) منفياً إليه ومضافاً إليه ضمير الغائـب الذي يحيل على اسم الذات (الإنسان) أحالة قبلية متطابقة :" ربنا ما أطغيته"، وذلـك

---

[1] - الكتاب في العالم الإسلامي/ الكلمة المكتوبة كوسيلة للاتصال في منطقة الـشرق الأوسـط، ضمن بحث (التورية بالكتب في الآداب الإسلامية/ بقلم (آن ماري شيمل) ص/67، تحرير جورج عطية، ترجمة: عبد الستار الحلوجي، عالم المعرفة: ع 297، اكتوبر 2003م .

[2] - الدالي: عبد العزيز، الخطاطة/ الكتابة العربية، ط/3، 1416ه-1996م، مكتبـة الخـانجي- مصر، 119 وما بعدها.

[3] - سورة ق: الآية/36 .

بصورة حية مباشرة تتعالى على الزمن المستقبل، وكأن المشهد أمامنا المتقي وهـو يسمع الجدل الذي دار بين القرين وصاحبه، فيأتي الحسم بفض هذا الجدال الـذي لا فائدة منه، فكل نهما يتحمل وزر عمله، ولم يكن تحملهم إياه بظلم من ا عز وجل، فهو تبارك وتعالى قد أرسل إليهم ما ينذرهم لقاء يومهم هذا الذي تعجبوا منه، وقدم لهم من الأدلة والبراهين وأحوال الأمم قبلهم وما آلوا إليه علّهم يعتبروا ويتبعوا مـا جاء به المرسل إليه والمرسل به، فما كان مـنهم إلا الكفـر والظـلال والتكـذيب والعجب، من كل ما جاء به القرآن وأبلغهم إياه الرسول الذي يعرفون حقّ المعرفة ؛ أمانته ، صدقه، تواضعه، إنه منذر منهم ليس من غيرهم.

إن سياق الآيات التي شكلّت نص السورة (ق) هو سياق دالّ علـى قـدرة ا سبحانه وتعالى، سياق سورة (ق) سياق القدرة والخلق، سياق علم وإحاطة بكل شيء حتى بنفس الإنسان وما توسوس به، فهي الأولى بأن يتفكر بها قومـك ويتعجبـوا منها، لا أن يتعجبوا بأنّك رسولاً منذر إليهم وأنت معروف عندهم بالصادق الأمين.

ومن خلال هذا التقديم للتعريف بالسورة، يمكن لنا أنْ نتعامل مع الحرف الذي استهلت به السورة للوقوف على دلالة واحدة له، أو للوقوف على أكثر من دلالة له إذا ما عرفنا أن هذا الحرف وسائر الحروف المقطعة التي استهلت بها السور ذوات الحروف المقطعة تحمل طاقات تعبيرية هائلة وتكتنز من الـدلالات المنداحـة فـي فضاء نص كلّ سورة، وهذه الدلالات المنداحة تضم الكلمات التي في بنيتها الحرف أو الحروف التي استهلت بها السور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة، فقد ذكر كثير من المفسرين بأن الحرف أو الحروف المستهل بها هي أكثر الحروف تكـرراً فـي السورة التي بدأت بها، وهذا يدلنا على أن هذه الحروف هي مفتاح النص، وبتـأول معنىً أو أكثر لها بشرط انسجام وتآلف المعاني فيما بينها بحيث لا تؤثر في دلالـة النص الكلية، فإن التأويل لها بجملة أو بأكثر، يعد الجملة التي تبنى عليهـا الجمـل بعدها، أي بمعنى أنها تمثل البؤرة الرئيسية، ولم تكن عناية علماء الـنص بالجملـة الأولى إلا تأكيد على أهمية المعنى الإجمالي عند المبدع، ومن ثم اهتمامه بـالمبنى المتمثل في بنية النص أفقياً ورأسياً، ومن خلال هذا المبنى الذي تتجزأ فيه الدلالـة الكلية للنص، يتحقق للنص تماسكه واتساقه بفضل ترابط وتماسك الألفاظ فيما بينهـا

داخل الجملة الواحدة، وترابط وتماسك الجمل فيما بينها، وأدوات هذا الربط وعناصر هذا التماسك والاتساق، تتحقق للنص بفضل تعاضد المستويات النحوية والدلالية والتداولية، في إقامة التعالق بين وحداته الصغرى والكبرى، وذلك بمساهمة كلّ مستوى منها، بأدوات الربط وعناصر التماسك والاتساق التي تنتمي إلى مستوى من تلك المستويات بعينه وذلك بهدف تحقيق الترابط للنص من عنوانه حتى آخر جملة فيه ، وفي هذا السياق يذكر عفيفي: " أن الاتساق يعني الترابط الكامل بين بداية النص وآخره دون الفصل بين المستويات اللغوية المختلفة حيث لا يعرف التجزئة، ولا يحده شيء "([1])، ويضاف إلى عدم الفصل بين المستويات اللغوية التي أشار إليها، مستوىً لا يقلّ دوره عن دور المستويات اللغوية، وهو مستوىً غير لغوي مثلّه المستوى التداولي الذي أضافه علماء النص إلى المستويات اللغوية؛ لفهم النص وللمساهمة في تحقيق تماسكه وترابطه .

الربط بالفاء: فستبصر (فاء التعقيب) تأكيد على الإبصار ومعرفة الحق بقرينة حرف التسويف الدال على تأكيد وقع الحدث في الزمن القريب .

الموضوعات التي تناولتها هذه السور والموضوع المحوري فيها.

1- نوع الاستهلال وكميته: إذ استهلت السور الثلاث بحرف واحد : ص ، ق، ن .
2- ذكر لفظ القرآن: ص والقرآن ذي الذكر، ق والقرآن المجيد، ن والقلم وما يسطرون، بعد الحروف الثلاث مباشرة، فالموضوع هو القرآن الكريم، وقرينته الجمل (وما يسطرون، بنعمة ربك، لما سمعوا الذكر، وإنه لذكر للعالمين)، فكأن البؤرة الرئيسة - وهي المعلومة الجديدة - هو القرآن الكريم الذي مثّله الحرف المصدري (ما) وما بعده، الذي قُدم على ركني الجملة أصلاً وهما المسند والمسند إليه، فاحتل بذلك موقع المبتدأ، (وما يسطرون).
3- لم يشكل كل حرف منها آية بمفرده .
4- وحدة الموضوعات الرئيسة فيها، فتناولت مثلاً موضوع (البعث)، من خلال ذكر الآخرة والعذاب للكفار والنعيم للمؤمنين.

---

[1]- عفيفي: نحو النص:96.

5- الحديث عن الصراط المستقيم: ففضلاً عن التصريح به في نـصوصها، فقـد ذكرت آيات هذ السور من الكلمات التي تتعالق بنسب منه لتـدل علـى هـذا الموضوع، فمن ذلك ذكر الاسم: المسلمين، وذكر الصفة (أوسـطهم)، لأحـد الأخوة أصحاب البستان، ففي الاسم دلالة التزام الدين المقبول عند ا ، وعل الأمة الوسط، خير أمه أخرجت للناس، ّأما الـصفة (أوسـطهم)، فـي قولـه تعالى: قَالَ أَوْسطُهمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسبحون (1) . ففضلاً عن تعالقها مـع دلالة صفة الأمة (الوسط) .

الموضوع المحوري في هذه السور

خلق السماوات والآرض، إنزال الغيث وإحياء الأرض، وإخراج الزرع وسائر أنواع الثمار، آثار الأقوام السابقة، فكلّ هذه الوقـائع المـسندة إلـى (ا) سـبحانه وتعالى، هي دلالات قاطعة على المحور الموضوعي المحوري المركزي في هـذه السور وهو محور (التوحيد)، وقد جاءت الكلمات التي تدلّ على الربوبية، أداة هـذا المحور، وهي معلومة مشتركة بين المتكلّم والسامع، **و**تحدثت سـورة (ص) عـن مجموعة من الموضوعات التي تحدثت عنها سائر السور ذوات الحروف المقطّعة، فتعالقت جميعها بهذه الموضوعات المحورية تعالقاً دلالياً نصياّ، وهذه الموضوعات هي:

1 ـ القرآن الكريم: وقد جاء التنويه بالقرآن الكـريم فـي أول الـسورة ووسـطها وآخرها، وهذا التكرار في ذكر القرآن والاحتجاج له، يؤكد على تحقق عنصر هـام من عناصر التماسك النصي وهو التكرار، وذكر القرآن بعد هذا الحرف تتابعـاً ـ كما هو متماثل مع سائر السور ذوات الحروف المقطّعة ـ لدلالـة علـى ارتبـاط القرآن الكريم بهذا الحرف وبسائر الحروف التي وردت قبل ذكره بعلاقات متعددة ، ولعلّ أولها المعنى المباشر الذي قال به كثير من المفسرين ، وهو أن هذا القرآن من هذه الحروف التي تتكلمون بها ، ومنها حرف (الصاد) هذا .

---

[1] - السيوطي: معترك الأقران:2/657.

تكرار الحرف: ويمثّله كثرة الكلمات التي جاء في نصوص السور الـثلاث، ففـي سورة القلم (ن)، جاءت ـ للتمثيل لا لحصر ـ الكلمات التالية: (بنعمة، بمجنـون، تدهن، فيدهنون، المفتون، وبلغت الكلمات التي جاء في سورة (ص) ثمان وعشرين كلمة هي:

مناص، واصبروا، أصحاب الأيكة، صيحة، اصبر، فصل الخطاب، الخـصم، خصمان، الصراط، الصالحات، الصالحات، الصافنات، أصاب، غواص، الأصـفاد، بنُصب، صابراً، الأبصار، أخلصناهم، بخالصة، المصطفين، قاصرات، يـصلونها، صالوا، الأبصار، تخاصم، يختصمون، المخلصين.

وجاء حرف القاف في :القهار، الرقيب، القرآن .

فمن خلال هذه الألفاظ، فإن تأويل الحروف بواحدة من هذه الكلمات هو أمـر وارد، ما دام أن هذه الحروف قد وقع أصلاً في بنية كلّ لفظة منها،على أن تكـون دلالة الكلمة متسجمو ومتعالقة مع غيرها من الـدلالات الأخـرى المتأولـة لهـذه الحروف .

ومن خلال الاستفادة من المنهج الإحصائي في تحليل السورة، فقد تبـين لنـا كثرة الكلمات التي تضمن بنيتها حرف (القاف)، وهذا يدل علـى تحقـق التماسـك النصي للسورة من خلال عنصر التكرار الذي حقّقه حرف القاف، بالإضـافة إلـى تكرار بعض الكلمات في السورة نحو:القرآن ، قال ، قرين ، خلقنا ، ...الخ، كمـا جاء عدد من الكلمات التي تعد من المصاحبات المعجمية نحو: قـرين ، يوسـوس، قرينه ...الخ.

تنبئ بعض الكلمات مفردة ومركبة مع ألفاظ أخرى عن معنىً يمكن تأوله لهذا الحرف، وهذا المعنى تؤل إليه في الحقيقة ألفاظ ومعان أخرى يمكـن تأولهـا مـن النص إلى المعنى المقـصود الأول للحـرف، بحكـم دلالات التـضمن والالتـزام والاقتضاء وعلاقة الجزء والكل، ومن خلال تعـالق المحمـولات فـي موضـوع التخاطب، وهذا المعنى المقصود للحرف هو أنه: اسم من أسماء ا الحسنى؛ القادر أو القوي أو الحق، فيكون التأويل لهذا المعنى حتى ترتبط الآية الثانية بالأولى هـو: لم يتعجب الكافرون من قدرة ا الحق القادر القوي، وما جاء به هذا النبـي الـذي

يعرفونه، فيعلّمهم المصير الذي يصيرون إليه كما علمناه إياه في هذا القرآن المجيد ويذكرهم به.

الفصل الخامس

المنهـج الإحصـائي وأثره في دلالة النص

يمكن القول إن العملية الإحصائية ليست مستقلة عن الطبيعة اللغويـة للـنص القرآني، بل إن هذه العملية الإحصائية ترد إلى الطبيعة اللغوية في القرآن، فـالنص القرآني شامل وجامع لكل العلوم، وليس مختزلاً في علم ما من العلوم، أو في قضيه ما أو في مسألة ما أو في موقف ما، أما موضـوع الاختـزال المعرفـي بحـسب موضوع دراسة ما، وفي ضوء منهج ما، فقد ورد أو سيرد عنـد واحـد وأكثـرا، فالتفصيل في علم من العلوم أو في أكثر من علم، تحقق عنـد كثيـر ممـن درس موضوعاً مستقلاً في ضوء النص القرآني، فما استقر لدى كثير من الدارسين لعلوم القرآن، من دراسات وأبحاث وضِع عنوان لها أحد العلوم أو المعارف، فقد تضمنها النص القرآني، نحو: الإعجاز العلمي في القرآن، الإعجاز اللغوي، العددي، فالنص القرآني لم يطرح موضوعاً بشكل خاص فيفصل فيه، أو يتناول قـضية أو مـسألة خاصة بشكل دقيق، بل كان ينطلق من منظور واسع وشمولي، بحيث يكون التأويل مقبولاً وملائماً مع كل عصر، فليس من قصدية النص القرآني في إشارته إلى سائر العلوم، إلا قصدية واحدة ، تمثّل جوهر البنية العليا للنص القرآني، وهي عبـادة ا وحده والإيمان بما أمر به أو أخبر عنه في كتابه العزيز، أو دعا إليه نبيـه الأمـي محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

إن أول ما نؤكده في استثمار معطيات هذا المنهج، هو أننا سنتعامل مع الـرقم الصفري (الصفر)، على أنّه لا يحمل قيمة عددية في موقعه إلى جانب الأرقام التي ينضم معها، بمعنى أنّه لا يحمل قيمة عددية بالاقتران مع غيره، فقيمة الرقم (10أو 100 أو 140 مثلاً، هي: (1) للعدين (10و100)، و(14) للعدد 14، إذ إن الدلالات السيميائية المتحصلة لدينا؛ وهي دلالات لا تحتمل التأويل بفـضل نتـائج المـنهج الحسابي القاطعة، وبفضل القيمة العددية للـرقم(1)، وبفـضل الدلالـة الـسيميائية الأيقونية التي جاد بها شكل الرقم(1)، وهو مسطور قائم مستقيم، إذ تتعالق كلّ هذه الدلالات الرياضية والسيميائية، مع الدلالة الكليـة الكبـرى للـنص، التـي مثّلهـا

الموضوع المركزي الكلي لنصوص السور القرآنية ذوات الحروف ألا وهو محور (الوحدانية أو التوحيد).

كما تجدر الإشارة أيضاً أننا لن نعطي هذه القيمة التي للصفر رقم (1)، إذا ما اقترن مع العدد(1) مثلاً، بمعنى أن القيمة هي لرقم واحد منهمـا فقـط، فالرقمـان (11أو111) ستكون قيمتها مختزلة في الرقم (1) فقط؛ أي بتقديم الدلالة الوحدويـة الأيقونية لشكل العدد وهو مرسوم بهذه الاستقامة والاعتدال استقامة واعتدال (الألف) من (الم)، التي لا تجد فيها عوجاً ولا أمتاً، واستقامة وتوسط واعتدال سورة (لقمان) بوقوعها مركزاً جامعاً وسطاً بين السور، بكونها أول سورة نزلت مستهلة بـ (الم)، فاحتلت الرقم الخامس عشر الذي جاء وسطاً بين ثمانٍ وعشرين سـورة اسـتهلت بحروف مقطّعة. فآلية التحليل - في ضوء المنهج الإحصائي - لهـذين الـرقمين بشكل خاص وما آلت إليه نتائج الأرقام الأخرى بشكل عام، كانت هـي الطريقـة المناسبة في تعزيز الموضوع المحوري المركزي للسور ذوات الحروف المقطّعـة، وذلك من خلال ما وقفنا عليه من نماذج متعددة ومتنوعـة؛ للحـروف والكلمـات والجمل وأرقام الآيات والسور، التي نذكرها على النحو الآتي:

1- لفظ الجلالة (ا):

تكرر لفظ الجلالة (ا) (1567)، والنتيجة التي يؤول إليها هذا الرقم هي العدد (واحد/1)، إذ مجموع هذه الأرقام هو (19)، ومجموع هذين الـرقمين هـو (10)، 9+1= (10)، ومجموع هذين الرقمين هو (واحد/1) أي: صفر+1=1.

وعدد تكراره في سورة البقرة بلغ (140) مرة، ويلاحظ أن مجموع الأرقام الثلاثـة هو (14) نصف عدد الحروف الهجائية، وهو عدد الحروف المقطّعة بعـد حـذف المكرر منها، بإضافة ذكره أولاً في البسملة من سورة الفاتحة، مما يعزز رأي مـنْ عد البسملة آية من السورة، فعد لفظ الجلالة (ا) في الفاتحة يقوم ويعـضد دلالـة النتيجة للرقم (140) فهو (5) بعدد حروف لفظ الجلالة باعتبار اللام المدغمة، وإن لم تعد فالعدد (139) وهو عدد تكرار لفظ الجلالة في سورة البقرة وحدها، فلا يحقق النتائج السابقة وهي (14) و(7) نصفها وهي عدد آيات الفاتحة، ولا يعـضد دلالـة نتيجة العدد للفظ الجلالة في القرآن كلّه.

وورد لفظ الجلالة (و/ا) مسبوقاً بالواو(230) مرة في النص القرآني، فمجموع أرقام هذا العدد تتطابق مع مجموع عدد تكرار لفظ الجلالة (ا) في سورة البقرة.

2- عدد الكلمات الدالة على أسماء ا الحسنى:

بلغ عدد الكلمات في الآيات التي تصدرتها شهادة التوحيد(لا إله إلا ا)، (100/مائة) كلمة بإضافة لفظ الجلالة إليها، قال عز شأنه في سورة آل عمران: شَهِد الله أَنه لا إِلَه إِلا هو والْملائِكَةُ وأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَه إِلا هو الْعزِيز الْحكِيم*إِن الدين عِنْد اللهِ الْإِسلَام وما اخْتَلَفَ الَّذِين أُوتُوا الْكِتَاب إِلا مِنْ بعْدِ ما جاءهم الْعِلْم بغْيًا بيْنَهمْ ومنْ يكْفُرْ بِآَياتِ اللهِ فَإِن الله سرِيع الْحِسابِ **([1])**.

فشهادة التوحيد تلك، شَهد بها ا الواحد الأحد وأشرك معه فيها ملائكته وأولي العلم، وشهد بها عدد كلمات الآيات نفسها التي يؤكد سياقها الموضوعي على محور الوحدانية، وهي الآيات التي شكلّت فقرة واحدة من بينها الآية السابقة، إذ نجد مجموع عدد كلمات الآيات التي شهد ا عز وجل وملائكته وأولو العلم قد بلغت (99) كلمة، مطابقة لعدد أسماء ا الحسنى المذكورة بإضافة لفظ الجلالة (ا) إليها، أي من الآية(18) إلى الآية (22) .

3- مجموع أرقام الآيات: إن مجموع أرقام الآيات التي تصدرتها شهادة التوحيد من سورة آل عمران، من الآية/ 18 إلى الآية/ 22، يساوي العدد (100) بإضافة لفظ الجلالة (ا) إليها([2])، ومجموع رقمي الآية (19) ورقمي الآية (18) هو (19) أي 10+9 يساوي (19)، والنتيجة النهائية التي تؤول إليها هذه الأرقام هي (واحد/1) .

وكذلك الآيات التالية من سورة آل عمران:

عدد كلمات الآية الأولى: 18، مساوٍ لرقم الآية في السورة، وتكرر حرف الألف (19) مرة في الآية الأولى....؟ وتكرر (26) مرة في الآية الثانية مساوٍ لعدد كلمات الآية نفسها أيضاً.

---

[1] - سورة آل عمران: الآية/18، وانظر: سورة البقرة: الآية: 255،163.

[2] - انظر: الآيات (18-22) من سورة آل عمران.

ويمكن ملاحظة أكثر من محور قد تحـدثت عنـه الـسور ذوات الحـروف المقطّعة، وهذه المحاور يمكن تسجيلها من هاتين الآيتين، وهذه المحاور ثلاثة هي: الوحدانية التي كررت بلفظ الآية الأولى مرتين، وأسماء ا الحسنى التـي يمكـن رصدها من الآية الأولى لفظاً أو معنىً، والحديث عن البعث الذي تضمنته التزامـاً واقتضاءً الآية الثانية، وهذه المحاور الثلاثة يمكن رصدها أيضاً من الآيتين التاليتن من سورة البقرة، قال تعالى: كَيْفَ تَكْفُرون بِاللهِ وكُنْتُمْ أَمْواتًا فَأَحْياكُمْ ثُم يمِيتُكُمْ ثُم يحْيِيكُمْ ثُم إِلَيْهِ تُرْجعون* هو الَذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الأَرْضِ جمِيعًا ثُم اسْـتَوى إِلَـى السماءِ فَسواهن سبْع سمواتٍ وهو بِكُل شَيْءٍ علِيم (1) .

عدد الحروف:

الألف/7، اللام:3، الميم:9، الناتج:19، والألف مع الهمزة فـي الثانيـة/14، واللام/8، والميم/6، وناتج عدد هذه الحروف هو (28) حرفاً.

وفي الآية الثانية: عدد حرف الألف بلغ أحد عشر حرفاً/11، واللام/8، والمـيم/6، وعدد كلمات الآية الأولى: 13، والثانية:19، ومجموع رقم الآيتين هو (57) وهـو نصف سور القرآن الكريم، كما أن مجموع عدد الحروف الثلاثة في الآية الثانية هو (25) مضافاً إلى مجموع عدد الكلمات في الآيتين وهو (32) يساوي مجموع رقـم الآيتين وهو (57)، ويشكل المجموعان عدد سور القرآن الكريم وهو (114).

العلم: ورد (28) ومجموع الرقمين يساوي (10)، وهو دالّ رياضياً وسيميائياً على محور الوحدانية .

4- تكرار الجمل:

أ- (لا إله إلا هو): وردت هذه الجملة (29) مرة، ومنها قوله تعالى: قُلْ يا أَيهـا الناس إِني رسولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جمِيعًا الَذِي لَه ملْك السماواتِ والأَرْضِ لا إِلَـه إِلا هـو يحْيِي ويمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ ورسولِهِ النَبِي الأُمي الَذِي يؤْمِن بِاللهِ وكَلِماتِهِ واتَبِعوه لَعلَكُمْ تَهْتَدون (2).

---

[1] - سورة البقرة : الآيتان :28،29.

[2] - سورةالأعراف: الآية/158.

ومجموع أرقام هذه الآية وهو (158)، يساوي (14)، مطابق لعدد حروف لفظ الجلالة عند جمع الرقمين (4+1)، والعدد (14) مطابق لعدد الحروف المقطّعة بعـد حذف المكرر منها.

ب ـ جملة (لا إله إلا ا): وردت هذه الجملة مرتين، مرة في سـورة الـصافات: 35، ومرة في سورة محمد 19.

ج ـ جملة(ا لا إله إلا هو): وردت (8) مرات، خمسة منها سور ذوات حروف مقطّعة .

د- (أنا ا): ووردت في ثلاث سور والآية مخاطب موسى عليه السلام، ومخبـر بها، ولم ترد جملة (لا إله إلا أنا) وفعل الأمر (فاعبدني) بعدها إلا في سورة طـه، قال تعالى إِنَنِي أَنَا الله لا إِلَه إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصلَاةَ لِذِكْرِي ([1])، بينما وردت بعدها في سورتي (النّمل والقصص) جملتان الأولى:(أنا ا العزيز الحكيم) والثانية (أنا ا رب العالمين)([2])، قال أبو حيان:"...فذكر العبـادة عقيـب التوحيـد ، لأن التوحيد هو الأصل ، والعبادة فرعه"([3])، ففي هذه الآية تعالقت دلالة عدد الكلمـات في هذه الآية وهو (11)، مع دلالة مجموع عدد رقمي الآية وهـو (5)، فكلاهمـا يشير إلى الوحدانية في الألوهية،

5- تكرار الأرقام كتابة:

أ- أحد: مرة واحدة، ووردت في سورة الإخلاص.

ب- واحد: موصوف به ا عز وجل، ورد (11) مرة ،

ج- ا ربي: وردت (7) مرات في: آل عمـران/51 ، هـود/56 ، مـريم 36، الشورى/10 ، المائدة 72،117، الكهف/38.

د- ربي ا : مرة واحدة في سورة غافر، قال تعالى: أَتَقْتُلُون رجلاً أَن يقُولَ ربـى ا ([4])، ومجموع رقم الآية وهو (28) يساوي (1) أي: 8+2 ، وهذه الجملة وردت

---

[1] - سورة طه: الآية/(14).

[2] - انظر الآيتين/9،30، من سورتي/ النّمل والقصص على الترتيب.

[3] - أبو حيان، البحر المحيط،44/1.

[4] - سورة غافر: الآية/28.

على لسان رجل من قوم فرعون يكتم إيمانه، قالها فـي سـياق إثبـات الربوبيـة والوحدانية عز وجل، وهو ما كان يدعو إليه موسى عليه السلام.

هـ - **(ربكم):** تدلّ هذه الكلمة على أن لا رب للعالمين إلا ا ، وكلمـة (العـالمين) رمز إليها كاف الخطاب وحرف الميم الدال على الجمع، فدلّ بهذه الإضـافة علـى تقرير الربوبية وحده، وهذه اللفظة تحمل المعنى نفسه في جملة (رب العـالمين) في سورة الفاتحة، فجاء فيها لفظ (رب) متعالقاً مع لفظ الجلالة (ا)، بوقوعه بـدلاً منه في الجملة التي قبلها وهي (الحمد)، وجاء لفظ (العالمين) في موقع المضاف إليه من لفظة (رب)، فكأن الإضافة تعالقت مع اللفظين (ا وربكم) على حد سواء، بتعالق (رب) مع لفظ الجلالة، من خلال المعنى النحوي الوظيفي الذي أداه، وهـذا المعنى النحوي الوظيفي هو نفسه الذي أداه (الضمير المضاف إلى لفظة رب مـن (ربكم).

فدلالة هذه الجملة على موضوع السورة المحوري المركزي، قد بان بـأدوات متعددة وأساليب متنوعة منها: حصر الربوبية والإقرار بها، عـن طريـق صـيغة الجمع (ربكم)، ومنها أسلوب التقديم والتأخير نحو:(ربي ا)، وكذلك عـن طريـق السياق الموضوعي للآيات، وهو سياق إقرار الربوبية وحده، وعـضده أيـضاً أسلوب التكرار العددي لهذه الجملة وهو ورودها مرة واحدة في القرآن الكريم .

ربكم ا : وورد مرتين، في سورة الأعراف/54، وسورة يونس/3، وقد سبق لفـظ ربكم في الآيتين/ بأداة التوكيد (إن)...عدد التكرار منسجم مع سياق الآيـات التـي تتحدث عن الشرك، قال ا تعالى: ﴿إِن ربكُم الله الَذِي خَلَقَ السماواتِ والأَرْض فِي سِتةِ أَيامٍ ثُم اسْتَوى علَى الْعرْشِ يغْشِي اللَيْلَ النهار يطْلُبه حثِيثًا والـشمْس والْقَمـر والنجوم مسخراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَه الْخَلْقُ والأَمْر تَبـارك اللـه رب الْعـالَمِين﴾ (54)، فسياق الآيات سياق إثبات الوحدانية عز وجل ونفي الشرك.

و- **ا ربكم:** ورد هذا التركيـب (9) مـرات، الأنعـام/ 102، يـونس/ 3، 32، فاطر/13، الصافات/ 126، الزمر/ 6، غافر/ 62،64، الطلاق/ 1، فالتركيب الذي تتقدم فيه لفظة (رب، ربكم) أقل من التركيب الذي يتقدمه لفظ الجلالة (ا) .

المجموع الكامل للتراكيب الأربعة يساوي (46) تركيباً، وحاصل مجموع الرقمين له يساوي (10)، وحاصل مجموع الرقمين (1) .

(إلهكم) ورد (7) مرات (3) سورتان منهما ذوات أحرف مقطّعة هما: طـه تكرر مرتين//98،88، فصلت (6).

(ا ربكـم) (ورد 9 مرات) ألف لام ميم...(تسعة مكتوبـة كمـا هـي منطوقـة ملفوظة...(ربكم ا 2) 9+2= 11. (لا يجمع: لَوْ كان فِيهما آلِهةٌ إلا الله لَفَسدتَا فَسبْحان اللهِ رب الْعرْشِ عما يصِفُون " الأنبياء:(22)) قال تعالى:" ما اتخَذَ الله مِنْ ولَدٍ وما كان معه مِنْ إلَهٍ إذًا لَذَهب كُل إلَهٍ بِما خَلَقَ ولَعلَا بعْضهمْ علَى بعْضٍ سبْحان اللهِ عما يصِفُون " سورة المؤمنون: الآية (91)"، مجموع رقميها (10) واحد ....

- (ربكم) ورد 100 مرة فا (رب العالمين).دلالة ميم الجمع...(المجموع:1)، إنّه ا ربنا) (واحد أحد، قل هو ا أحد) .

(إلهكم إله واحد): ورد (11) مرة ... تطابق مع مجموع رقم عـدد جملتـي (ا ربكم وربكم ا)، فربنا الواحد هو ا ، وا الواحد هو ربنا، (إلهنا واحد).

(ا ربنا/2)، (ربنا ا /3)= 5 عدد أصوات لفظ الجلالة (ا).

وأختم الحديث عن محور الوحدانية من خلال المنهج الحـسابي، بالاستـشهاد بالآية الدالة على وحدانيته سبحانه وتعالى وتنزه عن أن يكون أحداً شريكاً له، مـن خلال رقم هذه الآية (100) من سورة الأنعام وقد جاء في الحديث أنها نزلت دفعـة واحدة وشيعها سبعون ألف ملك، وما جاء فيها من ألفاظ صريحة وغيـر صـريحة على وحدانية ا عز وجل، وما جاء من تبيين لها فيما بعدها من آيات نورد لثلاث آيات منها، قال تعالى: وجعلُوا لِلهِ شُركَاء الْجِن وخَلَقَهمْ وخَرقُوا لَه بنِين وبنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سبْحانَه وتَعالَى عما يصِفُون * بدِيع السماواتِ والأَرْضِ أَنى يكُون لَه ولَد ولَـمْ تَكُنْ لَه صاحِبةٌ وخَلَقَ كُل شَيْءٍ وهو بِكُل شَيْءٍ علِيم * ذَلِكُم الله ربكُمْ لا إلَه إلا هو خَالِقُ كُل شَيْءٍ فَاعْبدوه وهو علَى كُل شَيْءٍ وكِيلٌ * لا تُدْرِكُه الأَبصار وهو يـدْرِك الأَبصار وهو اللطِيفُ الْخَبِير ([1]).

[1]- سورة الأنعام: الآيات (100-103).

لقد عززت النتائج التي زودنّا بها المنهج الإحصائي، الموضـوع المحـوري المركزي الذي مثّل نص السور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة، وهو الموضـوع الذي ركزت عليه السور القرآنية المكية أيضاً، وهذا الموضوع المحوري هو تنزيه من ا العزيز الحكيم لنفسه، عن وجود شريك له في كلّ شيء، وهو القائل: ليس كمثله شيء ، لقد تآزر ذكر المصدر بلفظ (سبحانه)، والمعنى من سياق الجمل التي قبله في الآية نفسها، ما قبله من (مجموع رقم الآية (1)، كيف يكون له ولد ولـم تكن له صاحبة (صاحبة) زوجة غير زوجة، وهو وحده سبحانه وتعالى خالق كـلّ شيء وبكل شيء عليم، (قدم /وبكلّ للأهمية الدالة على عموم علمه وإحاطته بأحوال كلّ ما خلق ...، تكرار:" خلق كل شيء، خالق كل شيء، (خلـق مـاض وخلـق متجدد/ اسم فاعل: دالّ على الذات الفاعلة الحي القيوم، مدبر الكون: المتحرك فيـه والساكن، العاقل فيه وغير العاقل، العالم فيه والجاهل، فاعل في كلّ شيء ورقيـب على كلّ شيء والسميع بكلّ شيء، والبصير، العليم الخبير.

ا : هو الاسم الذات التي تؤول إليه أسماءه ...، :" رب السماواتِ والْـأَرْضِ ومـا بيْنَهما فَاعْبدْه واصْطَبِرْ لِعِبادتِهِ هلْ تَعْلَم له سمِيا" مريم (65)، فرقم الآية دلّ أيـضاً التوحيد/ فهو ا رب السماوات والأرض وما بينهما، 5+6=11

كما تعالقت لفظة العلم من (هل تعلم) مع لفظة العلم، التي هي اسـم مـن أسـمائه وصفة له/ العليم ، فأسماؤه وصفاته سبحانه وتعالى ذاتية متطابقة .

اسم الإشارة في جملة (تلك آيات ا): إن المنهج الإحصائي لاسـم الإشـارة والمشار إليه، المتكرران في السور ذوات الحروف المقطّعة ودوره فـي التماسـك النصي، سأقف عنده من خلال رصد وتسجيل وجمع رقم السورة، أو الآية أو الآيات أو مجموع عدد الكلمات فيها، أو مجاميع ما يتصل بها كلّها، بمعنى القيام بأي آليـةٍ حسابية تخص قسماً من هذه السور أو كلّها، بشرط وقوع التركيب الإشاري " تلـك آيات "، وتطابقه في نصوصها كذلك، بهدف الوقوف على تحقق التماسك النصي في هذه السور بشكل خاص، وتتحققه فيها كلّها بشكل عام، فمن خلال عملية اسـتقراء أسماء الإشارة التي أعقبت الحروف المقطّعة لفظاً، فشكلّتا مع غيرهما من الكلمـات الآية الأولى من السور، وكذلك أسماء الإشارة التي استهلت بها الآية الثانيـة فـي

السور ذوات الحروف المقطّعة، كانت السور التي جاء فيها اسم الإشارة مؤنثاً مفرداً (تلك) والمشار إليه مؤنثاً مجموعاً قريباً (آيات) تسع سور :" تلك آيات" ، والـسور التي تكرر فيها اسم الإشارة والمشار إليه نفسهما، وتأخرا في متن السورة، سـورتا البقرة وآل عمران ، وبطريقة إحصائية حسابية ألمح إلينا مجموع رقم كل آية مـن السورتين، عن الإعجاز في النظم القرآني المتمثل في تحقيق التماسـك النـصي ؛ اتساقاً وانسجاما، حبكاً وترابطاً، إذ نجد أن مجموع رقم الآية التي ورد فيها تركيب " تلك آيات" في سورة البقرة هو (9) وهو (252)أي مساوٍ لعدد السور الذي تقدم فيها اسم الإشارة سواء أجاء في متن الآية الأولى أو الثانية، ومجموع رقـم الآيـة فـي سورة آل عمران (9) أيضاً وهو (108) ، كما أن هاتين الآيتين في السورتين، قـد أقرتا التماسك النصي لهذين السورتين أولاً وللسور التسعة ثانياً ، وللسور الإحـدى عشرة ثالثاً، فعنصر التكرار ـ وهو أحد عناصر التماسك النصي ـ بين الآيتين في سورتي البقرة وآل عمران حقق هذا التماسك لفظاً ومعنىً ، إذ إن عدد كلمات الآية في سورة البقرة هو تسع كلمات قال ا تعالى:" تِلْكَ آياتُ اللهِ نَتْلُوها عليْكَ بِـالْحق وإنك لَمِن الْمرْسلِين (252) ، وعدد كلمات الآية في سورة آل عمران هو إحـدى عشرة كلمة قال ا تعالى :" تِلْكَ آياتُ اللهِ نَتْلُوها عليْكَ بِالْحق وما الله يريد ظُلْمـا لِلْعالَمِين (108) " ، وعضد هذا التماسك المتحقق بتعالق الآيتـين ألفاظـاً ودلالات وموضوع خطاب، نتائج المنهج الإحصائي الحسابي ، فتكرار بعض الألفاظ نفـسها في الآيتين قد وقع فيهما (البقرة 252، آل عمران 108)، قال تعالى: كَيْفَ تَكْفُرون بِاللهِ وكُنْتُمْ أَمْواتًا فَأَحْياكُمْ ثُم يمِيتُكُمْ ثُم يحْيِيكُمْ ثُم إِلَيْهِ تُرْجعون (28) هو الَّذِي خَلَـقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جمِيعًا ثُم اسْتَوى إِلَى السماءِ فَسواهن سبْع سمواتٍ وهو بِكُلِّ شَيْءٍ علِيم ([1]). (29)

إن مجموع عدد كلمات الآيتين (32) وجمع العددين مساوٍ لعدد حروف لفـظ الجلالة (ا) تبارك وتعالى .

---

[1] - سورة البقرة : الآيتان :28،29.

التطابق بين عدد كلمات الآية ورقمها.

وقد تطابق رقم الآية (19) مع عدد كلماتها: هو الذِي خَلَـقَ لَكُـمْ مـا فِـي الأَرْضِ جمِيعًا ثُم اسْتَوى إِلَى السماءِ فَسواهن سبْع سمواتٍ وهو بِكُل شَيْءٍ عِلِـيم (29) البقرة.

آخر آية: قال ا تعالى: واتقُوا يوْمًا لا تَجْزِي نَفْس عنْ نَفْسٍ شيْئًا ولَا يقْبلُ مِنْهـا شَفَاعةٌ ولا يؤْخَذُ مِنْها عدْلٌ ولا همْ ينْصرون (48)، عدد كلمات الآيـة (19)، وقـد تكررت معظم ألفاظ هذه الآية ثلاث مرات وكلها في سورة البقرة في الآيـات/ 48، 123‘، 281، ومجموع عدد رقمي الآيتين (29+19) مطابق لرقم آخـر آيـة مـن القرآن نزولاً وهي (48)، كما أن مجموع أرقام الآيات (48، 123‘،281)، مطابق لعدد السور ذوات الحروف المقطّعة، أي(12+ 6+11)، ويساوي (29)، وهو يفضي إلى دلالة الرقم (11) أي: 9+2.

ومما يؤازر هذا التماسك الموضوعي للسور ذوات الحروف المقطّعة بـشكل خاص والسور المكية بشكل عام، هو تطابق العدد لجملة (آيـات ا)، مـع عـدد كلمات الآية(29) من سورة البقرة وهو (19)، إذ وردت جملة (آيـات ا) تـسعة عشر مرة في القرآن الكريم، منها (15) مرة في السور ذوات الحروف المقطّعـة، موزعة على النحو التالي: وردت في سورة البقـرة/2 مرتـان، وفـي سـورة آل عمران/3مرات، وفي سورة الأعراف/1، مرة واحدة، وفي سورة القصص/1 مرة، وفي سورة غافر/5 مرات، وفي سورة الجاثية/3 مرات، ومرة واحدة فـي سـور/ النساء، الكهف، الأحزاب، الطلاق.

الآيات ذات الرقم (57) في سورتي البقرة وآل عمران.

إن اختيار هذا الرقم بشكل خاص، كان مرده معيار مسألة النصف، فهذا الرقم هو نصف عدد سور القرآن الكريم، قال تعالى: وظَلَلْنَا علَيْكُم الْغَمام وأَنْزلْنَا علَيْكُم الْمن والسلْوى كُلُوا مِنْ طَيباتِ ما رزقْنَاكُمْ وما ظَلَمونَا ولَكِنْ كَانُوا أَنْفُسهمْ يظْلِمون

(57) البقرة، وأَما الذِين آمنُوا وعمِلُوا الصالِحاتِ فَيوفيهِمْ أُجورهمْ والله لا يحِب الظالِمِين ([1]) .

إن مجموع كلمات الآيتين ذات الرقم(57) في سورتي البقرة وآل عمران هـو (29)، وهو بعدد السور ذوات الحروف المقطعة، كما أن هذا الرقم (57) هو نصف عدد سور القرآن ومن مضاعفات العدد 19، والآيات التي قبل وبعد كلمات هذه الآية ذات الرقم 57 متعالقة مع الآيات السابقة مع سورتي البقرة وآل عمران وغيرهما في موضوع الخطاب، وهو الوحدانية تبارك اسمه، نافية أن يكون له شريكاً .

ومحورالوحدانية تضمن معناه الاسم (العبادة) الذي أنبأت به بعض الأفعال نحو: (اعبد، اعبدوا، اعبدني، وبضع الأسماء نحو: عبدي، عبدنا، العبد)، بحسب تفسير ابن عباس رضي ا عنهما لمعنى العبادة فيها.

وقد جاء عقب بعض هذه الأفعال، جملة (الصراط المستقيم)، ووردت في خمس سور من السور ذوات الحروف المقطّعة، وهي على النحو التالي:

قال ا تعالى في سورة آل عمران: إِن الله ربي وربكُمْ فَاعْبدوه هذَا صِراطٌ مسْتَقِيم ([2]). إن مجموع كلمات الآية مع مجموع رقمي الآية يساوي (14) وهو مساوٍ لعدد الحروف المقطّعة بعد حذف المكرر منها وهو (14).

لفظة (الشريعة/ الدين): ونمثل لها بالآيات التي تحدثت عنها في سورة الجاثية، قال تعالى: ثُم جعلْنَاك علَى شَرِيعةٍ مِن الْأَمْرِ فَاتبِعْها ولَا تَتبِعْ أَهْواء الذِين لَا يعْلَمون*إِنهمْ لَنْ يغْنُوا عنْك مِن اللهِ شَيْئًا وإِن الظالِمِين بعْضهمْ أَوْلِياء بعْضٍ والله ولِي الْمتقِين ([3])، مجموع الكلمات في الآيتين (28)، ويؤول إلى العدد (1) بجمع الرقمين، ودلالة تفضيل شريعة محمد صلى ا على ما سواها من الشرائع، حقّقه معنى الاستعلاء الذي أداه وظيفياً حرف الجر (على)، فدلالة الرقم (1) منسجمة ومتعالقة مع الشريعة الوحيدة (الدين)، التي قبلها سبحانه وتعالى فلن يقبل غيرها .

---

[1]- سورة آل عمران:الآية: 57.

[2]- سورة آل عمران : الآية/51، وانظر: السور: مريم/36، يس/61، الزخرف/61،64،

[3]- سورة الجاثية:الآيتان:18،19.

عدد كلمات الآية الأخيرة:

عدد كلمات الآيتين الأخريين من سورتي الشعراء والقصص، تسعة عشر(19) كلمة في كلّ منهما، وحاصل مجموع رقم الآيتين هو(27)، وهو مطابق لرقم سورة (النمل) بحسب ترتيب المصحف، وحاصل ضرب رقمي آخر آية من سورة النّمـل وهو (93)، هو (27) أيضاً، وحاصل مجموع عدد كلمات الآيتين الأخـريين مـن سورتي (العنكبوت والروم هو (19)، وهو مطابق لعدد كلمات الآية الأخيـرة مـن سورة القصص التي قبلهما، فعدد كلمات الآية الأخيرة من سورة العنكبوت هو (9) وعدد كلمات الآية الأخيرة من سورة الروم هو (10)، عدد كلمات آخر آيـة مـن سورة لقمان هو (27)، وهو مطابق لرقم الآية التي تحدث عـن كلمـات ا مـن السورة نفسها وهي آية رقم (27)، وعدد كلمات الآيات (27و28و29 مـن سـورة لقمان هو (57) ، وهو نصف عدد سور القرآن الكريم، وتطابق عدد كلمات الآيـة الأخيرة من سورة الأحقاف وهو (27)، مع عدد كلمات الآيات الأخيرة من الـسور السابقة أيضاً.

عدد آيات السور: تطابق عدد آيات سورتي القصص وص، وهو (88).

والحديث عن هداية القرآن الكريم للصراط المستقيم، جاء في الآية التاسعة من سورة الإسراء، قال ا تعالى:"إِن هذَا الْقُرْآن يهْدِي لِلتِي هِي أَقْوم ويبشر الْمـؤْمِنِين الذِين يعْملُون الصالِحاتِ أَن لَهمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) سورة الإسراء .

إن سورة الإسراء هي السورة رقم (17) في ترتيب التلاوة ، وإذا تم طرح هذا الرقم من (114) ـ وهو عدد سور القرآن الكريم ـ كان الناتج هـو (97)، وهـذا الرقم هو لسورة (القدر) حسب ترتيب التلاوة أيضاً، وفي هذه السورة أخبرنا سبحانه وتعالى، أنه أنزل القرآن الكريم في ليلة القدر وسميت السور باسم المـضاف إليـه (القدر) لمعرفة المضاف المحذوف من آيات السورة نفسها، وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على مسألة الإعجاز العددي ليس مختصاً بالرقم (19) وحـده، بـل هـو موجود في الأرقـام (1، 3، 5، 7، 9 ، 11 ، 13، 15، 17، 21، 19 ... ولربمـا تكون الأرقام الفردية لها خصوصية موضوعية، وهذه الخصوصية تتعلق بمحـاور رئيسة، تناولتها السور ذوات الحروف المقطّعة بشكل خاص، وهي: الوحدانية وكل

ما يتصل بها فيؤول إليها مثل: الموت، البعث، اليـوم الآخـر، الخلـق، الـرزق، الاحتجاج للرسول عليه الصلاة والسلام، الاحتجاج للقرآن الكريم، الحروف العربية وعلاقتها مع السور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة وما يتصل بهـا؛ مـن حيـث عددها ونصف عددها، ودلالات الحروف فيها، موقع بعض الـسور القرآنيـة فـي ترتيب التلاوة وترتيب النزول، ذكر ألفاظ الكتاب أو القرآن أو يتصل بهما بعد هذه الحروف، فكل هذه المواضيع راعتها هذه السور: محاور رئيـسية، بكـل تـرابط وانسجام وتعالق فيما بينها؛ موضوعات ومواقع وأرقاماً، من حيث الاستهلال مروراً المتن ، حتى خواتيم كل سورة .

ترتيب النزول:

احتلت سورة لقمان بترتيب نزولها الخامس عشر، موقعاً وسطاً بـين الـسور ذوات الحروف المقطّعة، فقبلها أربع عشرة سورة وبعدها أربع عشرة سورة أيضاً، وفي ترتيب نزول سورة لقمان علامة دالّة على معنى الشمول والإحاطة، وبوقوعهـا وسطاً تعالقت مع دلالات الوسط والعدل والاستقامة، إذا ما علمنا أنّهـا أول سـورة نزلت مستهلّة بـ (الم) وفيها الآية/27 التي أفصحت عن دلالـة العلـم والإحاطـة والشمول. (الم) لقمان: (15) =6. الآية الدالة على الإحاطة والشمول والكثرة (انظر الطبري: إذ ذكر حديثاً عن معنى الكثرة في الآيـة). (27)=9 = عـدد الأصـوات المنطوقة من (ألف،لان،ميم)، 15+27= 42=6 أي أن (مجموع رقمي نزول الآيـة بحسب ترتيب النزول هو نفسه مجموع الرقمين للسورة والآية = (6) .

ترتيب المصحف أو التلاوة:

ومن الدلالات السيمائية التي يمكن أن نستشفها من المنهج الرياضي الحسابي، التي تصل هذا الحرف بالحروف المقطعة بعد حذف المكرر منهـا، هـو مجمـوع رقمي السورة بحسب ترتيبها في المصحف، إذ هو الرقم (68)، ومجمـوع هـذين الرقمين يساوي (14)، مع العلم أن هذه السورة هي أول سورة نزلت فـي القـرآن الكريم مستهلة بحرف مقطّع.

اسم الفاعل/محيط:

من الأمثلة التي جاء فيها أحد المشتقات (اسم الفاعل) وفيه دلالة الوحدانية لفظاً ومعنىً وعدداً اسمه العزيز (المحيط)، فقد وردت جملة (وا محيط) بهـذا الـشكل مرة واحدة في القرآن الكريم، قال تعالى: أَوْ كَصَيبٍ مِن السماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ ورعْد وبرْقٌ يجْعلُون أَصابِعهمْ فِي آَذَانِهِمْ مِن الـصواعِقِ حـذَر الْمـوْتِ والـلـه محِـيطٌ بِالْكَافِرِين البقرة:(19) = (10 =1)، وورد ذكر محيط أكثر من مرة في القرآن ، لكن لفظة الإحاطة ممثلة بجملة (من ورائهم) قد ورد مرة واحدة في القرآن الكـريم وجاءت في آخر السور التي ورد فيها الاسم (محيط)، قال تعالى: بل الَذِين كَفَروا فِي تَكْذِيبٍ (19) والله مِنْ ورائِهِمْ محِيطٌ (20) بلْ هو قُرآن مجِيد (21) فِـي لَـوْحٍ محْفُوظٍ البروج: الآية/(22)، مجموع أرقام الآيات (82=10=1)، وكأن علامـة تلوح من جملة (من ورائهم) وهي إحاطة شاملة بكل شيء وفي كل شيء، فأحـاط بكل الكافرين منذ أن خلق آدم إلى أن يرث ا الأرض ومن عليها، فاسب لفظ جملة من ورائهم وقوعها مع الاسم محيط وفي آخر سورة ذُكر فيهـا اسـم ا العزيـز (المحيط) .

فَتَلَقى آَدم مِنْ ربهِ كَلِماتٍ فَتَاب علَيْهِ إِنه هو التواب الرحِيم (37)

مجموع رقم الآية 7+3=10،،، عدد كلمات الآية (11)...

ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا مـن لغـوب" سورة ق: الآية. إن لفظة (محيط) بدلالتها الصرفية (اسم فاعل)، مقصورة على ا وحده، فا أحاط بكل شيء علما، قال تعالى: ولا يحيطون بشيء مـن علمـه ، والمنهج الإحصائي قد عضد تفسير ابن عباس رضي ا عنهما للحـروف الثلاثـة (الم) وهو قوله: أنا ا أعلم، إذ إن صفة (العليم) مسبوقة بلفظ (كل) الدالـة علـى العموم والشمول، قد وردت ثلاث مرات في ثلاث آيات من سورة البقرة، ليتطـابق عدد تكرارها مع عدد هذه الحروف الثلاثة (الم)، وهذه الآيات الثلاثة هي:

1 ـ قال ا تعالى: هو الَذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الأَرْضِ جمِيعًا ثُم اسْتَوى إِلَى السماءِ فَسواهن سبْع سمواتٍ وهو بِكُلِّ شَيْءٍ علِيم (29) وقال تعالى: واتقُوا الله واعْلَموا

أن الله بِكُل شَيْءٍ عَلِيم (231) "وقال تعالى: واتقُوا الله ويعلمكُم الله والله بِكُـل شَيْءٍ عَلِيم (282)".

مجموع أرقام الآيات هو نفسه رقم الآية الأولى منها وهو (29)، وهو الـرقم نفسه لعدد السور ذوات الحروف المقطّعة، كما أن لفظة **(كلّ شـيء)** الدالـة علـى الإحاطة والشمول، قد تطابق عدد تكرارها عدد السور القرآنية التي نزلت في مكة، ومجموع العددين (29) و(85) تطابق مع عدد سور القرآن الكريم كاملاً .

كما أن قوله تعالى " **بكل شيء** " الذي ورد خمساً وعشرين مرة فـي القـرآن الكريم، قد مجموع رقميه، وهو (7) سبعة، عدد آيات سورة الفاتحة، التـي عـدت مجملة للقرآن الكريم، لينسجم هذا معنى الإجمال للقرآن، مع تكرر قولـه تعـالى :" بكل شيء"، في القرآن كلّه، أي الانسجام بين سورة الفاتحة من خلال عـدد آياتهـا وإجمال معاني ألفاظ وتراكيب آياتها السبعة مذكورة ومحذوفة، مع عدد تكرار (بكل شيء) التي وردت (25) مرة في القرآن الكريم كلّه، بعدد الأنبياء والرسل الذي ورد ذكرهم في القرآن الكريم.

كما أن مجموع رقم عدد الآية الأخيرة التي ورد فيها قول ا تعـالى: كـلّ شيء ([1])، ـ وهو (14) ـ مطابق لعدد الحروف المقطعة بعد حذف المكرر منها، ويعضد هذا التماسك أيضاً، مجموع كلمات الآية ذات الرقم (284)، وهو (28) كلمة بعدد الحروف الهجائية، ويعزز محور الوحدانية كذلك عدد تكرار جملة:(على كـل شيء قدير)، عشر مراتٍ في القرآن الكريم، منها ست مرات فـي سـورة البقـرة وأربعة في سورة آل عمران، ومجموع الرقم (10) هو واحد، أي صفر + 1=1.

وتعالق المعنى الذي يفيده عدد الكلمات نحو الكلمات: مسلمون، مسلمين، أسلم، مسلمة، الإسلام..الخ. في تعزيز محور (الوحدانية) فـي الـسور ذوات الحـروف المقطّعة، فقد وردت كلمة الإسلام أربع مرات منها مرتان في آل عمران وواحدة في المائدة وواحدة في الصف. وأسلمت مرتان في البقـرة وآل عمـران، ورد كلمـة المسلمين (11) مرة منها (6) مرات في ست سـور اسـتهلت بحـروف مقطعـة،

[1] - سورة البقرة: الآية/284.

ووردت كلمة مسلمين (9) مرات كلها في سور استهلت بحروف مقطعـة، والفعـل أسلم ورد (7) مرات في القرآن، أربع منها في سور ذوات حروف مقطّعة.

وكلمة (مسلمون) وردت(14) مرة منها (11) مرة في السور المقطّعـة التـي استهت بـ (الم) 7 مرات في أربع سور منها 4 مرات في سورة آل عمران ، الـر في سورة هود، وطس النمل، وفي التوبة :" وإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحواريين أَنْ آَمِنُوا بِي وبِرسولِي قَالُوا آَمنا واشْهدْ بِأَننَا مسْلِمون (111).13 كلمة، وفي الأنبياء مرة واحدة :" قُلْ إِنما يوحى إِلَي أَنما إِلَهكُمْ إِلَه واحِد فَهلْ أَنْتُمْ مسْلِمون "(108) 11 كلمة.

وكلمة مسلمة مرة في البقرة الآية (128) (مجموع الأرقام/11)، وكلمة (سلام) وردت 19 مرة 9 في السور ذوات الحروف المقطعة:

أفعال الأمر:

ومما يتجاوب مع هذه الأرقام الدالة على الوحدانية بالنظر إليها سـيميائياً، أن تأويلنا هذه الحروف المقطّعة بأنها تشير إلى أفعال الأمر، كأحد التأويلات المتعـددة لها، فإن أفعالاً بذاتها قد خُوطب بها الرسل عليهم السلام، قد تطابق عدد تكررها في القرآن الكريم مع دلالة الوحدانية في الأرقام الأخـرى نحـو: (1) و(100) و(11) و(10) و(19) وغيرها، فأول هذه الأفعال الفعل الدال على الوحدانيـة، وأول فعـل بصيغة الجمع ورد في سورة البقرة وهو الفعل (اعْبدوا)، وقد نص قوله تعالى على مقولة الرسل الواحدة بالفعل نفسه، قال تعالى: ولَقَدْ بعثْنَا فِي كُلِّ أُمـةٍ رسـولا أَن اعْبدوا الله واجْتَنِبوا الطاغُوتَ فَمِنْهمْ منْ هدى الله ومِنْهمْ منْ حقتْ علَيـهِ الـضلالَةُ فَسِيروا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيفَ كَان عاقِبةُ الْمكَذِّبِين ([1])، فقد تطابق مجموع عدد رقمي هذه الآية وهو (تسعة/9)، مع مجموع عدد الحروف (الم)، وهي مرسومة كما هي منطوقة، وتطابق عدد كلمات هذه الآية مع عدد الحروف العربية الهجائية وهو (28)، وقد تعالقت دلالة مجموع هذين الرقمين (1)، مع دلالة حرف الألف السيمائية الدالة على الوحدانية بشكلها المرسوم المسطور (العدد، كما تعالقت دلالته مع تأويل

[1] - سورة النحل: الآية/36.

الحروف المقطّعة - وتمثّلها (الم) - عند كثير من المفسرين واللغويين، بـأن هـذا القرآن هو من هذه الحروف التي يتخاطب بها العرب .

ومن هذه الأفعال هو (فاصبر) فقد تكرر (11) مرة في القرآن الكريم، منهـا (8) مرات في سبع سور قرآنية استهلت بحروف مقطّعة، إذ لم يرد هذا الفعل فـي سورة لم تستهل بحروف مقطعة فتفصل بين هذه الـسور الـسبع بحـسب ترتيـب المصحف، وهذه السور هي (هود، طه، الروم، غافر/ و تكرر فيها مرتان، ابتـداءً من سورة وتكرر مرتان في سورة (غافر) مرتين، وهذه الأعداد علامة دالّة علـى المحور الموضوعي المركزي في السور القرآنية ذوات الحروف المقطعة)، فعـدد السور وعدد تكرار الفعل منسجمان متعالقان في دلالتهما الـسيمائية علـى محـور الوحدانية (10 عدد السور) (11)، عدد تكرار الفعل، ومجموع العددين وهو (21)، هو نفسه رقم الآية (21) من سورة البقرة، التي فسر ابن عباس - فيما نقله الطبري وغيره - لفظ العبادة فيها ممثّلة بفعل (الأمر) وبصيغة الجمـع (اعبـدوا)، بأنّهـا (الوحدانية)، قال ا تعالى:" "، وهذه الدلالات متعالقة تماماً مع الدلالات الـسيميائية للحروف المقطّعة (الم) التي ذكرناها، وهذا يؤكد على أن (الم) هي جملة (نـواة) أو هي البؤرة الرئيسة؛ التي تحمل وافراً من المعلومات المتأولة إذا مـا نُعتـت بأنهـا جديدة، وعدد الحروف الثلاثة مكتوبة كما هي منطوقة يساوي تسعة حـروف (9)، كما هو العدد نفسه في مجموعة (الر) و(طسم)،

الفعل (واستغفر) ورد سبع مرات في القرآن الكريم، وتنبه بوكاي إلى الـرقم سبعة قائلاً:"... والرقم سبعة ورد في القرآن أربعـاً وعـشرين مـرة لمعـدودات مختلفات، ومعناه في الغالب هو الكثرة، دون أنْ نتأكد مـن معرفـة سـبب هـذا الاستعمال بهذا المعنى، ويبدو أن الرقم سبعة عند اليونان والرومان يحمـل أيـضاً معنى الكثرة غير المحددة، ولقد ورد هذا الرقم في القرآن سبع مرات مضافاً إلـى السماوات، ومرة بمعنى السماوات المضمرة، ومرة أخرى مع الطرائق التـي هـي فوقنا"([1])، واستدلّ الكاتب على هذا المعنى من خلال السور الآيات التالية: (سـورة

[1]- بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، 172.

البقرة/29، الـسورة 23/ 17، الـسورة 3/67، الـسورة 16،15/71// الـسورة 12/78)، ولقد اتفق المفسرون جميعاً، على أن معنى الرقم سبعة في هـذه الآيـات الكثرة المطلقة وليس العدد بالذات"([1]) . ودلالة العدد (7)، كما ذكر محمد مفتاح – نقلاً عن كتاب الموسيقى لـ (أرستيد كوانتيلورس) ـ:" سباع: ويوسم بأنّـه عـدد نقي([2]) .

الفعل (أدعو) دلالة الوحدانية من خلال دلالة (التضمن من الاسم المسبوق بما النافية بعد أن اسند عدم الانتماء إليهم (وما أنا من المشركين) (أدعـو ا وحـده لا غيره)، كما جاء هذا المعنى من خلال الآية التالية في سورة (الرعد) قـال تعـالى: والذِين آتَيْنَاهم الْكِتَاب يفْرحون بِما أُنْزِلَ إِلَيْك ومِن الأَحْزابِ منْ ينْكِر بعْضه قُـلْ إِنما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبد الله ولَا أُشْرِك بِهِ إِلَيْهِ أَدْعو وإِلَيْهِ مآبِ .(36)

إن مجموع أرقام الآية الأولى هو (9)، ومجموع رقمي الآية الثانية هـو (9) أيضاً، وحاصل مجموع العددين هو (9) أيـضاً، إذ مجمـوع العـددين هـو (18) للآيتين، ومجموع هذا الجمع هو (9) أي: 8+1.

ويتجاوب مع هذه الدلالة على محور الوحدانية دلالة رقم الآية التي تـضمنت في بنيتها التركيبية الفعل (أدعو) من سورة (الجن) وهي قوله تعالى: قُلْ إِنما أَدْعو ربي ولا أُشْرِك بِهِ أَحدًا (20)، ولعل سائلاً يسأل عن هذا التعالق الدلالي من خلا رقم الآية (20)، فنقول: إن لفظة أحداً قد تضمنت نفي أن يكون إله مع ا سـبحانه وتعالى، وهي نفي خاص شامل لعموم ما يعبدون، وقد صرحت آيات بنفي أن يكون مع إله آخر، فالمسألة منصبة على نفي أن يكون إله آخر مع ا ، مما يعنـي عـدم الاهتمام بنفي أن يكون في الوجود إلهين أو أكثر مع ا ، قال تعالى: أإله مع ا "، وقال تعالى: لذهب كلّ إله بما كسب ، والسياق قبلها سياق الحديث عـن عدميـة ونفي أن يكون ولد، والسور الثلاث مكية، لكن جاء التقديم لسورة البقـرة (الـم) على الرغم من نزول سور قبلها استهلت بهذه الحروف؛ لأن سورة البقرة عدها جلّ

---

[1]- بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم: 172.

[2]- مفتاح: أوليات منطقية رياضية في النظرية السيمائية، 135.

المفسرين، السورة الشاملة المجملة لكتاب ا العزيز، وسميت بـ (فسطاط القرآن)، وفي هذا السياق قال ابن العربي في فضل سورة البقرة في كتابه أحكـام القـرآن:" اعلموا ـ وفقكم ا ـ أن علماءنا قالوا: إن هذه السورة من أعظم سـور القـرآن؛ سمعت بعض أشياخي يقول: فيها ألف أمر، وألف نهي، وألف حكم، وألف خبر"([1]).

إن حاصل مجموع رقمي الآيتين من سورة الأعـراف (157،158)، التـي تتحدث عن: موضوع الإيمان والرسول النبي الأمي، وهو (27) ، وهو حاصل جمع عدد كلمات الآية ذات الرقم (285)، وجاء حاصل مجموع رقم كلّ آية متسلـسل : 13،14،15 ، فـ (13) حاصل جمع رقم الآية (157) و14 حاصل جمـع الآيـة (158) وهما من سورة الأعراف، و15 حاصل جمع (258)، الآية قبل الأخيرة من سورة البقرة ، ما عدا تكرر الرقم (5) في الآيات الثلاثة: عدد حروف لفظ الجلالـة (ا)، و(1)و(8) في آيتين، و(7) في آية، وعنصر الترتيب قد تحقق كذلك.

إن حاصل مجموع أي رقمين متسلسلين من الرقام السابقة ينبأ عن مسائل:

أ- 13+14= 27: ليلة القدر في شهر رمضان الذي أنزل فيها القرآن الكريم :" إنا أنزلناه في ليلة مباركة ": (5) كلمات .

ب ـ (9) هو حاصل مجموع (2+7)، وهو مجموع عدد الحروف لفظاً أو رسـماً (ألف لام ميم)، ـ 13+15=28 : عدد حروف العربية

ج ـ 14+15=29 : عدد السور ذوات الحروف المقطّعة .

عدد الرسل: الرسل عليهم السلام الذي ورد ذكرهم في القرآن الكريم، بلغ عـددهم خمساً وعشرين رسولاً كما هو معروف، وقد تطابق هذا العدد مع رقم الآية التـي يدل سياقها على المرسلين، وجاءت هذه الآية في سورة الأنبياء التي دخل عنوانهـا مع الاسم الرسل في حقل دلالي واحد، قال تعالى: وما أَرْسلْنَا مِنْ قَبْلِك مِنْ رسولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنه لَا إِلَه إِلا أَنَا فَاعْبدون ([2]) .

---

[1] - ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبدا المعروف بابن العربي/ (468-543هـ ـ)، أحكـام القرآن، تحقيق/عبد الرزاق المهدي// المجلد الأول/32، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان/ الطبعة الأولى/1421هـ - 2000م، وانظر الزركشي، البرهان، 269/1.

[2] - سورة الأنبياء: الآية/25.

وفي سياق هذا المنهج الإحصائي تكرر موضوع محوري في النص القرآنـي، وهو (الحوار في القرآن الكريم)، وهذا الموضوع قد شكّل بنية كبرى فـي الـنص القرآني، ومما يؤكد محورية هذه الموضوع وبنيته الكبرى، هي ما يمكن أن يـشتق من الجذر اللغوي للفعل (ق و ل)، القول: قول /1722 مرة، مما يشير إلى المـادة علاقة بالحوار، يأتي بعدها المقول، نحو: قال، قلنا، قلت، قل، يحـق (تعـود إلـى صوت الوحي)،إن كثرة مادة (قول)؛ فعلاً واسماً ومشتقاً في النص القرآني ، تؤكـد على قوة الحوار وصدقيته، (القول مسند إلى الرجل والمرأة .

(كتاب): ونمثّل له بقوله تعالى: كِتَاب أَنْزَلْنَاه إِلَيْك مبارك لِيدبروا آياتِـهِ وليتَـذَكر أُولُو الأَلْبابِ ([1])، فعدد كلمات الآية مطابق لعدد الحروف (الم) وكل حـرف منهـا منطوق، كما تطابق رقم الآية مع عدد السور ذوات الحروف المقطّعـة، ومجمـوع عدد رقمي الآية متعالق مع دلالة الوحدانية.

إنه لجدير بالتوقف ـ ونحو النص يستفيد من كل العلوم ـ أن نتأول ـ قرينة رقم الآيتين الواردتين في سورة البقرة وآل عمران، وهما في سورة البقرة مطابقـاً لعدد للحروف الهجائية، إذا لم نعد الألف حرفاً في الآية الأولى أو حرفاً في الآيـة الثانية، ومطابقاً أيضاً لعدد السور ذوات الحروف المقطّعة، ثم الوحدانية التي قضى وألزم بها لفظ الجلالة (ا) والشهادة التي في سورة آل عمران، والبعث والحيـاة، وأسماء ا تعالى المتضمنة دلالتها الآيات التزاماً واقتضاءً أيضاً، فمن خلال هـذا الاستقراء لموضوع الوحدانية، وجدنا أنّه حديث هذه الآيات في تلك السور القرآنيـة ذوات الحروف المقطّعة، التي تماسكت فيما بينها في وحـدة موضـوع الخطـاب، وتماسكت كذلك فيما بينها من حيث، التماثل والتطـابق لأرقـام الـسور والآيـات والكلمات التي شكّلت الآية الواحدة .

[1] - سورة ص: الآية/29.

خاتمة الدراسة ونتائجها

إن أهم ما يجب ذكره ـ في خاتمة الدراسة، وعطفاً على ما قِيل فـي تحليـل السور ذوات الحروف المقطّعة ـ هو أن المعنى الكلّي الذي تضمنته البنيـة الكليـة لنص هذه السور، هو المعنى المتمثّل ـ كما يبدو ـ بمحور إقـرار الوحدانيـة لله وحده سبحانه وتعالى، محور أفصح عنه تأويل الحروف المقطّعـة بأنّهـا حـروف مقتطعة من أسماء الله الحسنى، فعدت هذه الحروف الجملة الأولى (النـواة)، التـي شغلتها تلك الحروف، على أنها أسماء الله الحسنى المقسم بها، قبل أنْ يقسم بغيرها، فالخالق للكون المدبر لأمره، المحيي والمميت، الحي القيوم، العليم الخبير، الـرازق الوارث المعطي المانع ،الملك الحق، مالك الملك، هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد المعبود المستعان، الذي لا يشركه في وحدانيته الإلهية والربوبية أحد، فـلا معبـود بحق سواه.

وهذه المعاني الخصوصية التي أنبأت بها أسماء الله الحسنى سبحانه وتعـالى، هي أسماء الله وحده قد قصرها الله له وحده وأمرنا أن ندعوه بها، كما أن أفعال هذه الأسماء مؤكدة بإسنادها إلى الله وحده تأدية وإنجازاً مباشرة وغير مباشرة، جـوهر الوحدانية متحقق فيها،وقد مثلّها المحتوى القضوي للآية الكريمة في قول الله تعالى:" فلله الأسماء الحسنى فادعوه بها " ، فأي اسم من هذه الأسماء التي ذكرت والتي لـم أذكر، فإن معنى الوحدانية لله عز وجل لفظاً ومعنىً ـ وبكل جلاء ـ متجلي فيهـا، كما أثبتت المعاني الجزئية؛ معجماً أو تركيباً أو سياقاً أو علامة، من خلال الحرف أو أكثر من الحرف، أو الآية الواحدة أو الآيتين أو الآيات، سواء أشكّـلت هـذه الآيات جملة (نواة) أم جملاً أم فقرات، هذا المعنى (الوحدانية) مـن خـلال أبنيـة نصوص كل سورة منها صغرى أو كبرى وفي مستوى النص أفقياً أو رأسياً، أبنية نصوص تعالقت على مستوى الدلالات المتأتية من الحرف والآية والآيتين والآيـات (الفقرات)، بفعل تفعيل كل مستويات التحليل النصي النحوي والـدلالي والتـداولي، أبنية مكّنت المتلقي من أن يشرك معطيات كلّ العلوم الأخرى ـ تحقيقـاً لخاصـية الشمولية التي يتمتع بها علم لغة النص، وتدليلاً على النظرية (نحو النص) التي تمثل جوهر هذا العلم وتحتج لعلميته ـ مكّنته ليستفيد منها ما يساعده على فهـم الـنص،

ويعمل على تنحية وتحييد ما لا يستفاد منها، فـالعلوم: الكـون: الفلـك، الأرض، النجوم، الأجرام....، الطب ، الأحياء، الكيمياء ، الأنثروبوجيا، النفس ، الاجتمـاع، عنوانات نضعها لآية أو أكثر تتحدث في مجال من مجالاتها، وكذلك علوم القـرآن: الفقه ، التفسير بأنواعه، العبادات، الأحكام على تنوعها، تأخذ مكانها عنوانات كذلك لآية أو أكثر من آيات هذه السور، وعلم الصوت، الصرف، النحو، الدلالة ، نظرية السياق ، عنوانات لغوية جزئية وكلية وخاصة، أفردت لها مؤلفات مؤلفـة وتزيـد، كانت آيات القرآن الكريم خير مبان ومعان في نصوصها، استعمالاً؛ أسلوباً وأمثالاً وحكماً وقصصاً وتصويراً ترغيباً وترهيباً ، وعِبرٍ وحجج وبراهين وأدلـة وآيـات معجزات، رحمة من رب العالمين الذي هدى الإنسان إلى سبيل واحد كفيـل بمـن يسلكه، أن يهتدي إلى الصراط المستقيم الذي سأله ا ، فبصيغة الأمر وبلفظ الجمع، أمر تبارك وتعالى الداعي والداعين طلب الهداية إلى هذا السبيل الذي لا يهدي إليـه إلا إله واحد لا شريك له ولا معبود بحق سواه ، إيماناً وتـصديقاً وإقـراراً بهـذه الربوبية والوحدانية له عز وجل، وهذا ما آمن به الرسول عليه الـصلاة والـسلام وجميع الرسل من قبل، وهذا ما دعت إليه الكتب السماوية بشرائعها المتعددة ، فمن أراد الهداية فعليه الإيمان بمثل ما آمن به الرسول والمؤمنون، وهذا المعنى المتحقق للوحدانية وللربوبية والإيمان با المتصف وحده بهما، هو المحتوى القضوي الـذي عالجته الآية الكريمة من قول ا تعالى في سورة البقرة :" فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا "، فالأيمان الحق الذي أقرته هذه الآية وغيرها طريقـه واحـدة وإن تعددت طرق هذا الإيمان وصفات من يتصف به، : فلم تقتلون أنبياء ا ، هـذا ليس من الإيمان في شيء.

إن محاور النص التي نقلتها محتوياته القضوية؛ التوحيـد، الإيمـان بالغيـب، الاحتجاج للكتاب وللرسول عليه السلام والخلق وتدبير الكون والرزق الموت والبقاء والبعث والحساب، الشفاعة والعذاب، مآل المؤمنين ومآل الكافرين، هي موضوعات شكّلت قواسم مشتركة عالجتها السور ذوات الحروف المقطّعة، فهذه الموضـوعات إنّما هي محتويات قضوية شكّل كلّ محتوى منها قضية بعينها، ما انفكت بنية السور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة، تتجاذبها في مستويي نصوصها الأفقية والعمودية،

فكانت موضوعات محورية، تحمل المتلقي المؤمن على الثبـات علـى الـصراط المستقيم والسير فيه، لما سلك سبل الهداية التي قادته فهدته إلى الصراط المـستقيم، فقد أنعم ا سبحانه وتعالى على الإنسان بوسائل وأسباب الهداية التي لا أمتاً فيهـا ولا عوجاً، وفي الوقت نفسه اتجهت إلى خطاب المتلقي الكافر، ليسلك طريق الهداية المؤدية إلى الصراط المستقيم، الذي سلكه مَنْ أسلم لسائر الأنبياء والرسـل علـيهم السلام، إذ إن رسالاتهم جميعاً حملت القصدية الواحدة، التي تدعو أن يسلم المتلقـي للفطرة التي فطر ا الناس عليها، فكانت دعوة الرسل للمرسلين إليهم وهي عبـادة ا وحده لا شريك له، هي جوهر الصراط المستقيم الذي طلبه المتلقي، فجاء نعمـة من ا ورحمة للعالمين، أفضل مرسل وخير داعٍ، بأشمل نص يهدي للتي هي أقوم.

فلا تكاد تمر آية أو أكثر من آيات السورة ذوات الحروف المقطّعة، إلا وتتحـدث عن محور منها لفظاً أو معنى أو لفظاً ومعنى، وهي بهذا التماس الموضوعي، جزئياً أو كلياً في أبنية نصوص السورة الصغرى أو الكبرى أفقياً أو رأسياً، وبترابطها فيما بينها عن طريق روابط لفظية ظاهرة أو مقدرة ، وعـن طريـق معـان سـطحية وعميقة، يعضد التصريح بها أو عدمه قرائن متعددة تنتمي إلى الجانـب التـداولي، ولعل أهم هذه الجوانب هي معرفة العوالم والخبرات لدى المتكلم والمتلقي، وقرينـة عدم اللبس وصفة الموصوف أو حاله التي هو عليها، نحو قوله تعالى: فوجد فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه ، فكان إسناد الفعل يرد إلى فاعل غير عاقـل، الـذي شكل بهذا التركيب انزياحاً إسنادياً، لا لإفادة المتلقي عن أداء الفعل وإنجـازه عـن طريق فاعل غير عاقل، بل للتأكيد على أنه في حكم الواقع الذي لا يـستفاد منـه، وتغيير حالته بإقامته لئلا ينقض، الأصل أن يؤجر عليها، وفي هـذا تـدخل علـوم المعاني التي اهتدت بها البلاغة القديمة من المجاز والبيان لتكون طبعتها تداولية كما عبر عن هذا المعنى أحد البلاغيين في هذه النظرية النحوية الشمولية التي راعـت الشكل والمعنى، وقد عبر عن كل ذلك أحد المصلحات النصية (التماسك النـصي)، بفعل مستويات التحليل النصي نحوياً ودلالياً وتداولياً ؛ من خلال الروابط المختلفة، والمعاني النحوية الوظيفية، وعلاقات التضمن والالتـزام، والإحـالات الـضميرية والإشارية، والسياق العام للآيات أو للسورة أو للسور جميعهـا، وأسـباب النـزول

وزمانه ومكانه، فحققت بذلك تعالقاً دلالياً فيما بينها، على مستوى بنية نصوص هذه السور الصغرى والكبرى من جهة، وتعالقها على مستوى البنيـة الكليـة الكبـرى للنص.

إن كل هذه الموضوعات ـ بقطع النظر عن قلة الآيات أو كثرتهـا ـ التـي عالجتها، آيات السورة الواحدة أو آيات السور ذوات الحروف المقطّعة، قد تحققـت في نصوص هذه السور مجتمعة، وإذا ما أمكننا تأول كلّ المعاني التي يمكن أنْ تقبل للحروف المقطعة ، سواء أدلّ الحرف الواحد على معنى واحد أم دلّ علـى أكثـر معنى، إنّما هو منسجم ومتسق ومتماسك، مع المعاني الجزئية والكلية، التـي تمثـل لهذه المحاور الموضوعية الواحدة في نصوص هذه السور، فالتعالق الـدلالي بـين الأبنية الصغرى والأبنية الكبرى في نصوص هذه السور أفقياً وعمودياً، كون بنيـة كلية كبرى، أي وحدة موسعة أطلق عليها(فندايك) مصطلح (آجرومية النص)، يمكن اعتمادها لمعرفة بعض القواعد التي تحكم (النص)، فتجعله كالبنيان المرصـوص، النص: المترابط المتعالق المتعانق بفعل بنيته المرصوصـة المـسكوبة المحكوبـة، المتسقه المنسجمة، مما يجعل النص كلاً واحداً قائماً بذاته، ليكون مفهومـه ـ كمـا يبدو ـ حدثاً فنياً علمياً معرفياً، يتصف بالشمولية، ينجز بأحداث لغوية وغير لغوية، تتعالق مكوناته فيما بينها؛ لتكون بنيته الكلية الكبرى، المتضمنة معنى النص الكلـي الذي تعالقت لأجله كلّ معانية الجزئية.

أما أهم نتائج الدراسة التي حاولت ما وسعتها المحاولة أن تخرج بهـا، يمكـن ذكرها في النقاط الآتية:

1- بينت الدراسة أن القرآن الكريم هو النص الذي امتاز عـن جميـع النـصوص بوصفه نصاً أُطلِق عليه، إذ تحققت فيه جميع معايير النصية التي وضعها علماء النص، وقد أثبتنا هذه النصية من خلال تحليل جميع عناصر التماسك النـصي، التي تمت دراستها وتحليلها ضمن إطار جميع مستويات التحليل اللغوية وغيـر اللغوية. ـ

2- أكّدت الدراسة أن النص القرآني نص مفتوح ومستمر ومتواصل مع متلقيه، فـي كلّ زمان وفي كل مكان، فعلى الرغم من طول عهده الذي أُنزل فيه، إلا أنه لم

يشكلّ انحرافاً أو خرقاً لشتى أنواع العلوم والمعارف الإنسانية، التي تم التوصل إليها على اختلاف مناهجها وآليات تحليلها وطرق فهمها، وسيظل كذلك - طبقاً لذاك التواصل وهذا التوافق - دون انحراف أو مخالفة، إذ لا يزال يشكلّ محوراً هاماً ورئيساً ومركزياً للدراسة والتحليل، فكثير من العلوم والمعارف التي تم التوصل إليها، قد تبين سبق القرآن الكريم لها، فلا مبالغة إذا ما ذهبنا إلى أن نظرية علمية قد يتم تأطيرها في القادم من الأيام، سيظهر سبق القرآن إلى نتائجها إذا ما تم تمحيصها به، أو تم عرض نتائجها على النص القرآني، فالعلم الذي أوتي منه البشر لم يكن إلا قليلاً.

3- انطلقت الدراسة مع الحروف المقطّعة باعتبارها الجملة النواة أو البؤرة الرئيسة في النص، لما تحمله من معلومات جديدة، الأمر الذي كان سبباً رئيساً في تعدد قراءاتها عند المتلقين منذ نزول القرآن الكريم ولا تزال، وكان ذاك الاعتبار لها متمثلاً بتأويل الجملة الأولى النواة لتلك الحروف .

4- اهتمت الدراسة بالموقع الذي شغلته الحروف المقطّعة، فلم تعتد لذلك بالرأي الذي عد هذه الحروف هي حروف قسم، بل عدت هذه الحروف حروفاً مشعرة بالقسم بالاسم الذي شغلت هي موقعه، ولم تعتد كذلك بمن عد حرف (الواو) - الوقع بعد بعض هذه الحروف - حرف قسم، بل عدته حرف عطف لم يخرج عن اختصاصه ووظيفته النحوية، فكان وجوده بعد هذه الحروف قرينة استثمرتها الدراسة في تأويل الحروف المقطّعة التأويل الذي ذكرناه .

5- خرجت الدراسة بدلالات تأويلية للحروف المقطّعة تضاف إلى ما قيل في دلالاتها عند المفسرين واللغويين والدارسين لعلوم القرآن، وهذه الدلالات المتأولة لم تجد - في حدود العلم والإطلاع على ما قيل من آراء في هذه الحروف - منْ نص عليها في دراسة خاصة بها أو عامة فشملتها، ومن هذه الدلالات؛ تأويلها بأنّها حروف مقتطعة من أفعال أمر متعددة، وليست محصورة في فعل واحد قد وقع أحد الحروف المقطعة في بنية فعل واحد كما جاء في أحد الأبحاث الذي أشرنا إليه تحت عنوان الدراسات السابقة للحروف المقطّعة. إذ تعددت الأفعال التي تأولناها لهذا الحروف، لا سيما الأفعال التي تنسجم مع

الموضوع المحوري لنصوص السور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة نحو: اعبد، اعبدوا، استقم، أقم، آمن، آمنوا، اصبر، اصبروا، اذكر، ادعو، استغفر، استغفروا، ...الخ.

6- خرجت الدراسة بدلالات جديدة لبعض الحروف المقطّعة، نحو: دلالة حرف (اللا)، على الملك التي دلّ عليها قوله تعالى:" ما في السماوات والأرض"، وغيرها من الآيات، ودلالة هذا الحرف أيضاً على النفي الذي وقع في صدر الآية شهادة التوحيد (لا إله إلا هو)، وكذلك (فلا أعبد، لا أعبد، ... الخ).

7- كما خرجت بدلالة حرف الـلا على النهي، الذي تصدر عدداً من الأفعال في صيغة المضارع لينسجم مع دلالتي الحرف على الأمر والنفي، واستدلينا على دلالة النهي بآيات من نصوص هذه السور نحو قوله تعالى:"ولا تدع، فلا تكونن"

8- كذلك تأويل هذه الحروف بأنّها قد وقعت في موقع المقسم به وليست هي حروف قسم، وقد كان تأويل المقسم به هو أسماء ا الحسنى أو أحدها.

9- من الأسس التي اعتمدتها الدراسة في تحليل نصوص السور ذوات الحروف المقطّعة، هو ربط عنوان السورة بمضمونها، إذ نهجت الدراسة هذا النهج باعتباره نهجاً تحليلاً جديداً لم أجد - في حدود العلم والإطلاع أيضاً - أحداً قد لجأ إليه من المفسرين أو الدارسين لعلوم القرآن .

10- ربطت الدراسة دلالات عنوانات السور ذوات الحروف المقطّعة، التي تم الوقوف عليها في معاجم اللغة، ثم ربطها بدلالات كثيرة جاءت في نصوص هذه السور، فكان هذا الرابط بين عنوانات السور مستنداً إلى نظرة نحو النص للنص باعتباره النص كلاً متكاملاً من عنوانه حتى آخر لفظة فيه.

11- سلكت الدراسة مسلك ابن جني في الحصول على دلالات متعالقة عن طريق تقليب الجذر اللغوي الواحد كما بينا ذلك في تقليب جذر الفعل (بقر) الذي تحصلنا عليه بعد تفكيك عنوان سورة البقرة .

12- لجأت الدراسة إلى التعامل مع الحروف المقطعة (الم) باعتبارها مجموعة من الأفعال تشمل (ألم ، أمل، لأم، لمأ، مال، ملأ، لم، ألم)، كما استفادت من المعاني

التي تم تأويلها من هذه الحروف باعتبارها أسماء من (الألفة، الأمـل، الألـم، الميل) .

13- استندت الدراسة في عضد ما جاء من دلالات سابقة للحروف المقطّعـة عنـد المفسرين واللغويين ودارسي علوم القرآن، وما خرجت هـي بـه مـن دلالات إضافية، إلى ربط هذه الدلالات بنص السورة ذات الحروف المقطّعة وبنصوص السور كلّها ذوات الحروف المقطّعة .

14- استثمرت الدراسة معطيات كثير من العلوم في الوقوف علـى بعـض دلالات الحروف المقطّعة وبعض آيات السور القرآنية التي استهلت بهـا، ومـن ذلـك استثمارها لمعطيات نظرية السيميائيات أو العلامات، التي جادت بمعانٍ جديـدة لهذه الحروف .

15- من خلال استخدام المنهج الإحصائي الحسابي، بينت الدراسة أن هذا المنهج قد عضد النتائج التي توصلنا إليها في إثبات الوحدة الموضوعية للسورة الواحدة من السور ذوات الحروف المقطّعة، وكذلك الحال عن طريق استخدام مناهج التحليل اللغوية وغير اللغوية، وعن طريق الاسـتفادة مـن سـائر العلـوم الأخـرى ومعطياتها.

16- أظهرت الدراسة أن للعرب القدماء جهوداً متقدمة وإسهامات كبيرة في دراسـة النصوص، تتصل بالدراسات الحديثة للنص بعده كلاً واحداً ذا بنية كلية كبرى، تعالقت مفرداته وجمله وفقراته في تحقيق هذه البنية، فقد بينت الدراسـة هـذه النظرة النصية عند المفسرين من خلال دراستهم للنص القرآني، فوصفوه بأنـه كالكلمة الواحدة وأن كلماته آخذ أعناقها بأعناق بعض.

17- أثبتت الدراسة انفتاح النص القرآني أمام المتلقي الواحد له وأمام كلّ مـنْ رام تلقيه، وثراءه الدلالي الذي لا ينضب، ولا أدلّ ذاك الانفتاح وهذا الثراء إلا تعدد القراءات عند المتلقي الواحد نفسه، فترجمان القرآن ابـن عبـاس رضـي ا عنهما، قد جاء بأكثر من تأويل للحروف المقطّعة، فمع كل قراءة جديدة دلالـة جديدة لا تتناقض مع دلالة الأولى، كما تعددت القراءات للحروف المقطّعة عنـد المفسرين واللغويين كذلك.

18- راعت الدراسة في تحليلها نصوص السور ذوات الحروف المقطّعة ضـرورة ربط أول سورة من القرآن الكريم بحسب ترتيب المصحف، وهي سورة الفاتحة، وكذلك أول سورة بحسب ترتيب النزول وهي سورة العلق، وكذلك آخر ثـلاث سور في القرآن الكريم بحسب ترتيب المصحف، وهـي سـورة الإخـلاص أو التوحيد وسورتا الفلق والناس أو المعوذتان، حيث تم الربط بـين هـذه الـسور نحوياً ودلالياً وتداولياً؛ لإثبات التماسك والتعالق بين هذه الـسور التـي تـشكّل مفاتيح النص القرآني وخواتيمه، لاعتبارين هما: الأول: باعتبار النص القرآنـي نصاً خطابياً شفوياً، والثاني باعتبار النص القرآني نصاً مكتوباً ظاهراً معلناً .

19- اهتمت الدراسة بالوحدة الموضوعية للسورة النص أولاً، وإثباتها للسور ذوات الحروف المقطّعة النص ثانياً، فشكلّت موضوعاتها بنى نصية صغرى وكبرى، إن تماسك النص إنّما يكون من خلال تعالق دلالات النص بمـا فيهـا العلاقـة النسقية بين دلالة النص وتداولية كما ذكر (فندايك)، من خلال تماسـك الـنص على مستوى دلالات أولاً ومن ثَم تحقق نصية النص، قد تحصلت بفعل التعالق على مستوى الدلالات، ولم يكن هذا التعالق متحققاً فـي أبنيـة سـورة واحـدة فحسب، ولا متحققاً كذلك على مستوى مجموعة السور ذات الحروف المقطعـة ما خلا واحدة منها، بل إنه تحقق على مستوى النص القرآني لهذه السور كلّهـا، ولا أجد مندوحةً في ضوء هذا التعالق الدلالي، لنصوص تسع وعشرين سـورة قرآنية، شكلّت مع سائر نصوص السور النص القرآني كاملاً، وفي ضـوء مـا توصل إليه وأقره جلّ المفسرين له والدارسون لعلومه علـى اختلافهـا وتعـدد مناهجها، عن القول بترابط وتماسك النص القرآني من أول لفظ في بنيتـه إلـى آخر لفظ .

20- اهتمت الدراسة بالمصاحبات المعجمية في إطار نظريـة الحقـول الدلاليـة، باعتبارها مفاتيح هامة في النص؛ إذ وقفت على كثير من الألفاظ التي تؤول إلى دلالة واحدة سواء أكانت تتضمن دلالة جزئية في إطار مسألة التفسير النسبي أو تتعالق مع غيرها من الألفاظ في إطار المعنى الدلالي الواحد، ومن أمثلة ذلـك

ألفاظ: الصراط ، المستقيم، القيم، السوي،العدل، الوسط، الحنفية، الحنيف، الأمة، الإمام ...الخ .

21-اعتمدت الدراسة في تحليلها للسور القرآنية ذوات الحروف المقطّعة، على المستوى التداولي، فبينت أهمية مساهمة هذا المستوى في فهم النص وتحقيق تماسكه، وذلك من خلال المعارف المشتركة التي أخبر بها النص وخاطب بها المتلقي، كما كانت أسباب النزول خير تمثل لهذا المستوى، من خلال تجاوبات الوحي مع المتلقين بالرد على أسئلتهم أو إخبارهم بالإجابة قبل أنْ يسألوا عنها، أو بتكبيت المتلقي المنكر ودحضه بالحجج والبراهين والأدلة القاطعة، وإلى جانب أسباب النزول ومناسبته، كان لأسلوب القصص القرآني وضرب الأمثال أهمية بالغة في الجانب التداولي للنص القرآني، فهما من باب المعارف العامة والرصيد المشترك لدى المتلقين .

22-من أهم النتائج التي يمكن عدها توصية للدراسة، هي اعتماد نظرية نحو النص لدى من رام أنْ يحلّل نصاً ما ـ بوصفه نصاً ـ تحليلاً شمولياً كلياً، مما يعني اهتمام الباحث بكل ما يفيد من معطيات ومعارف العلوم الأخرى، وكذلك إشراك كافة مستويات التحليل اللغوي وغير اللغوي، فالمقام الذي قيل فيه النص ليس مستقلاً عن الأحداث والمعلومات التي تضمنها النص، وإنّما أنجزت في مقامه الخاص الذي يفيد ويحكّم في مقام عام تماثلت أحداثه أو أسبابه، أو قيل في مقام عام يفيد مقاماً خاصاً كذلك، ولم يفت المفسرون واللغويون أنْ قالوا: بإطلاق الخاص يراد به العام وبإطلاق العام يراد به الخاص، ويدخل ضمن هذا السياق قولهم: العبرة في عموم اللفظ لا في خصوص السبب، لكن ليس على الإطلاق كما يبدو؛ إذ قد يماثل موقف ما موقفاً، قيل فيه لفظٌ كانت المعتبرة فيه جملة: درء مفسدة خير من جلب ضرر .

المراجع

الآمدي: علي بن أبي محمد بن سالم بن محمد التغلبي، ت:631هـ،(د.ت)، **الإحكام في أصول الأحكام،** تحقيق: عبد الرزاق عفيفي.

إخوان الصفا: 1412هـ - 1992، **رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء**، الطبعة الأولى، الدار الإسلامية ، بيروت.

الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد بن طلحة الأزهري اللغوي، ت: 370 هـ، 1964م **تهذيب اللغة،** تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، والدار المصرية للتأليف والرجمة، القاهرة.

ابن أبي الأصبع: عبد العظيم بن عبد الواحد القيراوني المعري ت 654 هـ، 1960م، **الخواطر السوانح في أسرار الفواتح،** تحقيق. حفني شرف، مطبعة الرسالة.

الأصفهاني: أبو القاسم، حسين بن محمد بن المفضل المعروف : بالراغب الأصفهاني، ت: 502 هـ، (2002م)، **مفردات ألفاظ القرآن**, تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم_دمشق الدار الشامية _ بيروت. الطبعة الثالثة.

الألوسي: **روح المعاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ودار الفكر العربي.

بارت: رولان 1992، **لذّة النص**، ترجمة: منذر عياشي، دار لوسي ـ باريس.

الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب، 1964م**، إعجاز القرآن**، ت. السيد أحمد صقر، ت(403هـ) دار المعارف، القاهرة.

بحيري: سعيد حسن 1997م**، علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات**، الشركة المصرية العالمية للنشر-لوجمان، الطبعة الاولى.

البخاري: أبو عبد ا محمد بن أبي الحسن إسماعيل، (د.ت)، **صحيح البخاري،** مؤسسة النتاريخ العربي، لبنان – بيروت.

البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود 1417 هـ - 1997م، **معالم التنزيل**، ت: محمد عبد ا النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة.

البقاعي: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم، **(د.ت)، نظم الدرر،** دار الكتب العلميـة، بيروت- لبنان، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه، عبـد الـرزاق غالـب المهدي .

البقاعي: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم، 1969م، **نظم الدرر،** مكتبة ابن تيميـة، القاهرة، الطبعةالأولى.

بنت الشاطئ: عائشة عبد الرحمن، (د.ت)، **الإعجاز البياني للقرآن ومـسائل ابـن الأزرق،** دار المعارف، الطبعة الثالثة.

البيضاوي: ناصر الدين أبو الخير عبد ا بـن عمـر بـن محمـد البيـضاوي: 1408هـ،1988م، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل،** ط1، دار الكتب العلميـة، بيروت-لبنان.

الترمذي: محمد بن عيسى بن سوره، ت/ 279هـ، (د.ت)، **سنن الترمذي،** تحقيق أحمد شاكر وإبراهيم عوض عطوه ، النمكتبة الإسلامية، بيروت .

التستري: الإمام محمد أبي سهل بن عبدا المتـوفي سـنة (283هـ)، 2002، **تفسير التستري،** علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

حسان: تمام (1427هـ-2006م)، **اللغة العربية: معناها ومبناها،** الطبعة الخامسة، عالم الكتب، القاهرة .

الجاحظ: أبوعثمان عمرو بن بحر بن محبوب، (د.ت)، **كتاب الحيوان،** تحقيق: عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، لبنان –بيروت.

الجرجاني: أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمـد المتـوفي سـنة 471، 2004، **التعريفات.** علق عليه محمود محمد شاكر، الطبعة الخامـسة، مكتبـة الخانجى، القاهرة.

الجرجاني: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد: 2004، **دلائل الإعجـاز،** قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، الطبعة الخامـسة، مكتبـة الخـانجي، القاهرة.

جمعية المحافظة على القرآن الكريم: **الفرقان**: مجلة شهرية تصدر عن جمعية المحافظة على القرآن الكريم / الأردن، السنة الثامنة:ع/69- شوال 1428 هـ، تشرين أول- 2007م.

الجصاص: أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، (د.ت)، **أحكام القرآن**.

الجنابي: أحمد نصيف، 1984م، ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة، **مجلة المجمع العلمي العراقي** مج 35، ج 4، محرم 1405 هـ تشرين الأول.

ابن جني: أبو الفتح عثمان، (د.ت)، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

ابن جني: أبو الفتح عثمان ابن جني **(د.ت)، سر صناعة الإعراب**، تحقيق حسن هنداوي .

الجوهري: إسماعيل بن حماد, الصحاح: 1956م، **تاج اللغة وصحاح العربية**, تحقيق:احمد عبد الغفور عطار، الطبعة الأولى، القاهرة.

ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، (د.ت)، **الإحكام في أصول القرآن**.

ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد(د.ت)، **المقدمة** .ت(808هـ) تحقيق علي عبد الواحد وافي.

حسنين: صلاح الدين صالح، **(د.ت)، الدلالة والنحو**، الطبعة الأولى، مكتبة الآداب.

حماسة: محمد عبد اللطيف 1996، منهج في التحليل النصي للقصيدة، **مجلة فصول**، مج/ 15.

حماسة: محمد حماسة عبد اللطيف، 1996م، **بناء الجملة العربية**، دار الشروق- القاهرة، الطبعة الأولى.

الحموز: عبد الفتاح، 1984، **التأويل النحوي في القرآن الكريم**، رسالة دكتوراه، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد، الرياض.

الحموز: عبد الفتاح، 2008م، **انزياح اللسان العربي الفصيح والمعنى**، دار عمار للنشر والتوزيع.

الحموز, عبدالفتاح 2009م، **القطع نحوياً والمعنى**، الطبعة الاولى، دار عمار للنشر والتوزيع.

حمودة: طاهر، 1983م، **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**،الدار الجامعية للطباعة والنشر – الاسكندرية.

الحموي: شهاب الدين أبي عبد ا   ياقوت بن عبد ا   الحموي الرومي البغـدادي، ت/626هـ، 1986م، **معجم البلدان**، دار صادر – بيروت.

حميدة ، مصطفى: 1997م**، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية**، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان. الطبعة الأولى.

حميدة: مصطفى 1999، **أساليب العطف في القرآن الكريم** ،الطبعة الأولى، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان .

خطابي، محمد 1991، **لسانيات النص/ مدخل إلى انسجام الخطاب**، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت.

دراز: محمد عبد ا ، 1404 هـ، 1984م، **مدخل إلى القـرآن الكـريم/ عـرض تاريخي وتحليل مقارن**. ترجمة: محمد عبد العظيم علي، مراجعة: السيد محمد بدوي. دار القلم ـ الكويت.

دولو دال: جيرار، (د.ت)، **السيميائيات أو نظرية العلامات**، ترجمة: عبد الـرحمن بوعلي.

دي بوجراند، روبرت1998، ا**لنص والخطاب والإجراء**، ترجمـة: تمـام حـسان. الطبعة الأولى، عالم الكتب، القاهرة .

الذهبي: محمد حسين1976م، **التفسير والمفسرون**، دار إحياء التـراث العربـي، الطبعة الثانية.

الرازي: أبو عبدا   محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الـرازي الملقـب بفخر الدين المتوفي 660هـ، (د.ت)، **مفاتيح الغيـب**. الطبعـة الثانيـة، دار الكتب العلمية ودار الفكر.

الرازي: أبو عبدا محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الـرازي الملقـب بفخر الدين المتوفي 660، 2000، **أسرار التنزيل وأنوار التأويل**، تحقيق عبد الرحمن عميرة وعبد المنعم درويش ، ركابي – للنشر والتوزيع ، القاهرة.

رحائم: سعاد 1428هـ ، 2007م، **الحضارة الإسلامية/ جذور وامتدادات**، كتـاب الأمة، ع /121، السنة السابعة والعشرون، ط1، ص/30 .

الرويني: عنتر، **من إشراقات الحروف المقطّعة**.

زاهدة: عطية، 1980، هكذا حدثني القرآن / **فواتح الـسور والحـروف الـسبعة**، الخليل.

الزبيدي: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتـضى، الزبيدي، (د.ت)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، سلسلة تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء.

ابن الزبير: أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، 1983، **مـلاك التأويل**، ت. سعيد الفلاح، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي.

الزجاج: 1999م**، إعراب القرآن**، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري ، دار الكتـاب المصري ودار الكتاب اللبناني، الطبعة الرابعة.

الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد ا ، **(د.ت)، البرهان في علـوم القـرآن.** ت/ محمد أبو الفضل إبراهيم.

الزركلي، خير الدين، 1980، **الأعلام**، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة.

الزمخشري: أبو القاسم، 1966، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فـي وجوه التأويل**، الطبعة الأخيرة، مطبعة ومكتبـة مـصطفى البـابي الحلبـي وأولاده.

الزمخشري: أبو القاسم، 1426هـ -2005م، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه** التأويل، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلّق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، الطبعة الثالثة.

الزناد: الأزهر: 1993، **نسيج النص**: بحث فيما يكون به الملفوظ نـصاً، الطبعـة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء .

أبو زيد: نصر حامـد(د.ت)، **الخطـاب والتأويـل/ سـلطة الـسياسة وسـلطة النص.(**الطبعة الثانية) المركز الثقافي العربي. الدارالبيضاء-المغرب.

أبو زيد: نصر حامد1998م، **مفهوم النص: دراسة في علـوم القـرآن،** المركـز الثقافي العربي، بيروت- الدارالبيضاء-المغرب، الطبعة الرابعة.

السامرائي: فاضل صالح، **التعبير القرآني/ دراسات بيانية في الأسلوب القرآنـي،** دار عمار، ط/4، 1427هـ- 2006م .

السامرائي: فاضل صالح ، **معاني النحـو**، ، دار الفكـر- عمـان، ط3، 2008م-1429هـ..

سرحان: هيثم ، **استراتيجة التأويل الدلالي عند المعتزلة،** الطبعة الأولى ، 2003 ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية .

أبو السعود: للقاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، ت/ 982هـ ـ، **إرشاد العقل السليم إلى مزاي الكتاب العزيز،** 84/1، وضع حواشـيه عبـد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلميـة، بيـروت – لبنـان، الطبعـة/1، 1419هـ، 1999م، منشورات محمد علي بيضون.

السمين الحلبي: شهاب الدين ابي العباس بن يوسف بن محمد إبراهيم، **الدرُ المصُون في علوم الكتاب المكنون،** تحقيق:علي محمد معوض وآخـرون، دار الكتـب العلمية، بيروت ـ لبنان،ط/1/ 1414هـ، 1994م.

سيبويه: عثمان بن بحر بن قنبر، **الكتاب،** تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبـة الخانجي-مصر، الطبعة الثالثة.

ابن سيدة: أبو الحسن علي بن اسمعيل النحوي اللغوي الاندلـسي، ت:458 هـ ـ، **المخصص،** تحقيق: الشنقيطي ومعاونة عبد الغني محمود، المطبعة الأميريـة ببولاق،1318هـ.

السيوطي:جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر, **الاتقان في علوم القرآن ،** تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث ، القاهرة .

السيوطي: الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **معترك الأقران في إعجاز القرآن،** تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي .

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **طبقات المفسرين**. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان. ط1403/1 هـ، 1983م. مراجعة وضبط/ بإشراف لجنة من العلماء.

السيوطي: جلال الدين، **مفحمات الأقران في مبهمات القرآن**، راجعه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد. المكتبة الأزهرية للتراث، ط/1، 1412ه ـ 1992م .

الشامي: محمد بن يوسف الصالحي ت / 942 هـ، **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1414 هـ - 1993 م.

شبلنر: براند شبلنر، **علم اللغة والدراسات الأدبية**، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمة: محمود جاد الرب، القاهرة، الدار الفنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى-1987م.

شتراوس:كلود ليفي ، **مقالات في الأناسة**، اختارها ونقلها إلى العربية، حسن قبيسي، بإشراف فؤاد زكريا، سلسلة الفكر المعاصر، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط/2، 2005 م .

شرارة: عبد الجبار حمد، **الحروف المقطّعة في القرآن الكريم**، الطبعة الثانية 1414 هـ ، مكتب الإعلام الإسلامي - قم .

شيمل: آن ماري، التورية بالكتب في الآداب الإسلامية، عالم المعرفة: الكتاب في العالم الإسلامي/ الكلمة المكتوبة كوسيلة للاتصال في منطقة الشرق الأوسط. تحرير: جورج عطية، ترجمة: عبد الستار الحلوجي. ع 297، اكتوبر 2003م .

الشهاب الخفاجي: أحمد بن محمد بن عمر المصري القاضي شهاب الدين ت:1069هـ، **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**، المسماة (**عناية القاضي وكفاية الراضي**) على شرح البيضاوي، دار صادر- بيروت .

الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، **الملل والنحل**، دار الفكر، لبنان – بيروت.

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد ا ، **فتح القدير**، مكتبة تحقيق العلوم.

صبحي الصالح: **مباحث في علوم القرآن**، الطبعة السادسة والعشرون، دار العلـم للملايين ـ بيروت.
أبو صعيليك: سليمان، **الحروف المقطّعة في القرآن الكريم؛ تفسيراً**، لغة، إعرابـاً، ومذهباً، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك .
صفا: فيصل إبراهيم: **نحو النص في النحو العربي**: دراسة فـي مجموعـة مـن العبارات النحوية الشارحة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع: 92:
الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن بن الطبرسي، **مجمع البيـان فـي تفـسير القرآن**، تصحيح وتحقيق وتعليق/ السيدد هاشم الرسولى المحلاتـي و الـسيد فضل ا اليزدي الطباطبائي، دار المعرفة للطباعة والنشر. الطبعة الأولـى: 1406هـ، 1986.
الطبري:أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب، ت/ 310هـ ، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق أحمد محمد شـاكر، مؤسـسة الرسـالة، الطبعـة الأولى1420 – 2000م .
الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمـد أبـو الفضل إبراهيم، دار المعارف-القاهرة، 1963م.
ابن عادل: عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفـص، ت:بعـد 880 هـ ،بعد 1475م، سراج الدين، **اللباب في علوم الكتاب**، دار الكتب العلمية.
ابن عاشور: الطاهر محمد ، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر/1984.
عبد البديع: لطفي، **التركيب اللغوي للأدب/ بحث في فلسفة اللغـة والاسْـتَطيقيا**، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر ـ لونجمان، 1997 م.
عبد الجليل، محمد بدري، **براعة الاستهلال في فواتح القصائد والـسور**، الطبعـة الثانية، 1980 ، المكتب الإسلامي ، القاهرة .
عبد المطلب: محمد ، **العلامة والعلامتية/** دراسة في اللغة والأدب.
العبد: محمد :حبك النص "**منظورات من التراث العربي**: مجلة الدراسات اللغوية مج 3، ع2 ، 2001م .

أبو عبيدة: معمر بن المثنى التيمي :ت 210 هـ، **مجاز القرآن،**عارضه بأصوله وعلق عليه: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.

العدل: سعد عبد المطلب، **الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم، شرح ما يسمى بالحروف المقطعة،** 2002 ، مكتبة مدبولي .

ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبدا المعروف بابن العربي/ (468-543هـ)، **أحكام القرآن،** تحقيق/عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان/ الطبعة الأولى/1421هـ - 2000م.

العسكري:أبو هلال، **الفروق اللغوية.** تحقيق مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، الطبعة: الاولى: 2000م .

ابن عطية: عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي ، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، تحقيق؛: المجلس العلمي بفاس. وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية المغربية

عفيفي: أحمد: **نحو النص/اتجاه جديد في الدرس النحوي** . الطبعة الأولى 2001 ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة .

العك: خالد عبد الرحمن، **أصول التفسير وقواعده** ، دار النفائس: ط3، 1414هـ، 1994م.

عمر: أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، دار العروبة للنشر والتوزيع-الكويت، الطبعة الأولى-1402هـ.

عياشي: منذر، **العلامتية وعلم النص،** المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، الطبعة الأولى2004م.

الغزالي: أبو حامد، **المستصفى في أصول الأحكام،** المطبعة الأميرية ببولاق-مصر، الطبعة الأولى:1324هـ.

الغزالي: أبو حامد ، **المنخول**. ت/ محمد حسن هيتو الطبعة الثالثة 1419 هـ - 1998 م دار الفكر المعاصر بيروت ـ لبنان دار الفكر دمشق – سورية .

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، **الصاحبي في اللغة،** تحقيق/عمر فاروق الطباع، دار المعارف – بيروت،ط/1، 1414هـ-1993م .

فضل: صلاح ، **بلاغة الخطاب وعلم النص**، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، الطبعة الأولى/1996م .

الفقي: صبحي، **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق** .الطبعة الأولى ، 2000 ، دار قباء للنشر، القاهرة .

فندايك، تيون، **النص والسياق استقصاء البحث الدلالي والتداولي**، ترجمة عبدالقادر قنيني ، أفريقيا الشرق – المغرب – الدار البيضاء ، 2000 م .

فندريس: **اللغة**، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية-1950م.

الفيروزأبادي: **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ت: محمد علي النجار.

القاسمي: محمد جمال الدين ت / 1332 هـ ، **دلائل التوحيد** ، ضبط وتعليق وتخريج خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى 1412 هـ - 1991 .

ابن قتيبة: أبو محمد عبد ا بن مسلم: **تأويل مُشكل القرآن**. ت/ السيد أحمد صقر، 2006 ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .

القرطاجني: حازم: **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق محمد الحبيب بن خوخه، بيروت ، 1989 .

القشيري: **لطائف الإشارات**، ت: إبراهيم بسيوني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة .

ابن القطّاع :أبو القاسم علي بن جعفر السعدي,المتوفى سنة(515هـ) **الأفعال**، الطبعة الأولى (1983م) عالم الكتب, بيروت.

القلقيلي, محمد عادل, **نظرات جديدة في القرآن المعجز**, الطبعة الاولى, دار الجيل ـ بيروت ,1997.

ابن القيم: الجوزية، **بدائع الفوائد** ،المتوفى سنة(751هـ) ت:سيد عمران وعامر صلاح، دار الحديث القاهرة.

ابن كثير: عماد الدين ابو الفداء إسماعيل بن عمرو البصري الدمـشقي ، **تفـسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيـع ، الطبعة الثانية ، 1999 .

المراكشي: أبو العباس أحمد بن البناء المراكشي ت /721هـ - 1326م، **عنـوان الدليل من مرسوم خط التنزيل**، حققته وقدمت له: هند شلبي، الطبعة الأولـى 1990، دار الغرب الإسلامي ، بيروت .

مصلوح: سعد, **من نحو الجملة إلى نحو النص** – الكتاب التـذكاري لقـسم اللغـة العربية – جامعة الكويت – عبد السلام هارون معلما ومؤلفا ومحققا، إعـداد وديعة طه النجم وعبده بدوي ، 1989- 1990.

مفتاح: محمد: أوليات منطقية رياضية في النظرية السيميائية: عالم الفكر: م 35، ع 3، 2007م.

المليجي: محمد أحمد عبد الوهاب، **الظواهر الإعجازية في فواتح السور القرآنيـة عند المفسرين والنحاة**، 1421 هـ 2000 م .

ابن منظور: أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي 630 – 711 هـ ، **لسان العرب**: دار صادر .

موسى: حسن لحساسنة، **الحاكمية في الفكر الإسلامي**، كتاب الأمة: ص/131،132 ، ع/118، ط1، 1428 هـ/ 2007 م .

الناصري: محمد المكي الناصري: **التيسير في أحاديث التفسير**: الطبعـة الأولـى/ دار الغرب الاسلامي، بيروت – لبنان.

النحاس: أبو جعفر توفي 330 هـ , **معاني القرآن** ، ت / محمد علي الصابوني ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م .

نحلة: محمود أحمد, **نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية** ، مجلة الدراسات اللغوية ، المجلد الأول ، العدد الأول ، يونيو 1999 ، مركز الملـك فيـصل للبحـوث والدراسات الإسلامية .

ابن النديم: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق ، **الفهرست**، تحقيق رضا- تجدد.

النسائي: **السنن الكبرى**، ت: عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن.

نصر: سيد حسين: **الرواية الشفهية والكتاب في التعليم الإسلامي**، عالم المعرفة، (الكتاب في العالم الإسلامي/ لـ (جورج عطية)، ترجمة:عبد الستار الحلوجي، ع/297، اكتوبر/ سنة 2003م .

هاينه من: فولفجانج وفيهفيجر، ديتر، **مدخل إلى علم لغة النصي**، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع ، جامعة الملك سعود ، 1419 هـ .

ابن هشام:جمال الدين أبو محمد عبد ا بن يوسف بن هشام, (ت761هـ). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** (ط1),ت(مازن المبارك محمد علي حمد ا), دار الفكر, بيروت,1992م.

الهمذاني: عبد الجبار بن أحمد, توفي سنة(415 هـ), **متشابه القرآن**، ت/ عدنان محمد زرزور، المجلد الأول والثاني ، مكتبة دار التراث.

الواحدي: أبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري، ت:468هـ ، **أسباب النزول** ، تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1406هـ -1986م.

يقطين: سعيد: **من النص إلى النص المترابط**، مجلة عالم الفكر: م/ 32، ع/ 2003م.